

خزانة الأديب

ولب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الجزء التاسع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

○ الطبعة الثالثة ○

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجوازم

أُنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الستائة^(١) :
٦٧٦ (لولا فوارسٌ مِنْ ذُهَلٍ وَأَسْرَتْهُمْ يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ)
٦٢٦ على أن (لم) قد جاءت في الشعر غيرَ جازمة .
وكذلك قال ابن عصفور : إنَّ رفع المضارع بعد لم ضرورة . وأنشد
مع هذا البيت قولَ الشاعر :
وَأَمْسُوا بِهَالِيلَ لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى الشَّمْسِ حَوْلِينَ لَمْ تَطْلُعْ
يرفع (تطلع) . وقال : حَكَمَ لَمْ بَدَلًا مِنْ حُكْمِهَا بِحُكْمِ مَا ، لَمَّا كَانَتْ
نافيةً مثلها . فرفع المضارع بعدها كما يرفع بعد ما .
وقال التبريزي (في شرح الكافية) ، تبعاً لابن جني (في سر الصناعة) :
وقد لا تجزم لم ، حملاً على لا .
وقال ابن مالك : إنَّ رفع المضارع بعدها لغة لا ضرورة . كذا في
مغنى اللبيب .

وفوارس : جمع فارس ، شاذٌ . وذُهَلٍ ، بضم الذال المعجمة : اسمٌ
لقبيلتين ، إحداهما : ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة ، والأخرى^(٢) :

(١) المحتسب ٤٢ : ٢ وابن يعيش ٨ : ٧ وضرائر ابن عصفور ٣١٠ والمغنى ٢٧٧ ، ٣٣٩
والمعنى ٤ : ٤٤٦ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والمعجم ٢ : ٥٦ والأشوفى ٤ : ٦ واللسان
(صلف) .

(٢) ط : « والآخر » ، صوابه في ش . وما يجدر ذكره أن « ذهل » اسم لعدة قبائل
لا لقبيلتين . انظر فهارس جمهرة ابن حزم ٥٦٣ ، فقد عد منهم ثمانى قبائل .

ذُهل بن ثعلبة بن عكابة، وهما من ربيعة. وروى بدله: «من جرّم» بفتح الجيم، وهو قبيلة أيضاً. وروى: «نعم» أيضاً بضم النون، وهو اسم امرأة، وهو تحريف.

(من ذهل وأسرته) يروى بالرفع عطف على فوارس، ويروى بالجر عطف على ذهل.

وأسرة الرجل، بضم الهمزة: رهطه. والصليفاء: مصغر صلفاء، وهي الأرض الصلبة، والمكان أصلف. ويقال صلفاء، بوزن جرباء. وقال الأصمعي: الأصلف والصلفاء: ما اشتد من الأرض وغلظ وصلب، والجمع الأصالف والصلاف. كذا (في العباب للصاغاني). ويوم الصلفاء هو يوم من أيام العرب^(١)، لكن الشاعر صغره. قال ابن رشيقي (في العمدة): يوم الصلفاء لهوازن على فزارة وعبس وأشجع، وفيه قتل دريد بأخيه ذؤاب بن أسماء^(٢). انتهى.

والواو في (يوفون) ضمير القوم الذين هجأهم الشاعر. و (الجار) له معان: منها المجاور في السكن، ومنها المستجير وهو الذي يطلب الأمان، ومنها الحليف. وأحد هذه الثلاثة [هو المناسب^(٣)]، وعليه ففيه حذف مضاف، أي لم يوفون بدمّة الجار.

وهذا البيت أنشده الأخفش والفراسي وغيرهما، ولم أجد من عزاه إلى قائله، ولا من ذكر له تنمة. والله أعلم به.

(١) لم يذكره ياقوت. وإنما ذكر «الصلعاء» و «الصليماء» أيضاً بالتصغير؛ ذكرهما بالعين المهملة، مشتقين من قولهم: رجل أصلع وامرأة صلعاء، وقال: إنه موضع كانت به وقعة لهم.

(٢) العمدة ٢: ١٦١ حيث ذكر الموضع بالفاء أيضاً.

(٣) التكملة من ش.

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الستائة^(١) :

٦٧٧ (فَأَضَحَتْ مَعَانِيهَا قِفَارًا رَسُولُهَا

كَأَنَّ لَمْ سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَحْشِ تُوَهَّلِ)

على أَنَّ (لم) قد فُصِّلَتْ في الضَّرورة مِنْ مجزومها ، فَإِنَّ الْأَصْلَ :
كَأَنَّ لَمْ تُوَهَّلِ سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَحْشِ .

وقَيَّدَ ابنُ عَصْفُورِ الْفَصْلَ في الضَّرورة بِالْمَجْرُورِ وَالظَّرْفِ ، وَأُنشَدَ :
نَوَائِبِ مِنْ لَدُنِ ابْنِ آدَمِ لَمْ تَزَلْ تَبَاكِرُ مَنْ لَمْ بِالْحَوَادِثِ تَطْرُقِ
وَأُنشَدَ بَعْدَهُ قَوْلُهُ : (فَأَضَحَتْ مَعَانِيهَا) الْبَيْتِ . وَقَدْ فَصَّلَ فِي الْأَوَّلِ
بَيْنَ لَمْ وَمَجْزُومِهَا وَهُوَ تَطْرُقَ ، بِالْمَجْرُورِ ، وَفَصَّلَ فِي الثَّانِي بِالظَّرْفِ بَيْنَهُمَا .

وَكذلك صَنَعَ ابْنُ هِشَامِ (فِي الْمَغْنَى) ، قَالَ : وَقَدْ تَفَصَّلَ مِنْ مَجْزُومِهَا
فِي الضَّرورة بِالظَّرْفِ ، كَقَوْلِهِ :

فَذَاكَ وَلَمْ إِذَا نَحْنُ امْتَرَيْنَا تَكُنْ فِي النَّاسِ يُدْرِكُكَ الْمِرَاءُ

وقَوْلُهُ : (فَأَضَحَتْ مَعَانِيهَا) الْبَيْتِ . وَقَدْ يَلِيهَا الْاسْمُ مَعْمُولًا لِفَعْلٍ
يُفْسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ ، كَقَوْلِهِ :

٦٢٧ ظُنِنْتُ فَقِيرًا ذَا غِنَى ثُمَّ نَلْتُهُ فَلَمْ ذَا رَجَاءٍ أَلْقَهُ غَيْرَ وَاهِبٍ^(٢)

انتهى .

(١) الشاهد لذى الرمة في ديوانه ٥٠٦ . وانظر الخصائص ٢ : ٤١٠ والضرائر ٢٠٣ .
والمغنى ٢٧٨ والعينى ٤ : ٤٤٥ والهمع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥
(٢) المغنى ٢٧٨ .

وقوله (إذا نحن امترينا) متعلق ببيدروك ، الأصل : ولم تكن في الناس يدركك المراء إذا نحن امترينا ، والامتراء : الشك . والميراء : الجدل .

وقوله : « ظُنِنْتُ فقيراً » الخ . هو بالبناء للمجهول والتكلم . وفقيراً حال من نائب الفاعل ، وذا غنى : مفعولٌ ثانٍ لظننت ، وضمير نلتُه للغنى ، وذا رجاء : مفعولٌ لفعل محذوف مفسرٌ بألقى المذكور . وغير واهب : حالٌ من فاعله ، يعنى أنه في حال فقره كان متعقفاً ، فكنى عن ذلك بظنه ذا غنى ، وأنه حين صار غنياً يعطى كلَّ راجٍ لقيه ما يرجو .

والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة . وقبله :

آيات الشاهد

(فياكرمَ السَّكْنِ الذينَ تحمَّلوا عن الدارِ والمستخلفِ المتبدِّلِ) وبعده :

(كَأَنَّ لَمْ تَحَلَّ الزُّرْقَ مِىْ وَلَمْ تَطَأْ بجرعاء حُزْوَى نِيرِ مِرْطِ مَرَحِلِ
إلى مَلْعَبِ بَيْنِ الحِوَاءِ مَنصَفِ قَرِيبِ المزارِ طَيْبِ التُّرْبِ مُسْهِلِ)

وقوله : « فياكرم السَّكْنِ » إلخ . هو نداءٌ تعجُّبى ، أى يا صاح ، انظر كرمَ السَّكْنِ ، وهو أهل الدار ، جمع ساكن كصَحْب جمع صاحب . وتحملوا : أرتحلوا . والمستخلف معطوف على الدار ، وهو والمتبدِّل رُوباً على صيغة اسم الفاعل واسم المفعول . يريد : الدار تبدلت بالسَّكْنِ الوحوشَ والطَّيِّاءَ والبقرَ . يعنى أنَّ الدار استخلفت واستبدلت الوحش .

وبهذا البيت استشهد صاحب (الكشاف) على أن التبدُّل في قوله

تعالى : ﴿ وَلَا تَبَدُّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ ^(١) ﴾ بمعنى الاستبدال، كالتعجّل والتأخّر، بمعنى الاستعجال والاستئخار .

وقوله : (فَأَصَحَّتْ مَغَانِيهَا) أى صارت، والمغاني . جمع مغنى، وهو المَقَام ، مِنْ غَنَى بِالْمَكَانِ كَرَضِي ، إذا أقام فهو غانٍ . والقِفَار : جمع قَفْر . فى المصباح : القفر: المفازة لا ماء فيها ولا نبات . ودارَ قَفْرٌ : خاليةٌ من أهلها . والرَّسْم : الأَدْر . ورسومُها فاعل قِفار . والروىُ فى ديوانه كذا :

* فَأَصَحَّتْ مَبَادِيهَا قِفَارًا بِلَادُهَا *

قال شارحه : مَبَادِيهَا : حيث تلبو فى الرِّبِيع . والبِلاد : جمع بلدة، وهى القِطعة من الأرض . وَأَهْلَ الْمَكَانِ أَهْوَلًا من بابِ قعد : عَمِرَ بِأَهْلِهِ فهو آهل ، وقرية آهلة . وَأَهْلَتُ بِالشَّيْءِ : أَنْسَتُ بِهِ . قال شارح الديوان : تُوَهَّلُ : تُنْزَلُ . يقال بلدٌ مأهولٌ : ذو أهل .

وقال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) : أَهْلَ هَذَا الْمَكَانِ . وسمعتُ يقال مكان آهل أى ذو أهل . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : وبنو عامر بقولون : أَهْلَتُ بِهِ أَهْلٌ بِهِ أَهْوَلًا ، أى أَنْسَتُ بِهِ .

وقوله : « كَأَنَّ لَمْ تَعْلُ الزُّرْقُ » هو جمع أزرق . قال شارح الديوان : الزُّرْقُ : أَكْثَبَةٌ بِالذَّهْنَاءِ . وَالجَّرْعَاءُ مِنَ الرَّمْلِ . وَحُزْوَى بِضَمِّ الْمَهْمَلَةِ : موضع : وَالْمِرْطُ ، بِالْكَسْرِ : الإزار . وَنَيْبِرُهُ : عَلَمُهُ . وَالرَّحْلُ بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ الْمَشْدَدَةِ : الموشى على لون الرِّحَالِ ^(٢) .

وقوله : « إلى ملعب » ، الجِوَاءِمِينَ بكسر المهمله : أبياتٌ مجتمعة . يريد :

(١) الآية ٢ من سورة النساء .

(٢) فى الديوان : « الرجل » بالجيم . وفى شرحه : « والمرجل : العلم » .

ملعباً بين الحوَّاءَيْن . وَمَنْصَفٌ : بفتح الميم والصاد ، يقول : هو بين الحوَّاءَيْن وسط . ومسهلٌ : سهلٌ قد انجدرَ عن الغلظ .

وترجمة ذى الرمة تقدمت في الشاهد الثامن من أول الكتاب^(١) .

• • •

وأنشد بعده :

(أزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابِنَا لَمَّا تَزُلُّ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ)
على أَنَّ الفعل بعد (قد) محذوف اختياراً، أى وكأن قد زالت.
وأزِفَ : دنا . والرِّكَابُ : الإبل . ولَمَّا نافية جازمة ، وتَزُلُّ مجزوم وأصله
تزول . والرِّحَالُ : جمع رَحْلٍ ، وهو ما يستصحبه الإنسان من الأثاث في
السفر . وكأن مخففة .

٦٢٨

وتقدّم شرح هذا البيت مفصلاً في الشاهد الخامس والعشرين
بعد الخمسمائة^(٢) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الستائة^(٣) :

٦٧٨ (احْفَظْ وَدِيْعَتَكَ الَّتِي اسْتُوْدِعْتَهَا

يَوْمَ الْأَعْرَابِ إِنْ وَصَلْتَ وَإِنْ لَمْ)

على أَنَّ حذف مجزوم (لم) ضرورة ، والأصل : وإن لم تصل^(٤) .

كذا قدره أبو حيان ، فيكون وصلت مثله بالبناء للمعلوم .

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) الخزانة ٧ : ١٩٧ - ٢٠٤ .

(٣) ديوان ابن هرمة ٢٠١ والمغني ٢٨٠ والمعنى ٤ : ٤٤٣ والتصريح ٢ : ٢٤٧ والمع

٢ : ٥٦ والأشباه والنظائر ٢ : ٧٣ والأشموقي ٤ : ٦ .

(٤) ط : « والأصل أن لم تصل » . وإثبات الواو من ش .

وقدره أبو الفتح البعلّي : وإن لم تُوصَلْ ، فيكون إن وُصِلت مثله
بالبناء للمفعول .

وأنشد ابن عصفور (في الضرائر الشعرية) قول ابن هرمة :

وعليك عهدُ الله إنَّ بيبابه أهلَ السَّيالة إن فعلت وإن لم^(١)

يريد : وإن لم تفعل . ومثله قول الآخر :

ياربَّ شيخٍ من لُكيز ذى غنمٍ في كفه زبغٌ وفي الفمِّ فقم^(٢)

أجلحَ لم يَشْمَطَ وقد كان ولم

يريد : وقد كان ولم يجلح . ثم قال : وإنما لم يَجُزُ الاكتفاء بلم
وحذف ما تعمل فيه إلا في الشعر ، لأنها عاملٌ ضعيف ، فلم يتصرفوا
فيها بحذف معمولها^(٣) في حال السَّعة ، بل إذا كان الحرف الجارّ - وهو
أقوى في العمل منه ، لأنه من عوامل الأسماء ، وعوامل الأسماء أقوى من
عوامل الأفعال - لا يجوز حذف معموله^(٤) ، فالأحرى أن لا يجوز ذلك
في الجازم . فإن قال قائل : فلم جاز الاكتفاء بلمًا وحذف معمولها في
سعة الكلام وهي جازمة ، فقالوا : قاربت المدينة ولمًا ، أي ولمًا أدخلها
ولم يجر ذلك في لم ؟ فالجواب أن تقول : إن الذي سوَّغ ذلك فيها
كونها نفيًا لقد فعل . ألا ترى أنك تقول في نبي قد قام زيد : لم يقم ،
فحُملت لذلك على قد ، فكما يقال لم يأت زيد وكان قد ، أي وكان

(١) ديوان ابن هرمة ٢١٩ والضرائر ١٨٣ . وفي الديوان : « إن أنباته » .

(٢) كذا ورد في الضرائر وابن يعيش ٨ : ١١١ بدون نسبة . وفي ابن يعيش : « وفي فيه » .

(٣) ط : « معمولها » ، صوابه في ش والضرائر .

(٤) في النسختين : « معمولها » ، صوابه من الضرائر .

قد أتى ، فيمكنني بقد ، فكذلك أيضاً قالوا : قاربت المدينة ولماً ، أى ولماً أدخلها ، فاكتفوا بلماً . هذا كلامه .

وقوله : (احفظ) أمرٌ . و (استودعتها) على بناء المجهول . و (يوم الأعراب) لم أفن عليه في كتب أيام العرب ، وقال العيني : هو يوم صاحب الشاهد معهودٌ بينهم . ونسب البيت إلى إبراهيم بن هرمة . وتقدمت ترجمته في الشاهد الثامن والستين ^(١) والله أعلم .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السائة ^(٢) :

٦٧٩ (أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا)

على أَنَّ الهمزة الداخلة على لَمَّا للاستفهام التقريرى ، أى ألم تعرفوا منَّا إلى الآن الجِدِّ في الحربِ عِرْفَانًا يَقِينًا . أى قد علمتم ذلك فلم تتعرضوا لنا .

وهذا عجزٌ وصدرة :

(إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ)

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ، يخاطب بني عمه بكر ابن وائل .

وإليكم ^(٣) : اسم فعل ، أى : ابعُدوا وتَنَحَّوْا عَنَّا إلى أقصى ما يمكن من البُعد . وكرَّرَ إليكم تأكيداً للأولى . وبعده :

(أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابَ يَطْعَنَ وَيُرْتَمِينَا)
و (أَلَمَّا) مثل الأولى . والكتيبة : الجماعة من الجيش ، سميت كتيبة

(١) الخزانة ١ : ٤٢٤ .

(٢) معلقة عمرو بن كلثوم .

(٣) ط : « وإليك » ، صوابه في ش .

لا اجتماع بعضها إلى بعض؛ ومنه كتبت الكتاب، أى جمعت بعض حروفه إلى بعض. ويَطَّعُنُ : يفتعلن من الطَّعْنِ : وكذلك يرتمينا^(١) : يفتعلن من الرَّمَى ، والألف للإطلاق . أراد التَّطَاعُنُ بالرمح ، والتراعى بالسَّهْمِ مِنَّا ومنكُمْ .

وتقدمت ترجمة عمرو بن كلثوم صاحب العلقمة مع شرح أبيات منها في مواضع في الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السائة ، وهو من شواهد سيويه^(٣) :

٦٨٠ (مُحَمَّدٌ تَفَدٍ نَفْسِكَ كُلِّ نَفْسٍ

إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالَا)

على أنه جاء في ضرورة الشعر حذف لام الأمر في فعل غير الفاعل المخاطب ، والتقدير : يا محمد لتفد نفسك كل نفس .

قال سيويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمره ، كأنهم شبهوها بأن إذا أعملوها مضمره . وقد قال الشاعر :

محمد تفد نفسك كل نفسٍ . . . البيت .

وإنما أراد : لَتَفَدِ . وقال مُتَمِّمُ بْنُ نُويرَةَ :

(١) ش : « يرتمين » .

(٢) الخزانة ٣ : ١٨٣ . وفي ش : « الثامن والثلاثين بعد المائة » ، صوابه ما أثبت من ط .

(٣) سيويه ١ : ٤٠٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٨٢ وأمال

ابن السجري ١ : ٣٧٥ والإنصاف ٥٣٠ وابن يميث ٧ : ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٩ : ٢٤ والمقرب ١ : ٢٧٢ ورصف المبانى ٢٥٦ وشدور الذهب ٢١١ والمغنى ٢٢٤ ، ٦٤١ والمعنى

٤ : ٤١٨ والتصريح ٢ : ١٩٤ والمجع ٢ : ٥٥ والأشمونى ٤ : ٥ .

على مثل أصحاب البعوضة فاحميشي

لك الويل حُسرَّ الوجه أو يبك من بكى^(١)

أراد : لَيْبِكَ . انتهى .

قال الأعمى : هذا من أقبح الضرورة ، لأنَّ الجازم أضعف من الجار ، وحرف الجر لا يُضمَر . وقد قيل إنه مرفوعٌ حُذفت لامه ضرورةً واكتفى بالكسرة منها . وهذا أسهلُّ في الضَّرورة وأقرب .

وقال النحَّاس : سمعت عليَّ بن سليمان يقول : سمعت محمد بن يزيد ينشد هذا البيت ويلحِّن قائله ، وقال : أنشده الكوفيون ، ولا يُعرف قائله ، ولا يُحتجُّ به ، ولا يجوز مثله في شعرٍ ولا غيره ، لأنَّ الجازم لا يُضمَر ؛ ولو جاز هذا لجاز يَقمُ زيد ، بمعنى ليقم . وحروف الجزم لا تُضمَر ، لأنَّها أضعف من حروف الخفض ، وحرف الخفض لا يضمَر .

فبعد أنْ حكى لنا أبو الحسن هذه الحكاية ، وجدتُ هذا البيت في كتاب سيبويه يقول فيه : وحدثني أبو الخطَّاب أنه سمع هذا البيت من قاله .

قال أبو إسحاق الزجاج احتجاجاً لسيبويه : في هذا البيت حذف اللام ، أي لتفد . قال : وإنما سماه إضماراً لأنَّه بمنزلة . وأمَّا قوله أو يبك من بكى فهذا البيت لِفَصِيح ، وليس هذا مثلَ الأوَّل ، وإن كان سيبويه

(١) سيبويه ٣ : ٨ والمقتضب ٢ : ١٣٢ وأصول ابن السراج ٢ : ١٦٣ ، ١٨١ وابن السجري ١ : ٣٧٥ وابن يميث ٧ : ٦٠ ، ٦٢ والإنصاف ٥٣٢ ووصف المباني ٢٢٨ والمغني ٢٢٥ والبلدان (البعوضة) .

قد جمع بينهما . وذلك أَنَّ المعطوف يُعْطَفُ على اللفظ وعلى المعنى . فعطفَ الشاعرُ على المعنى ، لِأَنَّ الأَصْلَ في الأمر أن يكون باللام ، فحذفت تخفيفاً والأصل : فلتخمشي ، فلما اضطرَّ الشاعر عطف على المعنى ، فكأنه قال : فلتخمشي وَيَبْكُ ، فيكون^(١) الثاني معطوفاً على معنى الأول . والبعضة : موضع بعينه قُتِلَ فيه رجالٌ من قومِه فحضرَّ على البكاء عليهم .

وحذا ابن هشام (في المعنى) هذا الحذو وقال : وهذا الذي منعه المبردُ أجازه الكسائي في الكلام ، بشرط تقدُّم قُلْ ، وجعل منه : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٢) ، أي ليقيموا .

ووافقه ابن مالك (في شرح الكافية) وزاد عليه أَنَّ ذلك يقع في النشر قليلاً بعد القول الخبري ، كقوله :

قلتُ لبوابٍ لديه دارُها تَيْدَنُ فَإِنِّي حَمَوُها وجارُها^(٣)

أى لتيدن ، فحذف اللام وكسر حرف المضارعة .

٦٣٠

وأما ابن عصفور فلم يَزِدْ (في كتاب الضرائر) على قوله : إضمار الجازم وإبقاء عمله أقبح من إضمار الخافض . ثم أنشد خمسة أبيات حذف فيها اللام .

و (محمدٌ) منادى . و (تفدي) أمرٌ من الفداء . و (كلٌّ) فاعله . و (نفسك) مفعوله . و (التَّبَال) بفتح المثناة بعدها موحدة . قال الأَعْلَمُ ، وتبعه ابن هشام : هو سوءُ العاقبة ، وأصله وَبَالٌ ، فتاؤه مبدلة من الواو .

(١) ش : « ويكون » .

(٢) الآية ٣١ من سورة إبراهيم .

(٣) لمنظور بن مرثد ، في المعنى ٢٢٥ والعينى ٤ : ٤٤٤ والمجع ٢ : ٥٦ والأشمونى ٤ : ٥٤ .

والبيت لا يُعرف قائله ، ونسبه الشارح في الباب الذي بعد هذا
لحسنان ، وليس موجوداً في ديوانه .

صاحب الشاهد وقال ابن هشام (في شرح الشذور) : قائله أبو طالب عم النبي
صلى الله عليه وسلم .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : هو للأعشى .
والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الستمائة^(١) :

٦٨١ (لِيَتَقَمَّ أَنْتَ يَا ابْنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ

فَلْتَقْضَى حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ)

على أَنَّ أمر المخاطب جاء فيه باللام ، وهو في الشعر أكثر منه في
النثر ، أراد قم . وكذا اللام في قوله (فلتقضى) لأمر المخاطب ، والياء
إشباع الكسرة .

والبيت أوردته الكوفيون . وهو مجهول لا يعلم تتمته ولا قائله .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الستمائة^(٢) :

٦٨٢ (قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلَمَى وَإِنْ

كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنْ)

(١) المقدم ٣ : ٤٩٦ والإينصاف ٥٢٥ والمغنى ٢٢٧ ، ٥٥٢ والتصريح ١ : ٥٥ / ٢ :

٢٤٦

(٢) المقرب ١ : ٢٧٧ والضرائر ١٨٥ ووصف المباني ١٠٦ والمغنى ٦٤٩ والعنى

١ : ١٠٤ / ٤ : ٣٣٦ والتصريح ١ : ١٩٥ والممع ٢ : ٦٢ والأشموقي ١ : ٤ / ٣٣ :

٢٦ وملحقات ديوان روبة ١٨٦ .

على أَنَّ فيه حذف الشرط والجزاء معاً لضرورة الشُّعْر ، والتقدير :
وإن كان كذلك رضيته أيضاً .

وكذا قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر^(١)) : إنَّ حذفهما خاصٌّ
بالشعر .

وأورده ابن هشام (في فصل الحذف من المعنى) ولم يخصُّصه بالشعر .
وأما إن الأولى فإنَّما حذف منها جوابُها ، والتقدير : وإن كان فقيراً
أترصين به ، لأنَّ كان شرطها ، واسمها مستتر فيها يعود إلى بعلٍ في
بيت مقدَّم ، وهو :

(قالت سليمة لبت لي بعلاً يمينٌ يغسل جلدي وينسني الحزن
وحاجة ما إن لها عندي ثمنٌ ميسورة قضاؤها منه ومن
قالت بناتُ العمِّ ياسلمى وإن كان فقيراً مُعدماً ، قالت وإن)

وهذا الرجز منسوب إلى رؤية بن العجاج ، وسليمة : مصغر سلمى صاحب الشاهد
الآتية . والبعل : الزوج . ويمن فعل مضارع من المنة ، وخفف النون
للضرورة ، والمنة : النعمة يقال منَّ عليه ، أي أنعم عليه . والمراد هنا : يحصل
منه المنُّ والإنعام ، سواء كان عليها أو على غيرها ، فهو مطلق .

وقال : العيني : هو بتقدير يمينٌ عليّ .

وقوله : « يغسل جلدي » إلخ تفسيرٌ لقولها يمينٌ . وقولها : « وحاجة ،
منسوب بتقدير : ويقضى لي حاجة ، وهي قضاء شهوة النوم . وقال
العيني : حاجة معطوف على بعلاً ، وما نافية ، وإن زائدة . وكون هذه الحاجة

(١) ط : « الضرورة » ، وأثبت ما في ش .

لا ثمن لها عندها لغلانها وعزتها . وميسورة صفة حاجة . وأرادت : قضاؤها من البعل ومنى ، فحذفت الياء مع نون الوقاية ضرورة .

وروى : (قالت بنات الحي) بدل بنات العم . وروى (وإنين) بزيادة نون في الموضعين ، وبها استشهد سُراخ الألفية على أن هذه النون هي تنوين الغالي ، وبها يخرج الشعر عن الوزن ولا يستقيم إلا بحذفها . ورؤية تقدمت ترجمته في الشاهد الخامس من أول الكتاب ^(١)

٦٣١

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الستمائة ^(٢) :

٦٨٣ (أماويّ مهمنٌ يسمعن في صديقه

أقاويلَ هذا الناسِ ماويّ يندم)

على أن الكوفيين حكوا عن العرب مجيء (مهمن) بمعنى من كما في البيت .

قال ابن يعيش عند الكلام على مهما : وقال آخرون هي مركبة من مة بمعنى اكفف وما الشرطيّة . والمعنى عندهم : اكفف عن كل شيء ، ما تفعل أفعل . ويؤيده قول الشاعر :

أماويّ مهمنٌ يستمع في صديقه البيت

فركب مه مع من ، كما ركبها مع ما . فاعرفه . انتهى .

وقال (صاحب تهذيب اللغة) : مهمن استفهام ، وأصلها من من فأبدلت النون هاء . وأنشد هذا البيت .

والهمزة في قوله : (أماويّ) للنداء . و (ماويّ) مرخم ماويّة ، وهي من أسماء النساء ، منها ماويّة امرأة حاتم طي .

(١) الخزانة ١ : ٨٩ .

(٢) السبع الطوال ٤٥ وابن يعيش ٤ : ٨ والتهذيب ٥ : ٣٨٥ والسان (مهه ٤٤٠) .

وهذا البيت شبيهٌ بشعره ، لكنني لم أقف عليه منسوباً إليه .
قال في الصحاح : المِراة كأنها منسوبةٌ إلى الماء . وماويةٌ :
اسم امرأة . قال طرفة :

* ليس هذا منكِ ماوىُّ بحرٍ^(١) *

واسم امرأةٍ حاتم طيٍّ ، وتصغيرها : مُويّة . قال حاتمٌ يخاطبُها :
فضارتُه مُويٌّ ولم تَصْرِنِي ولم يعرقِ مُويٌّ لها جَبِينِي
يعنى الكلمة العوراء . انتهى .

ومهمن اسم شرط يجزم فعلين ، الأوّل يسمعن ، والنون هي نون
التوكيد الخفيفة . وروى (يستمع) بدله ، يفتعل من السَّماع . والثاني :
يندم ، وكسر للقافية . و (ماويٌّ) الثاني منادى ، وحرف النداء محذوف ،
وكرر المنادى للتلذذ به . وروى المصراع الثاني هكذا أيضاً :

* أقاويلَ هذا الناسِ يُصْرَمِ وَيَنْدَمِ *

فيكون يُصْرَمِ جزاء الشرط . والصَّرم : الهجر والقطع .
ورأيت في قصيدةٍ لذي الرمة هذا المعنى مع المصراع الثاني بعينه ،
وهو قوله :

وَمَنْ يَكِ ذَا وَصَلٍ فَيَسْمَعُ بَوَصَلِهِ

أَقَاوِيلَ هَذَا النَّاسِ يَصْرِمُ وَيُصْرِمُ^(٢)

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الستمائة^(٣) :

(١) صدره في ديوان طرفة ٦٣ :

* لا يكن حبك داء داخلا *

(٢) ديوان ذي الرمة ٦٢٩ .

(٣) نوادر أبي زيد ٦٢ والأزهية ٢٦٥ وابن يعيش ٧ : ٤٤ والمغني ١٠٨ ، ٣٣٢

والهمع ٢ : ٥٨ .

٦٨٤ (مَهْمَا لِيَ اللَّيْلَةَ مَهْمَا لِيَهْ أَوْ دَىٰ بِنَعْلَىٰ وَسِرْبَالِيَهْ)
على أن (مهما) فيه بمعنى الاستفهام .

قال أبو علي الفارسي (في تذكرته) : هذا عندي مثل قول الخليل
في مهما في الجزاء : إِنَّهُ مَا مَا ، فقلب الألف هاء . وذلك لأنه يريد :
مالي الليلة . وما تستعمل في الاستفهام على حد استعمالها في الجزاء ، أي
غير موصولة فيهما . وإنما غيّر كراهية التقاء الأمثال . ألا ترى أن
قوله تعالى : ﴿ فِي مَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾^(١) ولم يقل : مامامكناكم فيه ،
فعدّل إلى (إن) لثلاثاً تلتقى الأمثال في اللفظ . ومن قال مهما هي مه ما
غير مغيرة ، فإن كان يريد أنها مه التي للأمر فليس يخلو من أن يجزم
بها أو لا يجزم . فإن كان يجزم فإنما قال مه ثم استأنف فقال : ما تفعل
أفعل ، لم يجز . ألا ترى أن قوله :

* وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ ^(٢) *

ليس يريد به : وَأَنْتَ اكْفِي ، ما تأمري القلب يفعل ، وإن كان
لا يجزم الفعل بها^(٣) ، كأنه قال : لتكف أفعل ، لم يكن لذكر فعل
الشرط وجه . وإن كان لا يريد الأمر بها ولكنها حرف يوافق التي للأمر
في اللفظ ويخالفه في المعنى ، فيكون حرفاً للشرط يجزم ، بمنزلة إن ،
جاز ذلك . انتهى .

٦٣٢

وقال ابن الحاجب (في أماليه) : إنه يجوز أن يكون مه في « مهما
لي الليلة » ، اسم فعل بمعنى اسكت واكف عما أنت فيه من اللوم ، كأنه

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحقاف . وكلمة « فيه » ليست في ش .

(٢) لامرئ القيس في معلقته . وصدده :

* أغرك مني أن جيك قاتل *

(٣) ش : « وإن كان جزم الفعل بها » ، صوابه في ط .

يخاطب لائماً على ما يراه من الوكّه . ثم قال : مالى الليلة ، تعظيماً للحال التى أصابته ، والشّدّة التى أدركته . ثم ذكر الأمر الذى يحقّق تعظيم الأمر فقال :

* أودى بنعلّى وسرباليه *

يعنى ذهب بنعلّى وسرباليه ، كقوله تعالى : ﴿ هلك عني سلطانِيه ^(١) ﴾ . وإذا ذهب عنه نعله وسرباله دلّ على أنّ حاله بلغت مبلغاً أذهلته عما لا يُذهل متيقّظ عن مثله . وصورة الاستفهام للتعظيم ثم مجيء ما يحقّق ذلك التعظيم بجملة أخرى بعد ذلك ، من فصيح كلام العرب وبديعه . قال تعالى : ﴿ الحاقّةُ ما الحاقّةُ * وما أدراك ما الحاقّةُ ^(٢) ﴾ ثم قال : ﴿ كذّبتُ ثمودُ ^(٣) ﴾ . ويجوز أن يكون مهماً أصله ماما ، كرّرت ما الاستفهاميّة للتأكيد اللفظي ، فقلبت الألف الأولى هاءً كما قلبت ألف الشرطية فى قولهم : مهما . وهى عند الأكثرين : ما ما . وليس ذلك بقياس وإنما هو حمل لفظ العربى على ما يحتمله ، ممّا هو من جنس كلامهم ، وليس من القياس المختلف فيه فى شىء . ويجوز أن تكون ما الأولى قَدَر الوقف عليها ، فقلبت ألفها هاءً ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف . والوجه الأوّل أوجهٌ وأوضح . انتهى .

واختار ابن هشام التوجيه الأوّل (فى المعنى) فى ردّ ما قاله الشارح المحقق . قال : ذكر جماعة منهم ابن مالك أنّ مهماً تأتى للاستفهام ، واستدلّوا بهذا البيت ، ولا دليل فيه ؛ لاحتمال أنّ التقدير : مه اسم فعل

(١) الآية ٢٩ من سورة الحاقّة .

(٢) الآية ١ ، ٢ من سورة الحاقّة .

(٣) الآية ٤ من سورة الحاقّة .

بمعنى اكفف ، ثم استأنف استفهاماً بما وَحَدَّهَا . هذا كلامه ، وكأنه يريد به تقليل الأقسام مهما أمكن. وعلى أىّ تقديرٍ كان ، مهما ههنا مبتدأً، وليّ هو الخبر، والليلة ظرف معمولٍ إمّا متعلّق الجارِّ فى لى ، والتقدير : ما حصل لى ، وإمّا بما تضمّنه معنى الجملة الكبرى ، لأنّ معناها ما أصنع وما ألبس . وأودى : هلك وتلّف . والنعلان : مشى نعل، وهو ما وقّيت به الرّجل من الأرض. والسّرّبال، بالكسر: القميص، وقيل الدرّع ، وقيل كل ما لبس على البدن . والباء فى قوله (بنعلّى) : زائدة فى الفاعل . قال أبو على (فى كتاب الشعر) : يجوز أن تكون الباء زائدة ، كأنه قال أودى نعلاي ، فلحقت الباء كلما لحقت فى : ﴿ كفى بالله ﴾^(١) . فإن قلت : فلم لا تجعل الباء زائدة فى المفعول به ، ويكون الفاعل مضمراً ، كأنه قال أودى مود بنعلّى ، فتضميره للدلالة عليه كما أضمر فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ ﴾^(٢) ؟ فالقول أنّ هذا أضعف ، لأنّه ليس فى مود الذى تضميره زيادة على ما استفدته فى قوله أودى ، وليس قوله سبحانه : ثم بدا لهم ، كذلك ، لأنّ البداء والبداء قد صاراً بمنزلة المذهب فى قولك ذهب به مذهبٌ وسلك به مسلك . فإن قلت : فلم لا تجعل فاعل أودى ذكراً يعود إلى ما فى قوله : مهما لى الليلة ؟ فإنّ ذلك أيضاً ليس بالقوى ، لأنّ المعنى يصير كأنه أودى شىء بنعلّى . فإذا جعلت الباء لاحقة للفاعل كان أشبه ، ولا تزيد مع الفاعل من الحروف الجارة غير الباء فى قول سيبويه فى الإيجاب ، كما لم تزد فيه غير الباء فى المبتدأ . انتهى كلام أبى على .

وذهب ابن الحاجب (فى أماليه) إلى أنّ الباء للتعدية . قال : والباء

٦٣٣

(١) فى آيات متعددة ، أولها الآية ٦ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣٥ من يوسف .

باءُ التَّعدية ، يعنى أَذْهَبَهُمَا وَأَضَلَّهُمَا عَنِّي . يقال أَذْهَبْتَهُ وَذَهَبَتْ بِهِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . هَذَا كَلَامُهُ .

واختار ابن هشام (في المغني) مذهبَ أبي علي ، لكنَّه جعل زيادة الباء في الفاعل مختصاً بالضرورة ، تبعاً لابن عُصفور (في كتاب الضرائر) . ثم نقل كلام ابن الحاجب وتعقبه بقوله : ولم يتعرَّض لشرح الفاعل ، وعلام يعود إذا قدر ضميراً في أودى . ويصح أن يكون التقدير : أودى هو ، أى مُودٍ ، أى ذهب ذاهبٌ .

ولا يخفى عليك أن هذا التوجيه قد ردَّه أبو علي وبينَ ضعفه .

وهذا البيت مطلع قصيدة لعنرو بن ملقط الطائي ، عدتها اثنا عشر صاحب الشاهد بيتاً ، أوردها أبو زيد وابن الأعرابي (في نوادرهما) .

آيات الشاهد

وما بعده على رواية أبي زيد :

وَدَرَّةٌ أَنْ تَرَكَضَ الْعَالِيَةَ	إِنَّكَ قَدْ يَكْفِيكَ بَغْيَ الْفَتَى
كالماء من غائلة الجبابية	بطعنة يجرى لها عاندٌ
كنت كمن تهوى به الهاوية	يا أوس لو نالتك أرمأخنا
أولى فأولى لك ذا واقية	ألفيتا عيناك عند القفا
كالجمل الأوظف بالراوية ^(١)	ذاك سنانٌ مخلبٌ نصره
أأنت خير أم بنو جاريه	يا أيها الناصر أخواله
أم أختنا عن نصرنا وانيه	أم أختكم أفضل أم أختنا
شق وقد تعسف الدأويه	والخيل قد تجشم أربابها الـ
قال ضراط الأمة الراعية	يأبى لي الثعلبان الذي

(١) في النوادر : « بالجمل الأوظف » .

ظَلَّتْ بِوَادٍ تَجْتَنِي صَمغُهُ وَاحْتَبَلَتْ لِقِحَّتِهَا الْآتِيهِ (١)
ثُمَّ غَدَّتْ تَنْبِذَ أَحْرَادِهَا إِنَّ مُتَغَنَّاَةً وَإِنْ حَادِيَهُ (٢)

قوله: « أن ترْكُضَ العَالِيَةِ » ، في تَأْوِيلِ مصدرِ مرفوعِ فاعلِ يكْفِيكَ ،
أَيِ يَقيكَ (٣) ، وَبَغَى الفَتَى مفعولُهُ الثاني ، وَدَرَعَهُ معطوفٌ على بَغَى .
والبَغَى : التَعَدَّى . وَالدَّرِيُّ : العِوَجُ . يُقالُ أَقَمْتُ دَرَّةً فلانٌ أَيِ اعوجاجه .
وَرَوَى بدلُهُ : « وَشَغَبَهُ » بالسُّكُونِ ، وَهُوَ تَهْيِيجُ الشَّرِّ . وَالعَالِيَةُ بالعينِ المَهْمَلَةِ :
اسمُ فرسِ الشاعرِ ، وَهُوَ عَمْرُو بنِ مَلْقَطِ ، كذا قالَ أَبُو زَيْدِ .

وَزَعَمَ ابنُ الأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ أَرَادَ عَالِيَةَ الرُّمَحِ ، وَغَلَّطَهُ أَبُو مُحَمَّدِ الأَعْرَابِيُّ
(فِيمَا كَتَبَ على نَوادِرِهِ) .

وَقد خَاطَبَ الشاعرُ نَفْسَهُ في هَذَا البَيْتِ . وَأَرَادَ بِالفَتَى أَوْسَ بنِ حارِثَةَ
ابنِ لَأْمِ الطائِيِّ كما يَأْتِي .

وَقولُهُ : « بِطَعْنَةِ » الخِ متعلقٌ بِيكْفِيكَ . وَالعانِدُ بالمَهْمَلَةِ والنونُ ، هُوَ
العِرْقُ الَّذِي لا يَخْرُجُ دُمُهُ على جِهَةٍ واحِدَةٍ . قالَهُ أَبُو زَيْدِ . وَالعائِلَةُ
بِالمعْجَمَةِ : ما غَالَ مِنَ المائِ وَسَرَقَ . وَالجابِيَةُ ، بِالجِيمِ : الحَوْضُ . كذا
قالَهُما أَبُو زَيْدِ .

وَقولُهُ : « يا أَوْسُ » هُوَ أَوْسُ المَذْكَورِ ، وَهُوَ جاهِلِيٌّ . وَرواهُ ابنُ الأَعْرَابِيِّ :

(١) ط والنوادر : « صمغة » ، صوابه في ش .

(٢) وكذا في ط والنوادر . وجملها الشنقيطي في نسخته : « جاذية » . والجازية : التي

تقوم على أطراف أصابعها . قال النعمان بن نضلة :

إذا شئت غنتني دهاقين قرية وصناجة تجذو على حد منس

لكن شرح البغدادي يقتضى « حاديه » بالحاء والبدال المهملتين .

(٣) ش : « أى يكفيك » ، وأثبت ما في ط .

«يا عمرو» وغلّطه أبو محمد الأعرابي. وتهوى : تقع من فوق إلى أسفل .
والهاوية : المهواة .

وقوله : « أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ » إلخ أَلْفَيْتَا بالبناء للمفعول ، أَى وَجِدْنَا .
وهذا على لغةٍ أَكَلُونِي البراغيث .

وأورده ابنُ هشام (في المغنى ، وفي شرح الأَلْفِيَّةِ) على أَنَّ الألف فيه علامةٌ لاثنين .

وكذا أورده ابن الأعرابي ، وقد غلّطه أبو محمد الأعرابي وقال : ٦٣٤
إنّما هو : « أَفَلَيْتَنَا عَيْنَاكَ عند القفا » . ولم يظهرلى معناه ، مع أنّه قد وافق أبا زيد في الرواية .

والعجب من شارحه ابن المُلّا لقوله هنا : إن هذا البيت لم يسمّ قائله ،
مع أنّ هذه القصيدة بتامها في شواهد العينى في باب الفاعل ، ولم يتذكّر
ما أسلفه في شرح قوله :

* مَهْمَا لَى اللَّيْلَةَ مَهْمَالِيَه *

في حرف الباء (من المغنى) من قوله : هذا البيتُ مطلعُ قصيدة
لعمر وبنِ مِلْقَطِ الطائى ؛ وسيُورده المصنّف في الكلام على مهما . واستشهد
ببيتٍ من أبياتها أيضاً في الحرف الهاوى . ويأتى الكلام عليه هناك . ١ هـ .
وقال أيضاً (عند الكلام على متى) : تقدّم الكلام عليه مستوفى في
الباء الموحدة .

وقوله : « أَوْلَى لَكَ » ، كلمةٌ وعيدٌ وتهديدٌ قد شرحها الشارح المحقّق في
أفعال المقاربة . وقوله : « ذَا واقية » ، حالٌ من الكاف ، وصحّ مجيء الحال
من المضاف إليه لكون المضاف جزءاً منه . والواقية : مصدرٌ بمعنى الوقاية

كالكاذبة بمعنى الكذب . يصفه بالهروب ، ويقول : أنت ذو وقاية من عينيك عند فرارك تحترس بهما ، ولكثرة تَلْفُتْكَ حينئذٍ صارت عينك كَأَنَّهُمَا فِي قَفَاكَ .

وقوله : « ذاك سنان » إلخ : قال أبو زيد : سنان : اسم رجل . والمُحْلِيبُ ، بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام : المُعِين ، من الإِعَانَةِ . والأَوْطَفُ : الكثير شعر الأذنين وهُدْبُ العينين . اهـ . والرَّأْوِيَةُ : البعير ، أو البغل ، أو الحمار الذي يُسْتَقَى عليه . ونَصْرُهُ مبتدأٌ ومُحَلَّبٌ خبره . ووانية من الوَنْيِ^(١) وهو الفتور والإبطاء .

وقوله : « والخيل قد تُجْشِمُ » إلخ ، الإِجْشَامُ بالجيم : التكليف ، وفاعله ضمير الخيل ، وأربابها مفعوله الأول . والشَّقُّ بفتح الشين وكسرها بمعنى المشقَّة ، مفعوله الثاني . والاعتساف : المشى على غير الطريق المسلوكة ، وفاعله ضمير الخيل . والداوِيَّةُ : المفاز ، وخفقت الياء للضرورة .

وقوله : « يَأْبَى لِي الثعلبتان » إلخ يَأْبَى من الإِبَاءِ ، أى يَكْرَهُ . والثعلبتان فاعل يَأْبَى . قال صاحب الصحاح : الثعلبتان : ثعلبة بن جُذعان بن ذُهَل بن رُومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فُطْرَةَ بن طِيٍّ ، وثعلبة ابن رُومان بن جندب . وأنشد هذا البيت .

والذى : مفعول يَأْبَى ، وقال صلة الذى ، والعائد محذوف ، أى قاله . وضُرَاطُ فاعل قال ، وأراد به أَوْسًا المذكورَ ، سَمَاهُ به استهانةً به وتحقيراً له . وروى : « خُبَاجٌ » بدل ضُرَاطُ ، بضم الخاء المعجمة بعدها موحدَةٌ ثم جيم ، وهو بمعنى الضُّرَاطِ .

وقوله : « ظَلَّتْ » ، أى استمرت . واللَّقْحَةُ بالكسر : الناقة ذات اللبَنِ .

(١) يقال : ونى ونياً وونى ووناء وونياً .

والآنية قال أبو زيد : هي المبطئة بلبنها. وفسرها بعضهم على هامش النوادر بالمُدْرِكَة .

وقوله : « تَنْبِذُ أَحْرَادُهَا » إلخ. تنبذ: طرح، وفاعله ضمير الأمة . والأحراد : جمع حَرَدَ بفتح المهملتين ، قال أبو زيد : هو الغيظ والغضب . ورواه ابن الأعرابي : « ثم غَدَت تَنْبِضُ أَحْرَادُهَا » ، وقال : تنبض تضطرب . أَحْرَادُهَا : أَمَاؤَهَا . قال أبو محمد الأعرابي : الصواب « ثم غدت تنبذ أَحْرَادُهَا » أى تضطرب ، يدلُّك على هذا قوله سابقاً : ضُرَاطُ الأُمَّةِ الرَّاعِيَةِ . ا هـ . وروى العيني : « تحرد أَحْرَادُهَا » وما أدري من أين نقلها .

وقوله : « إِنْ مُتَغَنَّا » إلخ ، قال أبو الحسن فى شرحه : أراد متغنية يقلبون الياء ألفاً . وحادية من حُدَاءِ الإبل ، وهو سَوْقُهَا بالغناء . وإن هنا للتقسيم بمعنى إِمَّا المكسورة . قال ابن هشام (فى المغنى) : إِمَّا المكسورة المشددة مركبة عند سيوييه من إن وما . وقد تحذف ما ، كقوله :

٦٣٥

سَقْتَهُ الرِّوَاعِدُ مِنْ صَيْفٍ وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْذَمَا^(١)

أى إِمَّا من خريف وإِمَّا من صَيْفٍ . ويدلُّ لما قلناه رواية الجرمي وأبى حاتم :

* إِمَّا مُتَغَنَّا وَإِنْ حَادِيَه *

وعمر بن مَلِيقِ الطائى شاعرٌ جاهلى . ومَلِيقُ بكسر الميم وسكون عمرو بن مَلِيقِ اللام وفتح القاف . ا هـ . والله أعلم .

* * *

(١) للنمر بن توبل . وهو الشاهد الحادى بعد التسعمائة .

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الستائة^(١) :

٦٨٥ (وَمَهْمَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاه)

على أَنَّ (مهمما) اسمٌ ، بدليل رجوع الضمير إليه ، وهو الهاءُ من كَفَاهُ ،
والضمير لا يرجع إلَّا إلى الاسم ، وَأَمَّا الضمير في إليه فراجعٌ إلى المدوح .

كذا استدللَّ به ابن يعيش (في شرح الكافية) . وكذا الضمير في
به راجع إلى مهمما في الآية^(٢) .

وقال الزمخشري وغيره : عاد عليها ضمير به وضمير بها ، حملاً
على اللفظ وعلى المعنى .

قال ابن هشام (في المغنى) : والأولى أَنَّ يُعُودُ ضمير بها لِآيَةٍ .
وفيه أَنَّ عَوَدَ الضمير إلى المبيِّن أولى من عوده إلى البيان^(٣) . وزعم
السُّهيلي أَنَّ مهمما تأتي حرفاً بدليل قول زهير :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ

وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

قال : هي هنا حرفٌ بمنزلة إن ، بدليل أَنَّها لا محل لها . وتبعه ابن
يَسْعُون واستدلَّ بقوله :

قَدْ أُوْبِيَتْ كُلُّ مَاءٍ فِيهَا ضَاوِيَةٌ

مَهْمَا تُصِيبُ أَفْقًا مِنْ بَارِقٍ تَشِمْ^(٤)

(١) ابن يعيش ٧ : ٤٣ وديوان الهذليين ٢ : ٣٠ .

(٢) الآية ١٣٢ من سورة الأعراف : « مهمما تأتتا به من آية لتسحرنا بها » .

(٣) المغنى ٣٣١ .

(٤) لساعدة بن جؤبة في ديوان الهذليين ١ : ١٩٨ واللسان (أبي ٤) .

قال : إذ لا تكون مَبْتَدَأً لعدم رابط من الخبر^(١) وهو فعل الشرط ، ولا مفعولاً لاستيفاء فعل الشرط مفعولَه . ولا سبيل إلى غيرهما ، فتعيّن أنّها لا موضع لها .

قال ابن هشام : والجواب أنّها في الأوّل إمّا خبر تكن ، وخليقة اسمها ، ومن زائدة ، لأنّ الشرط غير موجب عند أبي علي ، وإمّا مبتدأ واسم تكن ضمير راجع إليها والظرف خبر ، وأنّث ضميرها لأنّها الخليقة في المعنى ، ومن خليقة تفسيرُ الضمير ، كقوله :

* لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٢) *

وفي الثاني مفعول تُصَبُّ وأفقاً ظرف ، ومن بارق تفسيرُ لهما ، أو متعلّق بتُصَبُّ ، فمعناها التبويض ، والمعنى : أَى شَيْءٍ تُصَبُّ فِي أَفْقٍ مِنَ الْبُورِاقِ تَشْمُ .

وقول الشارح المحقّق : إنّ مهما تأتي ظرف زمان إلخ ، هو في هذا تابع لابن مالك ، زعم أنّ النحويّين أهملوا هذا المعنى . وأنشد لحاتم :

وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بِطَنِكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مِنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا^(٣)

وأبياتاً أخر. قال ابن هشام : ولادليل في ذلك ، لجواز كونها للمصدر بمعنى أَى إعطاءً كثيراً أو قليلاً .

وابن مالك مسبوقة بهذا القول . وشدّد الزمخشري الإنكار على من قال بها فقال : هذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في

(١) الذي في المعنى : « لعدم الرابط من الخبر » .

(٢) لامرئ القيس في معلقته . وصدرة :

* فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *

(٣) ديوان حاتم ١١٤ والمع ٢ : ٥٧ والأشموني ٤ : ١٢ .

علم العربية ، فيضعها في غير موضعها ، ويظنُّها بمعنى متى ، ويقول :
 مهما جئتني أعطيتك . وهذا مِنْ وضعه ، وليس من كلام واضح العربية ،
 ثم يذهب فيفسرُّ بها الآية ، فيُلحد في آيات الله تعالى .

قال ابن هشام : والقول بذلك في الآية ممتنع ، لتفسيرها بمن آية ،
 وإنَّ صحَّ ثبوته في غيرها كما ذهب بعضهم في : مهما تُصِبُّ أفقاً
 البيت السابق ، قال : مهما فيه ظرف زمان ، والمعنى أَىَّ وقتٍ تُصِبُّ بارقاً
 من أفق ، فقلب الكلام . أوفى أفقٍ بارقاً ، فزاد مِنْ واستعمل أفقاً ظرفاً .
 والمصرعُ الشاهد وقع في شعر شاعرين أحدهما المتنخلُّ الهذلي ،
 وهو عجز ، وصدرة :

(إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ)

والآخَرُ : ذُو الإِصْبَعِ العَدَوَانِي ، وصدرة :

(فَإِنْ سُسَّتْهُ سُسَّتْ مِطْوَاعَةٌ)

وتقدّم شعرهما مشروحاً في الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين^(١)
 وقوله: « إِذَا سُدَّتْهُ » هو من المساوِدة التي هي المساوِة، والسَّوَادُ كَالسَّرَارِ
 بكسرهما لفظاً ومعنى . قال : إِذَا سَارَزْتَهُ طَاوَعَكَ وَسَاعَدَكَ . وقال قوم :
 هو من السِّيَادَةِ فكأنه قال : إِذَا كُنْتَ فَوْقَهُ سَيِّدًا لَهُ أَطَاعَكَ وَلَمْ يَحْسُدْكَ ،
 وَإِنْ وَكَلَّتْ إِلَيْهِ وَفَوَّضَتْهُ شَيْئًا كَفَاكَ . والمطواع : الكثير الطَّوع والانقياد ،
 والتناء لتأكيد المبالغة . وقوله في الرواية الأخرى : « إِذَا سُسَّتْهُ » هو من
 سُسَّتِ الرَّاعِيَةَ^(٢) سياسةً ، إِذَا دَبَّرْتَهُمْ وَقَمْتَ بِأَمْرِهِمْ . ووكلت^(٣) إليه الأمر
 وكلا من باب وَعَد ، ووُكولاً : فَوَّضْتَهُ إِلَيْهِ وَاكْتَفَيْتَ بِهِ .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ١٤٦ - ١٥٢ .

(٢) بمعنى الدواب التي ترعى . وفي ط : « الرعية » .

(٣) ط : « ووكل » ، وأثبت ما في ش .

وَأُنشِدُ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ السِّتَاةِ ، وَهُوَ
مِنْ شَوَاهِدِ س (١) :

٦٨٦ (إِذْمَا دَخَلْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ)

عَلَى أَنْ سَيَبِيهِ اسْتَشْهَدَ بِهِ لِإِذْمَا .

وَهَذَا نَصُّ سَيَبِيهِ فِي بَابِ الْجَزَاءِ : فِيمَا يَجَازِي بِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ غَيْرِ
الظُّرُوفِ : مَنْ وَمَا وَأَيُّهُمْ . وَمَا يَجَازِي بِهِ (٢) مِنَ الظُّرُوفِ : أَيَّ حِينَ (٣)
وَمَتَى ، وَأَيْنَ ، وَأَنَّى ، وَحَيْثُمَا . وَمَنْ غَيْرِهِمَا : إِنْ وَإِذْمَا . وَلَا يَكُونُ
الْجَزَاءُ فِي حَيْثُ وَلَا فِي إِذْ حَتَّى يَضُمَّ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَا ، فَيَصِيرُ
إِذْمَعَ مَا بِمَنْزِلَةِ إِنَّمَا وَكَأَنَّهَا ، وَلَيْسَتْ مَا فِيهِمَا بِلُغْوٍ ، وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُمَا مَعَ مَا بِمَنْزِلَةِ حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَمِمَّا (٤) كَانَ مِنَ الْجَزَاءِ بِإِذْمَا قَوْلُ
الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ :

إِذْمَا أَتَيْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ الْبَيْت .

وَقَالَ الْآخَرُ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامِ السَّلُولِيُّ :

إِذْمَا تَرَيْتَنِي الْيَوْمَ مُزْجِي ظِعِينَتِي الْبَيْت الْآتِي

سَمِعْنَاهُمَا مِمَّنْ يَرُويهِمَا عَنِ الْعَرَبِ ، وَالْمَعْنَى إِذَا . هـ ا .

(١) فِي كِتَابِهِ ١ : ٤٣٢ . وَانظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٢ : ٤٧ وَالْكَامِلَ ١٦٤ وَالْمَجْلَمَ ٢٢٢
وَالْحِصَانِ ١ : ١٣١ وَالْحَتَّابَ ٢ : ٨٤ وَابْنَ يَعْشَرَ ٤ : ٩٧ / ٧ : ٤٦ وَرِصْفَ الْمَبَانِي ٦٠ .

(٢) ش : « وَمَا يَجَازِي بِهِ » . وَفِي سَيَبِيهِ : « مَا يَجَازِي بِهِ » ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَسَابِقِهِ .

(٣) ط : « حِينَ » فَقَطْ ، صَوَابُهُ فِي ش وَسَيَبِيهِ .

(٤) ط : « فَا » ، وَأَثَبْتُ مَا فِي ش وَسَيَبِيهِ .

قال ابن يعيش: إن قيل: إذ ظرفُ زمانٍ ماضٍ ، والشرط لا يكون إلاً بالمستقبل ، فكيف يصحُّ المجازاةُ بها ؟ فالجواب ^(١) من وجهين : أحدهما أنَّ إذ هذه التي تستعمل في الجزاء مع ما ، ليست الظرفية ، وإنما هي حرف غيرها ضُمَّت إليها ما ، فرُكِّباً دلالةً على هذا المعنى كما ^(٢) . والثاني : أنَّها الظرفية ، إلاً أنَّها بالتركيب غُيِّرَتْ ونُقِلَتْ ، وغُيِّرَتْ عن معناها بلزوم ما إليها إلى المستقبل ، وخرجت بذلك إلى حيز الحروف. ولذلك قال سيويه : ولا يكون الجزاء في حيثٌ ولا في إذ ^(٣) حتى يضمَّ إلى كلِّ واحدةٍ منهما ما ، إلخ . ا هـ .

ورواه أهل السير ، منهم ابن هشام ^(٤) :

* إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ *

وعليه لا شاهد فيه ، وأصله إن ما ، وهي إن الشرطية وما الزائدة .

والبیت من قصيدة للعباس بن مرداس الصَّحَابِي ، قالها في غزوة حُنين ويخاطب بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ويذكر بلاءه وإقدامه مع قومه في تلك الغزوة وغيرها من الغزوات ، وعدتها ستة عشر بيتاً ، وأولها :

صاحب الشاهد

(يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوَى بِهِ
وَجَنَاءُ مُجَمَّرَةَ الْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ
إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ
حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَىَّ وَمَنْ مَشَى
فَوْقَ التُّرَابِ إِذَا تَعَدَّى الْأَنْفُسُ
إِنَّا وَقَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْتَنَا
وَالْخَيْلُ تُقَدِّعُ بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ)

أبيات الشاهد

٦٣٧

(١) في النسختين : « والجواب » . والوجه ما أثبت من ابن يعيش ٧ : ٤٧ .

(٢) في ابن يعيش : « كأنما » .

(٣) ط فقط : « إذا » تحريف ، صوابه في ش وسيويه وابن يعيش .

(٤) سيرة ابن هشام ٨٦٣ . وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

قوله : « يَأْيُهَا الرَّجُلُ » إلخ تهوى بكسر الواو : تُسرع . والوَجْنَاءُ : الناقة الغليظة الوَجَنَات ، قال السُّهَيْلِيُّ (في الروض الأنف) : وَجْنَاءُ : غليظةُ الوَجَنَاتِ بارزُتِهَا ، وذلك يدلُّ على غُورِ عَيْنِهَا ، وهم يصفون الإبل بغُورِ العينين عند طول الأسفار . ويقال من الوَجَنَةِ في الآدَمِيِّينَ : رجلٌ موجِّنٌ وامرأةٌ موجَّنةٌ ، ولا يقال وجناء . قاله يعقوب . ومُجَمَّرَةٌ بالجمع : اسم مفعول من أَجَمَرَ البعيرُ ، إذا أَسْرَعَ في سيره . والمناسم : جمع مَنْسِمٍ كمجلس ، وهو مقدَّم طرفِ خُفِّ البعير . قال السُّهَيْلِيُّ : مُجَمَّرَةٌ المناسم ، أى نكبتْ مناسمَهَا الجمار ، وهى الحجارة . وقد يريدُ أيضاً أَنَّ مناسمَهَا مجتمعةٌ منضمةٌ ، فذلك أقوى لها . وقد حُكِيَ : أَجمرت المرأةُ شعرَهَا ، إذا ضَفَرْتَهُ . وأَجمرَ الأميرُ الجيشَ ، أى حبَسَهُ عن القُفُولِ . والعِرْمِسُ ، بكسر العين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ، قال السُّهَيْلِيُّ : هى الصخرة الصُّلْبَةُ ، ويشبَّه بها^(١) الناقة الجلدة .

وقوله : (إِذْمَا دَخَلْتَ) إلخ جملةٌ « دخلت » وجملةٌ « أتيت » فى الرواية الأخرى فى محلِّ جزمٍ شرطٌ لإذما أو لإيماً ، وجملةٌ فقل كذلك جوابٌ لإذما وجزاؤه . وأراد بالرَّسُولِ والنبيِّ نبيَّنَا محمدًا صلى الله عليه وسلم . وقوله : (حَقًّا عَلَيْكَ) قال اللخمي : قيل إِنَّهُ منصوبٌ بقُلْ ، والصوابُ أَنَّ يكونَ منصوباً على المصدر المؤكِّد به ، أو نعتاً لمصدر محذوف ، لأنَّ المقول ما بعد البيت ، وهو « يا خَيْرَ من ركب المطى » إلخ . وعليك متعلِّقٌ بحقًّا . وإذا ظرفٌ لقلُّ . واطمأنَّ : سَكَنَ . والمجلس ،

(١) فى الروض الأنف ٤ : ٢٩٨ : « وتشبه بها » .

قيل يريد أهل المجلس فحذف المضاف . وحكى أبو علي البغدادي^(١)
أنَّ المجلسَ النَّاسُ . وأنشد :

ذهب الخيارُ من المعاشيرِ كلُّهمِ واستَبَّ بعدك يا كليبُ المجلسِ^(٢)
ويجوز أن يكون المعنى : إذا اطمأنَّ جلوسك .

وقوله : « يا خيرَ من » إلخ ، هذا مقول القول . وقد تعسَّف بعضُ
أفاضل العجم (في شرح أبيات المفصَّل) بقوله : يا خير من ركب بيانُ
لقوله حقاً أو بدل منه . ويجوز أن يكون واقعاً موقع القسم ، تأكيداً للأمر ،
والمعنى : قل له قولاً حقاً صدقاً واجباً عليك ، أو قل له والله يا خير
الراكبين . هذا كلامه .

والمطى : جمع مطيئة : البعير ، لأنَّه يُرَكَّب مَطَاهِ أَى ظهره . وقوله :
« ومن مشى » هو معطوف على من ركب ، أَى ويا خير من مشى . وقوله :
« إذا تُعَدُّ الأنفس » إذا متعلِّقة بخير ، أَى أنت خير الناس إذا عُدُّوا
نَفْساً نفساً ، أَى واحداً واحداً . ورواه ابن المستوفى (في شرح أبيات
المفصل) : « إذا يُعَدُّ الأنفُسُ » بالمشناة من تحت . وقال : الأنفس
بفتح الفاء ، على أنه أفعل تفضيل من النفاسة .

وقوله : « إِنَّا وَفِينَا » إلخ هذا جواب النداء . وقوله : « والخيلُ تُقَدِّعُ »
إلخ بالبناء للمفعول أَى تُكْفُ . وقيل تُقَدِّع بمعنى تُضْرِب بالمقْدَعَة^(٣)
وهى العَصَا . والكُمَاة : جمع كُمَى ، وهو الشُّجَاع . وتُضْرَس بالبناء للمفعول
أيضاً أَى تُخْرَج . وقال السُّهَيْلِيُّ : أَى تُضْرَب أضرارها باللُّجْم ، تقول :
ضرسته أَى ضربت أضراراه ، كما تقول : رأسته ، أصبت رأسه .

(١) يعنى أبا على القالى فى أماليه ١ : ٩٥ .

(٢) البيت لهليل ، كما فى الأمالى . وانظر نوادر أبى زيد ٢٩ ومجالس ثعلب ٤٦ ، ٥٦٢ .

وابن الشجرى ١ : ٥٢ ، ١٨٤ ، ٣٢٤ .

(٣) ط : « بالقدعة » ، صوابه فى ش .

٦٣٨ والعباس بن مرداس السُّلَمي ، من بني سُليم بضم السين : صحابيٌّ
رضي الله عنه . وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع عشر من أوائل
الكتاب (١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السائة ، وهو من
شواهد سيبويه (٢) :

٦٨٧ (إذما ترينيني اليوم أزججى ظعيني أضعد سيراً في البلاد وأفرع)
لما تقدّم قبله . فتريني مجزوم بإذما بحذف النون ، والأصل ترينيني ،
فحذفت الأولى للجزم ، والثانية نون الوقاية ، والياء ضمير المتكلم
وجزاء الشرط هو الثاني .

وقد أنشدهما سيبويه معاً ، فكان ينبغي للشارح المحقق إنشادهما
كذلك ، وهو :

(فإني من قوم سواكم وإنما رجالي فهم بالحجاز وأشجع)
فجملة إنني من قوم سواكم في محل جزم جزاء الشرط ، والفاء للربط .
والبيتان لعبد الله بن همام السلولي .

صاحب الشاهد

والإزجاء : السّوق ، بالزاء المعجمة والجيم . يقال أزجيت الإبل ، إذا
سقتها . وظعيني مفعول أزججى . و (الظعينة) : المرأة ما دامت في الهودج .
وروى بدله : « مطيتي » . والمطيّة : البعير .

وزعم بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) أنّ ظعيني
منادى ، ومفعول أزججى محذوف تقديره : ركائي .

(١) الخزانة ١ : ١٥٢ .

(٢) سيبويه ١ : ٤٣٢ والأصول لابن السراج ٢ : ١٦٥ والأزهية ٩٨ وابن السجري

٢ : ٢٤٥ وابن يعيش ٧ / ٣٧ ، ٩ : ٦ .

وروى سيويوه : « مزجّي ظعيتي » بصيغة اسم المفعول ، فيكون ظعيتي نائب الفاعل ، وذكر مُزجّي والأصل مزجاة بالهاء ، قاله ابن المستوفى .
وجملة أزجى حالٌ من الياء من ترينى لا مفعولٌ ثانٍ لتري ، لأنها هنا بصريّة . وكذلك مزجّي حال .

وجملة أصدّد وأفرعُ تفسيرٌ لأزجى وبيانٌ له . وقال ابن المستوفى : أصدّد موضعه النصب على الحال ، ولو جعل بدلاً من مُزجّي على رواية من روى مطيّي ، جاز ؛ لأنّ معنى يُزجّي مطيّه معنى يصعد في البلاد ويُفرع . قال صاحب الصحاح : وأصدّد في الوادى وصعد في الوادى تصعيداً ، أى انحدر فيه . وأنشد هذا البيت ، فيكون أفرعُ بفتح الهمزة مقابلاً له . قال صاحب الصحاح : وفرعت الجبل : صعدته ، وأفرعت في الجبل : انحدرت . قال رجلٌ من العرب : لقيت فلاناً فارعاً مُفرعاً ، يقول : أحدنا مُصعدٌ والآخر منحدِر . وسيراً : مصدر في موضع الحال . وأنشد الزمخشري (في المفصل) المصراع الأوّل كذا : « فإمّا ترينى اليوم » على أنّ ما تزداد بعد إنّ للتأكيد .

وقوله : « فإنّى من قومٍ سواكم » .

فإن قيل : كيف قال سواكم ، وهو يخاطب امرأة ؟ فالجواب أنّه للتعظيم ، وربّما خوطبت المرأة الواحدة بخطاب جماعة الذكور مبالغةً في سترها ، فيُعدّل عن الأفراد والتأنيث إلى الجمع والتذكير ، فيبعد عن الضمير لها بمرتبين . ومنه قوله تعالى حكايةً عن موسى : ﴿ فقال لأهله امكثوا ^(١) ﴾ . وقال عمر بن أبي ربيعة مخاطباً لامرأة :

(١) الآية ١٠ من سورة طه .

كم قد ذكرتك لو أجزى بذكركم

يا أشبه الناس كل الناس بالقمر^(١)

وفهم بالميم لا بالراء ، وأشجع : قبيلتان . قال الأعمى^(٢) : انتمى
الشاعر في النسب إلى فهم وأشجع ، وهو من سلول بن عامر ، لأنهم
كلهم من قيس عيلان بن مضر .

وقائل هذين البيتين كما قال سيبويه وغيره : عبد الله بن همام
السلولى .

وهذا نسبه (من الجمهرة) : عبد الله بن همام بتشديد الميم ، ابن
٦٣٩ نبيشة بضم النون ، ابن رياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ، ابن مالك
ابن الهجيم بالتصغير ، ابن حوزة بالحاء المهملة ، ابن عمير بن مرة بن
صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وكان يقال لعبد الله من حسن شعره : « العطار » .

وسلول هي بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة ، كانت امرأة مرة بن
صعصعة ، وأولادها منه ينسبون إليها .

وعبد الله بن همام شاعر إسلامي من التابعين . قال ابن قتيبة (في عبد الله بن همام
كتاب الشعراء) : هو من بني مرة بن صعصعة من قيس عيلان .
وبنو مرة يعرفون ببني سلول ، وهي أمهم ، وهي بنت ذهل بن شيان
من ثعلبة ، وهم رهط أبي مريم السلولى ، وكانت له صحبة^(٣) . وعبد الله
هو القائل في عريفهم :

(١) ديوان عمر ١١٦ . ونسب في المبنى ٤ : ٨٨ إلى كثير . انظر ديوانه ٥٣١ .

(٢) ش : « قال الشاعر » ، تحريف . وانظر الشنتمرى ١ : ٤٣٢ .

(٣) واسمه مالك بن ربيعة ، وهو مشهور بكنته . الإصابة ٧٦٢٥ .

ولَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُ نَجْوَتْ وَأَرَهْنَتْهُ مَالِكًا^(١)

عَرِيفًا مَقِيمًا بَدَارَ الْمَوَا نِ أَهْوِنَ عَلَيَّ بِهِ هَالِكًا^(٢)

وهو القائل في الفُلافس^(٣) :

وَدُمِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْفُلَافِسُ أَقْلِي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ^(٤)

وساعٍ من السلطان ليس بناصح ومحترس من مثله وهو حارس^(٥)

وكان الفُلافس هذا على شرطة الكوفة ، من قبل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، أخى عمر بن أبي ربيعة . وخرج الفُلافس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

وعبد الله هو القائل ليزيد بن معاوية^(٦) :

اصبرُ يزيد فقد فارقتَ ذا مِقَّةِ

واشكرُ جِباءَ الذى بالملك ردَّاكا^(٧)

(١) أنشدهما في اللسان (رهن) وبعدهما بيتان ، هما :

وأحضرت عذرى عليه الشهو د إن عاذرا لى وإن تاركا
وقد شهد الناس عند الإما م أنى عدو لأعدائكما

وفي اللسان وإصلاح المنطق ٢٣١ ، ٢٤٩ .

فلما خشيت أظافيرهم نجبوت وأرهنتهم مالكا

(٢) في اللسان : « غريباً » .

(٣) في الحيوان ١ : ٢١٦ وعيون الأخبار ١ : ٥٧ أن الفلافس هذا كان على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، أخى عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كما سيأتى . وفي ش : « الفلافس » ، تحريف .

(٤) في المحاسن والمساوى للبيهقي ١ : ٢٦٦ : « يأم مالك » .

(٥) في الحيوان وعيون الأخبار والشراء : « وساع مع السلطان » . وفي المحاسن والمساوى للبيهقي : « كساع إلى السلطان » ، مع نسبة البيتين إلى البردخت الشاعر .

(٦) يمزيه عن أبيه معاوية . الشعراء ٦٥٢ والكامل ٧٨٥ .

(٧) في الكامل : « ذا ثقة » . والمقّة : المحبة ، ومقّه يمقه . وفي الكامل أيضاً : « واشكر

بلاء الذى بالملك أصفاكا » . وكذا نجد بقية الأبيات برواية أخرى في الكامل .

لا رُزْءَ أَعْظَمُ بِالْأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا
 مِمَّا رُزِئْتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
 أَصْبَحْتَ رَاعِيَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمْ
 فَانْتَ تَرَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرَعَاكَ
 وَفِي مَعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ
 إِذَا نُعِيْتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ
 * * *

وأنشد بعده :

(كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ)
 على أن قوله (مزمل) جرٌّ لمجاورته المجرور ، وهو أناس ، أو بجاد ،
 ولولاه لرفع ، لأنه صفة لقوله كبير .
 وقد تقدّم شرحه مفصلاً مستوفى في الشاهد الخمسين بعد الثلاثمائة^(١)
 وهو عجزٌ ، وصدرة :
 (كَأَنَّ أَبَانًا فِي عِرَانِينَ وَبَيْلِهِ)
 والبيت من معلّقة امرئ القيس .
 * * *

وأنشد بعده :

(فَمَتَى وَاغْلُ يَزُرُّهُمْ يُحْيُو هُوَ وَتُعْطَفُ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِ)
 على أنه فصل اضطراراً بين متى ومجزومه فعل الشرط بواغل ،
 فواغل فاعل فعل محذوف يفسره المذكور ، أى متى يزُرُّهم واغل يزُرُّهم .
 والواغل : الذى يدخل على مَنْ يشرب الخمر ولم يدعَ إليها ، وهو فى
 الشَّرَابِ بِمَنْزِلَةِ الْوَارِثِ فِي الطَّعَامِ ، وَهُوَ الطُّفَيْلَى .

وقد تقدّم الكلام على هذا البيت في الشاهد الحادى والستين
بعد المائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أَيْنَا الرِّيحُ تُمِيلُهَا تَمِيلٌ)

لما تقدّم قبله ، فتكون الرِّيحُ فاعلةً لفعل محذوف يفسّره المذكور ،
أى أَيْنَا تَمِيلُهَا الرِّيحُ تَمِيلُهَا .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت أيضاً في الشاهد الثانى والستين
بعد المائة^(٢) . وهو عجز وصدرة :

(صعدة نابتة في حائرٍ)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد السّمائة^(٣) وهو من
شواهد سيبويه :

٦٤٠

(وَمَنْ نَحْنُ نُوْمِنُهُ بَيْتٌ وَهُوَ آمِنٌ)

٦٨٨

لما تقدّم قبله ، فنحن فاعل لفعل محذوف يفسّره المذكور ، فلماً حُذِفَ
الفعل برز الضمير وانفصل ، والتقدير : فمن نُؤْمِنُهُ نُؤْمِنُهُ .

قال سيبويه (فى باب الحروف التى لا تقدّم فيها الأسماء الفِعل) :
اعلم أنّ حروف الجزاء يقبح أن تتقدّم الأسماء فيها قبل الأفعال ، وذلك
أنّهم شبهوها بما يَجْزِمُ ممّا ذكرنا ، إلّا حروف الجزاء ، قد جاز ذلك فيها

(١) الخزانة ٣ : ٤٦ - ٤٧ .

(٢) الخزانة ٣ : ٤٧ - ٥١ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٥٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٦٥ والإنصاف ٦١٩ والمغنى ٤٠٣

والمع ٢ : ٥٩ .

في الشعر، لأنَّ حروف الجزاء يدخلها فعل ويفعل، ويكون فيها الاستفهام فيُرفع فيها الأسماء، وتكون بمنزلة الذي، فلما كانت تصرّف هذا التصرّف وتُفارقُ الجزم، ضارعت ما يجرُّ من الأسماء التي إن شئت استعملتها غير مضافة، نحو ضاربٌ عبدَ الله، فلذلك لم تكن مثل لم ولا في النهي، واللام في الأمر، لأنَّهنَّ لا يفارقن الجزم. ويجوز في الكلام في (إن) إذا لم تجزم في اللفظ، نحو قوله:

* عاودَ هَرَاةَ وإنَّ معمورُها خرباً^(١) *

فإن جزمت في الشعر، لأنه يشبه بلم. وإنما جاز في الفصل ولم يشبه لأنَّ (لم) لا يقع بعدها فعل. وإنما جاز هذا في إن لأنها أصل الجزاء، ولا تفارقه، فجاز هذا كما جاز إضمار الفعل فيها حين قالوا: إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشر. وأما سائر حروف الجزاء فهذا فيه ضعف في الكلام، لأنها ليست كإن، فلو جاء^(٢) في إن وقد جزمَت كان أقوى، إذ جاز فيها فعل. ومما جاء في الشعر مجزوماً في غير إن قولُ عدى بن زيد:

فمتى واغلُّ يثبهم يحيوُّ هُ . . . البيت

وقال:

* أينما الرِّيحُ تميلُها تحيلُ^(٣) *

ولو كانت فعل كان أقوى؛ إذ كان ذلك جائزاً في إن في الكلام. واعلم أنَّ قولهم في الشعر: إنَّ زيدٌ يأتِكَ يكن كذا، إنما ارتفع على فعلٍ

(١) لشاعر من أهل هراة، قاله عند ما افتتحها عبد الله بن خازم سنة ٦٦. انظر ما كتبت في حواشي سيبويه ٣: ١١٣. وعجزه:

* وأسد اليوم مشفوقاً إذا طربا *

(٢) في سيبويه: «فلو جاز».

(٣) لكعب بن جعيل، كما في سيبويه ١: ٤٥٨. وصدده:

* صعدة نابتة في حائر *

هذا تفسيره ، كما كان ذلك في قولك : « إن زيدا رأيتك »^(١) يكن ذلك ، لأنها لا يبتدأ بعدها الأسماء ثم يبنى عليها . فإن قلت : إن تأتي زيدا يقل ذلك ، جاز على قول من قال : زيدا ضربته . وهذا موضع ابتداء . ألا ترى أنك لو جئت بالفاء فقلت : « إن تأتي فأنا خير لك ، كان حسناً . وإن لم تجعله على ذلك »^(٢) رفع وجاز في الشعر ، كقوله :
* الله يشكرها^(٣) *

ومثل الأول قول هشام المرّي :

(فمن نحن نؤمّنه بيت وهو آمنٌ ومن لأنجره يُمس منّا مفرّعا)

انتهى كلام سيويه ، ولنفاسته سقناه بتمامه .

وقد أورد ابن هشام هذا البيت (في المغني) قال : قولنا الجملة المفسرة لا محل لها ، خالف فيه الشلويين ، فزعم أنها بحسب ما تفسره ، فهي في نحو : زيدا ضربته لا محل لها ، وفي نحو : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرِ ﴾^(٤) ونحو زيد الخبز يأكله ، بنصب الخبز ، في محل رفع . ولهذا يظهر الرفع إذا قلت آكله . قال :

* فمن نحن نؤمّنه بيت وهو آمنٌ *

فظهر الجزم . وكانت الجملة المفسرة عنده عطف بيان أو بدلاً .

٦٤١

(١) في النسختين : « إن زيد رأيتك » ، وأثبت ما في سيويه :

(٢) في سيويه : « وإن لم يحمله على ذلك » .

(٣) قطعة من بيت هو الشاهد ٦٩١ ص ٤٩ . وتمامه .

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاً

(٤) الآية ٤٩ من سورة القمر .

ولم يُثبت الجمهورُ وقوعَ البيانِ والبدلِ جملةً . وقد بيَّنتُ ^(١) أنَّ جملةَ الاشتغالِ ليست من الجملِ التي تسمَّى في الاصطلاحِ جملةً مفسَّرةً وإنَّ حصلَ فيها تفسيرٌ .

ولم يثبتْ جوازُ حذفِ المعطوفِ عليه عطفُ البيانِ ، واختلِفَ في المبدلِ منه .

(وفي البغداديات) لأبي عليٍّ أنَّ الجزمَ في ذلك بأداةٍ شرطٍ مقدَّرةٍ فإنَّه قال ما ملخصه أنَّ الفعلَ المحذوفَ والفعلَ المذكورَ في نحو قوله :

* لا تجزعي إنْ منفساً أهلكته ^(٢) .

مجزومان في التقدير ، وأنَّ انجزامَ الثاني ليس على البدليَّةِ ، إذ لم يثبت حذفُ المبدلِ منه ، بل على تكريرِ إنْ ، أي إنْ أهلكتُ منفساً إنْ أهلكته ، وساغَ إضمارُ إنْ لاتساعهم فيها . ٥١ هـ .

والبيت لهشامُ المرِّي كما قاله سيبويه ^(٣) وغيره ، وهو منسوبٌ إلى صاحبِ الشاهد

مرَّةً بن كعب بن لؤي القرشيُّ ، وهو شاعر جاهلي .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد السائة ^(٤) :

٦٨٩ (يُننِي عليكِ وَأَنْتِ أَهْلُ ثَنَائِيهِ وَلَدِيكَ إِنْ هُوَ يَسْتَزِدُّكَ مَزِيدُ)

على أنَّ مجيءَ الشرطِ المفصولِ باسمٍ من أداةِ الشرطِ مضارعاً شاذُّ ، وحقه أن يكونَ ماضياً ، سواءً كانَ لفظاً ومعنى ، نحو : إن زيد قام قمت ، أو معنى فقط نحو قوله ^(٥) :

(١) ش : « وقد ثبت » ، وما أثبت من ط يطابق ما في المعنى .

(٢) للنمر بن تولب في سيبويه ١ : ٦٧ والمقتضب ٢ : ٧٦ والخزانة ١ : ١٥٢ ، ٤٥٠ : ٤ / ٤١٠ .

(٣) ش : « كما قال سيبويه » .

(٤) الممع ٢ : ٥٩ والأشمونى ٤ : ٣٠ والحماسة بشرح المرزوقى ١٠٤١ .

(٥) هو السموءل بن عاديا . الممع ١ : ٦٣ / ٢ : ٥٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١١١ .

وإن هو لم يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضِيَمَهَا
فليس إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

وفيه نظر من وجهين :

الأوّل : أَنَّهُ عَمَّ فِي أَدَاةِ الشَّرْطِ ، وَسَبِيوِيهِ خَصَّهُ بِإِنْ كَمَا تَقَدَّمَ ،
وتبعه مَنْ بَعْدَهُ .

الثانى : أَنَّ مَجِيءَ الْمُضَارَعِ ضَرُورَةٌ لَا شَاذٌ ، سَوَاءٌ كَانَتْ الْأَدَاةُ إِنْ
أَوْ غَيْرَهَا ، كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ سَبِيوِيهِ . وَهُوَ فِي هَذَا الثَّانِي تَابِعٌ لِابْنِ مَالِكٍ
(فِي التَّسْهِيلِ) . وَرُوِيَ :

* وَلَدِيكَ إِمَّا يَسْتَرْذُكَ مَزِيدٌ *

فلا شاهد فيه . فإمّا هي إن الشرطية وما الزائدة .

صاحب الشاهد
والبيت من أبياتِ سَتَّةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَنَمَةَ الضَّبِّيِّ ، أوردتها أبو تمام
(في باب المرائي من الحماسة) ، وهي :

أبيات الشاهد
(أأبِيُّ لَا تَبْعَدُ وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَيٌّ وَمَنْ تُصِيبِ الْمَنُونُ بَعِيدُ
أأبِيُّ إِنْ تُصِيبُ رَهْمِينَ قَرَارَةً زَلَجَ الْجَوَانِبِ قَعْرُهَا مَلْحُودٌ^(١)
فَلَرَبٌّ مَكْرُوبٌ كَرَّرَتْ وَرَاءَهُ فَمَنْعَتَهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودُ
أَنْفًا وَمَحْمِيَّةً وَأَنْتَ ذَائِدٌ إِذْ لَا يَكَادُ أَخُو الْحِفَازِ يَذُودُ
فَلَرَبٌّ عَانٍ قَدْ فَكَكَتَ وَسَائِلِ أَعْطَيْتَهُ فَعَدَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
يُثْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِهِ وَلَدِيكَ إِمَّا يَسْتَرْذُكَ مَزِيدُ)

وقوله : « أأبِيُّ » إلخ الهمزة للنداء ، وأبى منادى . ولا تبعد : لا تهلك

(١) الزلج ، بالفتح وبفتحتين : الزلق . ويروى : « زلج » بالفتح وكفرح ، وهو بمعنى
السابق . وفي ط : « ذلج » ، تحريف .

وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِكَائِنٍ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ ذُو حَيَاةٍ .
وَالْمَنُونُ : الْمَيَّةُ . وَبَعِيدٌ خَيْرٌ مَبْتَدِئًا مَحْذُوفٌ ، أَيْ فَهُوَ بَعِيدٌ .

وقوله : « تصبغ رهين » ، إلخ أى إن خلّيت مكانك وصرت رهينَ
قبر زلقِ الجوانب^(١) لا يُتَعَشَّ صرِيحُهُ وَلَا يَفْكَ رَهِينُهُ ، فَلَرَبُّ مَكْرُوبٍ ،
أَيْ رَبُّ مُضَيَّقٍ عَلَيْهِ ، تَعَطَّفَتْ عَلَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ .

وقوله : « أنفأ ومحمية » مفعول لأجله ، أَيْ فَعَلْتَ ذَلِكَ حَمِيَّةً وَأَنْفَاءً ،
وَلِأَنَّ مِنْ سَجِيَّتِكَ الدِّيَادَ ، أَيْ الْمَنْعَ ، حِينَ لَا ذَائِدَ ، لِشِدَّةِ الْأَمْرِ .

والعاني : الْأَسِيرُ ، مِنْ عَنَا يَعْنُو إِذَا خَضَعَ . أَيْ وَرَبُّ أَسِيرٍ أَطْلَقْتَهُ مِنْ
إِسَارِهِ ، وَرَبُّ سَائِلٍ أَعْطَيْتَهُ فَأَغْنَيْتَهُ ، فَانصَرَفَ عَنْكَ وَأَنْتَ مَحْمُودٌ
مَشْكُورٌ ، وَهُوَ يَشْنِي عَلَيْكَ وَيَشْكُرُ نِعْمَتَكَ . وَلَوْ عَادَ إِلَيْكَ لَوَجَدَ مَعَادًا ،
إِذْ لَا تَضْجُرُ وَلَا تَسَامُ مِنَ الْإِفْضَالِ وَالْجُودِ .

وعبد الله بن عنمة شاعرٌ إسلاميٌّ مخضرمٌ ، تَقَدَّمَ تَرْجَمَتَهُ فِي
الشاهد الخمسين بعد السائة^(٢) .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ :

(أَيْنَمَا الرِّيحُ تَمِيلُهَا تَمِيلُ)

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ . وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ قَرِيبًا وَبَعِيدًا^(٣)

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ :

(إِنَّ مِنْفَسُ أَهْلِكْتُهُ)

(١) فِي النسختين : « رتق الجوانب » ، صوابه مَا أَثْبَتَ .

(٢) الْخَزَانَةَ ٨ : ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٣) الْخَزَانَةَ ٣ : ٤٧ - ٥١ ، كَمَا سَبَقَ هُنَا قَرِيبًا فِي ص ٣٨ .

هو قطعة من بيت ، وهو :
 (لا تجزعي إن منفس أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي)
 وتقدم الكلام عليه مفصلاً في الشاهد السادس والأربعين من أوائل
 الكتاب (١)

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد السائة (٢) :

٦٩٠ (وللخيل أيام فمن يصطبر لها
 ويعرف لها أيامها الخير تعقب)

على أن (الخير) مفعول مقدم لتعقب ، وتعقب مجزوم جواب الشرط ،
 وإنما كسرت الباء لأن القصيدة مجرورة .

وإنما جاز الكسر في المجزوم دون المرفوع والمنصوب لوجهين :
 أحدهما أن الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء ، فلما وجب
 تحريكه للقافية حرّكه بحركة النظير .

والثاني : أن الرفع والنصب يدخلان هذا الفعل ولا يدخله الجر ،
 فلو حرّكه بالضم أو الفتح لالتبس (٣) حركة الإعراب بحركة البناء ،
 بخلاف الكسر فإنه ليس فيه لبس .

صاحب الشاهد قال يعقوب بن السكيت (في شرح ديوان طفيل) : أراد تعقبه الخيل

الخير ؛ فقدّم وأخر . ا هـ .

وأجاب الدماميني عن الكوفيين بأنّ الخير صفة أيامها ، أي أيامها
 الطيبة ، فلا فصل لأنه ليس بمفعول للجزاء ؛ فجزم تعقب لعدم الفصل .

(١) الخزانة ١ : ٣١٤ - ٣٢٢ .

(٢) الإنصاف ٦٢١ . وانظر ديوان طفيل ١٦ كرنكو ، و ٣٥ محمد عبد القادر .

(٣) ش : مع تصحيح : « لالتبت » ، وهما سواء .

وفيه نظر من وجهين :

أحدهما أَنَّ الأَيَّامَ هنا عبارةٌ عن الشَّدائد المتعلِّقة برياضة الخيل ، ومقاساةِ أهوالها ، فلا طيب بالشَّدائد على النفس ، والقرينة استعمال الصَّبْر .

ثانيهما: أَنَّ تُعْقِبَ فعل متعدٍّ ، فلا بدُّ له من مفعول ، وليس هنا منزلاً منزلة الفعل اللازم . فإذا كان الخير صفة أيامها ، لا يعلم ما الذى تُعقبه الخيل . ويشهدُ لما قلنا ما أنشدَه ابن قتيبة (فى أبيات المعاني) ، وهو قول الشاعر :

* وَكَلَّ مُفَدَّاةَ العُلالةِ صِلِدمِ^(١) *

قال : أى أعقبهم خيلهم هذه^(٢) خيراً ، ممَّا قاموا عليها وصنعوها . والأهوج : الذى يركب رأسه . والمِهْرَج ، بكسر الميم : الكثير الجرى . وقوله : مفدَّاة العُلالة ، يقال لها إذا طُلب علانُها وهى بقیة جريها : وَيَهَّأُ فِدَاءاً لك ، ومثله قولُ طفيل : « وللخيلِ أَيَّامٌ » البيت . والعربُ لكثرة انتفاعها بالخيل تسميها الخير ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ^(٣) ﴾ . ذكروا أَنَّهُ لَهَا بالخيل وبالنظر إليها ، حَتَّى فاتته صلاةُ العصر . وقال أبو ميمون العِجَلِيُّ :

* والخيلُ والخيراتُ كالقرينين^(٤) *

(١) المعاني الكبير ٨٤ برواية : « كل أهوج مرج » . وفى ديوان أوس بن حجر ١٢٠ :

« مهرج » ، وكذا فى الأمالى ١ : ١٨٩ .

(٢) ط : « هذا » ، صوابه فى ش والمعاني الكبير .

(٣) الآية ٣٢ من سورة ص .

(٤) المعاني الكبير ١٧٦ ، ٨٥ وعيون الأخبار ١ : ١٥٦ . وفى عيون الأخبار : « فى قرينين » .

وقوله : « وللخيل أيام » مبتدأ وخبر ، وقوله : « ويعرف لها » معطوف على يصطبر ، ولهذا جزم . وتُعقب ، أى تحدث الخير في العاقبة . والماضى أعقب بالهمزة ، وهو متعد لفعلولين كما فهم من ابن السكيت .
 والبيت من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً ، قالها في غارة أغارها على طيبي أكثرها في وصف الخيل . وبعده :

وقد كان حيّاناً عدوئين في الذى

آيات الشاهد

خُلا ، فعلى ما كان في الدهر فارتبى^(١)

إلى اليوم لم تحدث إليكم وسيلة

ولم تجدوها عندنا في التنسب^(٢)

جزيناهم أمس العظيمة إننا

متى ما تكن منا الوسيقة نطلب^(٣)

قال ابن السكيت : قوله فارتبى ، يريد فاثبتى أيتها العداوة . وقوله : « إلى اليوم » إلخ يقول : لم تكن بيننا مودة ولا نسب فيستعطف به .
 والوسيقة : الطريدة . والعظيمة : الفضيحة^(٤) .

طفيل الغنوى
 وطفيل الغنوى شاعر جاهلى ، وهو طفيل بن عوف بن خلف بن ضبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلال ، بكسر الجيم وتشديد اللام ، ابن غنم بفتح فسكون ، ابن غني بن أعصر . كذا في الجمهرة .

(١) ويروى : « فارتب » بخطاب المذكر ، أى اثبت أيها الأمر .

(٢) ويروى : « لم تحدث إليكم » بالنون .

(٣) ويروى : « الفضيحة » ، وهى ما فظهم وحرّمهم ما أرادوه من الوقائع . وفى ط : « الوثيقة » بالثاء هنا وفى الشرح . صوابه فى ش والديوان .

(٤) ش : « القضيحة » .

قال الصولي (في كتاب الكتاب^(١)) في خلال وصف الجبر : وسَمُوا
 طُفَيْلاً الغنوى محبِّراً ، لتحسينه شعره . وقيل سمى بذلك لقوله يصفُ
 بُرْدًا :

سماوته أسهلُ ببردٍ محبِّرٍ وسائره من أتحميٍّ مُعَصَّبِ^(٢)

وسَمَاوة البيت : سَقْفُه . والأتحميُّ : ضرب من البرود . هـ ا .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : كان طفيلُ الغنويُّ من أوصف
 العرب للخيل ، فقال عبد الملك : من أراد ركوب الخيل فليرو شعرَ
 طفيل . وقال معاوية : دعوا لي طفيلاً ، وسائرُ الشعراء لكم . هـ ا .

وقال الأصمعي : كان طفيلٌ أحدَ نعات الخيل ، وكان أكبر من
 النابغتين^(٣) ، وليس في قيسٍ فحلٌ أقدمُ منه ، وكان يسمَّى طفيلُ
 الخيل لكثرة وصفه إياها ، والمحبِّرٌ لحسن وصفه لها .

وقد أورد الآمدي (في المؤلف والمختلف) أربعة شعراء . كلُّ منهم
 اسمه طفيل ، أحدهم هذا .

* * *

وأنشد بعده :

(يا أقرع بن حابسٍ يا أقرعُ إنك إن يُصرع أخوك تُصرعُ)

(١) كذا . وصوابه « أدب الكتاب » ، وهو لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، وقد طبع
 في المطبعة السلفية ١٣٤١ بتحقيق محمد بهجة الأثرى . والنص فيه ص ١٠٥ .

(٢) البيت أيضاً في ديوان طفيل ١٩ والكامل ٨٧ والأغانى ١٤ : ٨٦ ، ٨٧ والعمى
 ٣ : ٢٤ . ويروي : « من أتحمي مشرع » . وما بعد هذا البيت من تفسير ساقط من النسخة
 المطبوعة من أدب الكتاب .

(٣) أى النابغة الذبياني والنابغة الجعدي . وفي الأغاني ١٤ : ٨٥ عن الأصمعي قال : « كان
 طفيل أكبر من النابغة » . وفي الأصل هنا : « من الناعتين » ، والتصحيح بقلم الشنيطي في نسخته .

على أَنَّ الكوفيين استدللوا به على أَنَّ رتبة الجزاء التقديم، فرجع (تصرع) مراعاةً لأصله، ولو كان رتبته التأخير لجزم.

وأجاب الشارح عنه بأنه ضرورة، كما بيّنه.

وهذا مأخوذٌ من كلام سيويه، وهذا نصّه: وقد تقول: إن أتيتني آتيك، أي آتيك إن أتيتني. قال زهير:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حريمٌ
ولا يحسن إن تأتيني آتيك، من قيل أن إن هي العاملة. وقد جاء في الشعر، قال جرير بن عبد الله البجلي:

يا أقرع بن حابسٍ يا أقرعُ إنك إن يُصرع أخوك تُصرعُ
أي إنك تُصرع إن يُصرع أخوك. ومثل ذلك قوله:

هذا سراقَةٌ للقرآن يدرسه والمرء عند الرُّشا إن يلقها ذيبٌ^(١)

٦٤٤

أي والمرء ذيبٌ إن يلق الرُّشا. قال الأصمعيّ: هو قديم أنشدنيّه أبو عمرو. وقال ذو الرمة:

وإنّي، متى أشرف على الجانب الذي

به أنت من بين الجوانب، ناظر^(٢)

أي إنّي ناظر متى أشرف. فجاز هذا في الشعر، وشبهوه بالجزاء إذا كان جوابه منجزماً؛ لأنّ المعنى واحد، كما شبهه «الله يشكرها»،

(١) هو الشاهد ٨٢ في الخزانة ٢ : ٣ - ٤ . وانظر سيويه ١ : ٣٧ وابن الشجري ١ : ٣٣٩ والمهم ٢ : ٣٣ .
(٢) هو الشاهد ٦٩٢ . وسيأتي في ص ٥١ .

جعلهُ بمنزلة يشكرها اللهُ، وكما قالوا فى اضطرار : إن تَأْتِنِي أَنَا صاحبك ،
 تريد معنى الفاء، فتشبهه ببعض ما يجوز فى الكلام حذفه وأنت تعنيه .
 وقد يقال إن أَتَيْتَنِي آتِكَ ، وإن لم تَأْتِنِي أَجْزَكَ ، لَأَنَّ هَذَا فى موضع
 الفعل المجزوم ، وكأنه قال : إن تفعل أفعل . وتقول : إن تَأْتِنِي فَأُكْرِمُكَ ،
 أَى فَأَنَا أُكْرِمُكَ ، فلا بُدَّ من رفع فَأُكْرِمُكَ إذا سكت عليه (١) لَأَنَّهُ
 جواب . وإنما ارتفع لَأَنَّهُ مبنى على مبتدأ . انتهى كلام سيويه .

فتخريج الشارح المحقق فى البيت خلاف ما خرّجه سيويه ، فإنَّ
 الشَّارِحَ جعل تصرع جوابَ الشرط مع مبتدأ محذوف مع الفاء الرابطة ،
 والتقدير : فَأَنْتَ تصرعُ ، والجملة الشرطية خبر إنَّ . وسيويه جعل
 تصرع خبر إنَّ ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه ما قبله .

والرجز لعمر بن الخُثَرمِ ، وتقدّم شرحه فى الشاهد الحادى صاحب الشاهد
 والثمانين بعد الخمسائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد السّمائة ، وهو من
 شواهد س (٣) :

٦٩١ (مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا)

على أن الفاء الرابطة محذوفة من جواب الشرط ضرورة ، أَى فالله يشكرها .

(١) وكذا فى سيويه ١ : ٤٣٧ . وفى ش : « إن أسكت عليه »

(٢) الخزانة ٨ : ٢٠ - ٢٩

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٥ ، ٤٥٨ . وانظر نوادر أبى زيد ٣١ والمقتضب ٢ : ٧٢
 والأصول ٢ : ٢٠٤ ومجالس العلماء ٤٣٢ والخصائص ٢ : ٢٨ والمنصف ٣ : ١١٨ والمحتسب
 ١ : ١٩٣ وسر الصناعة ١ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ وابن يعيش ٩ : ٢ ، ٣ والمقرب ١ : ٢٧٦
 والبغنى ٥٦ ، ٩٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٥١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٤٧
 والمعنى ٤ : ٤٢٣ والتصريح ٢ : ٢٥٠ .

قال النحاس : أبو العباس المبردٌ يجيز حذف الفاء في الشعر .

ونقل العيني عنه خلافاً ، قال : وعن المبرد أنه منع ذلك حتى

في الشعر .

ثم قال النحاس : وقال أبو الحسن : هو عندي جائزٌ في الكلام إذا علم ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وما أصابكم من مصيبةٍ فيما كسبتْ أيديكم ^(١) ﴾ وقرئ : ﴿ بما كسبت ^(٢) ﴾ فاستدل بهذا على أن الفاء محذوفة . ومنه قوله تعالى : ﴿ إن تركَ خيراً الوصيَّةَ للوالدين ^(٣) ﴾ . وكذلك جوزَه ابنُ مالك ، قال : ومنه حديث اللقطة : « فإن جاء صاحبها وإلا استمتع بها » .

ثم قال النحاس : قال أبو الحسن : حدثنى محمد بن يزيد قال : حدثنى المازني أن الأصمعي قال : هذا البيت غيره النحويون ، والرواية :

* من يفعل الخير فالرحمنُ يشكره * ا هـ

وأبو الحسن قال هذا فيما كتبه على نوادر أبي زيد ، قال : أخبرنا أبو العباس عن المازني عن الأصمعي أنه أنشدهم : « فالرحمنُ يشكره » . قال : فسألته عن الرواية الأولى فذكر أن النحويين صنعوها . ولهذا نظائرٌ ليس هذا موضع شرحها . ا هـ .

وهذا مردودٌ ؛ لأنه طعنٌ في الرواة العُدول .

وأغرب منه ما نقل ابن المستوفى قال : وجدت في بعض نسخ

(١) الآية ٣٠ من سورة الشورى .

(٢) هي قراءة نافع وابن عامر من السبعة ، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع من العشرة . تفسير أبي حيان ٧ : ٥١٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٣ . وهي أيضاً قراءة شيبه ، كما في تفسير أبي حيان .

(٣) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

الكتاب في أصله : قال أبو عثمان المازني : خَبَّرَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ يُونُسَ قَالَ :
نحن عملنا هذا البيت .

وكذلك نقله الكرماني (في الموشح) .

والبيت نسبه سيبويه وخدمته لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت صاحب الشاهد
رضي الله عنه ، ورواه جماعة لكعب بن مالك الأنصاري . وقبله بيتان وهما ^(١) :

٦٤٥ (إِنْ يَسْلَمُ الْمَرْءُ مِنْ قَتْلِ وَمِنْ هَرَمٍ لِلذَّةِ الْعَيْشِ أَفْنَاهُ الْجَدِيدَانِ ^(٢))
فإِذْ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا كَالزَّادِ ، لَا بَدَّ يَوْمًا أَنَّهُ فَانِي

وترجمة كعب بن مالك تقدمت في الشاهد السادس والستين ^(٣) .

عبد الرحمن ابن حسان ، وقد تقدمت في الشاهد الحادي والثلاثين من أوائل الكتاب ^(٤) .

* * *

وأنشده بعده وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد السبائة ، وهو من
شواهد سيبويه ^(٥) :

٦٩٢ (وَأَنْتَى مَتَى أَشْرِفُ عَلَى الْجَانِبِ الَّذِي

به أَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِبِ نَاطِرٌ)

على أَنَّ قَوْلَهُ (نَاطِرٌ) جَوَابُ الشَّرْطِ ، بِتَقْدِيرِ مَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ مَعَ
الفَاءِ الرَّابِطَةِ ، أَيْ فَأَنَا نَاطِرٌ ، وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ خَبْرَ أَنْ .

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ١٣٣ . والحديث أخرجه البخاري في كتاب
اللقطة ، يقوله صلوات الله عليه وسلامه لأبي بن كعب .

(٢) ديوان كعب بن مالك ٢٨٨ وحاسة البحري ١٣٥ .

(٣) الخزانة ١ : ٤١٧ .

(٤) الخزانة ١ : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٥) في كتابه ١ : ٤٣٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٧١ وديوان ذي الرمة ٢٤١ .

وهذا خلاف ما ذهب إليه سيويه ، فإنَّ ناظراً عنده خبر إنَّ ،
والجملة دليل جواب الشرط المحذوف .

قال ابن السَّرَّاج (في الأصول): هذا عند سيويه على تقديم الجزاء^(١) :
وإنِّي ناظر متى أشرف . وأجاز أيضاً أن يكون على إضمار الفاء . والذي عند
أبي العباس وعندى فيه وفي أمثاله ، أنه على إضمار الفاء لا غير ، لأنَّ
الجواب في موضعه ، فلا يجوز أن يُنَوَى به غير موضعه إذا وُجد له
تأويل . ومثله :

* إِنَّكَ إِنْ يَصْرَعُ أَخُوكَ تَصْرَعُ^(٢) *

فهذا على ما ذَكَرْتُ لك . وكذلك قوله :

..... إِنَّهَا مَطْبَعَةٌ مِنْ يَأْتِيهَا لَا يَضِيرُهَا^(٣)

أراد : لا يَضِيرُهَا مَنْ يَأْتِيهَا ، وَإِنَّكَ تَصْرَعُ إِنْ يَصْرَعُ أَخُوكَ ، وهو
عندنا على إضمار الفاء . فأما قوله :

* مِنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا *

فعلى إضمار الفاء في كلِّ قول . ا هـ .

وسياتي نقل كلام المبرد في الشاهد السادس والثمانين^(٤) بأبسط

من هذا .

وهذا البيت من قصيدة لذي الرمة ، وهذا مطلعها :

صاحب الشاهد

(١) ش : « تقديم الخبر » ، صوابه في ط . والمراد ما تضمن معنى الجزاء أى جواب

الشرط .

(٢) هو الشاهد ٥٨١ وقد سبق في ٨ : ١٩ - ٢٩ .

(٣) هو الشاهد ٦٩٤ فيما سأتى ص ٥٧ .

(٤) ش : « الشاهد السادس والثلاثين » . وكلاهما خطأ . وأرى أنه يشير إلى ما سأتى في

الشاهد السابع والتسعين بعد السهانة فيما سأتى .

(لَمِيَّةٌ أَطْلَالٌ بِحُزْوَى دَوَائِرُ
 كَأَنَّ فُوَادِي هَاضَ عِرْفَانُ رِبْعَهَا
 عَشِيَّةٌ مَسْعُودٌ يَقُولُ وَقَدْ جَرَى
 أَفَى الدَّارِ تَبْكِي أَنْ تَفَرَّقَ أَهْلُهَا
 فَلَا ضَمِيرَ أَنْ تَسْتَعْبِرَ الْعَيْنُ إِنِّي
 فَيَامِي هَلْ يُجْزَى بِكَائِنِي بِمِثْلِهِ
 وَأَنْبَى مَتَى أَشْرَفَ عَلَى الْعِجَانِبِ
 عَفَّتْهَا السَّوَافِي بَعْدَنَا وَالْمَوَاطِرُ
 بِهِ وَعَى سَاقٍ أَسْلَمَتْهَا الْجِبَائِرُ
 عَلَى لِحْيَتِي مِنْ عَبْرَةِ الْعَيْنِ قَاطِرُ
 وَأَنْتَ امْرُؤٌ قَدْ حَلَمْتَكِ الْعِشَائِرُ
 عَلَى ذَاكَ إِلَّا جَوْلَةَ الدَّمْعِ صَابِرُ
 مِرَارًا وَأَنْفَاسِي إِلَيْكَ الزَّوَافِرُ
) البيت

قوله : « لَمِيَّةٌ أَطْلَالٌ » الخ حُزْوَى : اسم مكان . والدوائر : التي قد انمحت . وعَفَّتْهَا : محتها . والسَّوَافِي : الرياح التي تَسْفِي التراب .

وقوله : « كَأَنَّ فُوَادِي » الخ الهَيْضُ : الكسر بعد الجبر ، وضمير به للفؤاد . والوَعَى : الجَبْر . وأَسْلَمَتْهَا : خذَلَتْهَا . والإِسْلَامُ : التخلية والخِذْلَانُ . والجِبَارَةُ بالكسر : ما شددت به الكَسْرُ من الأعواد . وعِرْفَانُ فاعل هَاضَ ، ووَعَى مفعوله .

وقوله : « عَشِيَّةٌ مَسْعُودٌ » هو أخو ذى الرمة . وقوله : « فِي الدَّارِ » الخ هو مقول مسعود ، وَأَنْ تَفَرَّقَ مجرور باللام المقدرة ، و« أَنْتَ امْرُؤٌ » الخ جملة حالية . وحَلَمْتَكِ : وصفَتَكِ بالحلم .

وقوله : « فَلَا ضَمِيرَ » إلخ الضَّمِيرُ : الضَّرَرُ . وصابر : خبر إنَّني ، يريد : ٦٤٦
 إنَّني صابر على ذلك الوجودِ إِلَّا جَوْلَةَ الدَّمْعِ ، أى يَجُولُ فِي الْعَيْنِ (١) .

وقوله : « فَيَامِي » إلخ هو مرخم مِيَّة . ويُجْزَى ببناء المفعول ، يريد :

(١) ط : « تجول في العين » .

هل تبكين مثل ما أبكى مراراً . والزفير : إدخال النَّفْس إلى الجوف .
والشَّهيق : إخراجه .

وقوله : (وأنى متى أشرف) الخ ، هو بفتح الهمزة معطوف على
المستثنى ، وهو جَوْلَة الدَّمع . قال شارح ديوانه : يريد : إننى على ذلك
صابر إلا جَوْلَة الدَّمع وأنى متى أشرف . والأقرب أن يكون معطوفاً
على بكائى ، أى هل يُجْزَى نظرى إليك فى كل جهة كنت فيها^(١) ، أى
هل تنظرين إلىّ كذلك . أو المعنى : هل تجزىنى على هذه المحبة . والتاء
من أنتِ مكسورة .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن من أوّل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(فأنّتِ طلاقٌ والطلاقُ أليّةٌ)

على أنّ جملة (والطلاقُ أليّةٌ) اعتراضية ، وقعت بين المصدر وهو
طلاق ، وبين عدده وهو ثلاثاً فى المصراع الثانى ، وهو :

(ثلاثاً ومن يخرقُ أعقُ وأظلمُ)

وتقدّم الكلام عليه بما لا مزيدَ عليه فى الشاهد الخامس والأربعين
بعد المائتين^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السّمائة^(٤) :

(١) ط : « فيه » ، صوابه فى ش .

(٢) الخرّانة ١ : ١٠٦ .

(٣) الخرّانة ٣ : ٤٥٩ - ٤٧١ .

(٤) ديوان المتنبي بشرح العكبرى ٢ : ٤٦٩ وتمرير التحبير ٣٦٠ .

٦٩٣ (يَرَى كُلَّ مَنْ فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا)

على أَنَّ جملة (وحاشاك) اعتراضية وقعت بين مفعولى يرى ،
أولهما كلَّ ، وثانيهما فانيا .

وهذا عجزٌ ، وصدرة :

(وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مَجْرَبٍ ^(١))

والبيت فيه من أنواع البديع التكميلُ ، وهو أن يأتى الشاعرُ أو
المتكلمُ بمعنى من معانى المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه ، ثم يرى
مدحَه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غيرَ كامل ، فيكتملُ بمعنى آخر ،
كمن أراد مدح إنسانٍ بالشجاعة ، ورأى مدحَه بالاقتصار عليها دون
الكرم مثلاً ، غير كامل ، فيكتمله بذكر الكرم ، أو بالبأس دون
الحلم وما أشبهه .

قال ابن أبي الإصبع (فى تحرير التحبير) : وممَّا وهِمَ فيه المؤلِّفون
فى هذا الموضع أنَّهم خلطوا التكميل بالتميم ، إذ ساقوا فى باب التميم
شواهد التكميل ، لأنهم ذكروا قول عوف :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أَحْوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

من شواهد التميم . ومعنى البيت تامٌ بدون لفظة وبُلِّغْتَهَا . وإذا
لم يكن المعنى ناقصاً فكيف يسمَّى هذا تميمياً؟ وإنما هو تكميل . وما غلطهم
إلاَّ من كونهم لم يَفْرِقُوا بين تميم الألفاظ وتميم المعانى . وكذلك
أتوا بقول المتنبي :

* وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مَجْرَبٍ * البيت .

(١) ط : « ويحقر » فى هذا الموضع وتاليه ، صراهما فى ش والديوان .

في باب التتميم ، وهو مثل الأَوَّل وإن زاد على الأَوَّل أدنى زيادة^(١) لما في لفظة حاشاك^(٢) بعد ذكر الفناء من حُسْن الأدب مع الممدوح .
وربَّما سُومِحَ بأن يُجْعَلَ هذا البيتُ في شواهد التتميم بهذه اللفظة .
وأما الأَوَّل فمحض التكميل ، ولا مدخل له في التتميم . ٥١ .

وقد ذكر التتميم في أوَّل كتابه^(٣) وقال : سمَّاه ابن المعتز اعتراضَ كلامٍ في كلامٍ لم يتمَّ معناه ، ثم يعودُ المتكلمُ فيتمُّه . وشرح حدَّه أنَّه الكلمة التي إذا طُرحت من الكلامِ نقصُ حُسْنِ معناه أو مبالغتهُ ، مع أنَّ لفظه يُوهمُ بآئه تامَّ . ومجيئه على وجهين : للمبالغة ، والاحتياط .
ويجيء في المقاطع كما يجيء في الحشو . هذا كلامه .

٦٤٧

ولا يخفى أنَّ هذا الحدَّ منطبقٌ على البيت .

وأما أنا فالبيت عندي من الاحتراس ، وهو أن يأتيَ المتكلمُ بمعنى يتوجَّه عليه دَخَلٌ ، فيفطِنُ له فيأتِي بما يخلِّصه من ذلك .

قال ابن أبي الإصبع : والفرق بين الثلاثة أن المعنى قبل التكميل صحيح تامٌّ ، ثم يأتي التكميل زيادةً يكملُ بها حُسْنه ، إمَّا بضمِّ زائد أو بمعنى . والتتميم يأتي ليتِمَّ نقص المعنى . والاحتراس لاحتمالِ دَخَلٍ على المعنى وإن كان تامًّا كاملاً .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للمتنبى مدح بها كافورًا الإخشيديَّ . وقبل هذا البيت :

(١) وكذا في تحرير التعبير . وفي ش : « أوفى زيادة » .

(٢) ش : « حشاك » ، تحريف .

(٣) تحرير التعبير ١٢٧ . وفيه : « باب التمام ، وهو الذي سماه الحاتمي : التتميم » .. الخ .

(وقد تهبُّ الجيشَ الذي جاءَ غازياً لسائلك الفَرْدَ الذي جاءَ عافياً)

يقول : إذا غزاك جيشٌ أخذته فوهبته لسائلٍ واحدٍ أتاك يسألك .

وقوله : « وتحتقرُ الدنيا » إلخ هو بالخطاب . وجملة يرى إلخ صفة لمجرب . يقول : أنت تحتقر الدنيا احتقارَ مَنْ جربها فَعَرَفَهَا ، وعلمَ أَنَّ جميع ما فيها يفنى ولا يبقى ، أي فلذلك تهبُّها ولا تدخرها . وقوله : (وحاشاك) استثناءٌ ممَّا يفنى . وذكر هذا الاستثناء تحسیناً للكلام واستعمالاً للأدب في مخاطبة الملوك ، وهو حسنُ الموقع .

وترجمة المتنبي تقدّمت في الشاهد الحادي والأربعين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد السائة ، وهو من

شواهد سيبويه ^(٢) :

٦٩٤ (فقلتُ تحمّلُ فوقَ طَوْقِكَ إنَّها

مُطَبَّعَةٌ مَنْ يَأْتِهَا لَا يَضِيرُهَا)

على أَنَّ التقدير عند سيبويه : لا يضيرها من يأتها ، فهو مؤخرٌ

من تقديم .

وهذا نصُّ سيبويه : وقد يجوز في الشعر : آتى من يأتني . وقال

الهُدَلِيُّ :

فقلتُ تحملُ فوقَ طَوْقِكَ . . . البيت

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧-٣٦٣ . وفي ش : « الواحد » بدل « الحادي » .

(٢) في كتابه ١ : ٤٣٨ . وانظر المقتضب ٢ : ٧٢ والأصول ٢ : ٢٠٢ وابن يميث

١٥٨ : ٢ والتصريح ٢ : ٢٤٩ والمعنى ٤ : ٤٣١ والأشموقي ٤ : ١٨ وديوان الهذليين

١٥٤ : ١ والسكري ٢٠٨

هكذا أنشدناه يونس، كأنه قال : لا يضيرها مَنْ، كما كان وأنى متى أُشْرِفَ ناظِرٌ على القلب . ولو أُريدَ به حذف الفاء جاز فجعلت كإِنْ . ٥١ .

قال الأعمى : وهذا عند المبرِّد على إرادة الفاء ، لأنَّ يضير إذا تقدمت على مَنْ ارتفعت مَنْ به . ويلزم منه أن يبطل عملها من الجزم ، لأنَّ حرف الشرط لا يَعْمَلُ فيه ما قبله . والحجَّة لسيبويه أنه يقدر الضمير في يضير على ما هو عليه في التأخير . ومَنْ مبتدأة على أصلها ، فلا يلزم أن ترتفع مَنْ به ، وتبطل من عمل الجزم . هذا كلامه .
وسنقل كلام المبرِّد في الشاهد الثالث والثمانين ^(١) .

وقد تكلم أبو علي (في كتاب الشعر) على فاعل يضير على التقديرين فقال : من قدر فيه التقديم كان فاعل لا يضيرها ضير ، فأضمر الضير له لدلالة يضير عليها . والضير قد استعمل استعمال الأسماء في نحو لا ضير ، كأنه قد صار اسماً لما يُكره ولا يراد . ومن قدر الفاء محذوفة أمكن أن يكون الفاعل عندنا أحدَ شيئين : أحدهما الضير كقول من قدر التقديم . ويجوز أن يكون فاعل يضير ضميراً من الذي تقدّم ذكره . ٥١ .

أراد بما تقدّم التحمُّل فوق الطاقة .

والبيت من قصيدة عدتها سبعة عشر بيتاً لأبي ذؤيب الهذلي ، قالها في ابن أخته خالد بن زهير ، وكان خاله أبو ذؤيب في صغره رسولاً من وهب بن جابر إلى امرأةٍ من هذيل كان يتعشّقها وهبٌ ، وكان أبو ذؤيب

صاحب الشاهد

٦٤٨

(١) انظر ما سبق في حواشي ص ٥٢ . وانظر أيضاً الشاهد ٦٩٧ .

جميلاً فرغبت فيه واطّرحت وهباً ، ففشا أمرهما في هذيل ، فكان يُرسل إليها ابن أخته خالد بن زهير ، وعاهده على أن لا يخونه فيها ، فلم تلبث أن عشقت خالداً وتركت أبا ذؤيب ، فجرى بين أبي ذؤيب وبين خالد أشعار كثيرة منها هذه القصيدة ، وأجابه خالد بقصيدة على رويها ، منها :

فلا تجزَعَنَّ مِنْ سُنَّةِ أَنْتَ سِرَّتْهَا
فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وقد شرحنا حالهما وما لهما في الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلاثمائة وفي الشاهد الستين بعد السائة (١) .

وهذه أبيات من أوّل قصيدة أبي ذؤيب :

(ما حُمِّلَ البُخْتِيُّ عامَ غيارِهِ عليه الوُسوقُ بُرُّها وشَعيرُها
أتى قريةً كانت كثيراً طعامُها كَرَفَعِ التُّرابِ كُلُّ شَيْءٍ يَمِيرُها^(٢)
فقيل تحمّل فوق طوقك إنَّها مُطَبَّعةٌ من يَأْتِها لا يَضِيرُها
بأكثرَ ممَّا كنتُ حَمَلْتُ خالداً وبعضَ أماناتِ الرجالِ غُرورُها)

قوله : « ما حُمِّلَ البُخْتِيُّ عامَ غيارِهِ » ما نافية . والبُخْتِيُّ نائب فاعل حُمِّلَ ، وهو واحد البُخْتِ ، وهو نوع من الإبل . والغيار ، بكسر المعجمة ، مصدر غارهم يَغِيرُهُمْ ، إذا مارهم ، أى أتاهم بالميرة بالكسر ، وهى الطَّعام . والوسوق : جمع وَسَقٍ ، وهو حِمْلٌ بعيرٍ ، وجملة عليها الوسوقُ تفسير لقوله : حُمِّلَ البُخْتِيُّ . وِبُرُّها وشَعيرُها بدلٌ من الوُسوقِ ، بَدَل مَفصَّلٍ من مجمل . وإضافة البُرِّ والشَعيرِ إلى ضمير الوُسوقِ لأدنى مِلابسةٍ ، لأنَّهما

(١) الخزانة ٥ : ٨٣ - ٨٦ و ٨٥ : ٥١٥ .

(٢) البيتان التاليان ساقطان من ش

بصيران وسوقاً . واختار البختيُّ على البعير لآَنه أَشدُّ منه وأقوى على زيادة التحمُّل . ولهذا قال : « عليها السوق » . يعني أَنَّ هذا البختيُّ حمْلٌ أضعافاً ما يحمله غيره من الإبل .

وقوله : « أتى قرية » إلخ فاعل أتى ضمير البختي . والجملة حالٌ من البختي . وقوله : « كرفغ التراب » أي ككثرة التراب ، وأصلُ الرفغ اللينُ والسهولة ، وهو بالفاء والغين المعجمة . وقوله : « يَميرها » هو على القلب ، أي كل شيءٍ تميرُهُ هذه القرية ، فقلب ، فجعل الفاعل وهو ضمير القرية مفعولاً وأسند الفعل إلى ضمير كلِّ شيءٍ . والنُّكته فيه أَنَّ كلَّ شيءٍ يُعطى هذه القرية الميرة ، حتَّى اجتمع فيها الطعام ككثرة التراب . وقال القاري (في شرحه) : قوله يَميرها ، يريد يمتار من القرية . قال الباهلي : كلُّ شيءٍ يَمير لها .

أقول : الوجه الأول معنى الكلام قبل القلب ، والثاني معناه بعد القلب ، كما قلنا فيها .

وقوله : (فقلتُ تحمُّلٌ) إلخ رواية السكري : « فقليل تحمُّلٌ » وهي الجيدة ، أي وقيل للبختي تحمُّلٌ فوق طاقتك ، وقوله : (إنَّها) أي إنَّ هذه القرية مطبَّعة ، أي مختومة بالطَّابع . يعني أَنَّ هذه القرية مملوءة بالطعام ، لأنَّ الحتمَّ إنَّما يكون غالباً بعد الملء . وفيه مبالغة لا تخفى . وجملة إنَّها مطبَّعة استئنافٌ بيانيٌّ ، كأنَّه سأل البختيُّ هل يدعونني أن أتحمُّل فوق طاقتي من هذه القرية . فهو سؤالٌ عن السبب الخاصِّ للحكم ، لا عن سبب الحكم مطلقاً ، فهذا أكَّد بياناً . والجملة الشرطيَّة خبر ثانٍ لأنَّ . وضاره ضيراً ، من باب باع : أضرَّ به .

وقوله : (بأكثر مما كنت) إلخ يقول : ما حُمِّلَ هذا البختي من الطَّعام بأكثر ممَّا كنتُ حَمَلْتُ خالداً من الأمانة . والغرور بالضم : الغفلة ، والضمير للرُّجال .

وترجمة أبي ذؤيب الهذلي تقدمت في الشاهد السابع والستين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(والمرءُ عند الرُّشَا إنَّ يَلْقَهَا ذَيْبُ)

على أنَّ التقدير عند سيبويه : والمرءُ ذَيْبٌ ، فأخَّر خبر المبتدأ بعد الشرط ، وتكون الجملة دليلَ الجواب المحذوف .

وعند المبرِّد « ذيبٌ » هو الجزاء ، بتقدير المبتدأ مع الفاء ، أي : فهو ذيب ، وتكون الجملة الشرطية خبر المبتدأ .

وهذا عجزٌ وصدْرُهُ :

(هذا سُرَاةٌ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ)

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الثاني والثمانين ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السّائة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

٦٩٥ (على حِينٍ مَنْ تَلَبَّثَ عَلَيْهِ ذَنْوِيهِ

يَجِدُ فَقْدَهَا إِذْ فِي الْمَقَامِ تَدَابُرٌ)

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٢) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .

(٣) في كتابه ١ : ٤٤١ . وانظر الإنصاف ٢٩١ والمهجم ٢ : ٦٢ وديوان لييد ٢١٧ .

على أَنَّ جزم أدوات الشرط المضاف إلى جملتها ظرف ، خاصٌ بالشعر كما في البيت ، فإنه جازى بمن مع إضافة حين إلى جملة الشرط ضرورةً ، وحكمها أن لا تضاف إلا إلى جملة خبرية ، لأنَّ المبهمة إنما تفسر وتوصل بالأخبار ، لا بحروف المعاني وما ضمنت معناها . وجاز هذا في الشعر [تشبيهاً^(١)] لجملة الشرط بجملة الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل.

قال سيبويه : وقد يجوز في الشعر أن يُجازى بعد هذه الحروف فتقول : أتذكر إذ من يأتنا نأته ، فإنما أجازوه لأنَّ إذ^(٢) لا تغير ما دخلت عليه عن حاله^(٣) قبل أن تجيء بها^(٤) ولا تغير الكلام ، كأننا قلنا : من يأتنا نأته ، كما أننا إذا قلنا : إذ عبد الله منطلق ، فكأننا قلنا : عبد الله منطلق ، لأنَّ إذ لم تُحدث شيئاً قبل أن تذكرها . قال لبيد :

على حين من تلبث عليه . . . البيت .

ولو اضطرَّ شاعر فقال : أتذكر إذ إن تأتنا نأتك ، جاز له كما جاز في من^(٥) . وتقول : أتذكر إذ نحن من يأتنا نأته ، فنحن فصلت^(٦) بين إذ ومن . وتقول : مررت به فإذا من يأتية يعطيه ، وإن شئت جزمت ؛ لأنَّ الإضمار يحسن هنا . ألا ترى أنك تقول : مررت به فإذا أجملُ الناس ، ومررنا به فإذا أيُّما رجلٍ . فإذا أردت الإضمار فكأنك قلت : فإذا هو من يأتية يعطيه ، فإن لم تضمرفهى بمنزلة إذ ، لايجوز فيها الجزم .

(١) التكلة من ش

(٢) في سيبويه : لأن إذ وهذه الحروف .

(٣) ط : « من حالة » ، صوابه في ش وسيبويه .

(٤) ش : « أن يجيء بها » .

(٥) ط : « فيمن » ، صواب كتابته في ش وسيبويه .

(٦) ط : « فصلنا » ، صوابه في ش وسيبويه .

والبيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصَّحَابِي ، وكان له في الجاهلية صاحب الشاهد جَارٌ من بني القَيْنِ قد لجأَ إليه ، فضربه عمه عامراً بالسَّيف ، فغضب لذلك لبيدٌ وقال هذه القصيدة ، يعدُّ على عمه بلاءه عنده ، ويُنكر فعله بجاره .

وقد تقدّم شرحُ أبياتٍ منها في الشاهد الثالث عشر بعد الخمسائة^(١) .

أبيات الشاهد

وقبل هذا البيت :

(ودافعتُ عنكَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ عَامِرٍ
ومَنهم قَبِيلٌ فِي السُّرَادِقِ فَاخِرٌ^(٢)
وَدَذْتُ مَعَدًّا وَالْعِيَادَ وَطِيئًا
وَكَلْبًا كَمَا ذِيَدَ الْخَمَاسِ الْبَوَاكِرِ)

على حين من تلبث البيت

الصَّيْدُ : الرُّسَاءُ المتكبرون . يقال للصيد المتعاطم أَصِيدٌ ؛ لِمِله^(٣) رأسه من الكبر والعظمة ، تشبيهاً بالجمل الأصيد ، وهو الذي به داء يأخذ البعير فيرمُ أنفه فيشمخ ويميل رأسه لذلك الوجع . والقبيل : الجماعة من قوم شتى . والسُّرَادِقُ : ما يُدار حولَ الخيمة من شُقُقٍ بلا سَقْفٍ ، وقيل هو الفسطاق ، وقيل هو كلُّ بيت من قُطُنٍ . وفاخرٌ ، يريد يفخرون عليك .

(١) الخزانة ٧ : ٩١ - ٩٧ .

(٢) في الديوان ٢١٦ : « من آل دارم » ، وهو الصواب ، لأن بعد هذا البيت في

الديوان :

فقيم وعبد الله في عز نهشل بثيتل ، كل حاضر متناصر
وفقيم هم بنو فقيم بن دارم بن مالك . وكذلك نهشل ، بنون نهشل بن دارم وعبد الله أيضاً ،
بنو عبد الله بن دارم .

(٣) في هامش ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب تميمه » .

وقوله : « وُذِدَتْ مَعْدًا » إلخ . الذُّودُ : الطرد . ومعدٌ : أبو قبيلةٍ ، أراد من ينسب إليه من أولاده . والعباد بالكسر : قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، والنسبة إليهم عبادى . وطبئى بهمزة الآخر على وزن فيعل ، وهو القبيلة المشهورة بلا همز . وكلبٌ أيضاً : قبيلة . والخِماس ، بالكسر : الإبل التى لا تشرب أربعة أيام . والبواكر : التى تُبَكِّرُ غداة الخِمس .

وقوله : (على حينٍ من تلبث) على متعلقة بقوله ذدت ، وحين يجوز جرُّها بالكسرة ويجوز بناؤها على الفتحة ، لأنَّ الظروفَ المضافة إلى الجمل يجوز إعرابها وبنائها على الفتحة . واللَّبْثُ : البطءُ . والذَّنوب ، بفتح الذال المعجمة ، قال صاحب المصباح ^(١) : هى الدلو العظيمة . قالوا : ولا تسمى ذنوباً حتى تكون مملوءة ماءً . وتذكرو توث ^(٢) . وقال الزجاج : مذكر لا غير . ا هـ . ويردُّ عليه حصره هذا البيت ، فإنَّ الضمير فى « فَقَدَهَا » مؤنث ، وهو عائد إلى الذَّنوب . و (التَّدَابُرُ) : التقاطع . وأصله أن يولَّى كلُّ واحد من المتقاطعين صاحبه ذُبْرَهُ . يقول لعمه عند قيامه فى مقام التُّعمان بن المنذر ملك الحيرة مع خصومه : أنا دافعتُ عنك بلسانى فى مجمعٍ . يقول : قمتُ بفخرك وأيامك على حينٍ من لا يقوم بحجته . وهذا على المثل . يعنى أنَّه نصره فى وقت إن تبطئ فيه الحجّة عن المحتج يهلك ولا يمكنه أن يتلافى ما فرط منه . وقوله : (يجِدُ فقدها) معناه يؤلمه فقدها ، كما يقال وجد فلان فقد فلان ، إذ انقطع عنه نفعه فأثر ذلك فى حاله . وروى : (تداثر)

(١) ط : « الصحاح » ، صوابه فى ش . وانظر المادة فى المصباح المنير .

(٢) بعده فى المصباح : « فىقال هو الذَّنوب ، وهى الذَّنوب » .

بالمثلثة بدل (تدابُر) بالموحدة ، وهو التزاحم والتكاثر . جعل الجمع الذين عند الملك بمنزلة المزدحمين على الماء لیسقوا إبلهم . وأصل الدثر المال الكثير . وأراد بالمقام المجلس الذي جمعهم للخصام ، ورؤى في ديوانه :

* يجدُ فقدها وفي الذناب تدائرُ *

بالمثلثة . والذناب ، بالكسر : جمع ذنوب المذكورة . قال شارح ديوانه : يقول : دُذت عنك في ذلك الوقت . تلبث : تبطئ . والذنوب : الدلو . يجد فقدها إذا لم تخرج إليه . وإنما هذا مثل ضربته . وفي الذناب تدائرُ ، يقول : وفي ذلك تكاثر . وإنما هذا مثل ، أراد الألسن التي كثرت عليه . هـ .

وروى سيبويه المصراع الثاني كذا :

* يرثُ شربه إذ في المقام تدابُرُ *

قال الأعمى : وصف مقاماً فاخر فيه غيره وكثرت^(١) المخاصمة والمحاجة فيه . وضرب الذنوب ، وهي الدلو مملوءة ماءً ، مثلاً لما نزل به من الحجّة . والشرب بالكسر : الحظ من الماء . والريث : الإبطاء . انتهى . وترجمة ليبد تقدمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة^(٢) .

* * *

وأنشده بعده وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السائة^(٣) :

(١) ط : « وكثرة » بالعطف على « مقاماً » ، وهو يطابق ما في شرح الديوان ٢١٧ نقلاً عن الخزانة . لكن في ش ونسخة الأعمى على هامش سيبويه : « وكثرت » عطفاً على « فاخر » .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٤٦ .

(٣) فاته أن ينص على أنه من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٢ . وانظر الموشح ٧٣ والمغنى ٦٠٦ .

وشذور الذهب ١٣٥ والعيني ٤ : ٤٢٢ .

٦٩٦ (ولست بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً
ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ)

على أَنَّ وقوع الجملة الشرطية بعد (لكن) لكونها لا تُغَيِّرُ معنى الجملة .
قال سيبويه : وتقول : ما أنا ببخيلٍ ولكن إن تَأْتَنِي أُعْطِكَ .
جاز هذا وَحَسُنَ لِأَنَّكَ قد تضمّر ههنا كما تضمّر في إذا . ألا ترى أَنَّكَ
تقول : ما رأيتك عاقلاً ولكن أحمق . وإن لم تضمّر تركت الجزاء
كما فعلت ذلك في إذا . قال طرفة :

ولست بحلال التلاع مخافة البيت

كأنه قال : أنا . ولا يجوز في متى أن يكون الفعل وصلاً لها كما
جاز في مَنْ . والذي سمعناهم ينشدون قولَ العُجَيْرِ السُّلُولِي :

وما ذاك أن كان ابن عمّي ولا أخى

ولكن متى ما أملك الضّرَّ أنفعُ

والقوافي مرفوعة ، كأنه قال : ولكن أنفع متى ما أملك الضّر ،
ويكون أملك على متى في موضع جزاء ، وما لغو . ولم تجد سبيلاً إلى
أن تكون بمنزلة مَنْ فتوصل ، ولكنها كمها . انتهى كلام سيبويه .

فشرط جواز وقوع أداة الشرط بعد لكن تقدير الضمير بينهما ،
وحيث لا ضرورة فيه ، بل هو حسن للفصل كما قال سيبويه .

ولم يُصَبِّ الأَعلم في قوله : الشاهد في هذا البيت حذف المبتدأ بعد
لكن ضرورة ، والمجازاة بعدها ، والتقدير : ولكن أنا متى يسترشد
القوم أرفد . ا هـ .

ولم يقدر الضمير ، فلا يجوز وقوع الأداة بعد لكن إلا في الشعر .

والشارح المحقق أَخْلَّ بهذا التّفصيل ولم يذكره ، وقد أَخَذَ به أَبُو عَلِيٍّ
(في التذكرة القصريّة) وقال فيها : قال سيّويه في قوله :

* ولكن متى يَسْتَرَفِدِ القومُ أَرَفِدِ *

تقديره : لكن أنا إن . قيل : هلا لم يحتج إلى هذا الضمير لأنّ
لكن إنّما تُشَبِّه الفعل إذا كانت ثقيلة ، فإذا خَفَّت زال عنها شَبِّه
الفعل ، وإذا كان كذلك صلّحت للجملتين ، وإذا صلّحت لهما لم
تحتج إلى ضمير ؟ قيل : لكن لما فيها من معنى الاستدراك لم يزل عنها
معنى الفعل ، فاحتجج إلى الضمير فيها . وهذا عندي إنّما يجب إذا
دخل حرف العطف عليه ، نحو ولكن ، التي في البيت ، لأنّ حرف العطف
إذا دخل عليها خلّصت معناها وخرجت من العطف . وإذا لم يدخل
عليها حرف العطف كانت للعطف ، فلم يُحتج^(١) في وقوع الجزاء بعدها
إلى إضمار ، كما لا يُحتاج في حروف العطف إلى ذلك . ا هـ .

وقد نقل ابن هشام (في المغني) عن أبي عليٍّ خلافَ هذا . قال : وزعم
سيّويه في قوله :

* ولكن متى يَسْتَرَفِدِ القومُ أَرَفِدِ *

أنّ التقدير : ولكن أنا . ووجهه بأنّ لكن تشبه الفعل فلا تدخل
عليه . وبيان كونها داخليةً عليه أنّ متى منصوبة بفعل الشرط ،
فالفعل مقدّم في الرتبة عليه . وردّه الفارسيُّ بأنّ المشبه للفعل هو لكنّ
المشددة لا المخففة ، ولهذا لم تعمل المخففة لعدم اختصاصها بالأسماء .
وقيل : إنّما يُحتاج إلى التقدير إذا دخل عليها الواو ، لأنّها حينئذ تخلّص
لمعناها وتخرّج عن العطف . ا هـ .

(١) ط : « فلم تحتج » .

وهذا كما ترى مخالف لكلام أبي علي من وجوهه، ولا أدرى من أين نقله .

وقوله: (ولست بحلّال) إلخ الحلال : مبالغة الحال ، من الحلول وهو النزول . والأحسن أن يكون فعّالاً للنسبة ، أي لست بذى حلول . و (التلاع) : جمع تلعة ، وهو مجرى الماء من رؤوس الجبال إلى الأودية . قال ابن الأنباري : والتلعة من الأضداد ، تكون ما ارتفع، وما انخفض . والمراد هنا الثاني ، وهو سيل ماءٍ عظيم . و (مخافة) مفعول لأجله . و (أرفد) بكسر الفاء ، لأنه مضارع رفده رفداً من باب ضرب ، أي أعطاه أو أعانه . والرفد بالكسر اسمٌ منه . وأرفده بالالف مثله . وترافدوا : تعاونوا . واسترفدته : طلبت رفته . قال الزوزني : المعنى إنني لست ممن يستتر في التلاع مخافة الضيف^(١) أو غدر الأعداء إيتاي^(٢) ، ولكن أظهر وأعين القوم إذا استعانوا بي ، إمّا في قري الضيف ، وإمّا في قتال الأعداء .

٦٥٢

صاحب الشاهد وهذا البيت من معلّقة طرفة بن العبد . وقد عابه المرزباني (في كتاب الموشح) وقال : المصراع الثاني غيرٌ مشاكِلٍ للأوّل .

وبعده :

(فإن تبغني في حلقة القوم تلقني

وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد)

(١) في النسختين : « الضيق » ، والوجه ما أثبت . والذي في شرح الزوزني : « مخافة حلول الأضياف أو غزو الأعداء إيتاي » .
(٢) انظر الحاشية السابقة .

الحلقة بسكون اللام : ما استدار من الناس ومن الحديد ، وتُجمَعُ على الحَلَقِ بفتح الحاءِ واللام ، وهذا من الشواذِّ . وقد تجمع على الحَلِقِ بكسر الحاءِ مثل بَدْرَةٍ وِبِدْرٍ^(١) . والافتناص : الاصطياد . يقول : وإن تطلبني في مَحْفِلِ القوم وجدتني هناك، وإن تطلبني في بيوت الخَمَّارينِ صِدْتَنِي . والبُغَاءُ هو الطَّلَبُ ، والفعل بغى يبغى . يريد أنه يجمع بين الجِدِّ والهزل . كذا في شرح الزوزني . وقال أبو جعفر النحوي^(٢) : المعنى إن تطلبني في موضع يجتمع القوم فيه للمَشُورَةِ وإِجَالَةِ الرَّأْيِ تَلَقَّنِي ، لما عِنْدِي مِنَ الرَّأْيِ ، لا أَتَخَلَّفُ عَنْهُمْ ، وإن تَطَلَّبْتَ صَيْدِي فِي حَوَانِيَتِ الخَمَّارينِ تَجِدُنِي أَشْرَبُ وَأَسْقَى مَنْ حَضَرَنِي . والحانوت : بيت الخَمَّارِ ، يذكَرُ ويؤنثُ . ٥١ هـ .

وقال ابن السكيت : يقول : أَبَدًا تَجِدُنِي فِي مَجْلِسِ القومِ للمفاخرَةِ وَفِي بِيوتِ الخَمَّارينِ مَعَ الشَّرْبِ ، يَعْنِي أَنَّهُ مِنْ وَجوهِ قَوْمِهِ لا يُبْرَمُ أَمْرٌ إِلَّا بِحَضْرَتِهِ ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ شَرَابٍ وَلهُوَ . ٥١ هـ .

وترجمة طرفة تقدمت في الشاهد الثاني والخمسين بعد المائة^(٣) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالتَّسْعُونَ بَعْدَ السَّمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س^(٤) :

(١) في النسختين : « يرده ويرد » ، والصواب ما أثبت . والبدره ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ . والنص في شرحه للقوائد التسع ١ : ٢٥٦ .

(٣) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٤) في كتابه ١ : ٤٤٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ٢٠٣ والأغاني ١٤ : ١٥١ .

٦٩٧ (وما ذاك أن كان ابن عمي ولا أخى
ولكن متى ما أملك الضر أنفع)

على أن (أنفع) مرفوع ، وهو مؤخر من تقديم لضرورة الشعر ،
كما في قوله :

* إِنَّكَ إِنْ يُصْرِعُ أَخوكَ تُصْرِعُ *

والأصل فيهما : ولكن أنفع متى أملك الضر ، وإنك تُصرع إن
يصرع أخوك ، ويكون هذا المقدم تقديرًا لدليل الجزاء المحذوف .

قال سيبويه : والذي سمعناهم ينشدون قول العجير السلولي : «وما ذاك
إن كان ابن عمي» البيت. والقوافي مرفوعة ، كأنه قال : ولكن أنفع
متى ما أملك الضر. اهـ.

والضرورة عند المبرد إنما هي في حذف الفاء من أنفع وتصرع ،
وقد ردّ على سيبويه دعواه تقدير التقديم في هذا وفيما تقدم ، ونقله
ابن السراج (في الأصول) ، فلا بأس علينا إن نقلناه . وهذا كلامه :
قال أبو العباس محمد بن يزيد : أما قوله آتيتك إن أتيتني فغير
مُنكر ولا مدفوع ، استغنى عن الجواب بما تقدّم ، ولم تجزم إن شيئاً فتحتاج
إلى جواب مجزوم أو شيء في مكانه ، وأما قوله :

وإن أتاه خليلٌ يوم مسغبةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حرمٌ^(١)

يقول على القلب ، فهو محال ، وذلك لأنّ الجواب حدّه أن يكون
بعد إن وفعليها الأول ، وإنما يُعنى بالشئ موضعه إذا كان في غير موضعه ،

(١) في الأصول لابن السراج : « يوم مسألة » . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٣٤٦
لزهير بن أبي سلمى . وانظر معجم الشواهد .

نحو ضرب غلامه زيداً ، لأنَّ حدَّ الغلام أن يكون بعد زيد . وهذا قد وقع في موضعه من الجزاء ، فلو جاز أن تعني به التقديم لجاز أن تقول : ضرب غلامه زيداً ، تريد ضرب زيداً غلامه . وأمَّا ما ذكره من مَنْ ومتى ، وسائر الحروف فإنه يستحيل في الأسماء منها والظروف من وجوه في التقديم والتأخير ، لأنَّك إذا قلت : آتى من أتاني ، وجب أن تكون مَنْ منصوبة بقولك آتى ونحوه ، وحروف الجزاء لا يعمل فيها ما قبلها ، فليس يجوز هذا إلا أن تريد بها معنى الذى الذى ومتى ، إذا قلت آتيتك متى أتيتنى ، فمتى للجزاء وهو ظرف لأتيتنى ، لأنَّ حرف الجزاء لا يعمل فيه ما قبله ، ولكن الفعل الذى قبل متى أغنى عن الجواب ، كما قلت فى إن فى قولك : أنت ظالم إن فعلت . فأنت ظالم منقطع من إن وقد سدَّ مسدَّ الجواب . وكذلك آتيتك قد سدَّت مسدَّ الجواب فى متى وإن لم يكن منها فى شيء ، لأنَّ متى منصوبة بأتيتنى^(١) ، لأنَّ حروف الجزاء من الظروف والأسماء إنما يعمل فيهما ما بعدهما ، وهو الجزاء الذى يعمل فيه الجزم . والباب كلُّه على هذا ، لا يجوز غيره . ولو وُضع الكلام فى موضعه لكان تقديره : متى أتيتنى فاتيتك ، أى فأننا آتيتك . وأمَّا قوله :

* . . . من يأتها لا يضيرها *

إنما هو مَنْ يضيرها لا يأتها ، فمحال أن ترتفع مَنْ بقولك لا يضيرها ومن مبتدأة ، كما لا تقول زيد يقوم فترفعه يقوم . وكلُّ ما كان مثله فهذا قياسه . وهذه الأبيات التى أنشدتها كلها لا تصلح إلا على إرادة الفاء فى الجواب ، كقوله : «الله يشكرها» ، لا يجوز إلا ذلك . اهـ .

(١) ش : «لأن آتى» ، صوابه فى ط وأصول ابن السراج .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للعُجَيْرِ السلولي . قال الأصفهاني (في الأغاني) ،
وابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : قال ابن الأعرابي :
كانت للعُجَيْرِ بنتُ عمِّ كان يهاها وتهواه ، فخطبها إلى أبيها فوعده
وقاربَه ، ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ مُوسِرٌ ، فخيرها أبوها بينه وبين
العُجَيْرِ ، فاختارت العامريَّ ليساره ، فقال العجير في ذلك :

أبيات الشاهد

(ألمَّا على دارٍ لزينبَ قد أتى
لها باللوى ذى المَرَجِ صَيْفٌ ومَرَبَعٌ^(١)
وقولا لها : قد طال ما لم تكَلِّمِي
وراعَكَ بالغيبِ الفؤادُ المروَعُ^(٢)
وقولا لها : قال العُجَيْرِ ونَخَصَنِي
إليكِ ، وإرسالُ الخليلين ينفعُ
أأنتِ الذى أودعتكِ السَّرَّ وانتحى
بكِ الخَوْنَ مَزَاحٌ من القومِ أفرَعُ
إذا مِتُّ كان الناسُ صنفانِ : شامتُ
وآخرُ مُثْنٍ بالذى كنتُ أصنعُ
ولكنْ ستبكيكى خطوبُ كثيرة
وشُعثُ أهينوا فى المجالسِ جُوعُ^(٣)
ومُستلحِمٌ قد صَكَّه القومُ صَكَّةً
بَعِيدُ الموالى نَيْلَ ما كانَ يَمْنَعُ

(١) في الأغاني : « ذى المرخ » . والمرخ من الغضاه ، وهو ينفرش ويطول في السماء حتى يستظل فيه ، وهو كثير الورى سريعه .

(٢) في الأغاني : « بالعين » .

(٣) في الأغاني : « ستبكيكى خطوب ومجلس » .

رددتُ له ما فرطَ القَيْلُ بالضُّحَى
وبالأمسِ حتَّى آبَنَّا وهو أضلَعُ^(١)
وما ذاك أن كان ابن عمِّي ولا أخى
ولكن متى ما أملكِ الضَّرَّ أنفعُ^(٢)

وهى قصيدة طويلة .

والإلمام : التزول ، وضمنه معنى الإشراف . واللوى : ما التوى
من الرَّمْل . والمرج : الموضع الذى ترعى فيه الدوابُّ . وأراد بالمربع
الربيع .

وراعك : أفزعك . وانتحى : اعتمد وقصد . والخون : الخيانة .
وقوله : « إذا متُّ كان الناسُ » إلخ هو من شواهد سيبويه على أن كان
فيها ضمير الشأن ، وهو اسمها . وجملة الناس صنفان خبرها .

وروى ابن الأعرابي البيت كذا :

إذا متُّ كان الناسُ صِنْفَيْنِ شامتُ

ومثني بنيرى بَعْضِ ما كنتُ أصنعُ^(٣)

٦٤٥ فكان على أصلها . والتَّيران : العَلَمَانِ فى الثوب . وإنما يريدُ أنه
يُثنَى عليه بحسْنِ فعلِهِ ، الذى هو فى أفعالِ النَّاسِ كالعلمِ فى الثوب .

وخطَّاه أبو محمد الأسود وقال : الصواب الرواية الأولى فى المصراع

الثانى .

(١) فى الأغاني : « حتى اقتاله فهو أصلع » ، تحريف .

(٢) فى الأغاني : « ولست بمولاه ولا بابن عمه » .

(٣) سيبويه ١ : ٣٦ ومعجم الشواهد .

وقوله : « ولكن ستبكيهني خطوب » الخطوب هنا : الأمور العظام .
 وروى بدله : « خصوم » جمع خَصْم ، وهو معروف . والشُّعْث : جمع
 أشعثَ وشَعَثَاء ، وهو المتلبَّد الرأس . وقال أبو محمد الأسود : الصَّواب :
 * بلى سوف تأتيني خطوب كثيرة *

ولم يظهر لي وجهه . ورويًا^(١) : « أهينوا حَضْرَةَ الدار » ، بدل : « أهينوا
 في المجالس » ، وحَضْرَةَ ظرف . وجُوع : جمع جائع .

وقوله : ومُستلجِمٌ قد صَكَّه « بالرفع معطوف على ما قبله . والمستلجِم
 بكسر الحاء ، المستلجِقُ في القرابة وفي الجوار ، من اللُّحمة بالضم ،
 وهى القرابة . والصَّكَّة : الضربة . والمولى هنا الناصر والمُعِين . وبعيدٌ :
 حال من المفعول . ورويًا : « ذليل المولى » بدل : « بعيد المولى » . وقوله : « نيل »
 أى أخذ منه ما كان يمنعه . ورويًا المصراعَ الأوَّل هكذا :
 * ومضطهدٌ قد صَكَّه الخَصْمُ صَكَّةً *

والمضطهد بفتح الهاء : المقهور والمُضطرُّ .

وقوله : « ردَّدتُ له ما فرَطَ القَيْلِ » أى ما نحَّاه القيل . قال في
 الصحاح : قال الخليل : فرَطَ الله عنه ما يكره^(٢) أى نحَّاه ، وقلَّما
 يستعمل إلا في الشعر . والقَيْل بفتح القاف : المَلِك . قال ابن خلف
 ويحتمل أن يكون القَيْل هنا شُرْبَ نِصْفِ النَّهَارِ . وآبَنَّا : رَجَعَ إلينا .
 والأضلع ، بالمعجمة : المُطِيقُ للشيء القائمُ به . وروى ابنُ الأعرابي :

(١) كذا في النسخين : « ورويًا » يعنى ابن الأعرابي ، وأبا محمد الأسود الأعرابي .
 وذلك في مقابل الرواية الأخرى التى أثبتتها البندادى عن أبى الفرج فى أغانيه .
 (٢) فى النسخين : « ما فرط الله عنه ما يكره » ، والصواب حذف « ما » كما هو فى الصحاح .

رَدَدْتُ لَهُ مَا سَلَّفَ الْقَوْمُ بِالضُّحَىٰ وَبِالْأَمْسِ حَتَّىٰ اقْتَالَهُ وَهُوَ أَخْضَعُ
 وقال : سَلَّفَ الْقَوْمُ ذَلًّا وَهُوَ أَخْضَعُ ، أَرَادَ أَنَّ مَفْعُولَ سَلَّفَ مَحْذُوفٌ
 وَجُمْلَةٌ « وَهُوَ أَخْضَعُ » حَالٌ . وَاقْتَالَهُ ، أَيْ اقْتَالَ عَلَيْهِ أَيْ تَحَكَّمَ . قَالَ
 صَاحِبُ الصَّحَاحِ : وَاقْتَالَ عَلَيْهِ : تَحَكَّمَ . وَمَادَتُهُ الْقَوْلُ . وَرَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ
 الْأَسْوَدُ الْمَصْرَاعَ الثَّانِيَّ كَذَا :

* حَتَّىٰ نَالَهُ وَهُوَ أَضْلَعُ *

وقال : أَيْ أَخَذَ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ .

وقوله : « وما ذاك أن كان » إلخ اسم الإشارة راجع لما صنعه^(١) من
 الجميل مع المستلجم ، وهو ردُّ ما أخذ من ماله إليه قهراً ، وهو مبتدأ
 وخبره محذوف ، أَيْ صَنَعْتُهُ . وَأَنَّ مَصْدَرِيَّةً مَجْرُورَةٌ بِاللَّامِ . وَاسْمُ كَانَ
 ضَمِيرُ الْمَسْتَلْجِمِ . وَابْنُ خَبْرٍ كَانَ ، وَالتَّقْدِيرُ : وَمَا ذَاكَ الْجَمِيلُ فَعَلْتَهُ
 مَعَهُ لِكَوْنِهِ ابْنُ عَمِي ، وَلِكَوْنِهِ أَخِي ، وَلَكِنْ مِنْ شَأْنِي إِذَا قَدَّرْتُ عَلَى
 الضَّرِّ وَالْبَطْشِ نَفَعْتُ .

وروى أبو محمد الأسود المصراع الأول كذا :

* وَلَسْتُ بِمَوْلَاهُ وَلَا بَابِنِ عَمَّةٍ *

وَالْعُجَيْرُ السَّلُولِي : شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ
 الثَّامِنِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ^(٢) .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ :

(إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بِنْتِ حَسًّا نَأْمُهُ وَأَعَصِيهِ فِي الْخُطُوبِ)

(١) ش : « إلى ما صنعه » .

(٢) الخزانة ٥ : ٣٥ - ٣٦ . وكرر البغدادي ترجمته في الشاهد ٣٨٠ في الخزانة ٥ : ٢٦٣ .

على أَنَّ ضمير الشأن وهو اسمٌ إنَّ محذوف ، والجملة الشرطية خبرها .
وتقدم شرح هذا البيت مفصلاً في الشاهد السابع بعد الأربعمئة (١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السمائة (٢) :

٦٩٨ (مَنْ يَكِدُنِي بِسِيِّئِي كُنْتُ مِنْهُ

كَالشَّجَا بَيْنَ حَلْقِهِ وَالْوَرِيدِ)

على أَنَّ مجيء الشرط مضارعاً مجزوماً والجزاء ماضياً خاصاً بالشعر
عند بعضهم . ٦٥٥

قال ابن مالك : الصحيح الحكم بجوازه ، لثبوته في كلام أفصح
الفصحاء ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُمُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا
غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٣) .

والبيت من قصيدة لأبي زبيد الطائي النَّصْراني ، رثى بها ابن أخته
اللَّجلاج . وقبله :

(كَانَ عَنِّي يَرُدُّ دَرُوكَ بَعْدًا لِلَّهِ شَعْبَ الْمُسْتَضْعَبِ الْوَرِيدِ (٤))

من يَكِدُنِي البيت .

الدرء : الدفع . وفي الحديث : « ادركوا الحدودَ بالشُّبُهات (٥) » . والشَّعْبُ

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٠ - ٤٢٥ .

(٢) ديوان أبي زبيد الطائي ٥٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٩ والمقرب ١ : ٢٧٥ ورصف

المباني ١٠٥ والمعنى ٤ : ٤٢٧ والأشعري ٤ : ١٧ وجمهرة القرشي ٢٦٣ .

(٣) من حديث أبي هريرة في صحيح البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن

ماجه . وانظر الألف المختارة الحديث ١٦٣ .

(٤) الدرء : الدفع . ط : « درأك » ، صوابه في ش والديوان .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل . الجامع الصغير ٣١٤ .

بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين : تهيج الشر . والمريد : مبالغة المراد .

وقوله : (من يَكِدُنِي) يقال كاده كيداً من باب باع ، إذا خدعه ومكر به . والسيءُ : فيُعِل ، وصفٌ من سوء . و (كنت) بالخطاب . و (الشجَا) : ما يعترض في الحلق كالعظم . و (الوريد) : عرق قيل هو الودج ، وقيل بجذبه . وقال الفراءُ : عرق بين الحلقوم والعلباوين ، وهو ينبض أبداً ، فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجرى فيها دم ، بل هي مجارى النفس بالحركات . وهذا مطلع القصيدة :

(إِنَّ طُولَ الْحَيَاةِ غَيْرُ سَعْوِدٍ وَضَلَالٌ تَأْمِيلُ نَيْلِ الْخَاوِدِ)

وعدها تسعة^(١) وخمسون بيتاً ، وهي من القصائد الجياد في المرائي وقد جمعها محمد بن العباس اليزيدي ، عن ابن حبيب ، وهي عندي بخط محمد بن أسد بن عليّ القاري ، وتاريخ خطه سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة .

وترجمة أبي زبيد الطائي تقدمت في الشاهد الثاني والثمانين بعد المائتين^(٢) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا)

وتقدم شرحه قريباً^(٣) :

* * *

(١) ط : « تسع » ، صوابه في ش . والقصيدة بهذا العدد في ديوانه .

(٢) الخزائن ٤ : ١٩٢ .

(٣) هو الشاهد ٦٩١ .

وأشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٦٩٩ (أَتَغَضِبُ إِنْ أُذْنَا قُتِيْبَةً حُزَّتَا)

على أنه قد يستعمل الماضي في الشرط متحقق الوقوع ، وإن كان بغير لفظ كان ، لكنه قليل . وهو هنا محذوف مفسر بالفعل المذكور ، والتقدير : إن حُزَّتْ أُذْنَا قُتِيْبَةٍ . فحزُّ أُذُنَيْهِ قد وقع فيما مضى من الزمان وتحقق معناه .

وقدر المصنف (في شرح الفصل) بما نقله الشارح عنه ، وردّه . ويشهد لما قاله الشارح المحقق ما نقله سيبويه عن الخليل ، قال : سألتُ الخليل رحمه الله عن قول الفرزدق :

أَتَغَضِبُ إِنْ أُذْنَا قُتِيْبَةً حُزَّتَا جِهَارًا وَلَمْ تَغَضِبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ
فقال : لأنه قبيح أن تفصل بين أن والفعل ، كما قبح أن تفصل بين كى والفعل ، فلما قبح ذلك ولم يَجْزُ حملوه على إن ، لأنه قد يقدم فيها الأسماء قبل الأفعال . ٥١ .

يريد الخليل أن إن في البيت لا يصح فتح همزتها للقبح المذكور ، وإنما هي إن المكسورة الهمزة ، لجواز الفصل بينها وبين الفعل باسم على شريطة التفسير ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ (٢) . و (في المسائل القصيرية لأبي علي) : اعترض أبو العباس المبرد على إنشاد هذا البيت بالكسر فقال : قتل قُتِيْبَةٍ قد مضى وإن للجزاء ، والجزاء

٦٥٦

(١) في كتابه ١ : ٤٧٩ . وانظر الجمع ٢ : ١٩ والغنى ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٦ وشرح شواهده للسيوطي ٣٢ والأزهية ٦٩ وديوان الفرزدق ٨٥٥ .
(٢) الآية ٦ من سورة التوبة .

يكون لِمَا يَأْتِي ، فلا يستقيم أَنْ تقول : إِنْ قَمْتَ قَمْتُ ، وقد مضى قيامه .
قال أبو علي : إنما يريد : أفتغضبُ كلما وقع هذا الفعل ، أَى مثلُ هذا
الفعل ، وإِنْ كان التأويل على هذا صحَّ الكسر . ا هـ .

وأراد بتقدير المِثْل كَوْنُ الفعل مستقبلاً .

وظاهر نقل أبي عليٍّ أَنَّهُ لا يجوز الكسر عند المبرد ، ولكنَّ صريح
كلام ابن السِّيد أَنَّ المبرِّدَ يجوزُه ، قال (في شرح كامل المبرد) : وأجاز
أبو العباس فتحَ أَنْ في هذا البيت ، وجعلها أَنْ المخفضة من الثقيلة وأضمر
اسمها ، كأنه قال : أَنَّهُ أَذْنَا قَتِيبة حُرَّتَا . ومن روى إِنْ بكسر الهمزة ،
وهو رأى سيويه ، فوجهه أَنَّهُ وضع السبب موضع المسبب ، كأنه قال :
أَتغضب إن افتخر مفتخرٌ بحزّه أَذْنِي قَتِيبة ، كما قال الآخر ^(١) :

إِنْ يقتلوك فَإِنَّ قتلَكَ لم يكن عاراً عليك ، وربَّ قتلٍ عارٌ
المعنى : إِنْ افتخروا بقتلك . فذكر القتلَ الذي هو سببُ ذلك . ا هـ .

وقد صرفه ابن هشام (في المغنى) إلى المستقبل بتأويلين : أحدهما :
ما ذكره ابن السِّيد من إقامة السبب مقام المسبب . والثاني : أَنَّهُ على
معنى التبيين ، أَى أَنغضب إن تبينَ في المستقبل أَنَّ أَذْنِي قَتِيبة حُرَّتَا فيما
مضى .

ثم قوله : وقال الخليل والمبرد : الصواب «أَنْ أَذْنَا» بفتح الهمزة ، أَى
لأَنَّ أَذْنَا ، هو خلاف ما نقله سيويه عن الخليل ، وخلاف ما نقله
ابن السِّيد عن المبرد . وذهب الكوفيون إلى أَنَّ أَنْ في هذا البيت ليست
للشَّرط ، لمضيه ، وإِنَّمَا هي بمعنى إِذْ . قال إمامهم ^(٢) (في سورة الزخرف .

(١) هو ثابت قطنة ، وهو الشاهد ٧٩٨ .

(٢) يعني الفراء .

من تفسيره) عند قوله تعالى: ﴿أَفَنضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنَّ كُنْتُمْ﴾^(١)
 قرأ الأعمش بالكسر ، وقرأ عاصم والحسن بفتح أن ، كأنهم أرادوا
 شيئاً ماضياً . وأنت تقول في الكلام : أَسْبُكُ أَنْ حَرَمْتَنِي ، تريد إذ
 حرمتني . وتكسر إذا أردت : أَسْبُكُ^(٢) إِنْ حَرَمْتَنِي . ومثله : ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
 شِدَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ﴾^(٣) تكسر إِنْ وتفتح . ومثله ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ
 نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾^(٤) و (أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا) . والعرب تنشد
 قول الفرزدق :

* أتجزع إن أذنا قتيبة حُرَّتَا *

وأنشدوني :

وَتَجْزَعُ إِنْ بَانَ الْخَلِيطُ الْمَوْدَعُ

وَجَبَلُ الصِّفَا مِنْ عَزَّةٍ الْمُتَقَطِّعِ^(٥)

وفي كلِّ واحدٍ من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح .
 انتهى كلامه .

صاحب الشاهد
 والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مدح بها سليمان بن عبد الملك ،
 وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

(١) الآية ٥ من سورة الزخرف .

(٢) في النسختين : « لأسبك » . صوابه من معاني الفراء ٣ : ٢٦ .

(٣) الآية ٢ من المائدة . وقراءة الفتح هي قراءة الجمهور . وقرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو ، ووافقهما ابن محيصن واليزيدي . إتحاف فضلاء البشر ١٩٨ .

(٤) الآية ٦ من الكهف . وقد نص الزمخشري في الكشاف على القراءتين ولم يمين صاحبهما ، ونقل عنه ذلك أبو حيان في تفسيره ، وجاء فيه النص محرفاً على هذه الصورة : « بكسر الميم وفتحها » والصواب « بكسر الهمزة وفتحها » . والواضح أن قراءة الكسر هي قراءة الجمهور . ووجدت في مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧٨ نسبة قراءة الفتح إلى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم . وانظر معاني الفراء ٢ : ١٣٤ .

(٥) يبدو أنه لكثير . ولم أجده في ديوانه .

والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مدح بها سليمان بن عبد الملك ،
وهجا جريراً . وقبله هذه الأبيات :

فإن تك قيسٌ في قتيبة أغضبتُ
فلا عطستُ إلا بأجدعٍ راغمٍ
وهل كان إلا باهلياً مجدعاً
طغى فسقيناها بكأس ابن خازمٍ
لقد شهدت قيسٌ ، فما كان نصرها
قتيبة إلا عضها بالأباهم
فإن تقعدوا تقعدوا لثامٌ أذلة
وإن عدتمُ عدنا بأبيض صارمٍ)

أغضب إن أذنا قتيبة البيت

(فما منهما إلا بعثنا برأسه

إلى الشام فوق الشاحجات الرواسم

٦٥٧

تذبذب في المخلاة تحت بطونها

محدفة الأذنان جلع المقادم

ستعلم أي الواديين له ثرى

قديماً وأولى بالبحور الخضارم^(١)

وما أنت من قيس فتنبح دونها

ولا من تميم في الرؤوس الأعظم^(٢)

(١) في الديوان ٨٥٥ : « له الثرى » .

(٢) بين هذا البيت وسابقه في الديوان ٢١ بيتاً .

قوله : « فَإِن تَكَ قَيْسٌ » إلخ ، قيس : أبو قبيلة ، وهو قيس بن عيلان ابن مضر . وقبيلةُ باهلةٌ : فخذٌ من قيس بن عيلان . وأراد القبيلة . ولجربيرٍ خُثولةٌ في قيس . وقتيبة هو ابن مسلم الباهلي ، وستأني حكايته . وأغضببت بالبناء للمفعول ، وقوله « فلا عَطَسْتُ » إلخ جملة دعائية : وقعت جزاءً للشَّروط ، فلذا قرنت بالفاء . وأجْدَعُ صفة موصوفٍ محذوف أي أنف أجْدَع . والراغم : الدليل أو الكاره^(١) ، وهو على النسبة ، أي ذى الرِّغام وهو التُّراب^(٢) ، يقال أرغم الله أنفه ، أي ألصقه بالرِّغام ، وهو التُّراب ، وهو كناية عن الإذلال .

وقوله : « وهل كان إلا باهلياً » اسم كان ضمير قتيبة ، ومجدعاً يُدعى عليه بالجدع ، وهو قطع الأنف . وباهلة : قبيلة منحطة بين العرب . ولذا قيل :

وما يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلِهِ
رَوَى أَنَّ قَتِيْبَةَ هَذَا مَازَحَ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا فَقَالَ : أَيَسْرُكَ أَنْ تَكُونَ
بَاهِلِيًّا ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : فَتَكُونَ بَاهِلِيًّا خَلِيْفَةً ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ
وَلَوْ أَنَّ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ : قَالَ : فَيَسْرُكَ أَنْ تَكُونَ بَاهِلِيًّا وَتَكُونَ
فِي الْجَنَّةِ ؟ فَاطَّرَقَ ثُمَّ قَالَ : بِشَرِّطٍ أَنْ لَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنَّي بَاهِلِيٌّ !
فَضَحِكَ مِنْ قَوْلِهِ .

وقوله : (أَتَغْضَبُ إِن أَدْنَا قَتِيْبَةَ) إلخ . فاعل تغضب قيس المتقدم ، وأنت فعله لأنه أراد به القبيلة . والاستفهام للتعجب والتوبيخ . ويجوز أن يكون فاعله مستتراً فيه تقديره أنت ، وهو خطابٌ مع جربير

(١) ط : « والكاره » .

(٢) ط : « أي ألصقه بالتراب » فقط .

بدليل ما بعده من البيتين . والحز ، بالحاء المهملة والزاي المشددة : القطع .
وحز الأذنين كناية عن القتل ، لأن القتل قد تقطع أذنه للتشويه .
(جهاراً) أى حزاً جهاراً . و(ابن خازم) بالخاء والزاء المعجمتين . يريد أن
قيسا غضبت من أمرٍ يسيرٍ ولم تغضب لأمرٍ عظيمٍ . وقد أنكر هذا منها .

وأما قتيبة بالتصغير فهو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن
ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قُصاعى بن هلال
الباهلى . نشأ فى الدولة المروانية ، وترقى وتولى الإمارة ، وفتح
الفتوحات العظيمة ، وعبر ما وراء النهر مراراً وأبلى فى الكفار . وكان
شجاعاً جواداً ديمت الأخلاق ذا رأى ، افتتح بخارى ، وخورزم ،
وسمرقند ، وفرغانة ، والتürk . وولى خراسان ثلاث عشرة سنة .

وهذا خبر مقتله (من تاريخ النويرى^(١)) قال : قُتل قتيبة بن
مسلم الباهلى فى سنة ست وتسعين فى خراسان . وكان سبب ذلك أنه
أجاب الوليد إلى خلع سليمان ، فلما أفضت الخلافة إلى سليمان خشي قتيبة
أن سليمان يستعمل يزيد بن المهلب على خراسان ، فكتب قتيبة إلى سليمان
كتاباً يهنئه بالخلافة ، ويذكر بلائه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه له
على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان . وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه
فيه بفتوحه ونكايته ، وعظيم قدره عند ملوك العجم ، وهيبته فى
صدورهم ، ويذم آل المهلب ويحلف بالله : لو استعمل يزيد على
خراسان ليخلعنه . وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه . وبعث الكتب مع رجل
من باهلة وقال له : ادفع الكتاب الأول إليه ، فإن كان يزيد حاضراً

(١) هو نهاية الأرب ، ويعنى القسم التاريخى منه ، ويبدأ فى الجزء الثالث عشر من نهاية

فقرأه ثم ألقاه إليه^(١) . فادفع إليه الثاني . فإن قرأه ودفعه إليه فادفع إليه الثالث . وإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه . فقديم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب الأول فقرأه وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فأعطاه الثالث فقرأه وتمعر لونه وختمه ، وأمسكه بيده . ف قيل : كان فيه « إن لم تُقرني على ما أنا عليه وتؤمنني^(٢) لأخلعنك ، ولأملأنها عليك خيلاً ورجلاً » ثم أمر سليمان بإنزال رسول قتيبة وأحضره ليلاً^(٣) وأعطاه دنانير وعهد قتيبة على خراسان ، وسير معه رسولاً . فلما كانا^(٤) بحلوان بلغهما خلع قتيبة ، فرجع رسول سليمان فلما خلعه قتيبة دعا الناس إلى خلعه فلم يجبه أحد ، فغضب وسبهم طائفة طائفة ، وقبيلة قبيلة ، فغضب الناس واجتمعوا على خلع قتيبة ، وكان أول من تكلم في ذلك الأزدي ، فأتوا حُضين بن المنذر^(٥) فقالوا : إن هذا قد خلع الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا ، وقد شتمنا فما ترى؟ فأشار أن يأتوا وكيع بن حسان بن قيس الغداني . وغدانة هو ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وكان وكيع مقدماً ، لرياسته على بني تميم ، وكان قتيبة عزله ، فحقد عليه وكيع . فلما أتوه وسألوه أن يلي أمرهم فعل ، فبلغ أمره لقتيبة ، فأرسل إليه يدعوه ، فلبس

(١) ط : « ثم دفعه إليه » ، وأثبت ما في ش مطابقاً لابن الأثير ٥ : ١٢ في حوادث

سنة ٩٦ .

(٢) كذا في التسخين . والإتيان بنون التوكيد بعد « لم » قلب نادر .

(٣) ش : « ثم أحضره ليلاً » .

(٤) ط : « كان » ، صوابه في ش .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن ولة الرقاشي ، من كبار التابعين ، وكان فارساً

شاعراً ، وكانت معه راية على بن أبي طالب يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة .

مات على رأس المائة . المؤلف ٨٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٥٩٥ . وانظر ما سبق في ٤ : ٣٨ .

وكيع سلاحه ونادى في الناس فَأَتَوْهُ ، وركب فرسه وخرج ، وأتاه الناس أرسالاً ، واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص أصحابه ، فكَبَرُوا وهاجوا ، فقتل عبد الرحمن أخو قتيبة ، وجاء الناس حتى بلغوا فُسطاطَ قتيبة فقطعوا أطنابه ، وجرح قتيبة جراحات كثيرة . ثم نزل سعد^(١) وشقَّ الفُسطاطَ واحتزَّ رأس قتيبة وقتل معه من أهله وإخوته أحد عشر رجلاً . فأرسل وكيع إلى سليمان برأسه ورؤوس أهله .

وأما ابن خازم فهو عبد الله بن خازم السُّلَمِيُّ^(٢) . وينتهي نسبُ سُليمٍ إلى قيس عيلان . وهو أحدُ غربان العرب في الإسلام . وكان من أشجع الناس ، وقتلته بنو تميم بخراسان في سنة اثنتين وسبعين ، وكان الذي وليَ قتله وكيعُ بن الدَّورقيَّة القُرَيْعِيُّ . وكان ابنُ خازم أمير خراسان من قبل ابن الزُّبير ، وكان أوَّلًا استعمله ابنُ عامرٍ على خراسان في أيام عثمان . وكان أحدَ الأبطال المشهورين ، وقد حضر مواقف مشهورةً وأبلى فيها .

وهذا جبرٌ ممتله (من تاريخ النويري) قال : ولَمَّا قُتِل مصعب ابن الزبير كان ابن خازم يقاتل بُجَيْر بن وِرْقَاء التَّمِيمِي^(٣) بنيسابور ، فكتب عبد الملك بن مروانَ إلى ابن خازم يدعوه إلى البيعة ويُطعمه خراسان سبع سنين ، فامتنع وأطعم كتابه لرسوله . وكتب عبد الملك إلى

(١) سعد هذا لا يعرف من خبره إلا أنه قاتل قتيبة ، وقد سجل حُضين بن المنذر أن اسمه سعد بن سعد ، بقوله في شعره وهو يعنيه :

وإن ابن سعد وابن زحر تماورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج

انظر تاريخ الطبري ٦ : ١٧٧ في حوادث سنة ٩٦

(٢) ط : « السليمي » ، صوابه في ش .

(٣) انظر خبره في نوادر المخطوطات ٢ : ١٧٦ - ١٧٧ .

بُكَيْرِ بْنِ وَسَّاجٍ^(١) وَكَانَ خَلِيفَةَ ابْنِ خَازِمٍ عَلَى مَرَوْ، وَتَعَهَّدَهُ^(٢) عَلَى خِرَاسَانَ، وَوَعَدَهُ وَمَنَّاهُ، فَخَلَعَ بُكَيْرٌ ابْنَ خَازِمٍ، وَدَعَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَجَاجَبَهُ أَهْلُ مَرَوْ. وَبَلَغَ ابْنَ خَازِمٍ فَخَافَ أَنْ يَأْتِيَهُ بُكَيْرٌ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَرَوْ وَأَهْلُ نَيْسَابُورَ، فَتَرَكَ بُجَيْرًا وَأَقْبَلَ إِلَى مَرَوْ فَاتَّبَعَهُ بِجَيْرٍ فَلَحِقَهُ بِقَرْيَةٍ عَلَى ثَمَانِيَةِ فَرَاسِخٍ مِنْ مَرَوْ فَقَاتَلَهُ، فَقُتِلَ ابْنُ خَازِمٍ وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ وَكَيْعُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَيْبِيُّ، اِعْتَوَرَهُ وَكَيْعٌ وَبُجَيْرُ بْنُ وَرْقَاءَ، وَعَمَّارُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَطَعَنُوهُ فَصَرَعُوهُ، وَقَعَدَ وَكَيْعٌ عَلَى صَدْرِهِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَ بِشِيرًا بِقَتْلِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَبْعَثْ بِرَأْسِهِ، وَأَقْبَلَ بِكَيْرٍ فِي أَهْلِ مَرَوْ فَوَافَاهُمْ حِينَ قَتَلَ ابْنَ خَازِمٍ، فَأَرَادَ أَنْخِذَ الرَّأْسَ وَإِنْفَاذَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَمَنَعَهُ بِجَيْرٍ.

٦٥٩

كَذَا قَالَ التَّوَيْرِيُّ. وَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَعَثْنَا بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّامِ الْبَيْتِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ بَيْنَ قَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ وَقَتْلِ قَتِيْبَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً^(٣) .
 وَقَوْلُهُ : « فَوْقَ الشَّاحِجَاتِ » يَعْنِي الْبَغَالَ . وَالرَّسْمُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ ،
 وَإِنَّمَا عَنَى هَهُنَا بَغَالَ الْبَرِيدِ بِقَوْلِهِ :

* مَحْدُوْفَةٌ الْأَذْنَابِ جُلُحَ الْقَوَادِمِ *

وَتَرْجُمَةُ الْفَرَزْدَقِ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّلَاثِينَ^(٤) .

* * *

(١) ط : « وشاج » ، وأثبت ما في ش مطابقاً في القاموس (وسج) وتاريخ الإسلام

للذهبي ٣ : ١١٢ ، وجمهرة ابن حزم ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) المراد أعطاه عهداً بها . وفي ش : « تعهده » بلا واو .

(٣) في النسختين : « أربعة وعشرون سنة » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في الخزائن ١ : ٢١٧ .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعُ عَلِيَّتَ فَتَجَزَعُ)

تَقَدَّمَ شَرْحَهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَرِيباً^(١) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْمَوْقِيُّ السَّبْعَمِائَةَ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س^(٢) :

٧٠٠ (وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُوا نَزَاوِلَهَا

فَكُلُّ حَتْفٍ امْرِيٌّ يَجْرِي بِمَقْدَارِ)

عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ : (نَزَاوِلَهَا) اسْتِثْنَاءٌ وَلِهَذَا وَجِبَ رَفْعُهُ .

قَالَ سَبْيَوِيه : وَتَقُولُ : ائْتِنِي آتِيكَ ، فَتَجْزِمُ عَلَى مَا وَصَفْنَا ، وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَ عَلَى أَنْ لَا تَجْعَلَهُ مَعْلُوقاً بِالْأَوَّلِ ، وَلَكِنْ تَبْتَدِئُهُ وَتَجْعَلُ الْأَوَّلَ مُسْتَغْنِيّاً عَنْهُ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : ائْتِنِي أَنَا آتِيكَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

* وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُوا نَزَاوِلَهَا * الْبَيْتُ ١٠ هـ

وَأَجَازُ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ كَوْنِ نَزَاوِلِهَا حَالاً .

فَإِنْ قُلْتَ : الْحَالُ قَيْدٌ لِعَامِلِهَا ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْإِرْسَاءُ فِي حَالِ الْمُرَاوَلَةِ وَالْمَزَاوَلَةِ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ الْإِرْسَاءِ ؟

قُلْتَ : أَوَّلُ الْمَزَاوَلَةِ مَقَارِنٌ لِلْإِرْسَاءِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَتِمُّ إِلَّا بَعْدَهُ . وَهَذَا الْمَقْدَارُ كَافٍ .

(١) انظر الخزانة ٨ : ٥٣١ . ومن الجدير بالذكر أنه هذا الشاهد ليس في هذا الباب ، بل هو في باب النواصب .

(٢) في كتابه ١ : ٤٥٠ . وانظر ابن يعيش ٧ : ٥٠ ، ٥١ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٢ .

وهذا البيت أُوردَ في علم المعاني مثلاً لكمال الانقطاع باختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى ، ولهذا لم يتعاطفا . فإنَّ أرسوا إنشاءً لفظاً ومعنى ونزاولها خبرٌ كذلك ، فوجب تركُ العطف . ولم يُجعل نزاولها مجزوماً جواباً للأمر ؛ لأنَّ الغرضَ تعليلُ الأمرِ بالإرساءِ بالمزاولة ، والأمرُ في الجزم بالعكس ، أعنى يصير الإرساءُ علّةً المزاولة كما في «أسلمٌ تدخلُ الجنةَ» . كذا قرّره التفتازاني . وبه يُعرف ما في قول الأعمش ، وتبعه ابن يعيش : « ولو أمكنه الجزمُ على الجواب لجاز » - من الضّعف .

وتبعه أيضاً ابن المستوفى فقال : ويجوز أن يُجزم إذا جعلته علّةً للأول ومحتاجاً إليه .

وإنما استشهدوا به لأنّه لا يمكن جزم نزاولها .

و (الرائد) : الذى يتقدّم القومَ ليطلبَ الماءَ والكلأ ، من الرّود وهو التردّد في طلب الشيء برفق . و (أرسوا) بفتح الهمزة أمرٌ من الإرساء ، أى أقيموا ، من أرسيت السفينة إرساءً ، أى حبستها بالمرساة . ولم يُصب العبّاسيّ (في معاهد التنصيص) في قوله : وهو من رست السفينة ترسو رُسوا ، إذا وقفت على الأنجر^(١) معرب لَنَكِر ، وهو مرساة السفينة ، وهى خشبات يُفرغ بينها الرصاصُ المذاب ، فتصير كصخرة ، إذا رست رست السفينة . أو هو من رست أقدامهم في الحرب ، أى ثبتت . (نزاولها) : مضارع زاول الشيء ، أى حاول وعالجه . و (الحتف) : الهلاك . قال السعد : الضمير في نزاولها للحرب ، أى

(١) وكذا في معاهد التنصيص . وفي ش : « اللنجر » ، تحريف . وانظر القاموس واللسان والمغرب للجواليق ٢٦ . وفي التهذيب : هو اسم عراقى ، وهو خشبات يخالف بينها وبين رموسها ، وتشد أوساطها في موضع واحد ثم يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كأنها صخرة ، ورموس الخشب ناتئة تشد بها الحبال وترسل في الماء ، فإذا رست رست السفينة فأقامت .

قال رائدُ القوم، ومقدمهم : أقيموا نقاتل . فإنَّ موت كلِّ نفسٍ يعجرى بمقدار الله وقدره ، لا الجبنُ يُنجيه ، ولا الإقدامُ يرديه . وقيل الضمير للسَّفينة ، وقيل للخمر . والوجه ما ذكرنا . ١٥ .

٦٦٠

ويشهد لما اختار ما أورده الكرمانى (فى الموشح) ، وتبعه العباسى من بيتٍ بعده ، وهو :

(إِمَّا نَمُوتُ كِرَامًا أَوْ نَفُوزُ بِهَا نَنسَلِمُ الدَّهْرَ مِنْ كَدِّ وَأَسْفَارِ)
والعجب من الكرمانى فى قوله : وصف الشاعر جماعة اللصوص ، لما رأوا السَّفينةَ طمعوا فى أخذها ، فأمر سيِّدُ القوم الملاحين بإرساء السفينة . ويعضد هذا الوجه ما بعده : إِمَّا نَمُوتُ كِرَامًا البيت .

وقال الأعمى ، وتبعه ابن يعيش : وصف شرباً قدّموا أحدهم يرتاد لهم خمراً فظفر بها فقال لهم : أرسوا ، أى انزلوا ، نشربها . ومعنى (نزاولها) : نخاتل صاحبها عنها . وقوله : (فكلّ حتف) إلخ أى لا بدّ من الموت ، فينبغى أن نبادر ، بإنفاق المال فيها وفى نحوها ، إلى اللذات . هذا كلامه .

والبيت قد نسبته إلى الأخطل ، وراجعتُ ديوانه مراراً فلم أظفر به فيه . والله أعلم به .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الحادى^(١) والثانى بعد السبعائة ، وهو من شواهد س^(٢) :

(١) وفى ش : « الشاهد الواحد » . وانظر ما كتبت فى حواشى الجزء الثامن ص ٣٤١ ، كما أن الحق أن هذا الإنشاد يتضمن شاهدين لا شاهداً واحداً كما سيأتى فى ص ٩٦ .
(٢) فى كتابه ١ : ٤٤٦ . وانظر المقتضب ١ : ٦٦ والإنصاف ٥٨٣ وابن يعيش ١٣١ : ٥٣ / ١٠ : ٢٠ ورسف المباني ٣٢ ، ٣٣٥ والهمع ٢ : ١٢٨ والأشمونى ٣ : ١٣١ ويس ٢ : ١٦٢ .

٧٠١ (مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ

تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا)

على أَنَّ جملة (تعشوا) جاءت حالاً بعد صريح الشرط وهو تأتية
وصاحب الحال الضمير المخاطب في الشرط . والمعنى : متى تأتية عاشياً ،
أى في الظلام .

قال الشارح المحقق : « ويجوز في مثله البدل » . أراد ما أنشده
[سيبويه ^(١)] ، وهذا نصه (في باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم
بينهما) : أما ما يرتفع بينهما فقولك : إن تأتني تسألني أعطك ،
وإن تسألني تمشي أمشي معك . وذلك لأنك أردت أن تقول ، إن تأتني
سائلاً يكن ذلك وإن تأتني ماشياً فعلت . وقال زهير :

وَمَنْ لَا يَزِلُّ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ

وَلَا يُغْنِيهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَسَامُ

إنما أراد : من لا يزل مستحماً يكون من أمره ذلك . ولو رفع
يغنها جاز وكان حسناً ، كأنه قال : من لا يزل لا يغني نفسه . ومما جاء
أيضاً مرتفعاً قول الحطيئة :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا

وَسَأَلْتُ الْخَلِيلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِ ، وَهُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ ^(٢) :

مَتَى تَأْتِنَا تَلْمَمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا

قال : تلمم بدل من الفعل . ونظيره في الأسماء : مررت برجل عبد الله

(١) التكملة من س . وانظر سيبويه ١ : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) ط : « عبد الله بن الحر » ، صوابه في ش . وقد سبقت ترجمته عبید الله هذا في ٢ :

فأراد أن يفسر الإتيان بالإمام ، كما فسر الاسم الأول بالاسم الآخر .

ومثل ذلك قوله ، أنشدنيهما الأصمعي عن أبي عمرو لبعض بني أسد (١) :

إِنْ يَبْخَلُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدُرُوا لَا يَحْفِلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مَرْجَلِي نَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا (٢)

فقوله : يَغْدُوا بدلٌ من لا يحفِلُوا . وغدوهم مرجلين يفسر أنهم لم يحفِلُوا .

وسألته رحمه الله : هل يكون إن تأتنا تسأنا نعطك ؟ فقال : هذا يجوز على غير أن يكون مثل الأول ، لأن الفعل الآخر تفسير له ، وهو هو . والسؤال لا يكون الإتيان ، ولكنه يجوز الغلط والنسيان ممن يتدارك كلامه . ونظير ذلك في الأسماء : مررت برجل حمار ، كأنه نسي ثم تدارك كلامه . ١ هـ .

وعلم من هذا أن ما أنشده الشارح مركب من بيتين سهواً . فصدره للحطيئة ، وعجزه لابن الحر .

ورفع يستحمل الناس في البيت الأول لأنه خبر زال الناقصة .

وقوله : « تلمم بنا » في البيت الثالث بدل من تأتنا وتفسير له ، لأن الإمام إتيان . ولو أمكنه رفعه على تقدير الحال لجاز .

وقوله : « يغدوا عليك » في البيت الرابع بدلٌ من قوله : لا يحفِلُوا ، لأنَّ غدوهم مرجلين دليل على أنهم لم يحفِلُوا بقبیح ما أتوه ، فهو

(١) في الحيوان ٣ : ٤٧٧ أن هذا الشعر من الشوارد التي لا أرباب لها .

(٢) بعده في الحيوان والبيان ٣ : ٣٣٣ وأمال القالي ٣ : ٨٣ وعيون الأخبار ٢ : ٢٩ والصناعتين ١٠٣ :

تفسيرٌ له وتبيين . والترجيل : مَشَط الشعر وتليينه بالدهن . وحَفَلت بكذا ، أى بَالَيْتُ به .

وقوله : (متى تَأْتِهَ تعشو) إلخ . قال المرزوقي (فى شرح الفصيح) : يقال عشا يعشو ، إذا سار فى ظلمة تسمى عشوة مثلثة العين . وأنشد هذا البيت . وقال ابن يعيش : يقال عَشَوته أى قصدته فى الظلام ، ثم تُسَعِّع ففيل لكل قاصدٍ : عاشٍ .

وقال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : قوله تعشو إلى ضوء ناره ، قال الأصمعي : تَأْتِيهِ على غير هداية . وقال غيره : تجيء على غير بصر ثابت فتهتدى بناره . وقال القُتَيْبِيُّ : يقال عشوت إلى نارك أعشو عُشُوا ، إذا قَصَدْتَهَا بلبيل ، ثم سَمِيَ كُلُّ قاصدٍ عاشياً . قال صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ^(١) ﴾ إذا حَصَلت الآفة فى البصر قيل عَشِيَ كفرح ، وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عَشَا يعشُو . ونظيره : عرج ، لمن به الآفة ، وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج . قال الحطيئة :

* متى تَأْتِهَ تعشو إلى ضوء ناره ^(٢) *

أى تنظرُ إليها نظر العشى لِمَا يضعفُ بصرُكُ من عِظَمِ الوقود ، واتساع الضوء . وهو بيِّنٌ فى معنى قول حاتم :

أعشو إذا ماجرتى برزت حتى يوارى جارتى الخندر ^(٣) . ١ هـ .

(١) الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٢) عجزه كما فى الديوان ٢٥ ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ :

* تجد خير نار عندها خير موقد *

(٣) لم يرد البيت فى ديوان حاتم من مجموع خمسة دواوين ، والحق أنه لمسكين الدارمي فى ديوانه ٤٥ وحاسة الخالدين ١ : ٦٦ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٤ والخزاعة ٣٦٩١٣ . ونسبته إلى حاتم فى الكشاف للزخرفى وتفسير أبى حيان . وانظر ديوان حاتم ٣١٣ تحقيق عادل سليمان .

وقول العيني : تعشوا من عشا إذا أُنِيَ ناراً يرجو عندها خيراً أو هُدًى ،
ليس معنا ما ذكره .

وكذلك قول ابن المستوفى : يقال عشا إلى النار يعشُو إذا استدلَّ
عليها ليُبصر - ضعيفٌ .

قال عبد اللطيف البغدادي (في شرح نقد الشعر لقدامة) : وصفه
بأنَّ ناره موقدة باللَّيل ، وهذا عند العرب غاية المدح بالكرم وقِرى
الضيَّفان . ثم دلَّ بقوله تعشوا إلى ضوء ناره أنَّ السَّابِلة تستضيء بها وتَقْصِد
نحوها . وهذا صفة النَّار إذا كانت على نَشز ، ولا يفعل ذلك إلاَّ السَّيِّد
الجوادُ المطعام . وقوله :

* تجدُّ خير نارٍ عندها خيرٌ موقدٍ *

أى متى أتيتَه عاشياً إلى ضوء ناره وجدتَ خير نار ، أى أنْفَع نارٍ
للدَّفء والأَكْل ، عندها خير موقد يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد
بمن عندها مَنْ يوقدها مِنَ العِلْمان والخوَل . ويريد بقوله خير موقد كثرة
كرمهم واحتفالهم بالوارد عليهم ، وحُسن القيام عليه بجميع ما يحتاج إليه .

والثانى : يريد به الممدوح ، ووصفه بالإيقاد وإن كان سيِّداً لأنَّه
آمرٌ به ، فكأنه فاعله . ويريد بقوله خير موقد أكرم موقد ، وأسخى
موقد ، وأفضل موقد .

فعلى هذا يكون قد وصفه في هذا البيت بجماع الفضائل^(١) . وعلى

(١) ش : « بجمع الفضائل » .

التأويل الأوّل إنّما وصفه بالسّخاء فقط، لكن ذكره أولاً مفصلاً وهنأ
مجملاً، فاعرف ذلك . ١ هـ .

ويروى أنّ هذا البيت لما أنشدَ لعمرَ بن الخطّاب قال : كذب ،
تلك نار موسى صلوات الله عليه وسلامه .

٦٦٢

والبيت من قصيدة طويلة للحطيئة مدح بها بغيضَ بن عامرِ بن
شّماس بن لأى بن أنف النّاقة التميمي . وهذه أبياتٌ من آخرها ،
وهو أوّل المديح :

(فما زالت الوجناء تجرى ضفورها

إليك ابن شّماسٍ تروحُ وتغتدي

تزورُ امرأً يُؤتي على الحمد ماله

ومن يُعطِ أثمانَ المحامدِ يُحمَدِ^(١)

تَرى البخل لا يُبقي على المرء ماله

ويعلمُ أنّ الشحَّ غير مخلدِ

كسوبٌ وميتلاف إذا ما سألتَه

تَهلّل واهتزّ اهتزازَ المهنّدِ

مى تأتِه تعشو البيت

تزور امرأً إن يُعطِكَ اليوم نائلاً

بكفّيه لا يمنحك من نائل الغدِ^(٢)

هو الواهبُ الكومَ الصّفايا لجارِه

يُروحها العبدانُ في عازبِ ندي^(٣)

(١) ط : « يري على الحمد » ، صوابه في ش وديوان الحطيئة ٢٤ .

(٢) في الديوان : « وذلك امرؤ » .

(٣) في الديوان : « يروح بها العبدان » .

وهذا آخر القصيدة .

وقوله : « فما زالت الوجناء » الخ . الناقة الوجناء : الغليظة . وضمورها : أنساعها ، وإنَّما تجرى لأنَّها قلقَت من الضمر . وابن شماس : منادى .

وقوله : « تزور امرأً » إلخ ، قال عبد اللطيف البغدادي (فى شرح نقد الشعر لقدماء) : فيه صنفان من المدح : أحدهما : أنه يُؤتى ماله لاكتساب الحمد ، فخلص به ^(١) من رذيلة التبذير الذى هو إنفاق لا لغرض صحيح . والثانى : أنه ينفق ماله لطلب الحمد ، لا لعوض ^(٢) آخر فخلص به من رذيلة التقدير ، وهو أخذ العوض المحسوس فيما ينفقه . فحينئذ تمخَّص الوسط للفضيلة .

وقوله : « ومن يعط » إلخ ، أتى بقضية كلية مشهورة تقتضى استحقاها للحمد .

وقوله : « يرى البخل لا يُبقى » إلخ . دلَّ به على أن كرمه ليس لمجرد الطبع فقط ، بل عن فكرة وروية واعتقاد صحيح ، ونظير في العواقب مستقيم . قال أفلاطون فى هذا المعنى : « نِعَم البخل لو كان المال لا يؤتى عليه إلا من جهة البذل . ولكن لما كان المال معرضاً للتلف بالحوادث الخارجة التى لا يمكن الاحتراس منها ، كان إتلافه على يدئ مالكة أفضل ، لأنه يحوز به الحمد » .

وقوله : « كسوب ومِتلاف » إلخ . قال عبد اللطيف : وصفه بالشجاعة والسَّخاء جميعاً . فبالشجاعة يكتسب ، وبالسَّخاء يبذل ويتلف . ويجوز

(١) ش : « فتخلص به » .

(٢) ش : « لا لغرض آخر » .

أن يريد بكسوب أنه يكتسب الحمد ، ويقوله متلافاً البذل ، فلا يخرج إذن عن وصفه بالسَّخَاءِ ، بل يصحُّ أن يقال إنه وصفه مع السَّخَاءِ بالعقل ؛ لأنَّ السَّعَى في كسبِ الحمد من أفعال العقلاء . وقوله : « إذا ما سألتَه تهلَّل » أي استبشَّرَ واستنار مُحيَّاهُ . وهذا إنما يكون عند تناهي الجُود . وقوله : « اهتزاز المهتد » وصفه مع البشاشة بالجمال والشَّهامة ، واعتدال الحركات ، فإنَّ اهتزاز المهتد ممَّا يوصف به الشَّهم الشجاع . وأمَّا اهتزاز القضيب والغصن الرطيب ، فمما يوصف به النساءُ والمترَفون .

وقوله : « هو الواهبُ الكُوم » إلخ الكُوم : جمع كُوماء ، وهي الناقة العظيمة السَّنام . والصَّفايا : جمع صفيَّة ، وهي الناقة الغزيرة اللَّبن . والعِيدان بالكسر : جمع عبد . والعاذب : النَّبت البعيدُ عن الناس فلم يُرعَ ، فهو أتمُّ^(١) له . وهو بالعين المهملة والزاي المعجمة . وقد حرَّف العيني هذه الكلمة لفظاً ومعنى فقال : والغارب ، بالغين المعجمة والراء : ما بين السَّنام والعنق .

٦٦٣

والحطيئة تقدمت ترجمته في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة^(٢)

وأما البيت الآخر وهو :

(متى تَأْتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلاً وناراً تاججاً)

فإنَّ تلمم فيه بدلٌ من تَأْتنا ، لأنَّ الثاني - من جنس الأوَّل ، فإنه يقال : ألمَّ الرجلُ بالقوم إلماً : أتاهم فنزلَ بهم . ومنه قيل ألمَّ بالمعنى ،

(١) ط : « فهو اسم له » ، صوابه في ش .

(٢) الخزاعة ٢ : ٤٠٦ .

إذا عرّفه ، وألّم بالذنب : فعله . كذا في المصباح . كما أنّ تعشو من جنس الإتيان ، فلولا أنّه في شعرٍ لجاز جزؤه . ويدلُّ عليه كلامُ سيويوه المتقدم وكلامُ الشارح المحقق ، فإنّه لو كان مراده بالمثلية في قوله : « ويجوز في مثله البدل » وقوع المصارع بين الشرط والجزاء فقط ، لقال : إذا كان الثاني من جنس الأوّل ، ولم يقل لأنّ الثاني إلخ .

وكذا قال اللّخميّ (في شرح أبيات الجمل) ، [قال^(١) : ولو كان تعشو في موضع يقوم بالجزم فيه وزنُ الفعل^(٢) ، لجاز أن يبدل من تأتبه ، لأنّ معناهما واحد . لأنّه كثر في كلامهم حتّى صار كلُّ قاصدٍ عاشياً . والحطبُ الجزل ، بفتح الجيم : الغليظُ منه . يريد أنّهم يوقدون الجزل من الحطب لتقوى نارهم فينظرَ إليها الصيوف على بُعدٍ ويَقصِدُونها . والتأججُ : توقدُ النار . وتأججاً في البيت ماضٍ ، والألف للإطلاق وفاعله ضمير النار .

وقال أبو حنيفة (في كتاب النبات) : النارُ تذكّر وهو قليل ، وأنشد هذا البيت . ويشهد له قول الشمرذل^(٣) :

أناخوا فصالوا بالسيوف وأوقدوا بعلياء نار الحرب حتّى تأججاً
وقال بعضهم : النارُ مؤنثة لا غير ، وإنّما ردّ الضمير مذكراً لأنّه أراد بها الشهاب وهو مذكّر . وقيل لأنّ تأنّيت النار غير حقيقي ، فيكون على طريقة :

(١) التكلة من ش.

(٢) يريد وزن الشعر .

(٣) كذا في النسختين ؛ والمعروف « الشمرذل » بالذال المهملة ، وهو اسم لعدة شعراء في المؤلف ١٣٩ - ١٤٠ . لكن في القاموس وتاج العروس : « الشمرذل بالذال المعجمة أهمله الجوهري وصاحب اللسان . وقال الليث : لغة في الشمرذل بالهملة كما في العباب » .

* ولا أرض أبقل^(١) *

وقيل: الضمير راجع للحطب، لأنه أهم، إذ النار إنما تكون به .
وقيل: ليست الألف للإطلاق وإنما هي ضمير الاثنين: الحطب والنار ،
وإنما ذكر الضمير لتغليب الحطب على النار . وكذا في قوله :

مَن يأتنا يوماً يقصُّ طريقنا يجدُ حطباً جزلاً وناراً تآججاً
قال أبو علي : قال أبو الحسن : يعنى النار والحطب . وقال بعضهم :
تآججاً فعلٌ مضارعٌ محذوفٌ من أوله التاء ، والألف مبدلةٌ من نون
التوكيد الخفيفة ، والأصل تتآجججن ، فالضمير المستتر للنار المؤنثة ،
ولهذا أنث الفعل .

والبيت من قصيدة تزييد على ثلاثين بيتاً لعبيد الله^(٢) بن الحرّ ، قالها
وهو في حبس مصعب بن الزبير في الكوفة .

وكان ابن الحرّ لشهامته لا يُطِيع أحداً ، فقال الناس لمصعب : إنَّ
عبيد الله بن الحرّ كان قد أبا على المختار غير مرّة ، وخالفه وقاتله ،
وفعل مثل ذلك بعبيد الله بن زيادٍ من قبيل ، فليس لأحدٍ عليه طاعة ، ونحن
نتخوَّف أن يثور في السَّواد فيكسِر عليك الخراج كما كان يفعل ،
وقد أظهر طرفاً من الخلاف ، فألطف له حتى تحبسه . فلم يزل مصعبُ
يتلطف به ويعده يمينه الأمانى حتى أتاه ، فلما أتاه أمر به فحبس ، فقال في
ذلك قصائد ، وقال هذه القصيدة وهو في السجن لرجل من أصحابه ، وكان

(١) قطعة من الشاهد المشهور ، وهو الشاهد الثاني في الخزانة لعامر بن جوين الطائي :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

(٢) في النسختين : « لعبد الله بن الحر » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر ترجمته

حُبْسٍ مَعَهُ ، يُقَالُ لَهُ عَطِيَّةُ بِنِ عَمْرِو الْبَكْرِى ، وَذَلِكَ أَنَّ عَطِيَّةَ جَزَعَ
فِي السَّجْنِ . وَمَطْلَعُهَا :

آيات الشاهد
٦٦٤

(أَقُولُ لَهُ صَبْرًا عَطِيٌّ فَإِنَّمَا هُوَ السَّجْنُ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا)
إِلَى أَنْ قَالَ :

(وَمَنْزِلَةٌ يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ كَرِهِيَّةٌ شَدَدَتْ لَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَسْرُجًا
لَفْتِيَانِ صَدَقَ فَوْقَ جُرْدٍ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بَرَاهَا الْمَاسْخِيُّ وَسَحَّجًا
إِذَا خَرَجُوا مِنْ غَمْرَةٍ رَجَعُوا لَهَا بِأَسْيَافِهِمْ وَالطَّعْنَ حَتَّى تَفَرَّجًا
مَتَى تَأْتِنَا تَلْمَحُ بِنَا فِي دِيَارِنَا الْبَيْتِ)

وَالْقَصِيدَةُ بِتَمَامِهَا (فِي كِتَابِ اللَّصُوصِ) . وَعَطِيٌّ : مَنَادَى مَرْمُخٍ
عَطِيَّةٌ . وَالْوَاوُ فِي قَوْلِهِ « وَمَنْزِلَةٌ » وَوَرُبُّ . وَابْنُ الزُّبَيْرِ هُنَا مُصْعَبٌ .
وَأَسْرُجٌ : جَمْعُ سَرْجٍ . وَالْجُرْدُ : جَمْعُ أَجْرَدٍ ، وَهُوَ الْقَصِيرُ الشَّعْرُ مِنْ
الْخَيْلِ . وَالْقِدَاحُ : جَمْعُ قِدْحٍ بِكَسْرِ الْقَافِ فِيهِمَا ، وَهُوَ عُودُ السَّهْمِ قَبْلَ
أَنْ يُجْعَلَ لَهُ نَصْلٌ . وَالْمَاسْخِيُّ ، بِالخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : الَّذِي يَصْنَعُ السَّهَامَ .
وَسَحَّجًا بِتَشْدِيدِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَقَبْلَهَا سَيْنٌ مَهْمَلَةٌ ، أَيْ نَحْتَهُ وَمَلَّسَهُ .

وَالْغَمْرَةُ ، بِفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ : الشُّدَّةُ . وَالطَّعْنَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَسْيَافِ ،
وَتَفَرَّجًا أَصْلُهُ تَتَفَرَّجُنْ بِنُونٍ تَوْكِيدٍ خَفِيفَةٍ ، فَفَلَقِبَتْ أَلْفًا ، وَحَذَفَتْ
التَّاءَ مِنْ أَوَّلِهِ ، وَمَعْنَاهُ تَتَكَشَّفُ . وَالْفُرْجَةُ : الثُّلْمَةُ . وَفَاعِلُهُ ضَمِيرُ الْغَمْرَةِ .

وَقَوْلُهُ : (مَتَى تَأْتِنَا) فَاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ فِيهِ رَاجِعٌ لَفْتِيَانِ . وَكَذَلِكَ الْحَالُ
فِي (تَلْمَحُ) وَ(تَجِدُ) ، وَليست التاء فيها للخطاب . وَرَوَاهُ صَاحِبُ كِتَابِ
اللَّصُوصِ :

مَتَى تَأْتِنِي فِي مَنْزَلٍ قَدْ نَزَلْتَهُ تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا الْبَيْتِ

وترجمة ابن الحرّ تقدّمت مفصّلة في الشاهد التاسع بعد المائة^(١).

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد السبعمئة^(٢).

٧٠٣ (دَعْنِي فَأَذْهَبَ جَانِبًا يَوْمًا وَأَكْفِكَ جَانِبًا)

على أَنَّهُ عَطَفَ (أَكْفِكَ) مَجْزُومًا عَلَى جَوَابِ الأَمْرِ الْمَنْصُوبِ بِأَنَّ
بَعْدَ الْفَاءِ السَّبْبِيَّةِ . وَهُوَ فَأَذْهَبَ ، عَلَى تَوْهْمِ سَقُوطِ الْفَاءِ وَجُزْمِ أَذْهَبَ فِي
جَوَابِ الأَمْرِ .

قال صاحب المفصّل : وسأل سيوييه الخليل عن قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا
أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٣) ، فقال : هذا
صاحب الشاهد كقول ابن معديكرب^(٤) :

دَعْنِي فَأَذْهَبَ جَانِبًا يَوْمًا وَأَكْفِكَ جَانِبًا

وكقوله :

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكًا مَا مَضَى

ولا سابق شيئاً إذا كان جائئاً^(٥)

أى كما جرّوا الثاني ، لأنَّ الأَوَّلَ تدخله الباء^(٦) فكانها ثابتة فيه .
فكذلك جرّموا لأنَّ الأَوَّلَ يكون مجزوماً ولا فاء فيه ، فكانه مجزوم . اهـ .
أقول : بيت ابن معديكرب لم يورده سيوييه في كتابه البتّة ،

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) ابن يعيش ٧ : ٥٦ .

(٣) الآية ١٠ من سورة المنافقين .

(٤) في النسختين : « معديكرب » في هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .

(٥) هو الشاهد التالي .

(٦) ط : « يدخله الباء » .

لا هنا ولا في موضع آخر ، كما يظهر لك من نقل كلامه بعد هذا .
وقد خَبَطَ ابن المستوفى هنا خَبَطَ عشواءً من وُجوه^(١) فقال بعد أن نقل
عبارة المفصل : الأوَّل من المسألتين كثيرٌ فصيح ، كقوله تعالى :
﴿ مَنْ يُضِلِّ اللهُ فَمَا هَادِيَ لَهُ وَيَنْذِرْهُمْ ﴾^(٢) . والثاني لحنٌ لا يأتى إلا في
ضرورة شعر ، لأنَّ الأوَّل محقق فيه الجزم موضعاً لوجود الفاء ، والثاني
مُتوهمٌ فيه الجرُّ لعدم الباء . هذا إذا ثبت أنه روى بفتح الباء في قوله :
فأذهب ، ولو روى بسكونها كان معطوفاً عليه لفظاً ، وإذا فتحت الباء
كان وأكفك معطوفاً على محل الفاء ، لأنها واقعة موقع الجزاء المجزوم . اهـ
أحدها : أن الآية لا مناسبة لإيرادها هنا .

ثانيها : أن بيت زهير لم يقل أحدٌ إنه من قبيل اللحن . وكيف
يسوغ تلحين أهل اللسان لاسيما زهير .

ثالثها : قوله : « هذا إذا ثبت أنه روى بفتح الباء » إلخ ، كأنه
لم يثبت عنده فتح الباء ، مع أنه ثابتٌ عند جميع الرواة .

رابعها : قوله : « ولو روى بسكونها » إلخ ، يعني أنه يكون عطفَ أمرٍ
على أمر . وفيه أنه يخرج حينئذ عن كونه شعراً .

خامساً : قوله : « كان أكفك معطوفاً على محلّ الفاء » إلخ عبارة قلقة ،
وحقُّ التعبير : على توهم سقوط الفاء وجزم أذهب ، وهو المسمى عطفَ
التوهم ، والعطف على المعنى .

(١) ط : « من وجده » ، صوابه في ش .

(٢) الآية ١٨٦ من الأعراف . وقراءة الجزم هي قراءة حمزة ، والكسائي ، وخلف .
إتحاف فضلاء البشر ٢٣٣ .

هذا: وقال ابن الحاجب (في أماليه): يجوز أن يكون المعنى اتركني أتصرف فأذهب إلى جهة فأكفيك جانباً تحتاج إلى كفايته بتصرفي وذهابي . ويجوز أن يريد : دعني يوماً وأكفك جانباً يوماً. أي : إذا تصرفت لنفسي يوماً كفيتك جهةً تخشاها يوماً آخر . ٥١ .

وقال بعض فضلاء العجم : انتصب جانباً الأوّل على الظرف ، والثاني على أنه مفعولٌ ثانٍ لأكفك ، كأنه خطابٌ لمن عدّله على السفر والبعد ، أي اتركني أذهب في جانب من الأرض وأكفيك جانباً من الجوانب التي تتوجّه إليها .

وهذا البيت لم أجده في ديوان عمرو بن معد يكرب ، فإنّي تصفّحت ديوانه مراراً فلم أره فيه ، كما أنّ غيري تصفّح ديوانه فلم يجد فيه . والله أعلم .

* * *

وأنتد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد السبعمئة ، وهو من شواهدس (١) :

٧٠٤ (بدالي أنّي لستُ مدركٌ ما مضى

ولا سابقٍ شيئاً إذا كانَ جائياً)

على أنّ قوله : (سابق) بالجر معطوف على مدرك على توهم الباء فيه ، فإنّه يجوز زيادة الباء في خبر ليس ، كقوله تعالى : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده ﴾ (٢) .

(١) في كتابه ١ : ٨٣ ، ١٥٤ ، ٢٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢ / ٢ : ٢٧٨ وانظر المقتضب ٢ : ٣٣٩ / ٤ : ١٩١ ، والأصول ١ : ٣٠٦ ، والجمل ٩٦ والخصائص ٢ : ٣٥٣ ، ٤٢٤ ومختصر القوافي لابن جني ٢٦ والإنصاف ١٩١ ، ٣٩٥ ، ٥٦٥ وابن يعيش ٢ : ٥٢ / ٧ : ٥٦ / ٨ : ٦٩ والمغني ٩٦ ، ٢٨٨ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٥٥١ ، ٦٧٨ والعيني ٢ : ٣٦٧ / ٣ : ٣٥١ والمهمل ٢ : ٢٤١ وديوان زهير ٢٨٧ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الزمر .

قال سيويه (في باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي ، لأنَّ فيها^(١) معنى الأمر والنهي) : وسألت الخليل عن قول الله عزَّ وجل : ﴿ فَاصْدَقْ وَآكُنْ^(٢) ﴾ فقال : هو كقول زهير :

بدالى أنى لستُ مدركَ ماضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيساً
فإنما جرؤوا هذا لأنَّ الأول تدخله الباء ، فجاءوا بالثاني وكأنَّهم
قد أثبتوا فى الأول الباء . وكذلك هذا لما كان الفعل الذى قبله قد
يكون جزمًا ولا فاء فيه تكلموا بالثاني وكأنَّهم قد جزموا قبله . فعلى
ذلك توهموا هذا . هـ .

وهذا كما ترى ليس فيه البيت السابق . وبيان الآية وأولها : ﴿ رَبِّ
لولا أخرتنى إلى أجلٍ قريبٍ فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ : أن لولا
معناها الطلب والتخصيص ، فإذا قلت لولا تعطينى ، معناه أعطينى ، فإذا
أتى لها بجواب كان حكمه حكم جواب الأمر ، إذ^(٣) كان فى معناه وكان
مجزوماً بتقدير حرف الشرط ، فإذا أجبت بالفاء كان منصوباً بتقدير
أن ، فإذا عطف عليه فعلاً آخر جاز فيه وجهان : النصب بالعطف على
ما بعد الفاء ، والعزم على موضع الفاء لو لم تدخل وتقدر سقوطها .

٦٦٦

وقد ذكر سيويه هذا البيت فى ثلاثة مواضع أخر من كتابه^(٤) .

أحدها : فى باب الفاء عند ذكر نواصب الفعل ، قال فيه بعد أن
أنشده : لما كان الأوّل يُستعمل فيه الباء ولا تغيّر المعنى ، وكانت

(١) فى النسختين : « فيه » ، صوابه فى سيويه ١ : ٤٥٢ .

(٢) الآية ١٠ من سورة المنافقين .

(٣) ط : « إذا » صوابه فى ش .

(٤) هى ست مواضع أخر ، كما سبق فى تخريج الشاهد .

مما يلزم الأوَّل نَوُوها في الحرف الآخِر، حتَّى كأنَّهم قد تكلموا بها في الأوَّل .

ثانيها: قُبيلَ باب يضمرون فيه الفعل لُبح الكلام، أنشده فيه كذلك.

ثالثها : وهو أول موضع وقع في كتابه، أنشده في باب اسم الفاعل يعمل عمل فعله ، بنصب سابقٍ قال : إذا كان اسم الفاعل منوناً ينصب المفعول به .

وأُنكر المبرِّد روايةَ الجر وقال : حروف الخفض لا تُضمر وتعمل . والرواية عنده : « ولا سابقاً » بالنصب ، « ولا سابقى شيئاً » بالإضافة إلى الياء ورفع شيء على أنه فاعل سابق . وروى أيضاً : « ولا سابق شيئاً » بالرفع على أنه خبر لمبتدأٍ محذوف ، والتقدير : ولا أنا سابق شيئاً .

قال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : وفي هذا البيت شاهدٌ آخر وهو إضافة اسم الفاعل المعمل ، وذلك قوله : « مدرِّك ما مضى » . والدليل على أنه مُعملٌ أنه خبر ليس ، وليس لا تنفي ماضياً ، وإنما تنفي المضارع ، وعطفُ سابق عليه . وفيه تقديرُ المصدر على المعنى ، إذ لم يكن للفعل الواقع بعدها مصدرٌ ، فيكون التقدير : بدا لي امتناعٌ إدراكٍ ما مضى . وإنما قدِّرَ المصدر من غير اللفظ ، لأنَّ ليس لا مصدر لها . بدا : ظهرَ . وأنَّى بالفتح . وجملة لست إلخ في محلِّ خبر أنَّ ، وأنَّ ومعمولاها في تأويل مصدرٍ مرفوعٍ فاعلٌ بدا . وما موصولة ومضى صلتها ، أو ما نكرة ومضى في محلِّ الصِّفة . وإذا شرطيةٌ حذف جوابها ، ويدلُّ عليه ما قبلها . ولا يصحُّ أن تكون ظرفيةً ، لأنَّ الشيء لا يسبق وقت مجيئه ، وإنما

يسبق قبل مجيئه ، والعامل في إذا الشرطية هنا خبر كان ، أو نفس كان إن قلنا بدلالاتها على الحدث .

والبيت نسبه سيويه تارةً إلى زهير بن أبي سلمى ، وتارة إلى صرمة صاحب الشاهد الأنصارى . وقال ابن خلف : وهو الصحيح . ويروى لابن رَوَاحَةَ الأنصارى وقد تقدم إنشأه في قصيدة زهير في الشاهد الخامس والخمسين بعد الستائة^(١) .

باب الأمر

أنشد فيه :

(لتقم أنت يا ابن خير قريش)

تقدم شرحه في الجوازم في الحادى والثمانين بعد السهائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

* محمدٌ تفدِ نفسك كلُّ نفسٍ *

تقدم شرح هذا أيضاً هناك^(٢) .

(١) انظر ما سبق في ص ١٤ .

(٢) يعنى الشاهد الثمانين بعد السهائة . وقد سبق في ص ١١ - ١٤ .

المتعدى وغير المتعدى

٦٦٧

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس بعد السبعمئة^(١) :

٧٠٥ (يقرآن بالسُّورِ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(تلك الحرائرُ لا رَبَّاتُ أحمره

سُودِ المخاجرِ لا يَقْرَأُ بالسُّورِ)

على أَنَّ الباءَ زائدةٌ في المفعول به .

قال ابن هشام (في المغنى) : وقيل ضمَّنَ يقرآن معنى يرقين ويتبركن ، وأنه يقال : قرأت بالسُّورة ، على هذا المعنى ، ولا يقال قرأت بكتابك ، لفوات معنى التبرك . قاله السهيلي .

وقال أيضاً (في أوّل الباب الثامن) : قد يُعطى النَّفْيُ حكم ما أشبهه في معناه ، ومنه إدخال الباء في لا يقرآن بالسُّور ، لما دخله من معنى لا يتقرَّبَن بقراءة السُّور . ولهذا قال السُّهيلي : لا يجوز أن تقول : وَصَلَ إِلَى كِتَابِكَ فقرأتُ به ، على حدِّ قوله : لا يقرآن بالسُّورِ ، لأنَّه عارٍ عن معنى التقرب . ١٠٥ هـ .

ولا يخفك أنَّ ما نقله عن السهيلي في الموضعين مختلف ، وكأنَّه أشار إلى أنَّ مدار التضمين لفظٌ يجوز أن يتعدَّى بالحرف المذكور ، أي لفظ كان . وكلُّ من هذه الألفاظ المذكورة يتعدَّى بالباء ، ولكنَّ كلام السُّهيلي مبنيٌّ على أنَّ التضمين قياسي .

(١) مجالس ثعلب ٣٦٥ والمخص ١٤ : ٧٠ وابن يعيش ٨ : ٢٣ والمغنى ٢٩ ، ١٠٩ ،

٦٧٥ وديوان الراعي ٨٧ و القتال الكلابي ٥٣ . واللسان (قرأ) .

صاحب الشاهد والبیت وقع في شعرين : أحدهما للرّاعي النّميري ، والثاني للقتال الكلابي .

أما الأوّل فهو من قصيدةٍ أوّلها :

(يا أهلُ ما بالُ هذا الليلِ في صَفَرٍ
يزداد طويلاً وما يزداد في قِصَرِ
في إثرٍ من قُطِعت عني قرينته
يوم الحَدَالِي بأسبابٍ من القَدْرِ
كأنّما شقَّ قلبي يومَ فارقهُم
قسمين : بين أخى نجدٍ ومنحدرِ
هُمُ الأحبّةُ أبكى اليومَ إثرهمُ
قد كنتُ أطربُ إثرَ الجيرة الشُّطْرِ
فقلتُ والحرّةُ الرّجلاءُ دونهمُ
ويطنُ لجانَ لَمّا اعتادني ذكري
صَلّى على عزة الرّحمنُ وابنتِها
ليلي ، وصلّى على جاراتها الأخرِ
هن الحرائرُ لارباتٍ أحمره (البیت)
وهي قصيدةٌ طويلةٌ تزيد على الخمسين .

قوله : « في صفر » هو اسم الشهر ، قالوا : خصّه لأنّ الهَمّ فيه أصابه .
وقيل كان صفرُ صيفاً ، وليل الصيف قصير ، فقال : كيف طال عليّ
الليل في الصّيف ؟ ! وإنّما ذلك لما هو فيه من الغمّ ، فلذلك طال عليه
الليل . كذا قال ابن المستوفى .

وقوله : « في إثر » متعلقٌ ببيزداد . وأراد بالقرينة الحبيبة ، لأنها تشبه القمر . والحدائي بفتح المهملة والقصر : موضع .

والجيرة : جمع جار بالجيم . والشطُرُ بضمّتين : جمع شطير ، وهو البعيد .

والحرّة الرّجلاء : موضعٌ في ديار جُذام ، الأوّل بالمهملة والثاني بالجيم . ويروى : « والحرّة السّوداء » . ولجّان ، بفتح اللام وتشديد الجيم : وإدِ قِبَلِ حرّةِ بني سُلَيْم .

وقواه : « صُلِّيَ على عَزّة » إلخ الصّلاة : الرحمة . وعزّة بفتح المهملة وتشديد المعجمة : محبوبة كثيرٍ الشاعر .

وقوله : (تلك الحرائر) إلخ ، الإشارة بتلك إلى النساء المذكورة . وإيثار اسم الإشارة لتمييزهنّ أكملَ تمييز ، وكونه بالبعيد للتعظيم . وروى : « هُنَّ الحرائر » . وتلك مبتدأ ، والحرائر خبره ، وقال بعض أفاضل العجم : الحرائر صفتها . وقوله (لا ربّات) هو الخبر . ويبطله رواية هُنَّ الحرائر ، وهو جمع حرّة ، ومعناها الكريمة والأصيلة ، وضدّ الأُمّة .

٦٦٨ والربّات : جمع ربّة بمعنى صاحبة . ولا نافية عاطفة على هُنَّ أو على تلك . قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : والأحمرّة : جمع حِمَارٍ بالحاء المهملة جمع قِلّة . وخصّ الحمير لأنّها رُدّالُ المالِ وشرُّه . يقال « شرُّ المالِ مالا يزكّي ولا يُدكّي »^(١) . ا هـ .

وكذا ضبط هذه الكلمة صاحبُ (كتاب اللصوص) وابن المستوفى . وقد صحّف الدّمامينيُّ (في الحاشية الهندية) هذه الكلمة بالخاء المعجمة

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقي ٣٧٨ - ٣٧٩ .

وقال : والأخمرة : جمع خِمار ، وهو ما تسترُّ به المرأةُ رأسها . وفي القاموس : « وكلُّ ما ستر شيئاً فهو خِمار » . هذا كلامه ^(١) ، وتبعه من بعده .

وقوله : (سُود المحاجر) صِفَةُ رَبَّاتٍ ، لَأَنَّ إِضَافَةَ مَا بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ الْمُسْتَمَرِّ تَخْفِيفِيَّةٌ ^(٢) لا تَفْهِيْدُ تَعْرِيفاً ، كَقَوْلِهِمْ : نَاقَةٌ عُبْرُ الْمَهِاجِرِ ^(٣) ، أَيْ عَابِرَةٌ فِيهَا . وَكَذَلِكَ سُودُ الْمَهِاجِرِ ، أَيْ مَسْوَدَّةٌ مَهِاجِرَةٌ ، وَهُوَ جَمْعٌ مَحْجَرٌ كَمَجْلِسٍ وَمِنْبَرٍ . قَالَ الْجَوَالِيقِيُّ : هُوَ مِنَ الْوَجْهِ حَيْثُ يَقَعُ عَلَيْهِ النَّقَابُ ، وَمَا بَدَأَ مِنَ النَّقَابِ أَيْضاً . ا هـ . وَأَرَادَ بِهَذَا الْوَصْفِ الْإِمَاءَ السُّودَ .

قال (صاحب أشعار اللصوص) : سود المحاجر من سواد الوجه ، وخصَّ المحاجر دون الوجه والبدن كله لآنه أولُّ ما يُرى . ومن هذا قولُ النابغة :

* ليست من السُّودِ أعقاباً إذا انصرفت ^(٤)

وإنما أراد سواد الجسدِ كله .

وجملة (لا يقرآن) صفة ثانية لربّات . قال الجواليقي : يقول : هنَّ خَيْرَاتٌ كَرِيْمَاتٌ ^(٥) ، يتلون القرآن ، ولسنَ بِإِمَاءٍ سُودِ ذَوَاتِ حُمْرٍ يَسْقِيْنَهَا . ا هـ .

(١) ش : « وهذا كلامه » ، بزيادة الواو .

(٢) في النسختين : « تخفيفة » ووجهه ما أثبت . والمراد أنها إضافة لفظية .

(٣) في النسختين : « عبرة » ، صوابه ما أثبت . والكلمة مثلثة الفاء مع سكون العين ، كما في اللسان والقاموس . وفي القاموس أنها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والواحد والجمع .

(٤) عجزه في ديوانه ٦٥ من مجموع خمسة دواوين :

* ولا تبيع بجنبي نخلة البر ما *

(٥) ط : « هن من خيرات كريمات » ، وأثبت ما في ش والجواليقي .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : إِنَّ تِلْكَ
الْحَرَائِرَ لَيْسَتْ أَرْبَابَ أَخْمَرَةَ وَلَا يَتَسْتَرْنَ بِهَا ، سَوْدُ الْمَحَاجِرِ لِهَزَانِهَا
أَوْ لِكِبْرِ أَسْنَانِهَا ، جَاهِلَاتٌ لَا يَقْرَأْنَ الْقُرْآنَ . هَذَا كَلَامُهُ . وَهَذَا
لَا يُقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ .

وعنده أَنَّ أَخْمَرَةَ بِالْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ كَمَا مَرَّ .

وترجمة الراعي تقدّمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة ^(١) :

وَأَمَّا الشَّعْرُ الثَّانِي فَهُوَ لِلْقِتَالِ الْكِلَابِيِّ . قَالَ صَاحِبُ (كِتَابِ اللُّصُوصِ) :
أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ ، حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ مَالِكٍ ، أَنَّهُ شَدِنِي
شَدَّادُ بْنُ عُقْبَةَ ، لِلْقِتَالِ فِي ابْنِهِ عَبْدِ السَّلَامِ :

(عَبْدَ السَّلَامِ تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى ظُعُنًا
إِنِّي كَبِيرْتُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ ذُو بَصَرٍ
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ فِتْيَانَنَا أَقُولُ لَهُمْ
بِالْأَبْرِقِ الْفَرْدِ لَمَّا فَاتَنِي نَظْرِي
يَا هَلْ تُرَوِّنَ بِأَعْلَى عَاسِمٍ ظُعُنًا
نَكَّيْنِ فَحَلَيْنِ وَاسْتَقْبَلِنِ ذَا بَقَرٍ
صَلَّى عَلَى عَمْرَةَ الرَّحْمَنِ وَابْنَتِهَا
لَيْلَى ، وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْأَخْرَ

هُنَّ الْحَرَائِرُ (البيت)

وعبد السلام منادى . ووطن : جمع ظعينة ، وهي المرأة في الهودج .
والأبرق الفرد : موضع ، وكذلك عاسم ، بالمهملتين ، وفحلين بإعراب
الثنى ، وذو بقر : أسماء مواضع . وأراد بهذه الظعن نساءه وحريره .

قال ياقوت (في معجم البلدان) : فحلين بلفظ التثنية : موضع
في جبل أحد . وأنشد هذه الأبيات .

والقتال الكلابي اسمه عبد الله بن مجيب بن المصريحى بن عامر
ابن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب . وقيل اسمه : عبادة بن
المجيب . وقيل اسمه : عبید بن مجيب ، وكنيته أبو المسيب . كذا (في
كتاب اللصوص) .

القتال الكلابي

وهو شاعر إسلامي كان في الدولة الروانية في عصر الراعي والفرزدق
وجريز ، ولقب بالقتال لتمرده وفتكه . وكان شجاعاً شاعراً . وكان
في دناءة النفس كالحطيئة ، وكانت عشيرته تبغضه لكثرة جنائاته ،
وما يلحقها من آذاه ، ولا تمنعه من مكروه يلحقه .

وأورد له صاحب كتاب اللصوص جنائات كثيرة ، وله فيها أشعار .

* * *

وأنشد بعده :

(إذا لم تجد من دون عدنان والداً

ودون معدٍ فلتزعك العواذل)

على أن (دون) معطوف على محل الجار والمجرور ، أعني « من دون »

وكانه قال : فإن لم تجد دونَ عدنان والدًا ودونَ معدٍّ . وقوله : (فلتزَعَكْ)
بفتح الزاى : أمرٌ من وزعته أزعهُ وزَعَاً : إذا كَفَفْتَهُ .

وقد تقدّم شرحُه مستوفىً فى الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السادس بعد السبعائة (٢) :

٧٠٦ (أشارتْ كُليبٍ بالأَكُفِّ الأصابعُ)

على أن بقاءَ عملِ حرفِ الجرِّ بعدِ حذفه شاذٌّ . وعند ابنِ عصفور
ضرورة ، والتقدير : أشارتْ إلى كليبٍ ، وكان القياسُ النَّصَبَ بعد
حذفِ الجارِ .

وقد رأيتُه (فى ديوانه) و (فى المناقضات) منصوباً . وأنشده أبو على
الفرسى (فى التذكرة القصصية) بالرفع . وكذا رأيتُه (فى شرح
المناقضات) ، قال شارحها : أراد : أشارتْ الأصابعُ : هذه كليبٌ . ويروى :
« أَشَرَّتْ كليباً » ، أى رفَعَتْ .

وهذا المصراعُ عجزٌ ، وصدوره :

(إذا قيلَ أىُّ النَّاسِ شرُّ قبيلةً)

والبيت من قصيدة عدتها خمسةٌ وأربعون بيتاً للفرزدق ، ناقض بها
قصيدةً لجرير هجاه بها على هذا الروى ، وغالب أبياتها فى كتب النحو .
وهذا مطلعها :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(مِنَّا الذى اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً)

وخييراً إذا هبَّ الرِّيحُ الزَّعْزَاعُ

(١) الخزانة ٢ : ٢٥٢ - ٢٥٩ .

(٢) الناقض ٧٠٢ والمنفى ١١ ، ٦٤٣ ، والمعنى ٢ : ٥٤٥٢ / ٣ : ٣٤٥ ، والتصريح

٢١٢ : ٢ ، والمع ٣٦ ، ٨١ ، والأشوفى ٢ : ٩٠ ، وديوان الفرزدق ٥٢٠ .

(م ٨ - خزانة الأدب - ج ٩)

ومنا الذى قاد الجيادَ على الوجى
 لِنَجْرَانٍ حَتَّى صَبَّحَتْهَا النَّزَائِعُ^(١)
 ومنا الذى أَعْطَى الرَّسُولُ عَطِيَّةً
 أُسَارَى تَمِيمٍ وَالْعَيْوُونَ دَوَامِعُ
 ومنا الذى يُعْطَى الْمُثِينَ وَيَشْتَرَى أَلْ
 غَوَالِي وَيَعْلُو فَضْلُهُ مَنْ يُدَافِعُ
 ومنا خَطِيبٌ لَا يُعَابُ وَحَامِلٌ
 أَغْرٌ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَجَامِعُ
 ومنا الذى أَحْيَا الْوَثِيدَ ، وَغَالِبٌ
 وَعَمْرُو ، وَمَنَا حَاجِبٌ وَالْأَقْصَارُ
 أَوْلَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ
 إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ
 بِهِمْ أَعْتَلِي مَا حَمَلْتَنِي مَجَاشِعُ
 وَأَصْرَعُ أَقْرَانِي الَّذِينَ أُصَارِعُ
 فَيَاعْجَبَا حَتَّى كَلِيبُ نَسْبِي
 كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلُ أَوْ مَجَاشِعُ
 تَنَحَّ عَنْ الْبَطْحَاءِ إِنَّ قَدِيمَهَا
 لَنَا ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ الْفَوَارِعُ
 أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
 لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ
 أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا لِثَامًا أَدِقَّةُ
 بِأَحْسَابِنَا ، إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

(١) ترتيب هذا البيت هو السابع في كل من النقائص والديوان .

وَكُلُّ فَطِيمٍ يَنْتَهَى لِفَطَامِهِ
 وَكُلُّ كَلْبِيٍّ وَلَوْ شَابَ رَاضِعٌ^(١)
 تَزِيدُ يَرْبُوعٌ بِهِمْ فِي عَدِيدِهِمْ
 كَمَا زِيدٌ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعِ^(٢)
 إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ
 أَشَارَتْ كَلْبِيًّا بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعِ

٦٧٠

وقوله: «منا الذي اختير الرجال سماحةً»، يأتي شرحه إن شاء الله في بيتٍ بعد هذا .

وقوله: «ومنا الذي قاد الجياد» إلخ، هذا هو الأقرع بن حابس، وعمرو بن كلثوم، كلاهما غزوا نَجْرَانَ .

وقوله: «ومنا الذي أعطى الرسولُ» إلخ هذا يومُ بني عمرو بن جُنْدَبٍ، حين ردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبيهم. وقال أبو عبيدة: كَلَّمَ الْأَقْرَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِ الْحُجْرَاتِ، وَهُمْ بَنُو عَمْرٍو بْنِ جُنْدَبٍ، فَرَدَّ سَبِيَهُمْ .

وقوله: «ومنا خطيبٌ» إلخ الخطيب هو عطارد بن حاجب بن زُرارة، حين وفدَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم . والحامل: عبد الله بن حكيم، الذي حَمَلَ الْحَمَالَاتِ يَوْمَ الْمِرْبَدِ، يَوْمَ قُتِلَ مَسْعُودُ ابْنِ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ .

(١) في كل من الديوان والنقائض: «وإن شب» .

(٢) الديوان والنقائض: «في عدادهم» .

وقوله: «ومنا الذي أحيا الوئيد» هو جدُّه صعصعة بن ناجية، كان يشتري البنت ممن يريد وأدها، فأحيا ستاً وتسعين مؤودةً إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فيا عجباً حتى كليب، البيت، يأتي شرحه إن شاء الله تعالى في حتى الجارة.

وقوله: «إذا قيل أيُّ الناس» إلخ إنما بنى قيلَ بالبناء للمفعول لأنه أراد التعميم، أي إذا قال قائل. وجملة أيُّ الناس شرُّ قبيلة من المبتدأ والخبر نائب الفاعل، ونيابة الجملة مختصة بالقول نحو: ﴿ثم يُقالَ هذا الذي كُنتُم بِهِ تُكذِّبون^(١)﴾ لأنَّ الجملة التي يراد بها لفظها تنزل منزلة الأسماء المفردة. و (شرُّ) أفعال تفضيل حُذفت منها الهزمة. و (أشارت) جواب إذا. وروى أبو علي (في تذكرته): «أشَّرت» بدله، وقال: يريد أشارت إليها بأنَّها شر الناس، يقال لا تُشِرُّ فلاناً، أي لا تُشِرُّ إليه بشرٌّ. وإنَّما قال أشارت للإيماء إلى أنَّ حال هذه القبيلة في الشر قد صار أمراً محسوساً يُشار إليه. و(الأصابع) فاعل أشارت، وإنَّما جمع للتنبية على كثرة المشيرين^(٢)، كلُّ واحدٍ منهم يُشير إليهم^(٣) بإصبعٍ واحدةٍ كما هو المعتاد.

قال الدماميني: وبالأكف حال من الأصابع، أي أشارت الأصابع في حالة كونها مع الأكف. يعني أنَّ الإشارة وقعت بالمجموع. قال:

(١) الآية ١٧ من سورة المطففين.

(٢) ط: «المشير من»، صوابه في ش.

(٣) ط: «لا يشير إليهم»، وأثبت ما في ش. والمألوف أن يشار بإصبع واحدة فقط.

وقد يكون عنى أن الإشارة وقعت على خلاف المعتاد، فيكون إثبات «لا» مقبولا.

وفيه مزيدٌ ذمٌ لهذه القبيلة ، فالباءُ على هذا للمصاحبة . وقيل هذا من قبيل القلب المقبول ، لتضمُّنه معنىً لطيفاً ، وهو المبالغة في همجٍ هذه القبيلة ، لإيهامه أنه صار يُشار إليها حال السؤال عن حالها على خلاف المعتاد ، لمزيدٍ شرّها . والأصل : أشارت الأَكْفُ إلى كليب بالأصابع ، فالباءُ للاستعانة . قال ابن الحنبلي : ويقوَّى الأوَّلُ أنه يقال : فلانٌ يشار إليه بالأصابع ، ولا يقال بالكفِّ ، فلتكن الأصابع هنا هي المشيرة ظاهراً وباطناً ، على التجوُّز في الإسناد ، من دون قلب .

ورد ابن الملاء على شيخه بأنه إنَّما يقال ذلك حيث يُطوى ذكر الفاعل ، وما في البيت ليس كذلك ، على أن ما يقال إنَّما يقوَّى وجه القلب ، لدخول الباء فيه على الأصابع .

والناس : اسمٌ جمعٌ لإنسان ، أصله أناسٌ حذفتم همزته تخفيفاً . وفي القاموس : الناس يكونون من الإنس ، ومن الجن .

والقبيلة : واحدة قبائل العرب ، وهي الطبقة الثانية من الطبقات الست التي عليها العرب ، وهي الشَّعب بالفتح ، والقبيلة ، والعمارة^(١) والبطن ، والفخذ ، والفصيلة . فالشَّعب يجمع القبائل ، وهي تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل . وإنَّما قيل لها قبيلة أخذاً من قبيلة الرأس وقبائله : القِطْع المشعوبُ بعضها إلى بعض ، وذلك لتقابلها وتناظرها في الشَّعب كما قيل له شَّعبٌ لتشعب القبائل إليه أو منه .

(١) العمارة بكسر العين وفتحها ، كما في اللسان والقاموس . وما بعده إلى «العمارة» التالية ساقط من ش .

وكليب ، بالتصغير : أبو قبيلة جرير ، وهو كليب بن يربوع بن حنظلة .

وردّ عليه جريرٌ في مناقضته بمثل هذا البيت فقال :
 إذا قيل أىُّ الناس شرُّ قبيلة وأعظمُ عاراً قيل : تلك مُجاشع^(١)
 وقبيلةٌ في البيتين بالنصب على التمييز .
 وتقدّمت ترجمة الفرزدق في الشاهد الثلاثين^(٢)

* * *

وأُشِدُّ بعده ، وهو الشاهد السابع بعد السبعمئة^(٣) :

٧٠٧ (تَمْرُونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا)

على أنّ حذف الجار منه على سبيل الشذوذ ، والجارُّ المحذوف إمّا الباء ، وإمّا على ، فإنَّ المرور يتعدّى بهما .

قال ابن هشام (في المعنى) : وعن الأَخفش في مررت بزید ، أنّ المعنى مررت على زيد ، بدليل (لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ^(٤)) . وأقول : إنّ كلاً من الإلصاق والاستعلاء إنّما يكون حقيقياً إذا كان مُفَضِّياً إلى

(١) ديوان جرير ٣٧٣ والنقائض ٦٩٥ . وما يجدر ذكره أن الذى بدأ المناقضة هو جرير ، وأن الفرزدق صنع نقيضته جواباً على جرير . على أن جريراً كرر هذا المعنى في قوله لعبد العزيز ابن الوليد مادحاً :

إذا قيل أى الناس خير خليفة أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

ديوان جرير ٣٥٧ والنقائض ٣٥١ .

(٢) الخزائن ١ : ٢١٧ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٨ / ٩ : ١٠٣ ، والمقرب ١ : ١١٥ و رصف المبانى ٢٤٧ ، والمعنى ١٠٢ ، ٤٧٣ ، والمعنى ٢ : ٥٦٠ ، والممع ٢ : ٨٣ ، والأشباه والنظائر للسيوطى ٤ : ١٩٤ / ٢٢٤ ، وديوان جرير ٥١٢ .

(٤) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

نَفْسَ المَجْرورِ ، كَأَمْسَكَتْ بَزِيدَ ، وَصَعِدَتْ عَلَى السَّطْحِ . فَإِنَّ أَفْضَى إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنْهُ فَمَجَازِيٌّ كَمَرَرْتُ بَزِيدَ ، فِي تَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ ، أَيْ أَلْصَقْتُ مَرورِي بِمَكَانٍ يَقْرُبُ مِنْهُ . وَكَقَوْلِهِ :

* وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحْلَقُ ^(١) *

فَإِذَا اسْتَوَى التَّقْدِيرَانِ فِي الْمَجَازِيَّةِ فَالْأَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً أَوَّلَى بِالتَّخْرِيجِ عَلَيْهِ ، كَمَرَرْتُ بِهِ وَمَرَرْتُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَ كَمَا فِي : ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ ^(٢) ﴾ ، ﴿ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ^(٣) ﴾ .

* وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّثِيمِ يَسْبِنِي ^(٤) *

إِلَّا أَنَّ مَرَرْتُ بِهِ أَكْثَرُ ، فَكَانَ أَوَّلَى بِتَقْدِيرِهِ أَصْلًا . وَيَتَخَرَّجُ عَلَى هَذَا الْخِلَافِ خِلَافٌ فِي الْمَقْدَرِ فِي قَوْلِهِ :

* تَمْرُونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا *

أَهُوَ الْبَاءُ أَوْ عَلَى . ١ هـ .

يَعْنَى : فَمَنْ سَاوَى بَيْنَ التَّقْدِيرَيْنِ قَدَّرَ أَيُّهُمَا شَاءَ ، لِصِحَّةِ الْمَعْنَى بِهِمَا . وَمَنْ رَجَّحَ الْبَاءَ لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِ قَدْرُهَا ، لِأَنَّهُ مَتَى أَهَكَنَ الْمَصِيرُ إِلَى الْأَصْلِ لَمْ يُتَجَاوَزْ عَنْهُ .

وَعَدَّ ابْنُ عَصْفُورٍ حَذْفَ الْجَارِ وَإِيصَالَ الْفِعْلِ إِلَيْهِ ضَرْوَةً . وَالصَّحِيحُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ ، بِدَلِيلِ مَا أوردَهُ مِنَ الْآيَاتِ .

(١) للأعشى في ديوانه ١٥٠ والأغانى ٨ : ٧٧ ، والمغنى ١٠١ . وصدرة :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) الآية ١٣٧ من سورة الصافات .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة يوسف .

(٤) لرجل من بني سلول . وعجزه كما في سيويه ١ : ٤١٦ والخزانة ١ : ٣٥٧ :

* فضيت ثم قلت لا يعنني *

وقول الشارح المحقق : والأخفش الأصغر يجيز حذف الجار مع غيرهما أيضاً قياساً إذا تعيّن الجار ، أى مع غير أن وأن . والأخفش الأصغر هو تلميذ أبي العباس ، وهو أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش . وليس ما نسبته إليه مذهبه ، وإنّما مذهبه أن يكون الفعل متعدّياً بنفسه إلى مفعول واحد ، وإلى آخر بحرف جرّ . فحينئذ يجوز حذفه . وهذا كلامه (فيما كتبه على كامل المبرد) ، قال : فأما قوله :

* وأخفى الذى لولا الأسى لقصانى ^(١) *

فإنّما يريد : لقضى على الموت ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ^(٢) ﴾ فالمتّ فى النية ^(٣) ، وهو معاومٌ بمنزلة ما نطقت به . ومثله : ﴿ واختار موسى قومه ^(٤) ﴾ أى لقومه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ^(٥) ﴾ والمعنى : إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، أى كالوا لهم الشيء ووزنوه لهم . والمكيل والموزون معلومٌ بمنزلة ما ذكر فى اللفظ . ولا يجوز مررت زيدا وأنت تريد يزيد ، لأنّه لا يتعدّى إلّا بحرف ، وذلك أنّه فعلٌ الفاعل فى نفسه ، وليس فيه دليلٌ على مفعول ^(٦) ، وليس هذا بمنزلة ما يتعدّى إلى مفعولين فيتعدّى إلى أحدهما بحرف الجرّ وإلى الآخر بنفسه ؛ لأنّ قولك : اخترت الرجال

٦٧٢

(١) صدره كما فى الكامل ٢١ ، وهو لأعرابي من بنى كلاب :

* تحن فتبلى ما بها من صباية *

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ .

(٣) أى فى نية الشاعر .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٥) الآية ٣ من سورة المطففين .

(٦) فى الكامل ٢٢ : « على المفعول » .

زيدًا، قد عَلِمَ بذكرك زيدًا أَنَّ حرف الجرِّ محذوفٌ من الأوَّل . فأمَّا قولُ جرير وإنشادُ أهل الكوفة له ، وهو قوله :

تمرون الديارَ ولم تعوجوا كلامكم على إذا حرامٌ
ورواية بعضهم له :

* أتمضون الديارَ ولم تُحَيَّا (١) *

فليستَ بشيءٍ لما ذكرتُ لك . والسَّماعُ الصحيح والقياسُ المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة . أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال : قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

* مررتم بالديار ولم تعوجوا *

فهذا يدلُّك على أَنَّ الرواية مغيرة . ١ هـ .

والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأخطل النصراني . وهذا مطلعها : صاحب الشاهد

(متى كان الخيامُ بذى طلوحِ سقيت الغيثَ أيتها الخيامُ أيات الشاهد
تنكر من معالمها ومالت دعائمها وقد بلى الثمامُ
أقول لصحبتى لما ارتحلنا ودمع العين منهجر سجامُ
تمرون الديارَ ولم تعوجوا كلامكم على إذا حرامُ

ومنها

(لقد ولد الأخطل أم سوء على باب استها صلب وشام)

قوله : « متى كان الخيام » الخ . أورد ابن هشام عجزه (في المعنى)

(١) كذا بالتاء في « تحيا » بالنسختين ، يعود الضمير إلى « الديار » . والذي في الكامل : « أتمضون الديار » فقط . وفي ديوان جرير : « أتمضون الرسوم ولا تحيا » .

على أَنَّهُ قد تولَّدتِ وأوُّ من إشباع ضمة الميم . والخيمة عند العرب : كلُّ بيتٍ يُبنى من عيدان الشَّجر . وذو طلوح^(١) بمهملتين : مكان . والطلح : شجرٌ عظيم له شوك .

والمعالم : جمع معلّم كمتعد : مَظِنَّةُ الشيء وما يُستدلُّ به . والدعامة بالكسر : عماد البيت . والثمام بضم المثلثة : نبتٌ ضعيف له خوص ربّما حُشِيَ به الوسائد ، ويسدُّ به خصاصُ البيوت . والمنهمر : المنسكب . والسَّجام بالكسر : مصدر سجم الدمع إذا سال .

وقوله : (ولم تَمُوجوا) يقال عاج رأسَ البعير ، إذا عطفَه بالزَّمَام . (وكلامكم) مبتدأ ، وهو مصدرٌ مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف أي كلامي إياكم . و (حرام) خبره وعلى متعلق بالخبر .

وقوله : « لقد ولدَ الأُخَيْطَلُ » أورده صاحب الكشاف ، شاهداً لقراءة إبراهيم النَّخَعِيِّ : ﴿ ولم يكن له صاحِبَةٌ^(٢) ﴾ بالمشناة التحتية ، على أَنَّهُ لم يؤنث الفعلُ المسند إلى المؤنث الحقيقي للفصل .

والأُخَيْطَلُ : مصعر الأَخْطَل . والصُّلْبُ : جمع صليب . وشامٌ : جمع شامة ، وهى العلامة . يريد أَنَّهُ أمه فعلت فعلَ الموشّمات ، نقشتُ صورة الصَّليب فى ذلك الموضع .

وفى القاموس أَنَّ الأَخْطَل كان يلقَّب بذى الصليب .

(١) ط : « وذو طلوح » .

(٢) المغنى ٣٦٨ . وانظر معجم شواهد العربية . وقد كتبت القافية فى المغنى « الحيامو » إظهاراً للإشباع .

(٣) من الآية ١٠١ من سورة الأنعام . وانظر تفسير أبى حيان ٤ : ١٩٤ .

والشام : النقوش . وفي بعض حواشى المفصل : صُلب وشام :
نبتان ، يصفها بخشونة ذلك الموضع .

وترجمة جرير تقدّمت في الشاهد الرابع من أوّل الكتاب^(١) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد السبعائة ، وهو من شواهد
سيبويه^(٢) :

٧٠٨ (ومِنَّا الَّذِي اخْتِيَرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً)

٦٧٣ على أَنَّ (الرجال) منصوبٌ بنزع الخافض ، والأصل : من الرجال ،
وهو المفعول الثاني المقيّد بحرف الجرِّ لاختار ، فَإِنَّهُ يتعدّى إلى الأوّل
بنفسه ، وإلى الثاني بحرف الجرِّ . والمفعول الأوّل هنا نائب الفاعل ،
وهو الضمير العائد إلى الذى فى اختيار .

وهذا الحذفٌ كثير الاستعمال ، ولهذا قال الشارح المحقّق: « وكذا^(٣)
يحذف من المفعول الثانى » . والإشارة لقوله سابقاً .

وأماً كثرة الاستعمال ، قال سيبويه فى باب الفاعل الذى يتعدّاه
فعله إلى مفعولين : إن شئت اقتصرت على المفعول الأوّل ، وإن شئت
تعدّى إلى الثانى ، ومن ذلك : اخترت الرجالَ عبدَ الله . ومثل ذلك قوله
تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً^(٤) ﴾ ، وسمّيته زيدا . ومنه
قول الشاعر :

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٨ . وانظر المقتضب ٤ : ٣٣٠ والأصول ١ : ٢١٥ ومجالس
العلماء ١٩٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٦ ، ٣٦٤ وابن يعيش ٥ : ١٢٣ / ٨ : ٥٠ ، ٥١ ،
والهمع ١ : ١٦٢ والأشباه والنظائر ١ : ٢٨٥ وديوان الفرزدق ٥١٦ .

(٣) ط : « كذا » ، وأثبت ما فى ش وشرح الرضى ٢ : ٢٥٤ .

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

* أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ (١) *

وقال عمرو بن معديكرب :

* أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ (٢) *

وهذه أفعالٌ توصل بحروف الإضافة ، فتقول : اخترت من الرجال ، وسميته بفلان ، كما تقول : عرفته بهذه العلامة ، وأستغفر الله من ذلك . فلما حذفوا حرف الجرّ عمل الفعل . وليس أستغفر الله ذنباً وأمرتك الخيرَ أكثرَ في كلامهم جميعاً ، وإنما يتكلّم به بعضهم . فهذه الحروفُ كان أصلها في الاستعمال أن تُوصلَ بحروف الإضافة . ومنه قول الفرزدق :

مَنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً

وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازُعُ . ٥١ .

صاحب الشاهد والبيت مطلعٌ قصيدةٍ للفرزدق تقدّم أبياتٌ منها قبل هذا بشاهد .
قال صاحب المصباح : سَمَحَ بكذا يَسْمَحُ ، بفتحتين ، سَمُوحًا وَسَمَاحًا وَسَمَاحَةً :
جَادٌ وَأَعْطَى ، أَوْ وافقَ على ما أُريدَ منه . و (الجود) : الكرم . وروى
بدله : (وخيراً) بكسر المعجمة ، وهو الكرم . (والزّعازع) : جمع زَعَزَعَ
كجعفر ، وهى الريح التى تهبُّ بشدة . وعنى بذلك الشّتاء ، وفيه تقلُّ
الألبانُ ، وتُعدَمُ الأزواد ، ويبخلُ الجواد . فيقول : هو جوادٌ فى مثل
هذا الوقت الذى يقلُّ فيه الجود . وسماحةٌ وجوداً مصدران منصوبان
على المفعول لأجله ، كأنه قيل : اختير من الرجال لسماحته وجوده .

(١) عجزه : رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) عجزه : فقد تركتك ذا مال وذا نسب *

ويجوز أن يكونا تمييزين أو حالين ، أى سَمَحًا وَجَوَادًا^(١) . قاله ابن خلف ولم يذكر ابن المستوفى غير الأخيرين .

وقال ابن السيد (فى أبيات المعانى) : ونصب ساحةً على المصدر ممّا دلّ عليه اختيار ، لأنّه لا يُختار إلاّ الكرام . وأراد بقوله : « ومننا الذى اختير » أباه غالباً ، وكان جواداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد السبعمئة^(٢) :

٧٠٩ (خَرَجْتُ إِلَى أَقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ

عَلَى طَرْفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ)

على أنّه يجوز أن يَجْتَمِعَ على فعلٍ واحدٍ عدّةٌ من حروف الجرّ إذا كانت مختلفة ، فإنّ الفعل الواحد قد يتعدّى بعدّةٍ من حروف الجرّ على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل ، لأنّ هذه المعانى كامنةٌ فى الفعل ، وإنّما يُظهرها حروفُ الجرّ ، فإنّك إذا قلتَ : خرجتُ فأردتُ أن تبينَ ابتداءَ خروجك قلتَ : خرجتُ من الدار . فإنّ أردتَ أن تبينَ انتهاءً قلتَ : إلى المسجد . وإن أردتَ أن تبينَ طرفه قلتَ : فى ثيابه . وإن أردتَ أن تبينَ أنه مقارنٌ للاستعلاء قلتَ : على الفرس . وإن أردتَ أن تبينَ الملابس والصُّحبة : قلتَ بحسامى . ويجوز أن يكون بعضُ هذه المجرورات فى موضع الحال .

٦٧٤

وهذا البيت يوجد فى بعض النسخ قبل قوله : « وإلى اثنين كأعطى وعلم » بسطراً ، بعد قوله : خرجتُ من الكوفة إلى البصرة لإكرامك .

(١) ط : « جوداً » ، صوابه فى ش .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٧٦ ، وديوان المتنبي ٢ : ٢٧٩ .

صاحب الشاهد والبيت من مقطوعةٍ عدتها ستة أبيات ، للمتنبي ، قالها لما ودَّع سيف الدولة بن حمدان ، وأراد التوجه إلى أقطاعه التي أقطعه إيَّاهَا .

قال ياقوت الحموي (في معجم البلدان) : السَّبع هو بلفظ العدد : قريةٌ بباب حلب كانت إقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة . وإيَّاهَا عنى بقوله :

أسير إلى أقطاعه . . . البيت

وأوله الثابت في جميع نسخ ديوانه ، هو كما أنشده ياقوت بلفظ : «أسيرُ» .

والأبيات هذه وشرحها للواحدى :

أبيات الشاهد (أيا رامياً يُصمى فؤادَ مرامه تربى عداهُ ريشها لسهامه)

الإصماء : إصابة المقتل في الرمي . والمعنى أَنَّهُ إذا طلب شيئاً أصاب خالصاً ما طلبه ، كالرامي يصيب فؤادَ ما يطلبه برميهِ . وقوله : تُربى عداهُ ، مثلُ ، وذلك أَنَّ السَّهامَ إِنَّمَا تنفذُ بريشها ، وأعداؤه يجمعون العدد والأموال له ، لأنَّه يأخذها فيتقوى بها على قتالهم ، فكأنَّهم يربون الريش لسهامه ، حيث يجمعون المال له . فالريش مثلُ الأموال والسَّهامُ مثلُ له (١) .

(أسير إلى أقطاعه في ثيابه) البيت ، يريد أَنَّ جميع ما يتصرف فيه من ضروب مملوكاته إِنَّمَا هو من جهته وإنعامه . وكانَ هذا تفصيلاً ما أجمله النابغة في قوله :

وما أغفلتُ شكرى فانتصحنى وكيفَ ومن عطائك جُلُّ مالى (٢)

(١) في شرح العكبرى وكذلك في شرح الواحدى ٥٧٦ - ٥٧٧ : « فالريش مثلُ لأموالهم »

(٢) ديوان النابغة ٦٥ من مجموع خمسة دواوين ، وشرح العكبرى للمتنبي ٢ : ٢٨٠ .

وقد فصله النابغة أيضاً فقال :

وإنّ تلادى إن نظرتُ وشكّيتي ومُهرى وما ضُمتّ إليه الأنامل^(١)
 حباؤك والعيسُ العتساقُ كأنّها هيجان المَهّا تردى، عليها الرّحائل^(٢)
 وهذا كما قال أبو نواس :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من خيره^(٣) *

(وما مَطَرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا ورُومَ الْعِيدَى هَاطَلَاتُ غَمَامِهِ)
 الروم : جمع روميّ ، كما يقال زنج وزنجي . والعِيدَى : العبيد .
 يعنى وما أنعم علىّ من أنواع نعمه ، من الأسلحة والعبيد الروميّة .

(فَتَنَى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقُرَى ومن فيه من فرسانه وكرامه
 ويجعلُ ما خَوَّلْتُهُ من نوالِهِ جزاءً لما خَوَّلْتُهُ من كلامِهِ)
 أى يُجازينى بنواله إذا مدحته بما استفدته من الأدب من كلامه .

(فلا زالت الشمسُ التى فى سماءِهِ مُطالِعَةُ الشَّمْسِ التى فى لثامِهِ)
 أى لا زالت شمسُ السماءِ تطالع وجهه الذى هو كالشمس . وأضاف
 السماءَ إليه مبالغةً فى المدح ، كما قال الفرزدق :

(١) ديوان النابغة ٦١ ، وشرح المكبرى ٢ : ٢٨٠ . وفى الديوان : « إن ذكرت » .
 وفى الديوان وشرح المكبرى : « وما ضمت إلى الأنامل » . و « ضمت » على هذه الرواية بالبناء
 للفاعل .

(٢) فى الديوان : « تحدى » بمعنى تساق ، كما نص عليه فى شرحه و « العيس » بالنصب
 عطف على تلادى ، وبالرفع على الاستئناف وتقدير الخبر بعده ، أى حباؤك .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى التبيان للمكبرى ٢ : ٢٨٠ وديوان أبى نواس ٢٠٦ :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من عنده *

لكن فى الديوان : « عندهم » . وقبله فى الديوان :

أُتعت كلبا أهله من كده قد سعدت جدودهم بجده

* لنا قَمَرَاها والنُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(١) *

وقال ابن جنى: أضاف السماء إليه لإشرافها عليه ، كما قال الآخر:

إذا كوكبُ الخرقاء لاحِ بسُحْرَةٍ سُهَيْلٍ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ^(٢)

أضاف الكوكب إليها لجِدِّها في عملها عند طلوعه .

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع ، أوله أفعال القلوب .

(١) صدره في الديوان ٥٠٩ ، وانظر الخزانة ٤ : ٣٩١ :

* أخذنا بآفاق السماء عليكم *

(٢) ط : « أذاعت » ، صوابه في ش . ويروى : « أشاعت » ، ويروى : « في القرائب »

وانظر ابن يمش ٣ : ٨ والمختصب ٢ : ٢٢٨ والمقرب ١ : ٢١٣ والعينى ٣ : ٣٥٩ واللسان

(غرب) . وهو الشاهد ١٧٦ في الخزانة ٣ : ١١٢ .

أفعال القلوب

أول الجزء
الرابع من
التقسيم القديم

أنشد فيها ، وهو الشاهد العاشر بعد السبعائة^(١) :

٧١٠ (تَعَلَّمَ أَنْ بَعْدَ الْغَىِّ رَشْدًا)

على أَنَّ (تَعَلَّمَ) التي بمعنى اعلمُ أمرًا ، لا تنصب المفعولين بل تردُّ الاسمِيَّةُ مصدرًا بأنَّ السَّادَةَ مع معموليها مسدَّ المفعولين . ويقلُّ نصبها للمفعولين ، كقول زياد بن سَيَّار الجاهليّ :

تَعَلَّمَ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهَرَ عَدُوَّهَا فبَالِغِ بِلُطْفٍ فِي التَّحِيلِ وَالْمَكْرِ^(٢)

وهذا المصراع من قصيدة طويلة جدًا للقُطاميّ ، وقبله : صاحب الشاهد

وَأَمَّا يَوْمَ قَلْتُ لِعَبْدِ قَيْسٍ كَلَامًا لَا أُرِيدُ بِهِ خِدَاعًا^(٣)
تَعَلَّمَ أَنْ بَعْدَ الْغَىِّ رَشْدًا وَأَنَّ لِهَذِهِ الْغُبْرِ انْقِشَاعًا^(٤)
وَلَوْ تُسْتَخْبَرُ الْعُلَمَاءُ عَنَّا وَمَنْ شَهِدَ الْمَلَا حِمَّ وَالْوِقَاعَا^(٥)
بِتَغْلِبِ فِي الْحُرُوبِ أَلَمْ يَكُونُوا أَشَدَّ قِبَائِلِ الْعَرَبِ امْتِنَاعَا

وتقدّم، في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة، ما تقدّم من أول القصيدة إلى هذه الأبيات مع ترجمته^(٦) .

(١) مع الهوامع ١ : ٧٥ وديوان القطامي ٤٠ .

(٢) شذور الذهب ٣٦٢ والمعنى ٥٩٤ والمعنى ٢ : ٣٧٤ والتصريح ١ : ٢٤٧ والجمع : ١ : ١٤٩ والأشونى ٢ : ٢٤ .

(٣) في الديوان : « ما أردت به خداعا » ، وفي الديوان نسخة الشنقيطي : « ما أريد له خداعاً » .

(٤) في الديوان : « لهذه النعم » .

(٥) في الديوان نسخة الشنقيطي : « ولو يستخبر « بالياء » .

(٦) الخزانة ٢ : ٣٦٣ - ٣٧٢ .

وتقدّم أيضاً إيراد أبيات بعد هذه الأبيات في الشاهد التاسع والتسعين
بعد الخمسةائة^(١) .

وقوله : « وأما يوم قلت لعبد قيس » ، هو أخو القطامي .

وقوله : (تعلم أن بعد الغي) إلخ الغبر : جمع غبرة وهي القمّة ،
يريد ما أظلم^(٢) من الأمور الشّداد المظلمة . والانقشاع : الانكشاف .

وأورد اللَّبِّيُّ المصراعَ الثاني (في شرح الفصيح) برواية :

* وَأَنَّ لَتَالِكَ الْغُبْرِ انْقِشَاعًا *

وقال : (تالك) بكسر اللام لغة في تلك ، في الإشارة إلى المؤنثة
البعيدة . ويريد القطامي بهذا تسليّة أخيه ، فإنّ بنى أسد كانوا أوقعوا ببني
تغلب في نواحي الجزيرة ، والقطاميّ منهم ، فأسره بنو أسد وأرادوا
قتله ، فحال زُفر بن الحارث الكلّابيّ بينه وبينهم ، وحماه وكساه ،
وأعطاه مائة ناقة كما تقدّم .

٤ : ٣

وقوله : « ولو تُستخبر العلماء » إلخ هو بالبناء للمفعول . والملاحم :
جمع ملحمة ، وهي موضع الحرب . والوقاع : المواقعة .

وقوله : « بتغلب » أي عن تغلب ، كقوله :

* وَاَسْأَلُ بِمَصْقَلَةِ الْبَكْرِىِّ مَا فَعَلَا^(٣) *

أي عن مصقلة . وتغلب : قبيلة القطامي ، وهو تغلب بن وائل .

(١) الخزانة ٨ : ١٣٦ - ١٣٨ .

(٢) ط : « ما أظلم » ، صوابه في ش .

(٣) للأخطل في ديوانه ١٤٣ وسيبويه ٢ : ٢٩٩ . وصدده :

* دع المغمر لا تسأل بمصرعه *

ثم أخذ بعد هذا يذكر مآثر قومه في الجاهلية .

* * *

وأُشِدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى عَشَرَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ^(١) :

٧١١ (اللَّهُ مُؤْفٍ لِلنَّاسِ مَا زَعَمَا)

على أَنَّ (زَعَمَ) قد يستعمل في التحقيق .

رَأَيْتَ (في شرح الكتاب للسيرافي) : الزَّعْمُ : قولٌ يقترون به اعتقاد ،

وقد يصحُّ ذلك أو لا يصحُّ . فأمَّا قول الجعدى :

(نُوْدِى قُمْ وَا رَكِبْنِ بِأَهْلِكَ إِ نَّ اللَّهَ مُؤْفٍ لِلنَّاسِ مَا زَعَمَا)

فقبيل الزَّعْمِ ههنا بمعنى القول ، وقيل بمعنى الضَّمان . ومنه قول عمرو

ابن شَاسٍ :

تَقُولَ هَلَكْنَا إِ نْ هَلَكْتَ ، وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ ^(٢)

قيل معناه كما ضَمِنَ ، وقيل كما قال . وشاهد الزَّعْمِ بمعنى القول

قول أَبِي زُبَيْدٍ :

يَالْهَيْفَ نَفْسِي إِ نِّ كَانِ الَّذِى زَعَمُوا

حَقًّا ، وَمَاذَا يَرُدُّ الْيَوْمَ تَلْهِيئِنِي ^(٣)

أَيُّ الَّذِى قَالَوهُ . وذلك أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ يَقُولُ : حُمَلُ عُثْمَانَ عَلَى النَّعْشِ

إِلَى قَبْرِهِ . وهذا ليس فيه معنى ظنٍّ ولا ضمان . ا هـ .

(١) ديوان النابغة الجعدى ١٣٦ واللسان (زعم ١٥٧) .

(٢) معجم الهوامع ١ : ١٤٩ واللسان (زعم) .

(٣) ديوان أبي زيد ١٢٠ والتصريح ١ : ٢٥ واللسان (أمر ٩٢ نجف ٢٣٦) .

وجهرة ابن دريد ٢ : ٤١٧ .

وقال ابن بيري (في حاشية الصحاح) : الزعم يأتي في كلام العرب على أربعة أوجه : يكون بمعنى الكفالة والضمان ، شاهده قول عمر بن أبي ربيعة :

قلتُ : كَفَى لِكَ رهنٌ بالرضا وازعمى يا هند قالت : قد وجب^(١)

وقال النابغة يصف نوحاً :

نُودَى قُمْ واركبْ بِأهلك البيت

زعم هنا فُسر بمعنى ضَمَن ، وبمعنى قال ، وبمعنى وَعَد . ويكون بمعنى الوعد ، قال عمرو بن شأس :

وعاذلة تخشى الردى أن يصيبني

تُرُوح وتغدو بالملامة والقسم

تقول هلكننا إن هلكت البيت

زعم هنا بمعنى وَعَد ، وبمعنى قال . ويكون بمعنى القول والذكر . قال أبو زبيد الطائي :

يا لهف نفسي إن كان الذي زعموا البيت

المعنى : إن كان الذي قالوه حقاً ، لأنه سمع من يقول : حُمِلَ عُمَانُ على النعش إلى قبره .

وقال المثقَّب العبدِيُّ :

(١) رواية الديوان ٣٧٨ لهذا البيت وما قبله :

قلت حلا فاقبل معذرتي ما كذا يجزي محب من أحب
إن كفى لك رهنا بالرضا فاقبل يا هند ، قالت : قد وجب

وكلامٍ سَيِّئٍ قَدْ وُقِرَتْ أَذْنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمٍّ^(١)
فتصامت لكى ما لا يرى جاهلٌ أتى كما كانَ زعمٌ^(٢)

ويكون بمعنى الظنّ ، قال عبّيد الله بن عبد الله بن عبّبة بن مسعود :

فَذُقْ هِجْرَهَا إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رِشَادٌ ، أَلَا يَا رَبِّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ^(٣)

فهذا البيت لا يحتمل سوى الظن ، وبيت عمر لا يحتمل سوى الضمان ، وبيت أبي زبيد لا يحتمل سوى القول ، وما سوى ذلك على ما فسّر .

٤ وبيت النابغة رُوِيَ لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَبَيْتَ عَمْرٍو بْنِ شَأْسٍ رَوَى لِمَضْرُوسٍ . ٥١ .

وما أورده الشارح قطعة من قوله :

نُودِي قُمْ وَارْكَبْ بِأَهْلِكَ إِ نَّ اللَّهَ إِيخ .

و (زعم) فيه على ما فسّروه متعدّدٌ إلى مفعول واحد ، وهو الضمير المحذوف العائد إلى ما الموصولة .

والبيت من قصيدة للنابغة الجعدى الصّحابي ، أوّلها : صاحب الشاهد

(الحمد لله لا شريك له مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا)

فالألف في قوله « زعما » للإطلاق . قال ابن خالويه (في كتاب ليس) :

(١) ديوان المثقب ٢٣٠ : « عنه أذناى » ، وفي ط : « أذنى منه » ، وأثبت ما في ش واللسان (زعم) وأساس البلاغة (وقر) والمفضليات ٢٩٤ . وأوله في أساس البلاغة : « كم كلام سيئ » .

(٢) في الديوان والمفضليات : « فتعزيت خشاة أن يرى » . وفي اللسان (خشى) : « فتعديت خشاة أن يرى ظالم » ، وفيه تحريف .

(٣) في اللسان (زعم ١٥٧) : « قد كنت تزعم أنه رشاد » .

قال بعض المفسرين: إن الزعم زاملة الكذب^(١). وليس في كلام العرب وأشعارهم زعم محموداً إلا في بيتين ، قال أمية بن أبي الصلت ، وقيل للنابعة الجعدى ، في قصيدة أولها :

نودى قم واركن . . . البيت .

فهذا على الحق . وسمعت الزاهد^(٢) يقول : زعم في هذا البيت بمعنى قال ووعد ، كما يقال : زعم الشافعي ، أى قال . ا ه .

نسبة أخرى والقصيدة التي هي لأمية بن أبي الصلت طويلة ذكر فيها صنع الله وعظم قدرته . وقبله :

أبيات الشاهد
(عَرَفْتُ أَنْ لَنْ يَفُوتَ اللَّهُ ذُو قِدَمٍ
وَأَنَّه مِنْ أَمِيرِ السُّوءِ يَنْتَقِمُ^(٣)
المُسْبِحُ الخُشْبَ فَوْقَ المَاءِ سَخَّرَهَا
خِلَالَ جَرِيَّتِهَا كَأَنَّهَا عُوْمٌ
تَجْرِي سَفِينَةُ نُوحٍ فِي جَوَانِبِهِ
بِكُلِّ مَوْجٍ مَعَ الأرواحِ تَفْتَحُمُ
نُودَى قَمٍ وَارْكَبَنَّ بِأَهْلِكَ
نَّ اللَّهُ مُوفٍ لِلنَّاسِ مَا زَعَمُوا^(٤))

(١) أصل الزاملة البعير يستظهر به الرجل ، يحمل عليه طعامه ومتاعه . وهذا النص بأكله ليس موجوداً في النسخ المطبوعة من كتاب ابن خالويه .
(٢) الزاهد هذا هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المطرز اللقوى ، غلام ثعلب . ولد سنة ٢٦١ . وتوفى سنة ٣٤٥ . بغية الوعاة وإنباه الرواة ٣ : ١٧١ - ١٧٧ وفيه بيان مراجع ترجمته .

(٣) ذو قدم ، أى من عمر طويلا . وفي الديوان ٥٧ : « وأنه من عبيد السوء » .

(٤) وكذا في الديوان . وقد أدرك مصحح طبعة بولاق أن هذا البيت من بين أخواته ينتمى إلى المنسرح ، والقصيدة كلها مبنية على البسيط .

مشحونةٌ ودُخانُ المَوجِ يرفعُها
مَلَأَى وقد صُرِّعَتْ من حَوْلها الأُممُ^(١)
حَتَّى تَسَوَّتْ على الجُودَى راسِيَةً
بِكُلِّ ما اسْتُوْدِعَتْ كَأَنَّها أُطْمُ^(٢)

قال شارح ديوانه : يقال سَبَحَ الرَّجُلُ وَأَسْبَحَهُ اللهُ . والعُومُ : جمع العُومة ، كَأَنَّها حية تكون بُعْمان . والعامَّة : شبه الطَّوْفُ إِلَّا أَنَّهُ أَصْغَرُ منه ، يُرَكَّبُ فيه البَحْرُ . فى جوانبه : جوانب الماء . ومشحونة : مملوءة ، يقال اشْحَنُ سَفِينَتَكَ ، أى امْلأها . والجودى فيها سوقٌ يقال له سوق الدِّمانين ، لثمانين رجلاً كانوا مع نوحٍ فى السفينة . والأطْمُ بضمّتين : القصر ، والجمع آطام .

وترجمة أمية تقدّمت فى الشاهد السادس والثلاثين^(٢) .

قال ابن خالويه . وقصيدة النابغة :

(يا مالِكَ الأَرْضِ والسَّماءِ ، وَمَنْ
يَفْرُقُ من اللهِ لا يَخَفُ أَثَمًا^(٣)
إِنِّى امرؤٌ قد ظَلَمْتُ نَفْسِى وإِ
لأَ تَعْفُ عَنِّى أَغْلَى دَمًا كَثَمًا^(٤)
أَطْرَحَ بالكافِرِينَ فى الدَّرَكِ ا
لأَسْفَلِ يا رَبِّ أَصْطَلَى الضَّرَمًا^(٥)

(١) فى الديوان : « يدفعها » بالدال .

(٢) الخزانة ١ : ٢٤٧ .

(٣) ديوان الجعدى ١٣٥ ، ١٣٤ حيث وردت فى الأبيات الثلاثة الأولى بعد الأبيات الثلاثة الأخيرة على خلاف هذا الترتيب . والأثم ، بالتحريك : لعله مقصور الأثم كسحاب ، وهو جزء الإثم . ولم أجد له سنداً .

(٤) عنى ، ساقطة من ش ثابتة فى الديوان . وأغلا ، كتبت فى النسختين والديوان بالألف فى آخرها . والكُم : الغليظ ، من قولم : حماة كائمة وكثمة : غليظة .

(٥) بالكافرين ، أى معهم . والدرك الأسفل : أنصى القمر .

يَأْيُهَا النَّاسُ هَل تَرَوْنَ إِلَى فَارِسَ بَادَتْ وَخَرَّ مِنْ دَعَمَا^(١)
 أَمَسُوا عَيْدًا يِرْعُونُ شَاءَكُمْ
 كَأَنَّمَا كَانَ مُلْكُهُمْ حُلْمًا^(٢)
 رَأَوْا سَبَاَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ
 يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا (هـ).

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :

(وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنْنِي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ)
 عَلَى أَنَّ (ظَنَّ) يَقْلُ فِيهَا نَصْبُ الْمَفْعُولِ الْوَاحِدِ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ هُنَا
 لَا تَظُنِّي شَيْئًا غَيْرَ نَزْوَلِك . وَصَحَّةُ هَذَا الْمَعْنَى لَا تَقْتَضِي^(٣) تَقْدِيرَ
 مَفْعُولٍ آخَرَ .

وَفِيهِ رَدٌّ لِلنَّحْوِيِّينَ ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا : الْمَفْعُولُ الثَّانِي لُظْنٍ مَحذُوفٌ
 اخْتِصَارًا لَا اِقْتِصَارًا .

وَبِهِ اسْتِشْهَادُ شُرَاحِ الْأَلْفِيَةِ وَقَالُوا : تَقْدِيرُهُ : فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ
 وَاقْعًا ، أَوْ حَقًّا . وَجَمَلَةٌ (فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ) مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ نَزَلَتْ وَبَيْنَ
 مُتَعَلِّقِهِ ، وَهُوَ مِنْنِي .

وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ مَعْلَمَةٍ عُنْتَرَةٍ ، وَتَقْدِيمُ شَرْحِهِ فِي الشَّاهِدِ الْمَوْفَى
 الْمَائِتِينَ^(٤) .

* * *

(١) فِي الْدِيْوَانِ : « وَخَدَهَا رَغْمًا » . رَغْمٌ : ذَلٌّ . وَخَرَّ : سَقَطَ .

(٢) كَذَا وَالرَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ كَمَا فِي الدِّيْوَانِ : « أَوْ سَبَاَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ » .

(٣) ط : « لَا يَقْتَضِي » .

(٤) الْخَزَانَةُ ٣ : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد السبعائة^(١) :

٧١٢ (بَأَى كِتَابِ أُمِّ بَأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلِيٍّ وَتَحْسِبُ)

على أنه قد حذف مفعولاً (تحسب) للقرينة ، والتقدير : وتحسب حُبَّهُمْ عَارًا عَلِيٍّ .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول حكيم بن قبيصة^(٢) :

فَمَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ هَاجَرَتْ تَبْتَغِي

وَلَكِنْ دَعَاكَ الْخُبْزُ أَحْسَبُ وَالتَّمْرُ^(٣)

نصب جنة الفردوس بتبتغى ، وهى حال من التاء فى هاجرت .
وجاز تقديم ما انتصب بتبتغى لجواز تقديم الفعل نفسه ، حتى كأنه
قال : فما مبتغياً جنة الفردوس هاجرت ، على حد قوله تعالى : ﴿ خُشَعًا
أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾^(٤) ولم يعمل أحسب على اللفظ ،
وأراد مفعوليهما فحذفهما ، كبيت الكُميت :

بَأَى كِتَابِ . . . البيت

أى وتحسب ذلك كذلك . ولا يحسن أن تجعلها هنا لغواً ، من
قِيلَ أَنَّهَا لَمْ تَقْعَ بَيْنَ الْمَبْتَدَأِ وَخَبْرِهِ وَلَا بَعْدَهُمَا ، نحو : زيد قائم أحسب ،

(١) المحتسب ١ : ١٧٣ والمقرب ١ : ١١٦ والعينى ٢ : ٤١٣ والتصريح ١ : ٢٥٩
والممع ١ : ١٥٢ ويس ١ : ١٦١ والهاشميات ٣٨ .
(٢) ط : « قيصة » ، صوابه فى ش ، والحماسة ١٨٢٥ بشرح المرزوق وإعراب الحماسة
الورقة ٢٤٥ .

(٣) فى النسختين : « دعاك الخبز والتمر أحسب » ، صوابه ما أثبت من الحماسة وإعرابها .
وقيل البيت :

لمسر أبى بشر لقد خانه بشر على ساعة فيها إلى صاحب فقر

(٤) الآية ٧ من سورة القمر .

وإنَّما كان اعتبارُ عملها أو إلغائها هناك، لأنَّها لو كانت عاملةً لعمات
فيهما ، وأمَّا ههنا فلا سبيلَ إلى الخبز والتَّمْر ونحوهما . ١ هـ .

وقوله : (بأى كتاب) متعلق بقوله (ترى) .

صاحب الشاهد والبیت من قصيدةٍ طويلةٍ للكَميتِ بنِ زَيدِ الأَسدى ، ، مدح بها
آلَ النبی صلی اللهُ علیهِ وسلم . وبعده :

أبيات الشاهد (إذا الخيلُ وآراها العجاجُ وتحتَه
غبارُ آثارته السَّنابكُ أصهَبُ^(١)
فمالٍ إلاَّ آلَ أحمدَ شِيعَةَ
ومالٍ إلاَّ مَشعَبَ الحقِّ مَشعَبُ^(٢))

وآراها : غَطَّأها . والمَشعَبُ : الطريق .

وتقدَّمت مع ترجمته في الشاهد الثاني بعد الثلاثئة^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تَخَلُّنا على ، غَرائِكُ إنَّا طالما قد وشى بنا الأعداءُ^(٤))

على أنه قد حذف المفعول الثاني من تخلُّنا ، وتقديره كما قال
الشارح المحقق : لا تخلُّنا أذلةً على إغرائك الملك بنا .

والبيت من معلِّقة ابن حِلْزة ، تقدَّم شرحُه مع ترجمته ، في الشاهد
الثامن والأربعين من أوائل الكتاب^(٥) .

* * *

(١) هذا البيت لم يرد في ديوانه ولا في الهاشميات .

(٢) ويروى : « إلا مذهب الحق مذهب » . انظر معجم شواهد العربية .

(٣) الخزائنة ٤ : ٣٠٧ - ٣٢٠ .

(٤) وروى : « على غرائك » بالتاء كما سبق في الجزء الأول .

(٥) الخزائنة ١ : ٣٢٤ - ٣٢٦ .

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّلَاثُ عَشَرَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ^(١) :

٧١٣ (كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي

إِنِّي وَجَدْتُ مَلَكَ الشَّيْمَةِ الْأَدْبُ)

على أَنَّ وَجَدْتُ قَدْ أُلْغِيَ عَنِ الْعَمَلِ مَعَ تَقَدُّمِهِ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَبِيحٌ .

وخرَّجَه الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ تَبَعًا لِسَبِيوِيهِ عَلَى تَقْدِيرِ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ ، أَوْ عَلَى

تَقْدِيرِ ضَمِيرِ الشَّأْنِ تَبَعًا لِابْنِ جَنِي ، فَتَكُونُ وَجَدَ عَامِلَةً عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ .

أَمَّا عَلَى الْأَوَّلِ فَتَكُونُ مَعْلُوقَةً عَنِ الْعَمَلِ فِي اللَّفْظِ بِلَامِ الْإِبْتِدَاءِ الْمُقَدَّرَةِ ،

وَيَكُونُ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى أَنْهُمَا سَادَّانِ

٦ مَسَدَّ مَفْعُولٍ وَوَجَدَ . وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي فَيَكُونُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ الْمَحذُوفِ هُوَ

المَفْعُولَ الْأَوَّلَ ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ فِي مَحَلِّ الْمَفْعُولِ الثَّانِي .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة ^(٢)) : أراد : وَجَدْتَهُ مَلَكَ الشَّيْمَةِ

الْأَدْبُ ، كَقَوْلِكَ : ظَنَنْتَهُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ، أَيْ ظَنَنْتُ الْأَمْرَ وَالشَّأْنَ زَيْدٌ

مُنْطَلِقٌ ، إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ الضَّمِيرَ فِي وَجَدْتُ لِلضَّرُورَةِ ، كَمَا حُذِفَ أَيْضًا

فِي بَيْتِ الْكِتَابِ :

إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بِنْتِ حَسَا نَ الْبَيْتِ

أراد : إِنَّهُ مِنْ لَامَ . أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ هُنَا شَرَطَ ، فَلَا يَنْصَبُهَا مَا قَبْلَهَا

كَالِاسْتِفْهَامِ . وَعَلَى هَذَا تَقُولُ : ظَنَنْتُ أَبِيوكَ أَخوكَ ، أَيْ ظَنَنْتَهُ .

فاعرفه . ١ هـ .

(١) المقرب ١ : ١١٧ والعينى ٢ : ٤١١ والتصریح ١ : ١٥٨ والجمع ١ : ١٥٣

والأشْمُونِي ٢ : ٢٩ ، وَالْحَمَاسَةُ ١١٤٦ بشرح المرزوقى بر. واية « الأدبا » .

(٢) إعراب الحماسة الورقة ١٦٧ .

والفرق بين الإلغاء والتعليق أَنَّ الأوَّل : إبطال العمل لفظاً ومحلاً
والثاني : إبطاله لفظاً لا محلاً لمجيء ماله صدر الكلام . وكانَّ العينيُّ
لم يفرق بينهما ، لقوله : أُلغى عملٌ وجدتُ لكون لام الابتداء مقدَّرة^(١) ،
والصواب عُلِّق وجدت عن العمل لفظاً ، لكون لام الابتداء مقدَّرة .
ولا يخفى أَنَّ هذا التخريجَ على كلام ابن جنِّي يكون من باب غَسَل
الدَّم بالدم . والصَّحيح أَنَّ حذف ضمير الشَّان لا يختصُّ بالشعر . ومنه
الحديث : « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ^(٢) » ، وحكاية
الخليل : إِنَّ بِكَ زَيْدٌ مَاخُودٌ .

ولم يورد ابن عصفور هذا (في كتاب الضرائر) .

والبيت أورده أبو تمام (في الحماسة) مع بيت قبله ، ونسبه إلى
بعض الفزاريين ، وهو :

أَكْتَبِهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقَبُهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقْبُ

لكن روايته بنصب القافيتين ، ولا تحتاج إلى ما ذكر من التوجيه
ويكون اللقب على روايته مفعول أَلْقَبَهُ . وَالسَّوْءَةُ منصوبةٌ أيضاً . قال
ابن جنِّي : نصب السَّوْءَةَ لِأَنَّهُ جَعَلَهَا مَفْعُولاً مَعَهُ ، أَيْ لَا أَلْقَبُهُ مَعَ السَّوْءَةَ
اللقب ، مقترناً بالسَّوْءَةَ^(٣) . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَجِدُ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْمَفْعُولِ مَعَهُ ،
تقول : قمت وزيداً ، فتجد معناه قمت مقترناً بزید . ا هـ .

قال ابن الناظم ؛ تقديم المفعول معه على مصحوبه ، الجمهور على
منعه ، وأجازه أبو الفتح (في الخصائص) واستدلَّ بقوله :

(١) ما بعده إلى « مقدرة » التالية ساقط من ش .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (اللباس) من حديث عبد الله ، وكذا أخرجه مسلم في
(اللباس) عن ابن عمر ، والنسائي في (الزينة) عن أحمد بن حرب من حديث عبد الله . وانظر
الألف المختارة ٧٥٦ .

(٣) في إعراب الحماسة : « أي مقترناً بالسوءة » .

* جمعت وفحشاً غيبةً ونميمة^(١) *

وقول الآخر :

* ولا ألقبه والسوءة اللقبا *

على رواية نصب السوءة واللقب ، أراد : ولا ألقبه اللقبَ والسوءة أى مع السوءة ، لأنَّ من اللقب ما يكون لغير سوءة ، كتلقيب الصديق عتيقاً لعتاقة وجهه ، فلهذا قال الشاعر : ولا ألقبه اللقب مع السوءة ، أى إنَّ لقبته لقبته بغير سوءة . قال الشيخ - يعنى والده - ولا حجة لابن جنى فى البيتين ، لإمكان جعل الواو فيهما عاطفةً قدّمت هى ومعطوفها ، وذلك فى البيت الأوّل ظاهر ، وأمّا فى البيت الثانى فعلى أن يكون أصله ولا ألقبه اللقبَ وأسوءه السوءة ، ثم حذف ناصب السوءة كما حذف ناصب العيون من قوله :

* فزججن الحواجبَ والعيونا^(٢) *

ثم قدّم العاطف ومعمول الفعل المحذوف . ١ هـ .

وأما على رواية رفع القافية فالسوءة مرفوعة على الابتداء واللقبُ الخبر ، والجملة حال من الهاء . والسوءة بالفتح : اللَّفظة القبيحة . وقال العيني على رواية نصب القافيتين : ويجوز أن يكون انتصاب السوءة على المعنى ، يعمل فيه معنى لا ألقبه ، فيكون على هذا من باب :

(١) هو الشاهد ١٨٠ من الخزانة ٣ : ١٣٠ . وعجزه :

* ثلاث خلال لست عنها بمرعوى *

(٢) للرأى فى ديوانه ١٥٦ . وانظر معجم الشواهد . وصدرة :

* إذا ما الغانيسات برزن يوماً *

والرواية المعروفة : « وزججن » ، لكن هكذا ورد فى النسختين .

يَالَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ اغْدَا متقلداً سيفاً ورُمحاً^(١)

وإن رُفِعَ فارتفاعة يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمراً ،
كأنه قال : والسوءة ذاك . يعنى إن لَقَبْتَهُ والفحشُ فيه . ويجوز أن
يكون مبتدأً وخبره اللقبا ، يكون مصدرًا كالجَمْزَى . ويجوز أن يكون
خبر مبتدأً محذوف ، كأنه قال : لا أَلْقَبُهُ اللقبا ، وهو السوءة . ا هـ .

وهذه الاحتمالات لا فائدة فيها سوى تسويدِ الورق . على أن اللقبا
بالألّف مقصوراً غير موجود .

وقوله : « أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ » العربُ إذا أرادت تعظيمَ المخاطبِ
خاطبته بالكنية وعدلت عن التصريح باسمه . وصفَ الشاعرُ نفسه
بحُسن العشرة مع صاحبه .

وقوله : (كَذَاكَ أُدَبْتُ^(٢)) هو بالبناء للمفعول ، والكاف هنا اسمٌ
مفعول مطلق ، أى أُدَبْتُ تَأْدِيبًا مِثْلَ ذَلِكَ ، والإشارة إلى البيت الأول .
وحتى ابتدائية كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا^(٣) ﴾ ، واسم صار الضميرُ
المستتر فيها العائدُ إلى الأدبِ المفهوم من أدبت . (ومن خلقي) خبر صار .
وقوله : (إِنِّي وَجَدْتُ) بكسر الهمزة استئناف ، أرسله مثلاً . وقال
العيني : الكاف للتشبيه ، أى كمثل الأدب المذكور . وحتى للغاية
بمعنى إلى . ومن متعلقٌ بصار . وقوله (أَنِّي وَجَدْتُ) بفتح الهمزة فاعل
صار . هذا كلامه ، وفيه خللٌ من وجوه .

(١) لعبد الله بن الزبيرى فى الكامل ١٨٩ ، ٢٠٩ والمقتضب ٢ : ٥١ . وانظر معجم

الشواهد .

(٢) فى النسختين : « كَذَاكَ أُدَبْتُ » ، صوابه ما أثبت ، لئلا ينكسر الوزن .

(٣) الآية ٩٥ من سورة الأعراف .

قال الجوهري : مِلَاكُ الأَمْرِ وَمَلَاكُهُ ، أَى بالكسر والفتح : ما يقوم به . والشِّيمَةُ ، بالكسر : الخلق . والأَدَبُ الذى تَعْرِفه العَرَبُ ، هو ما يَحْسُنُ من الأَخلاقِ وفعلِ المكارم ، مثل ترك السَّفَهِ ، وبَذلِ المجهود ، وحُسْنِ اللقاء .

والنَّصَبُ والرفْعُ فى قافيتى البيتين رواهما ابن جنى والطَّبْرَسِى ، من شُراح الحماسة .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد السبعائة^(١) :

٧١٤ (أَرْجُو وَآمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتْهَا

وما إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ)

على أَنَّهُ قد أَلغى (إِخَال) عن العمل مع تَقَدُّمه .

وقال ابن هشام (فى شرح بانة سعاد) : وجه إِغَاءِ إِخَالِ هنا عدمُ تَصَدُّرِها ، فَإِنَّ حَرْفَ النِّفَى لَمَّا تَقَدَّمَها أَزال عنها التَّصَدُّرَ المحض ، فَسَهَّلَ إِغَاءَها كما سَهَّلَ إِغَاءَ ظَنَنْتَ تَقَدُّمُ متى وَإِنِّى فى : متى ظننت زيدٌ منطلق ، وقولِ الحماسى :

* إِنِّى وَجَدتْ مِلاكُ الشِّيمَةِ الأَدَبُ^(٢) *

أو يكون الإِغَاءُ على تَقْدِيرِ حَرْفِ النِّفَى داخِلاً على الجُملةِ الاسمية ، وتَقْدِيرِ إِخَالٍ معترضةً بينهما . هـ .

(١) العيني ٤ : ٤١٢ ، والتصريح ١ : ٢٥٨ والممع ١ : ٥٣ ، ١٥٣ والأشونى

٢ : ٢٩ وديوان كعب بن زهير ٩ وشرح بانة سعاد ٤٠ وسيرة ابن هشام ٨٩٠ وابن سيد الناس ٢ : ٢١٠ .

(٢) انظر الشاهد السابق .

ويجوز أن يخرج أيضاً كالذى قبله إمّا على تقدير لام الابتداء ،
أو على تقدير ضمير الشأن ، فيكون على الأوّل معلقاً عن العمل في
اللفظ ، ويكون جملة «لدينا منك تنويل» في موضع المفعولين . وعلى
الثاني تكون عاملةً لفظاً ويكون مفعولها ضمير الشأن المحذوف ، أى
ما إخاله ، وجملة لدينا منك تنويل في موضع المفعول الثاني . وقد تقدّم
الفرق بين الإلغاء والتعليق^(١) . ويظهر كون التعليق هو العمل في محلّ
الجملة من عطف شيء على الجملة المعلقة ، فإنه يُعرب بإعرابها المحلّي ،
كقول كثير :

وما كنتُ أدري قبل عَزَّةَ ما البكا

ولا موجعاتِ القلبِ حتّى تولّتِ

فعطف موجعاتِ بالنصبِ على محلّ ما البكا ، وهذا على تقدير اسميّة
ما . فإن كانت حرفاً زائداً فأدري بمعنى أعرف ، والبكا مفعوله ،
ولا يكون ممّا نحن فيه .

قال ابن هشام (في المغني) : رأيت بخط الإمام بهاء الدين بن النحاس :
أقمتُ مدّة أقول : القياسُ جواز العطف على محلّ الجملة المعلق عنها
بالنصب . ثم رأيت منصوصاً . ٥١ .

ومن نصّ عليه ابن مالك ، ولا وجه للتوقّف فيه مع قولهم إنّ الملقّ
عاملٌ في المحلّ . ٥١ .

وخرّجها ابن إياز على الأعمال من غير تعليق بتكليف ، بجعل
ما موصولة اسمية . حكاه عنه أحمد بن محمد بن الحداد البجلي

(١) انظر ما سبق في ص ١٤٠ .

(٢) ديوان كثير ٩٥ ، والمغني ٢ : ٤٠٨ ، والمغني ٤١٩ .

البغدادي (في شرح قصيدة بانث سعاد) . وكان تاريخ شرحه في بغداد سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال في شرحه ^(١) : وقال ابن إياز ^(٢) الرومي : يجوز فيه وجه آخر ، وهو أن تكون ما موصولة وموضعها رفعٌ بالابتداء ومفعول إخال الأوّل محذوف ، وهو العائد إلى ما ، ومنك المفعول الثاني ، وتنويل خبر المبتدأ . انتهى كلامه .

قلت : (ولدينا) في هذا الوجه والذي قبله ، وهو تقدير ضمير الشأن : ظرفٌ لإخال . ومعنى البيت على هذا الوجه : إنّ الذي أظنه وإخاله من وصالها المقدرٌ يجرى عندي مجرى الوصل المحقق ، من فرط المحبة .
وقد أبان التهامي عن هذا المعنى قبالغ وأحسن بقوله :

أهتزُّ عند تمنّي وضيها طرباً وربّ أمنيّة أحلى من الظفر ^(٣)
وابنُ الحياتِ الدمشقي عكس هذا المعنى وردّه على معتقده ، بقوله :

أمنّي النفسَ وصلّاً من سعادٍ وأين من المني دَرَكَ المُرادِ ^(٤)
وهذا قولٌ من لا يقنع بدون الوصال ، ولا يسوّف نفسه بالمحال .
وأين هو من قناعة الآخر بالنير ^(٥) ، حين بالغ بقوله :

ألستُ أرى النجم الذي هو طالعٌ عليها وهذا للمُحِبِّينَ مَقْنَعُ

(١) ط : « شارحه » ، والتصحيح للشنقيطي في نسخته .

(٢) ابن إياز هو الحسين بن بدر بن إياز . ولي مشيخة النحو في المستنصرية . وقال الشرف الديماطي : رأيتُه شاباً في زى أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البيناني . وقال أبو حيان : ابن إياز أبو تعاليل . توفي سنة ٦٨١ . بغية الوعاة ٢٣٢ .

(٣) ديوان التهامي ٤١ . وبعده :

تجنّي على وأجسني من مرآشفها ففى الجنى والجنايات انقضى عمري
(٤) ط : « من سعاد » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

(٥) يعنى النجم المضى .

انتهى كلام البغدادي .

وهذا البيت (من قصيدة بانث سعادة المشهورة) في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أورد الشارح بيتاً آخر منها في حروف الشرط في أواخر الكتاب . وقد اعتنى بشرحها أجلة العلماء ، والذي يحضرنى من شروحها الآن شرحُ أبي العباس الأحول مع شرح جميع ديوانه ، وهو عندي بخطه . وشرحُ أبي عبد الله نِفْطَوِيهِ النَّحْوِي . وشرحُ أبي بكر بن الأنباري ، وهو شرحُ صغيرٍ قليل الجدوى . وشرح البغدادي المذكور ، وشرح ابن هشام الأنصاري ، وهما أجلُّ الشُّروح . لكنَّ شرح البغدادي أكثر استنباطاً لمعاني الشعر ، وأدقُّ تفتيشاً للمزايا والنُّكْت . وشرح ابن هشام أوعى منه للمسائل النحويَّة وتفسير الألفاظ اللغويَّة ، وكلُّ منهما في حجم الآخر ، ، وعصر تأليفهما متقارب .

وهذا البيت لم يرد في رواية نِفْطَوِيهِ ، ورواه أبو العباس الأحولُ
كذا :

أَرْجُو وَأْمَلُ أَنْ يَعْجَلْنَ فِي أَبَدٍ وَمَالَنْ طَوَالَ الدَّهْرِ تَعْجِيلُ

وعليه لاشاهد فيه . قال الأحول : في أبد : في دهر . ويروى :

* ومالنا عندهنَّ اليوم تعجيلُ *

أى لا يُعَجَّلْنَ وصلنَا في الرواية الأولى . يقول : آمَلُ وأَرْجُو وما أظنُّ ذلكِ يكون أبداً . انتهى كلامه .

وضبط بخطه «يَعْجَلْنَ» بفتح الياء والعجم ، على أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلْفَاعِلِ . وَطَوَالَ بفتح الطاء على أَنَّهُ ظَرْفٌ بِمَعْنَى طَوَلَ الدَّهْرُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَتَقَدَّمَ لضمير جمع المؤنث مرجع . فَإِنَّ قَلْنَا إِنَّ المَرْجِعَ سَعَادَ ، وَإِنَّ جَمَعَ الضمير

للتعظيم ، وَرَدَ أَنَّ إِرْجَاعَ ضَمِيرِ الْجَمْعِ إِلَى الْوَاحِدِ إِنَّمَا هُوَ فِي التَّكْلِمِ
وَالخَطَابِ ، وَقَدْ وَرَدَ تَعْظِيمُ الْغَائِبِ قَلِيلاً . قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ ، فِي تَفْسِيرِ
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ^(١) ﴾ مِنْ سُورَةِ يُونُسَ : وَالضَّمِيرُ لِفِرْعَوْنَ ،
وَجَمَعَهُ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْتَادُ فِي ضَمِيرِ الْعُظْمَاءِ . لَكِنْ اسْتَشْكَلَهُ شُرَّاحُهُ .
قَالَ سَعْدِيُّ : أَيُّ قَدْرِ لِفِرْعَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى يَعْبَّرَ عَنْهُ بِصِغَةِ التَّعْظِيمِ .
نَعَمْ لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ كَلَامٍ مَنْ يَعْظُمُ فِرْعَوْنَ لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ .
وَكَذَا قَالَ الْكَازِرُونِيُّ .

وَأُورِدَ الْبَغْدَادِيُّ ^(٢) هَذِهِ الرَّوَايَةَ ^(٣) وَقَالَ : الضَّمِيرُ فِي يَعْجَلُنَّ وَلَهْنًا
لِمَوَاعِيدِهَا فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُوَ :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عِرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا

وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

وَيَعْجَلُنَّ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَهُوَ خِلَافُ الْبُطْءِ ، يُقَالُ عَاجَلَهُ وَأَعَجَلَهُ ،
إِذَا سَبَقَهُ . وَعَجَلٌ هُوَ يَعْجَلُ مِنْ بَابِ فَرَحٍ . وَالْأَبْدُ : الدَّهْرُ . يَقُولُ :
أَرْجُو أَنْ تَسْبِقَ مَوَاعِيدُهَا وَيُسْرِعَ إِنْجَازُهَا فِي دَهْرٍ مِنَ الدُّهُورِ ، وَلَا يَحْصُلُ
ذَلِكَ . وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَشْهَرُ . ١ هـ .

وَرَوَاهُ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ (فِي سِيرَتِهِ) ، تَبَعًا لِسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ :

أَرْجُو وَأَمْلُ أَنْ يَعْجَلُنَّ فِي أَمْدٍ وَمَالِهِنَّ إِخْصَالُ الدَّهْرِ تَعْجِيلُ

وَقَوْلُهُ : (أَرْجُو وَأَمْلُ) الْخُ أَرْجُو مَعَ فَاعِلِهِ الْمُسْتَتِرِ جَمَلَةٌ اسْتِثْنَائِيَّةٌ ،

(١) الآية ٨٣ من سورة يونس .

(٢) هو شارح بانث سعاد ، أحمد بن محمد بن الحداد ، السابق الذكر .

(٣) ط : « في هذه الرواية » ، صوابه في ش .

لا تَعَلَّقْ لها ^(١) بما قبلها ، وهو البيت الذي نقلناه . وآمَلْ معطوف عليه ، وهو بمعناه ، وَحَسَّنَ العطفَ لتغاير اللفظين ، وعطف المترادفين لا يكون إلا بالواو . وقال البغدادي : وبعضهم فَرَّقَ بينهما بأنَّ الرجاءَ توقُّعُ حصولِ مطلوبٍ في المستقبل مع خوفٍ عدمِ وقوعه . والآمَلُ : طلبُ حصولِ ما يَغْلِبُ وقوعه في ظنِّ الطالب لتعلُّقه به . وإن لم يقارنه خوفُ عدمِ الوقوع . وقال صاحب المصباح : أَمَلْتُهُ أَملاً من باب طَلَبَ ، وهو ضدُّ اليأس . وأكثر ما يُستعمل الأملُ فيما يُستبعدُ حصوله . قال :

* أَرَجُو وآمَلُ أَنْ تَدْنُو مودَّتُها *

ومن عزم على سفرٍ إلى بلدٍ بعيد يقول : أَمَلْتُ الوصولَ ، ولا يقول طَمِعْتُ إلا إذا قُرِبَ منها ، فإنَّ الطمعَ لا يكون إلا فيما قُرِبَ حصوله . وقد يكون الأملُ بمعنى الطَّمَعِ . والرجاءُ بين الأملِ والطمعِ ، فإنَّ الرَّاجِيَ ^(٢) قد يَخَافُ أن لا يحصل ما مأمولُه ، فلهذا يستعمل بمعنى الخوفِ . فإنَّ قوَى الخوفِ اسْتَعْمِلَ استعمال الأملِ ، وعليه بيت كعب : وإلاَّ اسْتَعْمِلْ بِمَعْنَى الطَّمَعِ ، فأنَّا آمَلُ وهو مأمول . وأمَلْتُهُ تأميلاً مبالغَةً وتكثيراً ، وهو أكثر استعمالاً من المَخَفِّ . ٥١ .

وفي المجلس الثامن والخمسين (من أمالي ابن السجري البغدادي) أنه اسْتَفْتِيَ عَن مسائل ، منها : هل يَأْمَلُ ومأمول وما تصرَّفَ منها جائز؟ فأجاب عنها أولاً الحسنُ بن صافي المكنى أبا نزار ، المتلقَّب بملك النجاة بأنَّ أَمَلُ يَأْمَلُ لا يجوز ، لأنَّ الفعل المضارع إذا كان على يفعل بضم العين كان بابه أن ماضيه على فعَل بفتح العين ، وآمَلْ لم أَسْمَعُه فعلاً

(١) ط : « لا تعلق لها » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « الرجاء » ، صوابه في المصباح وش مع أثر تصحيح فيها .

ماضياً . فإن قيل : فقدّر أنّ يأمل مضارع ولم يأت ماضيه ، كما أنّ يذر ويدع كذلك . قلت : قد عُلم أنّ يذر ويدع على هذه القضية قد جاءا شاذّين ، فلو كان معهما كلمة أخرى شاذّة لنقلت نقلهما^(١) ولم يجوز أنّ لا تنقل . وما سمعنا أنّ ذلك ملحق بما ذكرنا ، فلا يجوز يأمل ولا مأمول ، إلا أنّ يُسمعى الثقة أمل خفيفة الميم . كتبه أبو نزار النحوى .

قال ابن الشجرى : وأجاب عنه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد :
 ١٠ وأما أمل يأمل ، فهو آمل ، والمفعول مأمول . فلا ريبَ في جوازه عند العلماء وقد حكاها الثقات ، منهم الخليل وغيره ، والشاهد عليه كثير . قال بعض المعمرين^(٢) :

المرءُ يأمل أن يعي شَ وطولُ عيشٍ قد يضره
 وقال الآخر^(٣) :

ها أنا ذا أملُ الخلودَ وقد أدركَ عقلي ومولدي حُجراً
 وقال كعب بن زهير :

* والعضو عند رسول الله مأمولٌ *

وقال المتنبي ، وهو من العلماء بالعربية :

* حُرِّموا الذى أمَلُوا^(٤) *

كتبه موهوب بن أحمد .

(١) في النسختين : « لم تنقل نقلهما » ، صوابه من أمالى الشجرى ٢ : ١١٧ .

(٢) هو النابغة الجمدى ، ديوانه ١٩١ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) هو الربيع بن ضبع . المعمرين ٧ ونوادر أبي زيد ١٥٩ .

(٤) يبدو أنه صدر بيت له ، فإن لم أجده في قوافى اللام .

وكتب على هامش الأمالى هنا أبو اليُمن الكندى البغدادي : قد جاء
أَمَلٌ مخففاً ماضياً في شعر ذى الرمة ، وهو قوله :

إذا الصيفُ أَجَلِي عن تَشَاءٍ من النَّوَى

أَمَلْتُ اجْتِمَاعَ الْحَيِّ فِي صَيْفِ قَابِلٍ^(١)

ولا غَرَوْ أَنْ لا يحضر الشاهدُ للإنسان وقتَ طلبه .

وهذا البيت ذكره أبو حنيفة الدينورى (في كتابه في الأنواء) ،
وذكره ابن جنى (في الخاطريات) . وهو في ديوان ذى الرمة مشهور . اهـ .

وأجاب ابن الشجرى بقوله : وأما قوله في أَمَلٍ وآمَلٍ ، أَنَّهُما لايجوزان
عنده ، لَأَنَّهُ لم يُسمع في الماضى منهما أَمَلٌ خفيف الميم ، فليت شعرى
ما الذى سَمِعَ من اللغة ووعاه حتى أنكر أن يفوته هذا الحرف ،
وإنما يُنكر مثلَ هذا من أنعم النظر في كتب اللغة كلها^(٢) ، ووقف
على تركيب أَمَلٍ^(٣) (في كتاب العين للخليل) ، و (كتاب الجمهرة لابن
دريد) ، و (المجمل لابن فارس) ، و (ديوان الأدب للفارابى) ،
و (كتاب الصحاح للجوهري) ، وغير ذلك من كتب اللغة . فإذا وقفَ
على أمّهاتِ كتب هذا العلم التى استوعبَ كلُّ كتاب منها اللُّغة أو
مُعظَمها ، فرأى أَنَّ هذا الحرف قد فات أولئك الأعيان ، ثم سمع قول
كعب بن زهير :

(١) التثانى : التفرق والاختلاف . ومنه قوله :

لمرى لقد أبقت وقيعة راھط لروان صدعاً بيننا متشائبا
وفى ط : « عن شتاء » ، وفى ش : « تناء » ، وصواب الرواية من الديوان ٤٩٤ .
ورواية الديوان أيضاً : « أملنا » بضمير الجماعة .

(٢) ط : « فى كتب العربية كلها » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٢ .

(٣) هذا رسم ش وأمالى ابن الشجرى ، ورسمت فى ط : « أمل » .

* والعضو عند رسول الله مأمولٌ *

سَلَّمَ لكعب وأذعنَ له صاغراً ، فكيف يقول من لم يتولج سمعه عشرة أسطرٍ من هذه الكتب التي ذكرتها : لم أسمع أمل ، ولم أسلم أن يقال مأمول . وأمّا قوله : إنّه لا يجوز يأمل ولا مأمول إلا أن يُسمعى الثقة أمل ، فقولُ من لم يعلم بأنهم قالوا فقير ولم يقولوا في ماضيه فقّر ولم يأت فعله إلا بالزيادة ، أفتراه يُنكر أن يقال فقير ، لأنّ الثقة لم يُسمعه فقّر ؟ ! ولعلّه يجحد أن يكونوا نطقوا بفقير وقد ورد به القرآن في قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنِّي لَمَّا أَنزَلتَ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فقيرٍ ﴾^(١) . وهل إنكار فقير إلا كإنكار مأمول ، بل إنكار فقير عنده أوجب ، لأنهم لم يقولوا في ماضيه إلا افتقر ، ومأمول قد نطقوا بماضيه بغير زيادة . انتهى كلام ابن السجري .

وقد نقل ابن هشام (في شرح هذه القصيدة) السؤال والجوابين باختصار ، ثم قال : ومن الغريب أن هذين الإمامين لم يستدلّا على مجيء أمل بالبيتين في هذه القصيدة ، أحدهما البيت الشاهد ، وثانيهما قوله :

* وقال كلُّ خليلٍ كنتُ أمّله^(٢) *

بل تكلف ابن الجواليقي وأنشد قولَ شاعرٍ آخر .

وقول ابن السجري إنّه لم يسمع فقير اعتمد فيه على كلام سيويه والأكثرين . وذكر ابن مالك أن جماعة من أئمة اللغة نقلوا مجيء

(١) الآية ٢٤ من سورة القصص .

(٢) مجزه كما في ديوان كعب وشرح بانث سعاد ٧١ :

* لا ألفتك إني عنك مشغول *

ويروى : « لا ألفتك » .

فقرُّ وفقرَ، بالضم والكسر . وأنَّ قولهم في التعجب ما أفقره مبنىً على ذلك، وليس بشاذٍ كما زعموا . ١٠ هـ .

وقوله : (أن تدنو) سكنت الواو للضرورة، أو أهملت أن حملاً على « ما المصدرية »، وهي مع مدخولها في تأويل مفرد منصوب، تنازعه الفعلان، فأعمل الثاني وحذف مفعول الأول كما هو الأولى عند البصريين . و (مودتها) فاعل تدنو ، والضمير لسعاد . والمودة : مراعاة الصُّحبة . ١١

وقوله : (وما إخال) الواو للاستثناف . وكسُرُ همزة إخال فصيحٌ استعمالاً شاذٌ قياساً ، وفتحها لغة أسد . وقوله : (لدينا منك تنويل) قال البغدادي : تنويل مبتدأ ولدينا خبره ، ومنك : حال من تنويل ، وكان صِفته فلماً تقدّمه صار حالاً منه . ومن فيه لابتداء الغاية . ولدى : ظرف مكان غير متمكّن بمنزلة عند ، لا يُجرُّ إلا بمن . وتنويل : تفعيل من النوال ، وهو العطاء ، وكأنّه كنى به عن وصلها . وفي منك التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . ١٠ هـ .

وجوزّ ابن هشام ارتفاع تنويل بأحد الظرفين ، لاعتماده على النفي ، وتكون جملة إخال معترضة كقوله :

* ما خلّيتني زلتُ بعدكم ضمناً^(١) *

ولم يبيّن ما موضع الظرف الآخر من الإعراب، وجوزّ أيضاً أن يكون كلُّ منهما أو كلاهما خبراً عن تنويل، والمسوّغ إمّا تقدّم النفي^(٢) ، أو

(١) في النسختين : « ظمناً » ، صوابه في شرح ابن هشام لبانت سعاد ٤٢ والعين ٢ : ٣٦٨ والتصريح ١ : ٢٤٩ ، واللسان (ضمن ١٢٩) . وعجزه :

* أشكو إليكم حموة الألم *

والضمن كالزمن بكسر الميم ، وزناً ومعنى .

(٢) ط : « ما تقدم النفي » ، صوابه في ش .

تقدّم الخبر . وإذا قدر الطرفان خبرين قدر لكل منهما متعلق يخصّه .
 وإذا قدر الخبر الأول فالطرف الثاني إمّا متعلق به أو بمتعلّقه المحذوف
 على الخلاف المشهور في أنّ العمل للطرف أو للاستقرار . وإمّا حالٌ
 فيتعلّق بمحذوف ، وصاحبُ الحال إمّا الضمير المستتر في الطرف الأوّل ،
 لأنّ الصحيح أنّ الطرف يتحمّل ضميراً منتقلاً إليه من الاستقرار
 المحذوف . وإمّا نفس التنويل ، وعامله على هذا الاستقرار المقدّر
 لا الابتداء ، لأنّ الحال إنّما يعمل فيها الفعل أو شبهه أو معناه .
 وإذا قدر الخبر الطرف الثاني كان الطرف الأوّل متعلّقا به ، وجاز تقديمه
 عليه للاتّساع في الظرف .

وكعب بن زهير صحابيٌ تقدّم نسبه في ترجمة والده في الشاهد كعب بن زهير
 الثامن والثلاثين بعد المائة (١) .

وقال ابن عبد البر (في الاستيعاب) : كان كعبُ بن زهير شاعراً
 مُجوداً كثير الشعر ، مقدّماً في طبقة هو وأخوه بُجير ، وكعبُ أشعرهما ،
 وأبوهما زهير فوقهما . قال خلفُ الأحمر : لولا قصائدُ لزهير ما فضّلته
 على ابنه كعب . ولكعبِ ابنُ شاعر اسمه عُقبة ولقبه المضرب ، لأنّه
 شَببَ بامرأةٍ فضربه أخوها بالسيفِ ضرباتٍ كثيرة ، فلم يمُت . وله
 ابنٌ أيضاً يقال له العوام ، شاعر .

ومما يُستجاد لكعب قوله :

لو كنتُ أعجبُ من شيءٍ لأعجبتني

سَعَى الفتي وهو مخبوءٌ له القـندر (٢)

(١) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .

(٢) ديوان كعب ٢٢٩ ، والشعراء ١٥٢ ، ومجموعة المعاني ٥ .

يسعى الفتي لأُمور ليسَ يُدرِكُها
 فالنفسَ واحــــدةً والهمُّ منتشرُ
 والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملُ
 لا تنتهي العينُ حتَّى ينتهي الأثرُ
 ومما يُستجاد له أيضًا :

إن كنتَ لا ترهبُ ذمِّي لِمَا
 تعرفُ من صفحي عن الجاهل^(١)
 فاخشَ سُكوتي إذ أنا منصتُ
 فيك لمسموعِ خنا القائلِ
 والسَّامعُ الذمِّ شريكُ له
 ومُطعمُ المأكولِ كالآكلِ
 مقالةُ السَّوءِ إلى أهلها
 أسرعُ من مُنحدرِ سائلِ
 ومن دعَا النَّاسَ إلى ذمِّه
 ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

وسببُ إسلامِ كعبٍ وخبرُ هذه القصيدة مذكورٌ في كتب السِّيرِ
 والأخبارِ ، لا سيَّما في شرحيها للبغدادى وابن هشام .

١٢

(١) هذه الأبيات لم ترد في ديوانه . ونسبت في الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب لأسامة
 ٣٦٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٥٥ إلى العتابي . ووردت في الحيوان ١ : ١٥ وجمع الجواهر ٤
 بدون نسبة . ووردت نسبتها إلى كعب هنا نقلًا عن شرح بانث سعاد لابن هشام ٣ . ونسبت إلى
 محمد بن حازم الباهلي في زهر الآداب ٤٩٧ .

وملخصه على ما نقله البغدادي عن أبي عمرو بن العلاء : أَنَّ زهيراً قال لبنيه : إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَايِ سَبِيًّا دُئِيَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَمَدَدْتُ يَدِي لِأَتَنَاوَلَهُ فَفَاتَنِي . فَأَوْلَتْهُ بِالنَّبِيِّ الَّذِي يُبْعَثُ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَأَنْتَى لَا أُدْرِكُهُ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فليؤمِّنْ بِهِ . فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ ، وَأَقَامَ كَعْبٌ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّشْبِيبِ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَنْ وَقَعَ كَعْبٌ ابْنُ زُهَيْرٍ فِي يَدِي لِأَقْطَعَنَّ لِسَانَهُ » .

وكتب كعب أبياناً أرسلها إلى بُجَيْرِ يُوَبِّخُهُ عَلَى إِسْلَامِهِ ، فَكُتِبَ بِجَيْرٍ إِلَى كَعْبٍ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَهْدَرَ دَمَكَ ، فَإِنَّ أَسْلَمْتَ وَلَقِيْتَهُ مُسْلِمًا طَمِعْتَ لَكَ فِي النَّجَاةِ ، وَإِلَّا فَإِنِّي أَحْسِبُكَ لَا تَنْجُو ! فَاسْأَلْ كَعْبٌ وَقَدِيمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْشُدْهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، فَآمَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَجَازَهُ بُرْدَتَهُ الشَّرِيفَةَ الَّتِي بِيَعَتْ بِالثَّمَنِ الْجَزِيلِ ، حَتَّى بِيَعَتْ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ الْخَلِيفَةَ بِمَبْلَغِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَبَقِيَتْ فِي خَزَائِنِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى أَنْ وَصَلَ الْمُعْوَلُ وَجَرَى مَا جَرَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ :

(إِنَّ مِنْ يَدْخُلِ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَوْنَ فِيهَا جَاذِرًا وَظَبِيَاءَ)

عَلَى أَنَّ اسْمَ إِنَّ ضَمِيرَ الشَّانِ ، حَذَفَ لِحُضُورِ الشَّعْرِ ، وَالتَّقْدِيرُ إِنَّهُ مِنْ يَدْخُلِ الْخِ .

وهذا البيت قد تقدّم شرحه في الشاهد الثامن والسبعين (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد السبعمائة^(١) :

٧١٥ (ولستم فاعلين إخال حتى ينال أقاصي الحطب الوقود)

على أن إخال الملقاة وقعت مُعْتَرِضًا بها بين اسم الفاعل وهو فاعلين ، وبين معموله وهو حتى ، فإنها جارة بمعنى إلى متعلقة به . وينال منصوب بأن مضمرة بعدها .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات سته لعقيل بن علفة ، أوردها أبو تمام (في الحماسة) ، وهي :

أبيات الشاهد (تنأهوا وأسألوا ابن أبي لبيد)

أأعتبه الضبارمة النجيد^(٢)

ولستم فاعلين إخال حتى

ينال أقاصي الحطب الوقود

وأبغض من وضعت إلى فيه

لساني ، معشر عنهم أذود

ولست بسائل جاريت بيتي

أغيب رجالك أم شهود

ولست بصادر عن بيت جاري

صُدور العير غمره الورود

ولا ملتي لذي الودعات سوطي

ألاعبه وربته أريد^(٣))

(١) الحماسة ٤٠١ بشرح المرزوق و ١ : ٣٧٧ بشرح التبريزي ، واللاذلي ١٨٥ .

(٢) في هذا البيت إقواء في التصريح . وانظر العمدة ١ : ١١٦ .

(٣) في السمط : « ولا ألق » . ويروى : « لأليه » . ويروى : « وربته أريد »

أي ربة ذي الودعات ، يعني أمه .

(في شرح التبريزي) : البيتان الأخيران لابن أبي نُمير القتالي ، من بنى مرة ، جاء بهما أبو تمام ضلّة في هذه الأبيات وليستا منها . وكذا قال أبو عبيد البكري (في اللآلي شرح أمالي القتالي) نقلا عن أبي [الفضل^(١)] الرياشي . قوله : « تناهوا واسألوا » الخ ، كلاهما فعل أمر من النهى والسؤال . والضبارمة ، بضم المعجمة بعدها موحّدة ، هو الجريء على الأعداء . ويسمى الأسد ضبارمة . ويقال : هو الأسد الوثيق الخلق الكثير اللحم . والتنجيد : ذو النجدة ، وهو البأس والشدة . وأعتبه بمعنى أرضاه . وليس يريد الرضا ، ولكن يريد : هل جازيته بما فعل لي ؟ لأنه لما جنى عليه فكأنّه استدعى شره كما يستدعى الرجل العتبي من صاحبه . يقول : كفوا عما أنتم عليه من تهيج الشر ، واسألوا هذا الرجل هل أرضاه الأسد القوي الشديد لما تحكك به ، وهل وفاه ما استحقّه عليه ، كابن أبي لبيد ، كان أجدر منهم بأن ينال البغية منه ، لشدة شكيمته وقوته فأخفق . يقول : سلوه عن وتره عنده هل نقضه ؟ ثم لينهكم ذلك عن الجراءة على مثلي .

وقوله : « ولستم فاعلين » الخ ، حذف مفعول فاعلين ، وهو ما دلّ عليه في البيت قبله « تناهوا » كأنه قال : ولستم فاعلين التناهي . والوقود بالضم : إيقاد النار ، وبالفتح : الحطب . والأقصى : الأبعد . وهذا مثلٌ تمثّل به في انتهاء الشر . يقول : لستم متناهين عما أكرهه منكم حتى يعممكم الشر ويبلغ البلاء أقصى المبلغ ، فيتعدى من الأقارب إلى الأبعد ، ومن السقيم إلى البريء . وذكر الحطب والوقود هنا مثلاً لتفاهم الشر واتساع المكروه .

(١) ساقطة من النسختين ، وهو العباس بن الفرج الرياشي ، تلميذ المازني في النحو وأستاذه في اللغة ، وروى عنه المبرد وابن دريد . توفي مقتولا سنة ٢٥٧ . إنباه الرواة ٣ : ٣٦٧ - ٣٧٣ وبغية الوعاة ٢٧٦ .

وقوله : « وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ » إلخ ، فيه تقديمٌ وتأخيرٌ ، وأصله : وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ إِلَىٰ مَعْشَرٍ أَذُوْدُ عَنْهُمْ ، أى أَبْغَضُ الْأَشْيَاءَ إِلَىٰ أَنْ أَهْجُوَ مَعْشَرَ الَّذِينَ يَلْزِمُنِي الذَّبُّ عَنْهُمْ ، فمن هنا نكرة موصوفة ، وصفته الجملة التي هي وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ ، وقد فصل بينهما بقوله « إِلَىٰ » وهو أَجْنَبِيٌّ مِنْهَا . وهذا في الصِّفَةِ أَقْرَبَ مِنْهُ فِي الصَّلَةِ .

وقوله : « وَلَسْتُ بِسَائِلٍ » إلخ ، كنى في البيت عن عِفَّتِهِ . يقول : لَا أَكَلِّمُ جَارَتِي لِأَنِّي أَصُونُهَا عَنِ الْكَلَامِ . ويجوز أن يكون تعريضاً للذي يهجوهُ ، أى لَا أَغْنِمُ الْخُلُوةَ لِجَارَاتِ بَيْتِي فَاتَطَلَّبَ غَيْبَةَ رِجَالِهِنَّ عَنْهُنَّ .

وقوله : « وَلَسْتُ بِصَادِرٍ » إلخ ، يقول : إِذَا دَعَانِي الْجَارُ إِلَىٰ بَيْتِهِ يَكْرَمُنِي بِبِرِّهِ لَا أَصْدُرُ عَنْ بَيْتِهِ وَالطَّمْعُ فِي مَالِهِ بِحَالِهِ ، كما يصدر العَيْرُ عَنِ الْمَاءِ وَقَدْ غَمَّرَهُ الْوَرُودُ . وَالتَّغْمِيرُ ^(١) كَالْتَصْرِيدِ ، وهو شَرْبٌ دُونَ الرِّىِّ ، وَمِنْهُ الْغَمْرُ لِلْقَدْحِ الصَّغِيرِ . وَقِيلَ فِي غَمْرِهِ إِنَّهُ بِمَعْنَىٰ أَرْوَاهُ مِنَ الْغَمْرِ وَهُوَ الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ : لَا أَتَهَالِكُ عَلَىٰ طَعَامِهِ كَالْمَنْهُومِ الْخَسِيسِ الْهَمَّةِ ، لَكِنِّي آكُلُ أَكْلًا كَرِيمًا . وَالْمَعْنَىٰ الْأَوَّلُ أَوْجَهُ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ إِنِّي لَا أَصْدُرُ عَنْ بَيْتِهِ وَنَفْسِي تَدْعُونِي إِلَىٰ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ ، لِأَنِّي رَجَعْتُ مُسْرِعًا حِينَ عَلِمْتُ بِمَكَانِ جَارِي عَنْهُ ^(٢) ، كَمَا يَفْعَلُ الْعَيْرُ إِذَا أَحْسَسَ بِالْقَانِصِ .

وقوله : « وَلَا مُلْتَقِيٌّ لِمَنْ لَدَى الْوَدَعَاتِ » إلخ ، الْوَدَعَةُ : الْخَرَزَةُ تُعَلَّقُ فِي عُتْقِ الصَّبِيِّ ، أَيْ لَا أَشْغَلُ الصَّبِيَّ ذَا الْوَدَعَاتِ بِسُوطِي ^(٣) وَأَنَا أُرِيدُ

(١) ط : « والتغمر » ، صوابه في ش .

(٢) كذا في النسختين ؛ فيكون المعنى رجعت مسرعاً عن البيت .

(٣) ط : « بسوطي » ، صوابه في ش .

رَيْبَتُهُ ، أَي رَيْبَةُ أُمَّهُ . وَيُرْوَى : « وَرَبَّتُهُ أُرِيدُ » وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ أُمَّهُ لِأَنَّهَا تَرَبُّهُ وَتَمْلِكُ أَمْرَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِنْدَى الْوَدَعَاتِ ابْنَ أُمَّةٍ وَيُرِيدُ بِرَبَّتِهِ مَوْلَاتَهُ . وَجُمْلَةُ الْأَعْبَةِ حَالٌ .

وَعَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُرَوَّانِيَّةِ ، تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ (١) .

• • •

وَأُنْشِدُ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ عَشَرَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ (٢) :

٧١٦ (وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَاتَيْنِ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيْشُ سِهَامَهَا)

عَلَى أَنَّ عِلْمَ نَزْلِ مَنْزِلَةِ الْقِسْمِ ، فَيَكُونُ جُمْلَةُ لَتَاتَيْنِ جَوَابَ الْقِسْمِ الَّذِي هُوَ عَلِمْتُ ، وَحِينَئِذٍ تَخْرُجُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ فَلَا تَقْتَضِي مَعْمُولاً وَلَا تَتَّصِفُ بِعَمَلٍ وَلَا تَعْلِيْقٍ وَلَا إِلْغَاءٍ .

وَهَذَا مَاخُوذٌ مِنْ كَلَامِ سَيَبَوِيهِ ؛ فَإِنَّهُ أُوْرِدَ هَذَا الْبَيْتَ فِي بَابِ أَفْعَالِ الْقِسْمِ وَقَالَ : كَأَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ لَتَاتَيْنِ ، كَمَا قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ لَعَبْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ . ا هـ .

وَيَجُوزُ أَنْ تَبْقَى عِلْمٌ هُنَا عَلَى بَابِهَا ، وَتَكُونُ مَعْلُوقَةً بِلَامِ الْقِسْمِ ، فَيَكُونُ جُمْلَةُ لَتَاتَيْنِ مَنِيَّتِي جَوَاباً لِقِسْمٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ : وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَاللَّهِ لَتَاتَيْنِ مَنِيَّتِي . وَجُمَلَتَا الْقِسْمِ وَالْجَوَابُ فِي مَوْقِعِ نَصْبٍ بِعِلْمَتِ الْمَعْلُوقِ .

(١) الخزانة ٤ : ٤٨١ - ٤٨٣ .

(٢) فِي كِتَابِهِ ١ : ٤٦٥ . وَانظُرِ الْمَعْنَى ٤٠١ ، ٤٠٧ ، وَشُدُورُ الذَّهَبِ ٣٥٦ ، وَالْعَبْنِي

٢ : ٤٠٥ ، وَالتَّصْرِيحُ ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، وَالْمَجْمَعُ ١ : ١٥٤ ، وَالْأَشْمُونِيُّ ٢ : ٣٠٠ .

وإلى هذا ذهب ابن الناظم (في شرح الألفيَّة) قال : ومنها ، أى من
المعلقات ، لام الابتداء والقسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾^(١) ، وكقول الشاعر :

ولقد علمتُ لَتَاتَيْنِ منيبي البيت

وقرَّره ابن هشام (في شرح شواهد) ، وجوَّز الوجه الأوَّل أيضاً فيه ،
ثم قال : ويأتى الوجهان في الآية الكريمة أيضاً .

والسابق إلى تجويز الوجهين في الآية والبيت ابن جني (في سر
الصناعة) قال فيه : وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾^(١) الآية
فاللام في لقد لام القسم ، وهو محذوف ، والتقدير : والله لقد علموا .
واللام في لمن اشتراه لام الابتداء ، ومن بمنزلة الذي مبتدأ ، وصلته
اشتراه ، وماله في الآخرة خبره ، والجملة في موضع نصب بعلموا ،
كما تقول : قد علمت لزيد أفضل منك ، فلام الابتداء وهمزة
الاستفهام في التعليق سواء . وهذا مذهب سيويه . وذهب غيره إلى
جعل من شرطاً وجعل اللام فيه كالتى تعترض زائدة بين القسم والمقسم
عليه ، فالتقدير : والله لقد علموا لئن أخذ اشتراه ماله في الآخرة من
خلاق . وفي جعل من للشرط بعض الضعف ، وذلك أن علموا تقتضى
مفعولها ، فإذا أوقعت القسم بعدها صار التقدير : ولقد علموا أحلف
بالله لئن اشتراه أحد . وإذا تأدى الأمر إلى هذا قبح أن تلى علمت
فعل القسم ، لأنها وأخواتها إنما يدخلن على المبتدأ والخبر .

فإن قلت : فعلام تجييز كون من شرطاً وقد قدمت قبح ذلك ؟

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

فالجواب أَنَّ جواز ذلك على أَنَّ تجعل علموا نفسها قَسَمًا . وقد استعملتها العرب بمعنى القسم . ومن أبيات الكتاب :

* ولقد علمت لتأتين منيَّتي *

فكأنه قال : والله لتأتين منيَّتي .

فإن قلت : فإذا جعلت علموا جارياً مجرى القسم ، وعندك أَنَّ اللام في لقد دالةٌ على القسم المحذوف ، فكأنه عندك : والله لقد علموا ، وقولك لقد علموا جارٍ مجرى القسم ، فكيف يجوز على هذا دخول القَسَم على القَسَم ؟ أو لا ترى أَنَّ الخليل وسيبويه ذهباً في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ^(١) ﴾ أَنَّ جميع ما بعد الواو الأولى من الواوات إنما هو حرف عطف ، لثلاً يدخل قَسَمٌ على قسمٍ فيبقي الأول منهما غيرٍ مجاب . فالجواب : أَنَّ ذلك إنما جاز في علموا من حيث كان إنما هو في معنى القسم ، وليس قسماً صريحاً ، وإنما هو بمنزلة أشهد لقد كان كذا . فلاجل هذا جاز أن تكون ^(٢) (مَنْ) في ﴿ لَمَنْ اشتراه ﴾ شرطاً ، واللام في أولها مؤكدة للشرط . فاعرف ذلك . هـ .

والبيت نسبة سيبويه (في كتابه) للبيد ، والموجود في معلقته إنما هو المصراع الثاني ، وصدوره :

* صادفن منها غرة فأصبينه *

والنون من صادفن ضمير الذئاب ، وضمير منها ضمير البقرة الوحشية ، والهاء في « أصبينه » ضمير ولد البقرة . والمنية : الموت . وطاش السهم عن الرمية ، إذا وقع يمينه أو شماله ولم يصبه .

(١) الآية الأولى والثانية من سورة الشمس .

(٢) ط : « يكون » .

ولم يوجد للبيد في ديوانه شعر على هذا الروي غير المعلقة .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(..... وإننى قسماً إليك مع الصُدودِ لأَمِيلُ)

على أن (لقد علمت) في البيت السابق منزل منزلة القسم ، فصار
كقوله : « قسماً » في هذا البيت ، وهو بتقدير أقسم قسماً . وقوله : « لأَمِيلُ » خبر
مبتدأ محذوف ، أى لأننا أميل ، والجملة جواب القسم .

وقد تقدّم مشروحاً في الشاهد التسعين^(١) . وأصله :

إننى لأمنحك الصُدودَ وإننى قسماً إليك البيت

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد السبعمائة ، وهو من
شواهد سيويه^(٢) :

٧١٧ (لقد عَلِمْتُ أَيُّ يَوْمٍ عُقْبَتِي)

على أنه يجوز رفع (أَيُّ) على الابتداء ، ونصبها على الظرفية .

قال سيويه (في باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذى يتعدى) :
وتقول : عرفت أَيُّ يومِ الجمعة ، فتنصب على أنه ظرف لا على عرفت .
وإن لم تجعله ظرفاً رفعت . وبعض العرب يقول : لقد علمت أَيُّ يومِ عقبتى .
وبعضهم يقول : أَيُّ يومِ عقبتى . ٥١ .

(١) الخزانة ٢ : ٤٧ - ٥٥ حيث نسب البيت إلى الأحوص .

(٢) أورده سيويه في كتابه ١ : ١٢٢ ، وساقه مساق النثر لا الشاهد ، مسبوفاً بقوله :

« وبعض العرب يقول . » وانظر المخصص ٧ : ١١٩ .

وظاهر سياقه إنَّ هذا كلامٌ لا شعر ، ولهذا لم يشرحه أكثر شراح شواهدة ، ولم يورده أحد منهم في الأبيات إلا أبو جعفر النحاس ، وقال بعده : لا أنشده ، قال بعضهم : أي حين ، إذا رُفِعَ فلانٌ الاستفهام لا يفعل فيه ما قبله فيكون مبتدأ وخبره عقبتي . فإذا نصبت جعلته ظرفاً ولم يعمل فيه علمت . ٥١ .

يعنى أن أياً اكتسبت الظرفية من حين ، لإضافتها إليه .

وأورده أيضاً ابن السيرافي (في شرح أبياته) وقال : هو من رجز الراجز ، وهو :

أأنتِ يا بَسِيطةُ التي هيَبَيْنِيكَ في المَقِيلِ صُحْبَتِي^(١)

لقد عَلِمْتُ أَيَّ حِينٍ عُقْبَتِي هي التي عند الهَجِيرِ قالتِ
إِذَا النُّجُومُ في السَّمَاءِ وَكَلَّتِ

وبَسِيطة : اسم أرضٍ بين الكوفة وحزن بنى يربوع .

قال أبو محمد الأعرابي (في فرحة الأديب) : وفيها يقول عدى

ابن عمرو الطائي :

لولا توقُّد ما يَنْفِيهِ خَطُوهُما على البَسِيطةِ لم تُدرِكهُما الحَدَقُ^(٢)

(١) أنشد ياقوت هذا الشطر وسابقه في رسم (البسيطة) بالتصغير ، ولكن مقتضى التفسير التال أن تضبط هيئة المكبر . وكذلك أنشده في اللسان (بسط) مع تصريحه بأن اسم هذا المكان في الرجز يحتمل التصغير والتكبير . ورواية ياقوت : « قد هيبتك في المقييل » . ورواية ابن منظور : ما أنت يا بسيط التي التي أنذرنيسك في المقييل صحبتي قال ابن سيده : « أراد يا بسيطة ، فرخم » . فهاتان لفتان في اسم المكان « بسيطة » بالتصغير مع التخفيف ، و « بسيطة » بالتصغير مع تشديد الياء ، ولغة ثالثة في اللسان هي « بسيطة » بلفظ المكبر ، وأنشد أيضاً في تلك اللغة :

إنك يا بسيطة التي التي أنذرنيك في الطريق إخوتي

(٢) أنشد ياقوت هذا البيت في رسم (البسيطة) المكبر ، ولعله في صفة الأتان والمير ،

أو النعام والظلم .

وَحَطَّ ابْنَ السَّيرافي في قوله : البسيطة : الأرض المنبسطة الممتدة .
ثم رأيت ابن خلف أورد هذا الرجز ، وقال في مثال سيبويه :
أَمَا نَصِبَهُ فَعَلَى قَوْلِكَ : فِي أَيِّ الْأَوْقَاتِ الْاجْتِمَاعُ لِلصَّلَاةِ؟ وَرَفَعَهُ جَيِّدًا ، كَمَا نَهَى
قال : أَيُّ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالسَّبَبُ مِثْلُ الْجُمُعَةِ . وَإِنَّمَا جَازَ النَّصْبُ
فِي ذَلِكَ لِأَنَّ الْجُمُعَةَ فِيهَا مَعْنَى الْاجْتِمَاعِ ، وَالْأَصْلُ فِي السَّبَبِ الرَّاحَةُ ،
وَهُوَ فَعْلٌ وَقَعَ فِي الْيَوْمِ . [وَلَوْ قُلْتُ : الْيَوْمَ ^(١)] الْأَحَدُ وَالْاِثْنَانِ ، إِلَى
الْخَمِيسِ لَمْ يَجْزِ إِلَّا الرَّفْعُ . وَلَيْسَ لِلْأَحَدِ مَعْنَى يَقَعُ فِي الْيَوْمِ .

ثم قال سيبويه : وبعضُ يقول : لقد علمت أَيَّ يومٍ عقبتي ، أنشدته
نصباً ، وهذا البيت من الشعر ، وقد خلط بالكلام في الكتاب .
والشاهد فيه نصب أَيَّ على الظرف . وعقبتي مبتدأً وأيُّ حين خبره ،
كأنه قال : أَيَّ الْأَحْيَانِ اعْتَقَابِي ، يريد ركوب عقبته . ورفع جائرٌ
على ما قدمته . والبسيطة : الأرض المنبسطة الممتدة . « هَيَبْنِيكَ صُحْبَتِي » :
هيبوني من ركوبك والسير فيك . والمهجير : المهاجرة . وولت النجوم
يعني النجوم التي كانت في أول الليل مرتفعة ، ولت : انحطت لتغيب .
يريد أن له عقتين : عقتة بالليل ، وعقتة بالنهار . انتهى كلامه .

وذهب بالبسيطة إلى معناها اللغوي . وقد رده أبو محمد الأعرابي
وقال : إِنَّهَا عِلْمٌ لِأَرْضٍ بَعَيْنِهَا ، وَعَلِمْتَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَالتَّكْلِمْ . وَالْعُقْبَةُ
بضم العين المهملة وسكون القاف ، وهو مضاف إلى الياء . قال صاحب
العباب : العُقْبَةُ بِالضَّمِّ : النَّوْبَةُ بِالنُّونِ . تَقُولُ : تَمَّتْ عُقْبَتُكَ ، أَي
نَوْبَتُكَ .

ولم أفق عليه بأكثر من هذا والله أعلم .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد السبعائة^(١) :

٧١٨ (غَادَرْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ)

وهو قطعة من بيت ، وهو :

(غَادَرْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ)

على أَنَّ (غَادَرَ) ملحق بصيَّر في العمل والمعنى ، إذا كان ثانياً المنصوبين

معرفةً كما في البيت .

والمشهور في روايته : « وتركتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ » .

وقد استشهد به (في التفسيرين^(٢)) على أَنَّ ترك في قوله : ﴿ وَتَرَكَهُمْ

فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ^(٣) ﴾ ، كما في البيت .

وترك في الأصل يتعدى إلى مفعول واحد لأنه بمعنى طَرَحَ وَخَلَّى ، ثم ضُمَّنْ معنى صار ، إلا أَنَّ ما في البيت متعدُّ قطعاً إلى مفعولين ، لكون الثاني معرفة ، بخلاف الآية فإنَّ تَرَكَ فيها يحتمل أَنَّ تكون بمعنى الأصل متعدية إلى مفعول واحد ، ويكون « في ظلماتٍ لا يبصرون » حاليين مترادفتين كما قاله ابن الحاجب .

والبيت من معلقة عنتره العبسي . وقبله :

(ومُدَجِّجِ كَرِهَ الكِمَامَةُ نِزَالَهُ لا مُمَعِنٍ هَرَبًا ولا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ يَدَايَ له بعاجِلِ طَعْنَةٍ بِمَثَقَفِ صَدَقِ الكُعُوبِ مَقُومِ
فشككتُ بالرُّمَحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ ليس الكَرِيمُ على القَنَا بِمَحْرَمِ

(١) البيت من معلقة عنتره ، ولم أجد من استشهد به في النحو غيره .

(٢) انظر ما سبق في حواشي ٧ : ٤٨٥ .

(٣) الآية ١٧ من سورة البقرة .

وتركته جَزَرَ السَّبَاع) البيت

وقوله: «ومُدَجِّج» أي ربَّ مدَجِّج، وهو التام السَّلاح، بكسر الجيم وفتحها. والكُمَاءُ: الشُّجْعَان. والنَّزَالُ: المنازلة في الحرب. وقوله: «لا مَعْن» إلخ صفة ثانية لمدَجِّج. والإِمْعَانُ: المبالغة، ومعناه لا يَمَعْنُ هرباً فيبْعُدُ، ولا هو مستسلم فيؤَسِرُ، ولكنه يُقَاتِلُ. ويقال معناه لا يفرُّ فراراً بعيداً، إنما هو منحرفٌ لرجعةٍ أو كربةٍ يكرُّها إذا طَرَدَ لِقْرَنِهِ. وأراد وصفه بالحزم في الحرب. وأراد أنه وإن كان^(١) بهذه الصِّفة، وكان ممَّنْ تُكْرَهُ منازلاته، فإنِّي^(٢) لم أجبنُ عنه ولا هبنته، ولكنني أقدمت عليه.

وقوله: «جادت يداي» إلخ أي سبقتَه بالطعن، لأنني كنتُ أحذقُ منه. والثَقْفُ: الرمح المَقْوَم. والصَّدْقُ، بالفتح: الصُّلب. وما بين كلِّ أنبوبتين كعب.

وقوله: «فشككت بالرَّمح» إلخ. أي انتظمت ثيابه بالرَّمح، يريد أن الرَّماح مَوْلَعَةٌ بالكِرام، لِحِرصهم على الإقدام. وقيل: معناه كرمه لا يخلِّصه من القتل المقدَّر له.

وقوله: (وتركته جَزَرَ السَّبَاع) إلخ، الجَزَرُ: جمع جزرة يفتح الجيم والزاي، وهي الشَّاةُ أو الناقاة تنحر وتذبح. أي تركته لحمًا للسَّبَاع. والنَّوشُ: التناوُل. و(قَلَّةُ رَأْسِهِ): أعلاه. و(المِعْصَمُ): موضع السَّوار من الذراع. وكان الوجه أن يقول: ما بين قُلَّةِ رأسه والقَدَمِ، فلم يمكنه للقافية. ويحتمل أنه استعار المعصم لما فوق القدم من السَّاق، لتقارُبهما في الخِلقة.

(١) ط: «وأراد أنه كان»، صوابه في ش.

(٢) ط: «وإني»، صوابه في ش.

وترجمة عنتره تقدّمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب^(١)

* * *

١٧

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد السبعائة^(٢) :

٧١٩ (سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِيَصِيدَحَ انْتَجِعِي بِلَالًا)

على أن الفعل التالي لاسم العين بعد سمع ، يجوز أن لا يكون بمعنى النطق كما في البيت ، فإنّ الانتجاع الترددُ في طلب العُشب والماء ، وليس قولاً ، والمسموع مطلقُ الصّوت سواء كان قولاً أو حركة ، فإنّ المشى فيه صوتٌ تحريك الأقدام . وكذا الانتجاع ، هو طلب النجعة ، وهي مكان المطر إذا أجذبوا . والطلبُ إمّا بالسؤال وهو قول ، أو بالتردد ذهاباً ومجيئاً وفيه حركات مسموعة .

والشارح المحقق مسبوقةً بهذا الاختيار .

وقال ابن مالك (في التسهيل) : ألحقوا برأى العلميّة الحُلُميّة وسَمِع

المعلّقة بعَيْن ، ولا يُخبر بعدها إلّا بفعلٍ دالٍّ على صوت . ٥١ .

وقال شيخنا الخفاجي (في شرح درّة الغواص) و (في أماليه) :

ذهب الرضیُّ إلى أنّه لا يشترط ذكر مسموع بعد سمع ، وأنّ اشتراطه

أكثرى . وهذا من القليل الوارد على خلافه . ٥١ .

وهذا مخالفٌ لصريح كلام الرضی . وقوله (في أماليه) إنّ قياس

سمعتك تمشی ، على سمعت أنّك تمشی ، قياسٌ مع الفارق ، لأنّه بتقدير

الباء ، وليس من هذا القبيل الذي يدخل على المبتدأ والخبر .

(١) الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) المقتضب ٤ : ١٠ والكامل ٢٥٩ والمقدّم ٥ : ٣٣٣ والجمل ٣١٥ والموشح ٢٨١ ، ٢٨٢ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ وشرح درّة الغواص ٢٢٥ والتصريح ٢ : ٢٨٢ والأشعري ٤ : ٩٣ واللسان (صلح ٣٤٠ نجح ٢٢٥) وديوان ذی الرمة ٤٤٢ .

أقول : مراده أَنْ سَمِعَ في المثالين متعلّقه مطلقُ الصَّوت ، سواء كان من استعمال واحد أو من استعمالين . فَإِنَّ سَمِعَ في أكثر استعمالاته متعلّقه الصَّوت ، ولا يُستعمل^(١) في غير مسموع ؛ فَإِنَّ اللفظة موضوعة له ، ولا يلزم الدّلالة على الصَّوت وضعاً ، بل يكفي الدّلالة عليه ولو التزماً .

وقول الشارح المحقّق : « بنصب الناس » فيه ردٌّ على الحريري بإنكاره النصب ؛ فَإِنَّهُ قال (في درّة الغوّاص) : ومن أوهامهم في هذا المعنى أَنَّهُم ينشدون بيت ذي الرمة :

• سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا •

فينصبون لفظ النَّاسَ على المفعول ، ولا يجوز ذلك لَأَنَّ النصب يجعل الانتجاع ممّا يسمع ، وما هو كذلك . إِنَّمَا الصواب أَنْ يُنْشَدَ بالرفع على وجه الحكاية . ١ هـ .

وقد تبع في هذا المبرد ، فَإِنَّهُ قال (في الكامل) : قوله سمعت الناس ينتجعون غيثاً حكاية ، والمعنى إِذَا حُقِّقَ إِنَّمَا هو : سمعت هذه اللفظة ، أَي قائلًا يقول : الناس ينتجعون غيثاً ، ومثل هذا قوله :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ : أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرِّكْضِ الْمُعَارِ^(٢)

فمعناه وَجَدْنَا هذه اللفظة . فقوله : « أَحَقُّ الْخَيْلِ » ابتداءً ، والمعار خبره . وكذلك الناس ابتداءً وينتجعون خبره . ومثل هذا في الكلام : قرأتُ : الحمد لله رب العالمين ، إِنَّمَا حَكَيْتَ مَا قَرَأْتَ ، فهذا لا يجوز سواء .

(١) ش : « ولا تستعمل » .

(٢) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد روى النصب في البيت جماعة ثقات ، منهم ابن السيد (في أبيات المعاني) ، ومنهم الفارقي (في شرح أبيات الإيضاح) ، ومنهم الزمخشري وغيره . وقد أوردته بالرفع الزمخشري أيضاً في أول سورة البقرة ، على أن جملة الناس ينتجعون محكي والحكاية إما بقول مقدر على مذهب من اشترط في الحكاية القول ، أو بسَمِعت على خلاف . وتقديره كثير . واعلم أن نحو سمعت زيدا يقول كذا ، اختلِف فيه : فعند الأَخفش وأبي على الفارسي (في الإيضاح) وابن مالك ، وصاحب الهادي ^(١) ، وجم غفير ، أنه يتعدى إلى مفعولين : الأول الذات والثاني الجملة المذكورة بعد .

١٨

قال البعلی (في شرح الجمل) : وأما سَمِعَ فَإِنَّ وَلِيَهُ مَا يُسْمَعُ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ ، تَقُولُ : سَمِعْتُ الْحَدِيثَ ، وَسَمِعْتُ الْكَلَامَ . وَإِنْ وَلِيَهُ مَا لَا يُسْمَعُ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، كَقَوْلِكَ : سَمِعْتُ زَيْدًا يَقُولُ كَذَا . وَلَمْ يُجْزِ بَعْضُهُمْ سَمِعْتُ زَيْدًا قَائِلًا ، إِلَّا أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، لِأَنَّ قَائِلًا مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ ، وَالذَّاتُ لَا تَسْمَعُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ^(٢) ﴾ فَعَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ ، تَقْدِيرُهُ : هَلْ يَسْمَعُونَ دَعَاءَكُمْ . وَلَوْ جَعَلَ الْمُضَافُ إِلَى الظَّرْفِ مُغْنِيًا عَنِ الْمُضَافِ جاز . ٥١ .

قال (في شرح الهادي) : وفيه نظر ، فإن الثاني من قولنا سمعت زيدا يقول ، جملة ، والجملة لا تقع مفعولاً إلا في الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر ، نحو ظننت ؛ وسمعت ليس منها ، بل الحق أنه مما

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني ، صاحب تصريف العزى ، المتوفى سنة ٦٥٥ . وكتابه الهادي في النحو والصرف ، وشرحه وسمى شرحه الكافي . وقد قام بدراسة وتحقيقه محمود فجال سنة ١٣٩٨ في رسالة دكتوراه .

(٢) الآية ٧٢ من سور الشعراء .

يتعدَّى إلى مفعول واحد ولا يكون إلا ممَّا يسمع . فإنَّ عدَّيته إلى غير مسموع فلا بدَّ من قرينة بعده تدلُّ على أنَّ المراد ما يسمع فيه . فإنَّ قلت : سمعت زيدا يقول ، فزيداً مفعول على تقدير مضاف ، أى سمعت قول زيد ، ويقول فى موضع الحال . ا هـ .

وهذا النَّظر غير وارد ، وفى كلامهم ما يدفعه . كذا فى التسهيل ، وقد نقلنا عبارته .

فَعَلِمَ أَنَّ من قال بنصبها مفعولين جعلها ممَّا يدخل على المبتدأ والخبر ، لأنَّ الحواسَّ الظاهرة لَمَّا أفادت الإدراك والعلم ، إذ كانت طريقاً له ، أجروها مجرى رأى وعلم لذلك ، فأعملوها عملها .

وذهب بعضهم إلى جعل الجملة حالاً بعد المعرفة ، وصفةً بعد النكرة . قال القاضى فى تفسير : ﴿ سَمِعْنَا فَتَى يذُكُرُهُمْ ^(١) ﴾ : صفة مصحَّحة لأنَّ يتعلَّق به السمع ، وهو أبلغ فى نسبة الذِّكر إليه . ووجه كونه أبلغ إيقاع الفعل على المسموع منه ، وجعله بمنزلة المسموع مبالغةً فى عدم الوساطة بينهما ، ليفيد التركيبُ أنَّه سمعه منه بالذات . وضمير هو راجعُ إلى التعلُّق . وهذا معنى قوله فى تفسير : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ ^(٢) ﴾ حيث قال : أوقع الفعل على المُسمِع وحذف المسموع ، للدلالة وَصَفه عليه . وفيه مبالغةٌ ليست فى إيقاعه على نفس المسموع ^(٣) .

وقال الفاضل (فى حواشى الكشاف) : فى مثل هذا يُجعل ما يُسمع صفةً للنكرة وحالاً للمعرفة ، فأغنى عن ذكر المسموع . لكن لا يخفى أنَّه

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنبياء .

(٢) الآية ١٩٣ من سورة آل عمران .

(٣) ش : « عل النفس المسموع » ، صوابه فى ط وتفسير البيضاوى ١ : ٢٥٢ .

لا يصحُّ إيقاع فعل السَّماع على الرجلِ إِلَّا بإِضمارٍ أو مجازٍ ، أى سمعت كلامه . وَأَنَّ الأَوْفَقَ بالمعنى فيما جُعِلَ وصفاً أو حالاً أَنْ يُجْعَلَ بدلاً ، بتأويل الفعل ، على ما يراه بعض النحاة : لكنه قليلٌ فى الاستعمال ، فلذا آثر الوصفية والحالية . ٥١ .

وإنما كان البدل أَوْفَقَ لَأَنَّهُ يستغنى عن التجوُّز والإِضمار ، إذ هو حينئذٍ بدل اشتمال ، ولا يلزم فيه قصد تعلق الفعل بالبدل منه حتَّى يحتاج إلى إِضمارٍ أو تجوُّزٍ ، كما فى : سُلِبَ زيدٌ ثوبُهُ ، إذ ليس زيدٌ مسلوباً . ولم يؤوِّله أحدٌ لَأَنَّهُ غير مقصود بالنسبة ، بل توطئةٌ لما بعده . وإبدال الجملة من المفرد جائزٌ نحو : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ (١) .

وفى شرح المغنى : المحققون على أَنَّها متعدية إلى مفعول واحد ، وأن الجملة الواقعة بعده حال . وقال التفتازانى : أو بدل أو بيانٌ بتقدير المصدر . ويلزم عليه حذفٌ أَنْ ورفْعُ الفعلِ ، وجَعْلُهُ بمعنى المصدر بدون سابق ، وليس مثله بمقيس . وهذا ليس بواردٍ لَأَنَّهُ إشارةٌ إلى أَنَّ بدل الجملة من المفرد باعتبار محصّل المعنى ، لَأَنَّهُ سبِكٌ وتقدير .

بقى لسميع استعمالات غير ما تقدّم ، وهى ثلاثة :

١٩ أحدها : أَنْ تتعدّى إلى مسموع . وقد حقق السهيلي أَنَّ جميع الحواسِّ الظاهرة لا تتعدّى إِلَّا إلى مفعول واحد ، نحو : سمعت الخبر ، وأبصرت الأثر ، ومسست الحجر ، وذقت العسل ، وشممت الطيب .

ثانيها : تعليتها بإلى أو اللام ، وهى حينئذٍ بمعنى الإِصغاء ،

والظاهر أَنَّهُ حَقِيقَةٌ لَا تَضْمِينُ ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴾^(١) . فَاِنْ قُلْتُ : أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ سَمِعْتُ فَلَانًا يَتَحَدَّثُ ، وَسَمِعْتُ إِلَيْهِ يَتَحَدَّثُ ، وَسَمِعْتُ حَدِيثَهُ ، وَإِلَى حَدِيثِهِ^(٢) ؟ قُلْتُ : الْمَعْنَى بِنَفْسِهِ يَفِيدُ الْإِدْرَاكَ ، وَالْمَعْنَى بِالِإِصْغَاءِ مَعَ الْإِدْرَاكِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : اسْتَمَعْتُ لَهُ ، أَيُّ أَصْغَيْتُ ، وَتَسَمَّعْتُ إِلَيْهِ ، وَسَمِعْتُ إِلَيْهِ وَسَمِعْتُ لَهُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، فَإِنَّهُ مُجَازٌ عَنِ الْقَبُولِ .

ثالثها : تَعْدِيلُهَا بِالْبَاءِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَمَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ وَنَقْلُ ذَلِكَ إِلَى السَّامِعِ . وَيَدْخُلُ حَيْثُ ذُو عَلَى غَيْرِ الْمَسْمُوعِ ، وَلَيْسَتْ الْبَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ ، تَقُولُ : مَا سَمِعْتُ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ . وَفِي الْمَثَلِ : « تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ » : قَابَلَهُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْإِخْبَارِ عَنْهُ الْمُتَضَمَّنُ لِلْغَيْبَةِ . وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ^(٣) :

فَإِذَا سَمِعْتَ بِهَالِكٍ فَتَيَقَّنَنَّ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ فَتَزَوَّدَ^(٤)
 وَقَالَ آخَرُ^(٥) :

صَاحَ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعَ
 رَدًّا فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْعِلَابِ

(١) الآية ٨ من سورة الصافات .

(٢) وإلى حديثه ، ساقطة من شر ، ثابتة في ط وتفسير الزمخشري ٢ : ٢٦٠ .

(٣) لم أعر على هذا البيت في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ، ولكنه ثاني بيتين في الحماسة

بشرح التبريزي في أواخر باب المراثي ٣ : ١٢٤ ، وقيله :

إن المساءة للمرة موعده أختان رهن العشية أو غد

(٤) في النسختين : « فتيقن » ، والوجه ما أثبت من الحماسة .

(٥) هو إسماعيل بن يسار . الأغاني ٤ : ١١٩ وشرح شواهد الشافية ٣١٦ . والبيت

في اللسان (رأى ٤) بدون نسبة ، وكذلك في (علب ١١٩) ، وقال : « يروى في

الجلاب » ، وبتلك ورد في اللسان (حلب ٣١٩) .

وقال ربعة بن مقروم :

وقد سمعتُ بقوم يُحمَدون فلم

أسمَعُ بمثلِكَ لا حِلماً ولا جُوداً^(١)

وإنما أطلتُ الكلامَ في هذه الكلمة لأنَّ الشارحَ المحقِّقَ أوجزَ فيها
كلَّ الإيجاز .

والبیت من قصيدة لذي الرِّمة ، مدح بها بلالَ بنَ أبي بُردة بنِ صاحبِ الشاهد
أبي موسى الأشعري . وبعده :

(تُناخِي عند خَيْرِ فتيِّ يَمَانِ)

أبيات الشاهد

إذا النكبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالَا^(٢)

نَدَى وتكرُّمًا ولُبَابَ لُبِّ

إذا الأَشْيَاءُ حَصَلَتِ الرَّجَالَا^(٣)

وأبعديهم مَسَافَةً غَوْرٍ عَقْلِ

إذا ما الأمرُ ذو الشُّبُهَاتِ عَالَا

وهي قصيدةٌ طويلةٌ جداً ، وسيأتى إن شاء الله بيتٌ منها أيضاً في
أفعال المدح والذم .

وقوله : (سمعت النَّاسُ) النخ الغيث : المطر ، وأراد به ما يحصلُ
بسببه من الكلالِ والخِضْب . و (صَيَدَحَ) بإهمال الطرفين : اسم ناقةٍ
ذی الرِّمة . و (بلال) هو المددوح ، وتقدَّمت ترجمته في الشاهد الستين
بعد المائة^(٤) . قال المبرد (في الكامل) : وكان بلالٌ داهيةً لقيناً أديباً .

(١) الفضليات ٢١٤ والأغاني ١٩ : ٩١ من قصيدة يمدح بها مسعود بن سالم بن أبي سلمى .
وربعة هذا من مخضرمي الجاهلية والإسلام . (٢) ديوان ذي الرمة ٤٤٢ .

(٣) والأساس (حصل) : « أي ميزت خيارها من شرارها » .

(٤) الخزانة ٣ : ٣٥ .

ولما سَمِعَ قوله « سمعت الناس » البيت قال لغلامه : مُرْ لها بقتْ ونَوَى .
أراد أن الرِّمَّةَ لا يُحسِنَ المَدْحَ . ١ هـ .

وروى المرزباني (في الموشح) عن أبي عبيدة أن بلالا قال : يا غلام
اعلِفْ ناقته فإنه لا يُحسِنُ أن يمدح . فلما خرج ذو الرِّمَّةَ قال له أبو عمرو
وكان حاضراً : هلاً قلت له إنما عَنَيْتُ بانتجاع الناقة صاحبها كما
قال الله عز وجل : ﴿ واسأل القرية التي كُنَّا فيها ^(١) ﴾ يريد أهلها . وهلاً
أنشدته ^(٢) قول الحارثي :

وقفتُ على الدِّيار فكلَّمتني فما ملكت مدامعها القلوص ^(٣)
يريد صاحبها ، فقال ذو الرمة : يا أبا عمرو ، أنت مفردٌ في
علمك ، وأنا في علمي وشعري ذو أشباه . ١ هـ .

وقال ابن عبد ربه (في العقد الفريد) : ولما أنشد هذا الشعرَ
بلالاً قال : يا غلامُ مُرْ لصيدح بقتْ وعلف ، فإنما هي انتجعتنا . وهذا
من التعتت الذي لا إنصافَ معه ، لأنَّ قوله انتجعي إنما أراد نفسه .
ومثله في كتاب الله تعالى : ﴿ واسأل القرية التي كُنَّا فيها والغير التي
أقبلنا فيها ^(٤) ﴾ ، وإنما أراد أهل القرية وأهل الغير .

وقوله : « إذا النكباء » إلخ قال المبرد (في الكامل) : النكباء : الريح
التي تأتي من بين ريحين ، فتكون بين الشمال والصبأ ، أو الشمال والذبور ،
أو الجنوب والذبور ، أو الجنوب والصبأ . فإذا كانت النكباء تناوحُ

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٢) ط : « وقد أنشدته » ، صوابه من ش والموشح ٢٨٢ .

(٣) ط : « القلوصا » ، صوابه في ش والموشح .

(٤) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

الشَّمَالُ فِيهِ آيَةُ الشَّتَاءِ . وَمَعْنَى تَنَاوَحِ تَقَابِلِ ، يُقَالُ تَنَاوَحَ الشَّجَرُ ، إِذَا قَابَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا . وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ النَّائِحَةَ بِهَذَا سَمَّيَتْ ، لِأَنَّهَا تَقَابِلُ صَاحِبَتَهَا . ٥١ .

يُرِيدُ ذُو الرِّمَّةِ أَنَّهُ يُعْطَى فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ النَّجْدُ وَالْقَحْطُ وَيُبْسُ وَجْهَ الْأَرْضِ .

وقوله : « نَدَى وَتَكَرَّمَا » تَمْيِيزُ لِقَوْلِهِ : خَيْرٌ فَتَى . وَحَصَّلَتْ بِمَعْنَى مَيَّزَتْ الشَّرِيفَ مِنَ الْوَضِيعِ .

والمسافة : الغاية . وعال : غلب . وذو الشبهات : ما اشبهه ولا يَهْتَدَى لَهُ .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت في الشاهد الثامن من أول الكتاب^(١) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْعِشْرُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ^(٢) :

٧٢٠ (إِذَا أَقْبَلْتَ قُلْتَ دُبَّاءَةً)

عَلَى أَنَّ (دُبَّاءَةً) لَيْسَتْ وَحْدَهَا مُحْكَمَةً بِالْقَوْلِ ، بَلْ هِيَ خَيْرٌ مَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ ، أَيْ هِيَ دُبَّاءَةٌ ، وَالْمَجْمُوعُ هُوَ الْمُحْكَمُ .

وهذا صدرٌ ، وعجزه :

(مِنْ الْخَضِرِ مَغْمُوسَةٌ فِي الْغُدْرِ)

وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَرَسٍ . وَقَبْلَهُ :

(لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيِّ سِدِّ رُكْبٍ فِيهِ وَظَيْفٌ عَجِرٌ)

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) المغانى الكبير ٦٠ ، ١٦٧ وتصنيف المسكوى ٢٢٣ والعمدة ٢ : ٢٠ ومجالس

المعلماء ٩٥ وديوان امرئ القيس ١٦٦ .

لها تُنن كخوافي العُقا بِ سُوْدُ يَفِينِ إِذَا تَزِيْثُرٌ^(١)
لها ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ
لها مَتْنَانِ خَطَايَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرُ
لها كَفَلٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيْلِ أَبْرَزَ عَنْهَا جُحَافٌ مُضِرٌّ
لها مَنخِرٌ كَوِجَارِ السَّبَاعِ فَمِنْهُ تُرِيحُ إِذَا تَنْبَهَرُ
وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بَدْرَةٌ وَشُقَّتْ مَآقِيْهَا مِنْ أُخْرٍ^(٢)
إِذَا أَقْبَلْتُ قُلْتَ ذُبَاءَةٌ مِنْ الْخُضْرِ مَغْمُوسَةٌ فِي الْغُدْرِ
وَإِنْ أَدْبَرْتُ قُلْتَ أَثْفِيَّةٌ مُلْمَمَةٌ لَيْسَ فِيهَا أَثْرٌ^(٣)
وَإِنْ أَعْرَضْتُ قُلْتَ سُرْعُوفَةٌ لَهَا ذَنْبٌ خَلْفَهَا مُسَبِّطٌ

قوله: « مثل قعب الوليد » إلخ ، القعب بفتح القاف : قدح من خشب مقعر . وحافر مقعب مشبه به . والوليد : الصبي . يريد أن جوف حافرها واسع . وبيته عوف بن عطية بقوله :

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ لِ يَتَّخِذُ الْفَأْرُ فِيهِ مَعَارًا^(٤)

والمعار بالفتح : المسكن . والوظيف من الحيوان : ما فوق الرأس إلى الساق ، وبعضهم يقول : مُقَدَّمُ السَّاقِ . وَعَجْرٌ ، بفتح المهملة وكسر الجيم ، قال في الصحاح : ووظيف عجرٌ ، بكسر الجيم وضمها ، أي غليظ .

(١) في الديوان ١٦٣ : « يفئن » بالهمز ، وفسره بقوله : « يعني يرجعن بعد از يثرارهن إلى مواضعها » . ثم قال : « و يروى : يفين ، بلا همز ، من الوفاء » .

(٢) في الديوان ١٦٦ : « شقت مآقيها » بالحرم والإضافة إلى ضمير المثني .

(٣) الأثر ، بضمين وبضمة واحدة : الأثر من الجراح ونحوها . ولم يفسره البغدادى .

(٤) الفضليات ٤١٤ وسمط اللالي ٦٣٣ .

وقوله: « لها ثنن » الخ هو جمع ثُنَّة بضم المثناة وتشديد النون ، وهي
الشعرات التي في مؤخر رُسغ الدابة . وَيَفِينَ غير مهموز ، أى يكثرن .
يقال وَفَى شعره ، إذا كثر . يقول : ليست بمنجردة لا شعرَ عليها . وتزبِيرٌ
تنتفش . والخوافي : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدّم الجناح .

وقوله : « لها ذنب مثل ذيل » إلخ دُبِرَ كلُّ شَيْءٍ : خَلْفُهُ ، وهو هنا حشوّ
يغنى عنه ذكر الفَرْج . وقال الآمدي عند قول البحترى :

ذَنْبٌ كَمَا سَجِبَ الرَّدَاءُ يَذِبُ عَنْ

عُرْفٍ ، وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ^(١)

هذا خطأ من الوصف ، لَأَنَّ ذَنْبَ الْفَرَسِ إِذَا مَسَّ الْأَرْضَ كَانَ عَيْبًا ،
فكيف إذا سَحَبَهُ . وإنّما الممدوح من الأذنان ما قَرُبَ من الأرض ولم
يَمَسَّهَا ، كما قال امرؤ القيس :

كَمِيتٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدًّا فَرَجَهُ

بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

والأعزل من الخيل : الذى يقع ذنبه في جانب ، وهو عادة لا خِلقة ،
وقد عيب قول امرئ القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس البيت

وما أرى العيب يلحقه ، لَأَنَّ الْعُرُوسَ وَإِنْ كَانَتْ تَسْحَبُ أَذْيَالَهَا ،
وكان ذنبُ الفرس إذا مَسَّ الْأَرْضَ عَيْبًا ، فليس بمنكر أن يشبه به
الذنب وإن لم يبلغ إلى أن يمس الأرض ؛ لَأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يُشَبَّهُ الشَّيْءَ إِذَا

(١) ديوان البحترى ١٧٤٦ تحقيق الصيرفي والموازنة ١٨٦ . وفي ط : « يذب عن
عوف » ، صوابه في ش وديوان البحترى والآمدي .

قاربه ، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صحَّ التشبيه . وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة . ألا ترى أنه قال « تسدُّ به فرجها من دبر » . وقد يكون الذنبُ طويلاً يكاد يمَسُّ الأرض ولا يكون كثيفاً فلا يسدُّ فرج الفرس . فلما قال تسدُّ به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول . فإذا أشبه الذنبُ الذيلَ من هذه الجهة وكان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجبٍ للعيب ، وإنما العيب في قول البحرى : « ذنبٌ كما سُحِبَ الرِّداءُ » . فأفصح بأنَّ الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قولُ خدّاش بن زهير :

لها ذنبٌ مثل ذيلِ الهدىِّ إلى جُوجُوِّ أيِّدِ الزَّافرِ^(١)
والهدىِّ : العروس التي تُهدى إلى زوجها . والأيِّد : الشَّديد . والزَّافر : الصَّدر ، لأنَّها تزفرُ منه ، فشبهه الذنبَ الطويلَ السَّابغَ بذيل الهدىِّ وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمَسَّ الأرض . ١ هـ .

وقوله : « لها متنتان » إلخ ، قال ابن قتيبة (في أبيات المعاني) ، عند قول أبي دُواد :

ومَتْنانِ خَطَّاتانِ كزُحُوفٍ مِنَ الهَضْبِ^(٢)

يقال لحمه خطّاً بظّاً ، إذا كان كثيرَ اللحمِ صُلْبَةً . والزُّحُوف : الحجر الأملس . قال امرؤ القيس : « لها متنتان خطّاتا » ، البيت . يقال هو خاطي البضيع ، إذا كان كثير اللحمِ مُكْتَنِزَهُ . وقوله خَطَّاتا ، فيه قولان :

(١) المعاني الكبير ١٤٩ .

(٢) ديوان أبي دواد ٢٨٨ والمعاني الكبير ١٤٥ والخيل لأبي عبيدة ١٥٨ والأصمعيات ٤١ .

أحدهما: أنه أراد خطاتان ، كما قال أبو.دُوَاد ، فحذف نون التثنية .
يقال مَتْنٌ خَطَاةٌ ومَتْنَةٌ خَطَاةٌ . والآخر : أنه أراد خَطَطْنَا ، أى ارتفعتنا ،
فاضطَّر فزاد أَلْفًا . والقول الأوَّل أجود . وقوله « كما أكبَّ على ساعديه
النمر » ، أراد: كأنَّ فوق مَتْنِهَا نَمْرًا بَارِكًا ، لكثرة لحم المتن . ا هـ .

ولا يخفى أنَّ هذا لا وجه له ، والصَّوابُ ما قاله ثعلب ، أى فى صلابة
ساعد النمر إذا اعتمد على يده .

وقوله : « لها كفل » إلخ الصَّفَاةُ بِالْفَتْحِ : الصَّخْرَةُ الْمَلْسَاءُ . وَالْمَسِيلُ :

٢٢

مجرى السيل ، شبَّه كفلها فى ملاسته بصفاءِ فى مَسِيلٍ أْبْرَزَهَا السَّيْلُ
وكشَفَ ما كان عليها من التُّراب . والجُحافُ ، بضم الجيم بعدها مهملة :
السَّيْلُ الشَّدِيدُ . والمُضَيَّرُ : الذى يضرُّ بكلِّ شَيْءٍ يَمُرُّ عَلَيْهِ ، أى يهدمُهُ
ويقلِّعُهُ .

وقوله : « لها منخر كوجار » الخ الوِجَارُ بفتح الواو وكسرهما بعدها

جيم : جُحْرُ الضَّبِّ ، شبَّه [به ^(١)] منخرها لسعته . وتُريحُ : تستنشق
الريِّحَ تارةً وتُرسلها ، من أَرَاخَ . والبُهْزُ بِالضَّمِّ : ضَيْقُ النَّفْسِ عِنْدَ الْجَرَى
والتَّعَبِ .

وقوله : « وعين لها حدرة » الخ بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين ، فى

الصَّحاح : وعينٌ حَدْرَةٌ ، أى مكتنزة صُلْبَةٌ . وعينٌ بَدْرَةٌ أى تبدرُ
بالنَّظَرِ ، ويقال تامَّةٌ كالبدر . وأُخْرُ بضمَّتَيْنِ ، فى الصَّحاح : وشقُّ ثوبه
أُخْرًا ومن أُخْرَ ، أى من مؤخَّره . وأنشد البيت .

(١) التكلة من ش .

وقوله: (إذا أقبلت قلت دُبَاءة) هي بضم الدال وتشديد الموحدة بعدها ألف ممدودة . قال أبو حنيفة (في كتاب النبات) : الدُبَاءُ : القرع ، واحده دُبَاءة وقرعة . وأنشد البيت ، ثم قال : وإنما شبهها بالدُبَاءة لدقة مقدمها وفعامة مؤخرها . وقيل كذلك خلق الإناث من الخيل . وهذا في الإناث والذكور سواء ، يستحب من الخيل أن تطول^(١) وتكون ماخيرها أعظم من مقاديمها . وامرؤ القيس وإن كان وصف فرساً أنثى هذا الوصف فقد وصف ابن مقبل ذكراً من الخيل^(٢) . هـ .

وقال المرزوقي (في شرح الفصيح) : يشبهون إناث الخيل بالدُبَاء ، وهي القرع ، والسُّلَاء وهو الشوك ، لأنها يستحب منها دقة المقدم وكثافة المؤخر ، وعلى هذا خلقة القرع والشوك . وأنشد البيت ثم قال : ويستحب من الذكور غلظ المقدم ودقة المؤخر ، ولهذا يشبهونها بالذئاب لكونها زلاً جمع أزل . هـ .

وقال ابن قتيبة (في أبيات المعاني) : يقول : كأنها من بريقها قرعة ، وليس يريد أنها مغموسة في الماء ، ولكنه أراد أنها في رى ، فهو أشد للمأستها . وهذا كقولك : فلان مغموس في الخير . وقال بعضهم : إناث الخيل تكون في الخلقة كالقرعة ، يدق مقدمها ويعظم مؤخرها . هـ . وقال العسكري (في كتاب التصحيف) عند قول امرئ القيس :

* مداك عرويس أو صراية حنظل *

(١) ط : « لطول أعناقها » ، صوابه في ش .

(٢) لم يذكر بيت ابن مقبل . وقد وجدته في ديوانه ٩٩ والمعاني الكبير ٦١ ، وهو :

كان دباءة شد الحزام بها في جوف أهوج بالتقريب والحضر

وبعده :

غوج اللبان ولم تعقد تائممه معمرى القلادة سن ربو ولا بهر

رواه الأصمعيُّ : «صراية» الصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان ، وهي الحنظلة الخضراء ، وقيل هي التي اصفرَّت ، لأنها إذا اصفرَّت برقت ، وهي قبل أن تصفرَّ مغبرة . قال : ومثله .

* إذا أقبلت قلت دُبَاءة^(١) *

أى من بريقها^(٢) ، كأنها قرعة . ا هـ .

والأنثية : الحجر الذي يُنصب عليه القدر . والسُرْعوفة ، بضم المهملتين ، قال الصاغاني (في العباب) : هي الجرادة ، ويشبّه بها الفرس . وأنشد هذا البيت .

وقد أورد ابن رشيقي (في العمدة) هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة في باب التقسيم ، قال : زعم الحاتمي أن أصحَّ تقسيمٍ وقع لشاعرٍ قولُ الأسعر الجعقوي يصف فرساً^(٣) :

أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يُكفِّف أن يطيرَ وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٍ قَمَوْصُ الوَقَعِ عاريةُ النَّسَا
أما إذا استعرضته مُتمَطِّراً فتقول : هذا مثلُ سِرْحانِ الغَصَا

(١) الذي في التصحيف : « إذا أعرضت » .

(٢) في أصل التصحيف : « من بريقها » ، وما هنا صوابه لا ما كتبه المحقق : « من يرا [ها] يظنها] » .

(٣) في النسختين : « الأشعر » بالشين المعجمة ، وهو تحريف يقع كثيراً في الكتب القديمة ، صوابه بالسين المهملة . والأسعر لقب له ، واسمه مرثد بن أبي حمران الجعقي ، وهو شاعر جاهلي ، لقب بالأسعر لقوله :

فلا يدعى قومي لسعد بن مالك لسُنُّ أنا لم أسعر عليهم وأنقصب
المؤتلف ٤٧ والسمط ٧٤ والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٣٤٨ واللسان والتاج (سمر) . وسعر النار والحرب يسرها سعراً ، وأسعرها إسعاراً ، وسعرها تسميراً : أوقدهما وهيجهما . وانظر الأسمعيات ١٤٠ - ١٤٣ .

واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس
إلا بشرف الصفات^(١) :

إذا أقبلت قلت دُبَاءَةً الأبيات الثلاثة

ولو لم يكن إلاّ بنسق هذا الكلام بعضه على بعض ، وانقطاع ذلك
بعضه من بعض . ٥١ .

٢٣

وتقدمت ترجمة امرئ القيس في الشاهد التاسع والأربعين من
أول الكتاب^(٨) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد السبعمائة^(٣) :

٧٢١ (تَنَادَوْا بِالرَّحِيلِ غَدًا وَفِي تَرْحَالِهِمْ نَفْسِي)

على أَنَّ جملة (الرَّحِيلُ غَدًا) من المبتدأ والخبر محكيّة بقولٍ محذوف
عند البصريين ، والتقدير: تنادوا بقولهم : الرحيلُ غداً . وعند الكوفيين
محكيّة بتنادَوْا ، فإنه يجوز عندهم الحكاية بما فى معنى القول ؛ فإنَّ
تنادَوْا معناه نادى كلُّ منهم الآخر ورفع صَوْتَهُ بهذا اللفظ ، وهو :
الرَّحِيلُ غَدًا .

وهذا البيت أنشده ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) وقال : أجاز أبو على
فى الرحيل ثلاثة أوجه : الجرُّ ، والرفع والنَّصب على الحكاية .
فكأنَّهم قالوا : الرحيلُ غداً ، أو نرحل الرحيلُ غداً ، أو نجعل الرَّحِيلَ^(٤)
غداً ، أو أجمعوا الرَّحِيلُ غداً . فحكى المرفوع والمنصوب . ٥١ .

(١) فى ط : « إلا شرف الصفات » ، صوابه فى ش والعمدة .

(٢) الخزانة ١ : ٣٣٠ .

(٣) المحتسب ٢ : ٢٣٥ وسر الصناعة ١ : ٢٣٦ والمقرب ١ : ٢٩٣ ودررة الفواص
١٠٩ والأشياء والنظائر ٤ : ١٦٦ .

(٤) فى النسختين : « ترحل الرحيل غداً ، أو تجعل الرحيل غداً » بالياء فى الفعلين ،
صوابهما بالنون كما أثبت من سر الصناعة .

ونقله القايم بن علي الحريري (في درة الغواص) عن ابن جني ولم يَزده شيئاً^(١). والتَّرحال: مصدرٌ جاء على التَّفعل بالفتح ، بمعنى الترحُّل. والتَّنفس بسكون الفاء .

ولم أقف على هذا البيت بأكثر من هذا . والله أعلم .

ومثله ما أنشده الزمخشري (في الكشاف) ، قول الشاعر :

رجلانٍ من ضبَّةٍ أخبرانا إنّنا رأينا رجلا عريانا^(٢)

قال : إنّنا بالكسر بتقدير القول عندنا ، وعندهم يتعلّق بفعل الإخبار .

وأنشد بعده :

(جاءوا بِمَذْقٍ هل رأيت الذئبَ قَطُّ)

على أنّ جملة (هل رأيت الذئبَ قَطُّ) محكيّة بقول محذوف ، تقديره بمذقٍ مقول فيه : هل رأيت الخ .

وقد تقدّم شرحه في الشاهد السادس والتسعين من أوائل الكتاب^(٣)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد السبعائة ، وهو من

شواهد س^(٤) :

٧٢٢ (أَجْهالاً تَقُولُ بنى لُؤى لَعَمْرُ أَيْبِك أَمْ مُتْجاهِلِينا)

(١) ط : « ولم تَزده شيئاً » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) أنشده في الخصائص ٢ : ٣٣٨ شاهداً على إسكان ضمة الجيم في « رجلا » . وانظر

معجم الشواهد .

(٣) الخزانة ٢ : ١٠٩ - ١١٢ .

(٤) في كتابه ١ : ٦٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٤٩ وابن يعيش ٧ : ٧٨ وشذور

الذهب ٣٨١ والمعنى ٢ : ٤٢٩ والتصريح ١ : ٢٦٣ والمجمع ١ : ١٥٧ والأشونى ٢ : ٣٧

وملحقات ديوان الكيت ٣ : ٣٩ .

على أنه فصل بالمفعول الثاني بين الهمزة وبين تقول :

قال سيبويه : واعلم أنّ قلت إنّما وقعت في كلام العرب على أنّ يحكى بها ، وإنّما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً ، نحو : قلت زيد منطلق ، لأنّه يحسن أن تقول زيد منطلق ، وتقول : قال زيد إنّ عمراً خيرُ الناس . وكذلك ما تصرف من فعله ، إلاّ تقول في الاستفهام شبهوها بتظنّ ولم يجعلوها كيظنّ وأظنّ في الاستفهام ، لأنّه لا يكاد يُستفهم [المخاطب^(١)] عن ظنّ غيره ، ولا يُستفهم هو إلاّ عن ظنه . فإنّما جعلت كتظنّ كما أنّ ما كليس في لغة أهل الحجاز ما دامت في معناها ، فإذا تغيّرت عن ذلك أو قدّم الخبر رجعت إلى القياس وصارت اللغات فيها كلغة بني تميم . ولم تُجعل قلتُ كظننت ، لأنّها إنّما أصلها عندهم أن يكون ما بعدها محكيّاً ، فلم تدخل في باب ظننت بأكثر من هذا . وذلك قولك : متى تقول زيداً منطلقاً ، وأتقول^(٢) عمراً ذاهباً وأكلّ يومٍ تقول عمراً منطلقاً ، لا تفصل بها كما لم تفصل في أكلّ يومٍ زيداً تضربه . وتقول : أنّت تقول زيداً منطلقاً ، رفعت لأنّه فُصل بينه وبين حرف الاستفهام ، كما فُصل في قولك : أنّت زيداً مررت^(٣) به ، فصارت بمنزلة أخواتها ، وصارت على الأصل ، كما قال الكميّ :

٢٤

أجهاً لا تقولُ بني لوى
..... البيت

(١) التكلة من سيبويه .

(٢) ش : « وأقول » ، صوابه في ط .

(٣) في سيبويه : « أنّت زيد مررت به » برفع « زيد » . وهما وجهان جائزان ،

والأرجح عند الفصل الرفع .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا^(١)

وإن شئت رفعت بما نصبت فجعلته حكاية . وزعم أبو الخطاب وسألته عنه غير مرة . أن ناساً يوثق بعربيتهم ، وهم بنو سليم ، يجعلون باب قلت أجمع مثل ظننت . انتهى كلام سيويه .

قال الأعمى : الشاهد فيه على أنه أعمل تقولُ عملَ تظنُّ لأنها بمعناها ولم يُرد قولَ اللسان ، وإنما أراد الاعتقاد بالقلب . والتقدير : أتقول بني لؤى جهالاً ، أى أتظنُّهم كذلك وتعتقدُهُ فيهم ؟ فبني لؤى المفعول الأول ، ومتجاهلينا المفعول الثاني . وأراد بني لؤى جمهور قريش كلها .

وهذا البيت من قصيدة يفخر فيها على اليمن ، ويذكر فضل مضر عليهم فيقول : أتظنُّ قريشاً جاهلين أو متجاهلين حين استعملوا اليانبيين في ولاياتهم ، وآثروهم على المضرين ، مع فضلهم عليهم . والمتجاهل الذى يستعمل الجهل وإن لم يكن من أهله . ٥١ .

وقال ابن المستوفى : أنشده سيويه للكُميت ، ولم أره في ديوانه . والذى في ديوان شعره :

أَنوَاماً تَقُولُ بَنِي لَوْى لَعَمْرُ أَيْبِكَ أَمْ مَتَنَاوَمِينَا
عَنْ الرَّأْيِ الْكِنَانَةَ لَمْ يُرْذَهَا وَلَكِنْ كَادَ غَيْرُ مَكَايِدِينَا

يقول : أتظنُّ أن قريشاً تغفل عن هجاء شعراء نزار ، لأنهم إن هجوا مضرَ والقبائل التى منها هؤلاء الشعراء فقد تعرضوا لسب قريش ، فهم^(٢)

(١) ديوان عمر ٣٩٤ ، والعينى ٢ : ٤٣٤ .

(٢) ط : « فيهم » ، صوابه في ش .

بمنزلة من رمى رجلاً فقيلاً : لم رميته ؟ فقال : إنما رميت كنانته ولم أرميه ، وكان غرضه أن يصيب الرجل . فيقول : من هجا بني كنانة وبني أسد ومن قرب نسبه من قريش فقد تعرض لسب قريش . يحرض الخلفاء عليهم والسُّلطان . ٥١ .

وقول سيويه : وإن شئت رفعت بما نصبت فجعلته حكاية ، قال المازني : غلط سيويه فيه ، لأنَّ الرفع بالحكاية ، والنصب بإعمال الفعل . وأجيب بأنَّ مراده : وإن شئت رفعت في الموضع الذي نصبت ، أو أنَّ الباء زائدة في المفعول .

وأقول : هذه القصيدة تقدّم أبياتٌ منها في عدّة مواضع ، وأوّل ما مرَّ في الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب مع ترجمة الكميّ^(١) وتقدّم هناك سببُ نظمها . وهجا فيها الأعرور الكلبيّ فإنّه هجا مضر ومدح أهل اليمن .

وتقدّم بيتٌ منها في الشاهد الرابع والعشرين^(٢) .

وقوله : (لعمر أبيك) مبتدأ مضاف ، وخبره محذوف أي قسمي ، وجواب القسم محذوف أيضاً ، والتقدير : أجهلاً تقول بني لؤي أو متجاهلين ، لعمر أبيك لتخبرني . إلاّ أنّه قدّم القسم واعترض به بين الفعل ومفعوله ، وحذف الجواب لدلالة الاستفهام عليه : إذ معلوم أنّ المستفهم يطلب من المستفهم منه أن يخبره عمّا استفهمه [عنه^(٣)] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٣٩ - ١٤٧ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٨ - ١٨١ .

(٣) التكلّة من ش .

الأفعال الناقصة

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد السبعائة^(١) :

٧٢٣ (فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالِ)

٢٥ على أَنَّ (صار) تامةٌ ونا فاعلها ، أى رجعنا وانتقلنا . يقال : صار الأمرُ إلى كذا ، أى رجع . والحسنَى إمّا اسمٌ مصدرٍ بمعنى الإحسان ، وإمّا صيغة مؤنثٍ أحسن ، أى إلى الحالة الحسنَى . و (رَقَّ) بمعنى لَطَفَ . و (رُضْتُ) فعلٌ وفاعلٌ مِنْ رُضتِ الدابةُ رياضةً : ذَلَّتْهَا . وَصَعْبَةً مفعولٌ رُضتِ . وَذَلَّتْ مِنْ ذَلَّتِ الدابةُ ذَلًّا بالكسر : سَهَلَتْ وانقادت ، فهى ذلولٌ : وَذَلَّتْهَا بالثقلِ فى التعديّة وكذلك أذَلَّتْهَا بالهمزة . وقوله (أَيْ إِذْلالِ) مفعولٌ مطلق ، عامله رُضْتُ . قال الزجاج عند تفسير قوله تعالى ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ^(٢) ﴾ : منصوبٌ على التوكيد ، محمولٌ على المعنى ، لِأَنَّ معنى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ^(٣) ﴾ : كتب الله عليكم هذا كتاباً ، كما قال الشاعر :

* وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالِ *

لأنَّ معنى رُضْتُ أَذَلَّتْ . ا هـ .

وهذا البيت من قصيدةٍ لامرئ القيسٍ تقدّم بعضٌ منها فى الشاهد صاحب الشاهد الثالث من أوّل الكتاب ، وبعضٌ منها فى التاسع والأربعين . وقبله :

(١) المقتضب ١ : ٧٤ والمحتجب ٢ : ٢٦٠ وديوان امرئ القيس ٣٢ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء .

(فلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَاسْتَمَحَّتْ)

هَضَرْتُ بَغْضِنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ (

وتنازعنا : تجاذبنا . واستمحت : وافقت على ما أريد منها . وهضرت : جذبت وأملت . والباء في « بغصن » زائدة في المفعول . وأراد بالغصن قامتها . والشماريخ ، إمَّا جمع شمراخ بالكسر ، وإمَّا جمع شموخ كعصفور ، فإنَّهما يجمعان على شماريخ ، وهو ما يكون فيه الرُّطْب .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين^(١)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد السبعمئة^(٢) :

٧٢٤ (أَيْقَنْتُ أَنِّي لَامِحًا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا)

على أَنَّ (صار) فيه تامّة ، أي أيقنت أني منتقل حيث انتقل القوم . فصائرٌ خبر أن ، وصار بمعنى انتقل ، والقومُ فاعله .

و (لامِحالة) بفتح الميم : لا تغيير ولا تبديل ، وأنّي بفتح الهمزة .

أبيات الشاهد و (أيقنت) جوابٌ لَمَّا في البيت قبله ، وهو :

(في الذَّاهِبِينَ الْأَوْلِيَاءَ)
لَمَّا رَأَيْتُ مَسْوَرِدًا
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيَّ
نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ
يَ وَلَا مِنْ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيْقَنْتُ أَنِّي (.) الْبَيْتِ

(١) الخزانة : ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٢) البيان : ١ : ٣٠٩ والأغانى : ١٤ : ٤٠ .

والقرون : جمع قرن بالفتح ، قال الزجاج : هو أهل كلِّ مدَّة كان فيها نبيٌّ أو طبقة من أهل العلم ، سواء قلَّت السنون أو كثُرت .
 الموارد : جمع مورد ، وهو محلُّ الورود ، أى الإتيان . والمصادر : جمع مصدر ، وهو موضع الصدور ، أى الانصراف والرُّجوع . وغابر ، بالمعجمة : اسم فاعل من غَبر بمعنى مَكَث وبقِيَ ، وبمعنى مضى أيضاً فهو ضدٌّ .

وهذه الأبيات لقُسن بن ساعدة . روى أهلُ السِّير والأخبار ، بسندِ صاحب الشاهد متصل إلى ابن عباس ، أنه قال : قدم وفدٌ إيادٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَيُّكم يعرف القُسن بنَ ساعدة الإيادى ؟ قالوا : كلُّنا نعرفه يا رسولَ الله . قال : فما فعل ؟ قالوا : هَلَكَ . قال : ما أنساهُ بعكاظَ على جملٍ أحمر وهو يقول : أَيُّها الناس ، اجتمعوا واسمعوا وعُوا . مَنْ عاش مات ، وَمَنْ مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ . إِنَّ في السماءِ لخبيراً ، وَإِنَّ في الأرضِ لَعِبْراً . مهادٌ موضوع ، وسقفٌ مرفوع ، ونجومٌ تمورٌ ، وبيحارٌ لا تغور . أقسمَ قُسنٌ قسماً حتماً ، لئن كان في الأمر رضا ليقوننَّ سَخَطاً . إِنَّ لِلَّهِ لَليدأ هو أحبُّ إلى من دينكم الذى أنتم عليه . مالى أرى الناسَ يذهبون ولا يرجعون ؛ أرضوا بالمقام فاقاموا ، أم تركوا فناموا !

ثم قال : أَيُّكم يروى شعره ؟ فأنشدوه :

في الداهبين الأوليـ ن من القرون لنا بصائرُ

إلى آخر الأبيات الخمسة .

وتقدِّمت ترجمة قُسن في الشاهد الثاني والتسعين من أوائل الكتاب^(١)

• • •

وأشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد السبعمائة (١) :

٧٢٥ (غَدَا طَاوِيًّا يِعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًّا)

على أَنَّ ابن مالك قال : (غَدَا) فعلٌ تامٌّ يكتنى بفاعله ، والمنصوب بعده حالٌ كما في البيت .

قال (في التسهيل) : والأصحُّ أن لا يلحق بها غَدَا وراح .

قال شارحه ابن عقيل : خلافاً للزمخشري وأبي البقاء ، فالمنصوب بعدهما حالٌ لا خبر ، لالتزام تنكيره ، ومنه قوله عليه السلام : « تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » (٢) . وبحث معه الشارح المحقق . وهذا صدرٌ وعجزه :

(يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشُّعَابِ وَيَعْسِلُ)

صاحب الشاهد
والبيت من القصيدة المشهورة بلامية العرب ، للشنفرى ، وقد تقدّم شرح أبيات من أولها مع ترجمته في باب الاستثناء ، وفي باب الجمع . وقبله :

أبيات الشاهد
(أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتِهِ)

وَأَضْرَبُ عَنْهُ الذُّكْرُ صَفْحًا فَأَذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يَرَى لَهُ

عَلَى مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مِتَطَوُّوْ

وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّمِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ

يَعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَى وَمَأْكَلُ

وَلَكِنْ نَفْسًا مُرَّةً لَا تَقِيمُ بَسَى

عَلَى الذَّمِّ إِلَّا رِيثَمَا أَتَحَوَّلُ

(١) لامية العرب وشروحها .

(٢) في نهاية ابن الأثير واللسان (خصص ، بطن) : « كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » .
أى تغدو بكرة وهى جياح ، وتروح عشاء وهى مثلثة الأجواف .

وَأَطْوَى عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا ، كَمَا انطَوَتْ
 خِيوْطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ
 وَأَغْدُو عَلَى الْقُوْتِ الزَّهِيْدِ كَمَا غَدَا
 أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ

غدا طاويا (البيت

قوله : « أُدِيمُ مِطَالَ الْجُوعِ » إلخ المطال : مصدر ما طلّه بمعنى مطله
 يطلّه مَطْلًا ، من باب قتل ، إذا سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد مرّة . وضرب
 عن كذا وأضرب عنه أيضًا : أعرض عنه تركًا أو إهمالًا . وصفححت عن
 الأمر : أعرضت عنه وتركته . وذهل عن الشيء يذهل ، يفتحتين ، ذهولا
 بمعنى غفل ، وقد يتعدى بنفسه فيقال ذهلته ، والأكثر أن يتعدى
 بالالف فيقال : أذهلني فلان عن الشيء . وقال الزمخشري : ذهل عن
 الأمر : تناساه عمدًا وشغل عنه . وفي لغة : ذهل يذهل من باب تعب .
 وجملة أديم مستأنفة ، وحتى بمعنى إلى متعلقة بأديم . وأضرب معطوفة
 على أديم ، وأذهل معطوف على أضرب لا على أديم ، لأنّ الفاء للترتيب
 والتعقيب . والذكر مفعول أضرب وصفحًا تمييز ، أو مصدر في موضع
 الحال ، أي معرضًا . يقول : أقوى على ردّ نفسي عما تهوى وأغلبها ،
 وأذهل عن الجوع حتى أنساه .

٢٧

وقوله : « وَأَسْتَفُّ تَرْبًا » إلخ ، يقال سَفِفت الدواء وغيره من كلّ شيء
 يابسٍ أسفَّهُ ، من باب تعب ، سَفًّا ، هو أكله غير ملتوت . وهو سَفُوفٌ
 مثل رسول . واستففت الدواء مثل سَفِفته . والطول : مصدر طال على
 القوم يطول من باب قال ، إذا أفضّل عليهم . وتطول : تفضّل . وكى
 إمّا بمعنى اللام حرف جر وأن مضمرة ، أو بمعنى أن واللام مقدرّة . وفاعل

يرى امرؤ ، وله متعلقة بيري ، ومفعول يرى محذوف أى شيئاً ، ومن الطَّوْل بيانٌ له ، وقيل نعت له . وعند الأَخْفَش المفعول هو الطَّوْل ومن زائدة ، وعلى متعلق بيري . ولا يجوز أن يتعلق بالطَّوْل ، لأنَّ المصدر لا يتقدّم معموله عليه . ويجوز عند الشارح المحقِّق تعلقه به لأنَّه ظرف .

وقوله : « ولولا اجتناب الذَّام » الخ ، الذام : العيب ، يُهمز ولا يهمز . ويُلف : يُوجد ، يتعدى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر . ومَشْرَبٌ نائب الفاعل ، وهو المفعول الأوَّل في الأصل ، ويعاش به صفته . ولدى ظرف بمعنى عندي ، وهو متعلق بمحذوف على أنَّه المفعول الثاني ووقع الحصر فيه . ومأكل معطوف على مَشْرَب ، أى لم يوجد مَشْرَبٌ يُعاش به ومأكلٌ كذلك إلاَّ حاصلين لدى .

وأخطأً معرب هذه القصيدة^(١) في قوله : « ويعاش به نعتٌ لمَشْرَب ، والتقدير : إلاَّ هو لدى ، محذوفُ المبتدأ للعلم به ، ولدى خبره ، ومأكل معطوف على هو . ا هـ .

وخطؤه من وجهين ظاهرين للمتأمل .

وقوله : « ولكنَّ نفساً » الخ ، لكنَّ هنا للتأكيد ، فإنَّ ما بعدها مؤكَّد لما قبلها من الصِّفات ، وخبرها محذوف تقديره لى . ومُرَّة صفة نفس بمعنى أبيَّة كالمُرَّة ، فى أنَّ كلاً منهما ممتنع على مُتناوله . وروى : « حُرَّة » بدل مُرَّة . وجملة لا تقيم بى صفة ثانية لنفس ، أو استثنائيةٌ جوابٌ سؤالٍ مقدَّر .

(١) لم يعين البغدادي اسم هذا المعرب هنا وكذلك فيما سأتى فى ص ٢٠٨، ٢٠١، ٢٤٥ بولاق .

وزعم مُعرب هذه القصيدة أَنَّ الجملة خبر لكنَّ . وتقيم ، من الإقامة في المكان وهو اللَّبْث فيه ، والبَاءُ في بي للمصاحبة على أَنَّها في موضع الحال . وقال مُعرب هذه القصيدة : بي متعلق بتقيم ، والمعنى تقيمني فهو مفعول به . ا ه .

وهذا لا وجه له . وعلى متعلِّقة بتقيم . والاستعلاء هنا معنويُّ نحو : ﴿لَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾^(١) ، ويجوز أن تكون للمصاحبة . ورِيثَ في الأصل مصدرُ راث ، أي أَبطأ ، استعمل هنا للظرف الزَّمَانِي ، أي إِلَّا بِمقدار تحوُّلي . فما مصدرية ، وقيل ما زائدة ، وقيل كافة . وقيل نصب ريثَ على الحال .

وقوله : « وَأَطْوَى عَلَى الْخُمْصِ » إلخ ، الخُمص بالضم : مصدر خَمَصَ الرجلُ خُمَصًا فهو خُميص ، إذا جاع ، مثل قَرُبَ قُرْبًا فهو قريب . كذا في المصباح . وقيل : الخُمص بالضم : الضمر ، وبالفتح : الجوع . وعلى هنا للمصاحبة ، متعلق بأَطْوَى . والحوايا مفعول أطوى ، جمع حَوِيَّةٍ ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، وهي الأَمْعَاءُ في الجوف . والخِيوطَة : جمع خيط ، والتاء لكثرة الجمع نحو : حجار وحجارة . وقال التبريزي : أتى بالهاء للتأنيث ؛ إذ كان بمعنى الجماعة . والمَارِيّ : القتال ، وهو الذي يَفْتِلُ الحبال . وتُغَارُ : يُحْكَمُ فتلُّها . يقال أغار الفتل ، أي أبرمه وأحكمه . ومراده تُفْتَلُ وتغار . ولا يضرُّ التأخير ، فإنَّ الواو لا تبدلُ على الترتيب . وقوله : « كما انطوت » الكاف نعتٌ لمصدرٍ محذوف ، وما مصدرية . ومصدر انطوت الانطواء ، وليس بمصدر أطوى ، وإنما المعنى أطوى الحوايا فتنطوى كأنطواء خيوط القتال .

(١) الآية ١٤ من سورة الشعراء .

وقوله : « وأغدو على القوت » إلخ . غدا غُدُوًّا من باب قعد : ذهب غُدُوَّة ، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الذهاب أي وقت كان . كذا في المصباح . والغداة والغُدوة واحد ، كما في القاموس . وعلى هنا للتعليل بمعنى اللام ، كقوله تعالى : ﴿ ولتُكَبِّرُوا الله على ما هَدَاكُمْ ^(١) ﴾ . والزهيد : القليل الذي يُزهد فيه . والكاف نعت لمصدر محذوف ، أي غدوا كغُدُوِّ الأزل ، والأزل : الذئب الأرسح ، بالمهملات ، أي القليل لحم الفخذين . والأزل لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، وكذلك أطحل . والذئب الأزل : الخفيف الوركين ، وهذه صفة لازمة له . قال التبريزي : الأزل : الأرسح ، وبه يوصف الذئب . ومن أمثالهم :

* لا أنسَ في الذئب الأزلَّ الجائعِ *

وقال بعضهم : قلت لأعرابي : ما الأرسح ؟ فقال : الذي لا أست له . ووصف رجل فارساً فقال : قاتله الله ، أقبل بزُبيرة الأسد ، وأدبر بعجز ذئب . وذلك أنه يُحمد من الفارس أن يكون أشعر الصدر ، وأن يكون ممسوح الاست كالذئب .

والتنائف : جمع تنوفة ، وهي الفلاة . ومعنى تهاده : تتخذه هدية ، كلما خرج من تنوفة ودخل في أخرى . وهو مضارع محذوف من أوله التاء ، وأصله تهاده . ويجوز أن يكون ماضياً ، وإنما لم يقل تهادته ^(٢) بالتأنيث لأنَّ التنائف مؤنث مجازي ، وجملة تهاده صفة أزل ، وكذلك

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة . أما الآية ٣٧ من الحج ففيها : « لتكبروا الله على ما هداكم » ، غير مسبوقه بالواو .

(٢) ط : « تهاده » ، صوابه في ش .

أَطْحَلُ. وذئبٌ أَطْحَلُ وشاةٌ طَحْلَاءُ. والطَّحْلَةُ بالضم : لونٌ بين الغُبْرَةِ والسَّوَادِ ببياض قليل . وقال التبريزي : الأَطْحَلُ : الذى لونه لون الطَّحَالِ .

وقوله : « غدا طاوياً » إلخ ، غدا يحتمل أن يكون بمعنى ذَهَبُ غُدْوَةٍ ، ويحتمل أن يكون بمعنى دَخَلَ فى الغُدْوَةِ ، ويحتمل أن يكون بمعنى ذَهَبَ أَى وقتٍ كان مجازاً ، من باب استعمال المقيّد فى المطلق . فغدا على هذه الوجوه تكون تامّة ، وطاوياً يكون حالاً من ضمير غداً الراجع إلى أَزَلْ . ويحتمل أن يكون بمعنى يكون فى الغُدْوَةِ ، فيكون غداً من الأفعال الناقصة ، وطاوياً يكون خبرها ، وغدا مع فاعلها المستتر استثنائية منقطعة عما قبلها ، ويجوز أن تكون الجملة صفة أخرى لأزَلْ ، أو حالاً منه بتقدير قَدْ . وطاوياً يحتمل أن يكون من طوى المتعدية المتقدمة ، أى طاوياً أحشاه على الجوع ، فالمتفعل محذوف بقرينة ما قبله ، يقال طوى الشيء طياً فهو طاوٍ . ويحتمل أن يكون من طَوَى يَطْوَى طَوًى من باب فرح ، أى جاع ، فهو طاوٍ وطوٍ وطَيَّانٌ ، والأنثى طياً وطاوية . وبهذا يضمحل قول المُعْرَبِ : وليس من قولك طَوَى يَطْوَى إذا جاع ، لأنَّ الاسم منه طوٍ مثل عمٍ وشجٍ ، مع أنه قال قبل هذا : وطاوياً يجوز أن يكون من طَوَى المتعدية . فنقض بكلامه الأخير ما قدّمه .

وقال التبريزي : يقول غدا طاوياً ، وطواه من الجوع ، كأنه طَوَى أمعاه عليه ، يقال رجل طاوٍ وطَيَّانٌ والأنثى طاوية وطياً^(١) ، والمصدر الطَوَى ، وهو خُمَصُ البطن من أَى شَىء كان .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنه تخليط بين المعنيين .

(١) ط : « وطياه » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش .

« ويعارض الريح » أى يستقبلها فى عَرْضِهَا ، ويصَادِمُهَا ؛ ومنه المعارضة بمعنى المخالفة . و« هافيا » يحتمل أن يكون من هفا الطائر بجناحه يهفو ، أى خَفَقَ وطار . ويحتمل أن يكون من هفا الظبي يهفو ، إذا اشتدَّ عَدُوُّهُ ، ومصدره الِهْفُؤُ على فعول . ويحتمل أن يكون من الِهْفُؤُ وهو الجُوع ، يُقال رجل هافٍ أى جائع . وقال التبريزى : هافياً : يذهب يميناً وشمالاً من شدة الجوع . وَيَخُوت ، بالخاء المعجمة والتاء المثناة أى يَخْتَل ويختلس ، يقال خات البازى واختات أى انقضت على الصَّيد ليأخذه . وقال الفراء: يقال ما زال الذئبُ يَخْتات الشاة^(١) بعد الشاة ، أى يَخْتَلها فيسرقُها . وإنَّهم يَخْتاتون اللَّيْل ، أى يسرون ويقطعون الطريق . فجملة يعارض ويخوت وهافياً ، أخبارٌ أخر لغدا إن كانت ناقصة ، أو أحوال من ضمير طاويا^(٢) ، أو أحوال متداخلة ، أو الجملتان صفتان للنكرة قبلهما . وتجاوز هذه الأوجه كلها ما عدا الأول ، إن كانت غدا تامة ، ويجوز حينئذ أيضاً أن يكون^(٣) طاوياً مع ما بعده أحوالاً من الضمير فى غدا .

والباء فى قوله : « بأذئاب » بمعنى فى . وأذئاب : جمع ذئب بفتحيتين ، وذئب كلّ شئ : مؤخره . وذئابة الوادى ، بالكسر : الموضع الذى ينتهى إليه سَيْلُهُ ، وكذلك ذئبه ، وذئابته أكثر من ذئبه . و« الشعاب » بالكسر : إمّا جمع شُعب بالكسر أيضاً ، وهو الطريق فى الجبل ، وإمّا جمع شُعبة بالضم ، وهو المسيل الصغير . وقال التبريزى : الشعاب : مسایلُ صغارٌ . وأذئابها : أواخرها . وَيَعْسِلُ معطوف على يَخُوت ، بكسر السين من باب فرح . فى

(١) فى النسختين : « يَخْتال » ، صوابه ما أثبت . وانظر اللسان (خوت) .

(٢) ش : « طاوى » ، وأثبت ما فى ط .

(٣) ش : « تكون » .

الصباح : والعَسَل والعَسَلان : الخَبَب . يقال عَسَلَ الذئب يَعْسِلُ عَسَلًا وَعَسَلَانًا ، إذا أعنق وأسرع . وكذلك الإنسان . والذئب عاسل والجمع العُسَل والعواسل . وعَسَلَ الرَّمْحُ عَسَلَانًا : اهتزَّ واضطرب ، والرمح عَسَالٌ . وقال التبريزي : وَيَعْسِلُ ، إذا مرَّ مرًّا سهلا في استقامة . ومن ذلك يقال للرمح عَسَالٌ ، إذا تتابع عند الهزِّ ولم يكن كزًّا . ومتعلِّقٌ يَعْسِلُ محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٢٦ (يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ)

على أن (يروح ويغدو) وإن كانا بمعنى يدخل في الرِّوَّاح والغداة فهما تامَّان ، والمنصوب حال . وإن كانا بمعنى يكون في الرِّوَّاح والغداة فهما ناقصان .

وقد تقدَّم الكلام على يغدو . وأمَّا الرِّوَّاح فقد قال صاحب الصحاح : والرِّوَّاح : نقيض الصَّبَّاح ، وهو اسمٌ للوقت من زوالِ الشَّمْسِ إلى الليل . وقد يكون مصدر قولك راح يروح رَوَّاحًا ، وهو نقيض قولك : غدا يغدو غَدُوًّا . هـ .

قال أبو سهل الهَرَوِيُّ : الصواب الرِّوَّاح : نقيض الغَدُوِّ . وقال صاحب المصباح : راح يروح رَوَّاحًا ، وتروَّح مثله ، يكون بمعنى الغَدُوِّ ، وبمعنى الرجوع . وقد طابق بينهما في قوله تعالى : ﴿ غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ﴾ أي ذهابها ورجوعها . وقد يتوهم بعض الناس أن الرِّوَّاح لا يكون

(١) أي ويمسل بأذنان الشاب .

(٢) لامية العرب وشروحها .

إِلَّا فِي آخِرِ النَّهَارِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ الرَّوَّاحُ وَالغَدْوُ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْمَسِيرِ أَيْ وَقْتِ كَانِ ، مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ . وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مِنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ أَوَّلَ النَّهَارِ ^(١) فَلَهُ كَذَا » ، أَيْ مَنْ ذَهَبَ . ٥١ .

فقوله يروح إن كان بمعنى يرجع في الرواح أو يرجع مطلقاً أي في أي وقت كان، من باب استعمال المقيّد في المطلق مجازاً، أو يدخل في هذا الوقت الذي هو الرواح، فالفعل تامٌ. وإن كان بمعنى يكون في الرواح فالفعل ناقص؛ لقوله ^(٢) يروح ويغدو. وإن كانا تامين فداهنًا حالٌ من فاعل أحدهما، وهو ضميرٌ مستتر، وتكون حال الآخر محذوفة. والأولى أن يكون حالاً من فاعل يغدو. ولا يقدر ليروح حال. وداهن: اسم فاعل من الدهن، يقال دهنت الشعر وغيره دهناً من باب قتل. والدهن: استعمال الدهن بالضم، وهو ما يُدهن به من زيت أو طيب. وجملة « يتكحل » حال أيضاً إمّا من فاعل يغدو، وإمّا من فاعل داهناً. ويجوز أن يكون صفة لداهنًا. وإن كانا ناقصين فداهنًا خبر يغدو، ويكون خبر يروح محذوفاً، وجملة يتكحل إمّا خبر بعد خبر، أو حال من ضمير داهن، أو صفة له. ويجوز أن يكون داهناً خبر يروح، وجملة يتكحل خبر يغدو، فلا حذف. وهذا أولى على تقدير النقص.

ويجوز أن يكون أحد الفعلين تاماً والآخر ناقصاً. فتأمل.

وهذا المصراع عجزٌ وصدْرُهُ :

(ولا خالفٍ داريّةٍ متغزّل)

(١) في المصباح : « من أول النهار » .

(٢) ش : « فقوله » ، صوابه في ط .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أيضاً من لامية العرب . وقبله :

ولستُ بمهيف يعشئ سوامه مُجدعةً سقبانها وهي بهلُ
ولا جباً أكهى مُربٌ بعريسه يُطالِعها في شأنه كيفَ يفعلُ
ولا خرقٍ هيئتي كأنَّ فؤاده يظلُّ به المُكَّاءُ يعلو ويسفُلُ
ولا خالفٍ داريةٍ متغزلٍ يروح ويغدو داهناً يتكحلُّ

قوله : « ولست بمهيف » إلخ. قال التبريزي : المهيف الذي يبعد بإبله طلب الرعى على غير علم ، فيُعْطِشها ويُسئئ بها . و (في العباب) : قال الأصمعيُّ : رجلٌ مهيف : سريع العطش . وأنشد هذا البيت . (وفيه أيضاً) : وقال الليث : المهيف الذي قد هافت إبله . ويعشئ سوامه : يُطعمها عشاءها ، والعشاء : الطعام بعينه ، وهو خلاف الغداء ؛ وكلاهما بالفتح والمد . والسوام : المال الراعي ، اسم جمع لسائمة . ومجدعة بالجم والدال المهملة : اسم مفعول من جدعت الصبي تجديعاً ، إذا أسأتَ غذاءه . ويقال جدعته بالتخفيف من باب منع . وفيه لغة أخرى أجدعت الصبي إجداعاً . وجدع الصبي من باب فرح ، إذا ساءَ غذاؤه . وقيل المجدعة هنا : المقطعة أطراف الآذان ليُصرف عنها العين . وقال التبريزي : والمجدع : السبيُّ الغداء ، والأصل فيه أن يطرح الراعي ولدَ الناقة على الصرع لتدرَّ الناقة ، فإذا مَصَّ شيئاً واجتمع اللبنُ نحاه وحلب اللبن . والسقبان بالكسر : جمعُ سقب بالفتح . في الصحاح : السقب : الذكر من ولدِ الناقة ، ولا يقال للأُنثى سقبَةً ولكنَّ حائل^(١) . والضمير المؤنث يرجع إلى السوام . قال التبريزي : وروى ثعلب : « سقباتها » بجمع المؤنث السالم . والمحفوظ الأول .

(١) هذا قول ، وفي قول آخر أن الأُنثى سقبة ، كما في اللسان والقاموس ، وفيها أيضاً أن الجمع سقبان بضم السين .

و «بُهَلَّ» : جمع باهل . في العباب : وناقه باهلٌ : لاصرارَ عليها .
 وأنشد هذا البيت . وقال التبريزي : البُهَلُّ : جمع باهلةٍ وباهل ، وهي
 المخلاة لا يتعهدها راعيها . ويقال بهلَّ الرجلُ ، إذا مضى لا قيِّمَ عليه .
 وأهله ، إذا تركته مخلاً . والباهلة أيضا : التي لا صرارَ عليها ، لترضعها
 أولادها فتكون أسمن وأحسن . والباءُ في قوله « بمهياف » زائدة في خبر
 ليس . ويعشى صفة له ، وسوامه مفعول يعشى ، ومجدعة حال سببية
 لسوامه . وسبقانها نائب فاعل مجدعة ، وجملة وهي بهلَّ حال من سوامه .
 وصف الشنفرى نفسه بالجلادة وحسن التمهيد لماله وجودة القيام عليه .

٣١

وقوله : « ولا جُبًّا أكهى » إلخ . الجُبُّ ، بضم الجيم وفتح الموحدة
 المشددة بعدها همزة ، على وزن سُكَّرَ : هو الجبان ، والخائف . والأكهى
 بالقصر ، قال التبريزي : هو الكدير الأخلاق الذي لا خيرَ فيه . وقال
 ثعلب : هو البليد ، مثل الكهَّام . والمُربُّ : اسم فاعل من أربَّ بالمكان
 أى لزمه وأقام فيه ، والعرس ، بالكسر : الزوجة . يقول : لست أسىء
 الرعية ولا أجبُن ، ولا أقيمُ مع النساءِ وأشاورهنَّ في أمورى . وجبًّا بالجر
 معطوف على مهياف ، ولو عطف بالنصب على موضعه لجاز . وأكهى
 ومُربُّ وصفان لجبًّا . قال المعرب : الباءُ في بعِرسه بمعنى في ، أى مقيم
 في بيت عرسه . ويجوز أن تكون بمعنى على ، أى مقيم على عرسه .
 وجملة يطالها حال من الضمير في مُربِّ ، وفي شأنه متعلقٌ بيطالها .

وقوله : « ولا خرقٍ هيِّقٍ » إلخ . هذا أيضا بالجر معطوف على مهياف .
 والخرق بفتح المعجمة وكسر المهملة بعدها قاف ، قال الزمخشري : هو
 المذهوش من الخوف . والهيِّق ، بفتح الهاء وسكون المثناة التحتية ،
 هو الظلم ، أى النعام في نيفاره عند حدوثِ مروء . والمكأ ، بالضم

والتشديد والمد : طائر ، أى كأنَّ فؤاده على جناحِ طائر . وهذا تحقيق لجُبْنِه وتَحْيُرِه .

وقوله : « ولا خالفِ داريَّة » ، هذا أيضاً بالجرِّ للعطف على مهياف . والخالف ، بالخاء المعجمة : من لا خير فيه . وداريَّة بالجر صفة لخالف ، وهو المقيم في داره لا ينفارقه . والتاء زائدة للمبالغة . والداريُّ أيضاً : العطار . منسوب إلى دَارَيْنَ : فُرْضة بالبحرين ، فيها سوقٌ كان يحمل إليها مسكٌ من ناحية الهند . قال الزمخشري : ويحتملها كلامه : لأنَّ العطار يكتسب من ريح عطره فيصير بمنزلة المتعطرِّ ، فالمعنى لست ممَّن يتشاغل بتطيب بدنه وثوبه . أو يلازم زوجته فيكتسب من طيبها . والمتغرُّل : الذى يغازل النساء . في الصحاح : مغازلة النساء : محادثتهنَّ ومُراودتهنَّ . تقول : غازلتُها وغازلتنى ، والاسم الغزل . وتغرُّل ، أى تكلف الغزل . وجملة يروح صفة متغرُّل أو حال من ضميره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد السبعائة^(١) :

٧٢٧ (بتيهَاء قَفْرٍ والمطىُّ كأنَّها

قَطَا الحَزْنَ قد كَانَتْ فَرَاخًا بُيُوضُهَا)

على أنَّ (كان) فيه بمعنى صار .

والتيهَاء : المغازة التى لا يُهْتدى فيها ، فعلاء من التيه ، وهو التَّحْيُر . يقال تاهَ في الأرض يتيه تيهًا وتيهانًا ، أى ذهبَ متحيرًا . والقفر : المكان الخالى . يصف المطىُّ بِسُرْعَةِ السَّير ، كأنَّها^(٢) بمنزلة قَطَا تركت

(١) المعاني الكبير ٣١٣ وأسرار العربية ١٣٧ وابن يعيش ٧ : ١٠٢ والأشونى

١ : ٢٣٠ واللسان (عرض ٤٩) وديوان ابن أحر ١١٩ .

(٢) ط : « فإنها » ، صوابه في ش .

بَيُوضًا صارت أفراخًا، فهي تمشى بسرعة إلى أفراخها . ومعنى كانت : صارت ، لأنَّ البَيُوضَ صارت أفراخًا ، لا أنَّها كانت فراخًا . والقطا : طائر سريعُ الطَّيران . والحَزَنُ بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غلُظ من الأرض ، وهو ضدُّ السَّهل ، وأضاف القطا إليه لأنَّه يكون قليلَ الماء ، فتكون قطاه أكثرَ عطشًا ، فإذا أراد الماء كان سريعَ الطَّيران . قال الأصمعي ، ونقله ابن قتيبة (في كتاب أبيات المعاني) : أراد أنَّها شربت من الغُدُر في الرَّبيع ، فإذا فرَّخت ودخلت في الصَّيف احتاجت إلى طلب الماء على بُعد ، فيكون أسرعَ لطيرانها . وإنما تفرِّخ بيضها إذا جاء الحرُّ . فأراد أن يخبر عن سرعة طيرانها عند حاجتها إلى الماء^(١) .

٣٢

ووجب تقدير كان بصار هنا ليصحَّ المعنى ، ولو قدر بكان لفسد ، لكونه محالا .

ومثله قول شَمْعلة بن أَخْضَر ، من شعراء الحماسة

فخرَّ على الألاءة لم يُوسِّدْ وقد كان الدِّماءُ له خِماراً^(٢)

قال ابن جنى (في إعرابه للحماسة) : كان هنا بمنزلة صار . أنشد أبو عليّ : بتيهاة قفر والمطى البيت ، أى صارت . وهذا وجهٌ من وجوه كانَ خفيًّا . هـ .

ومثله قول رؤبة :

* والرأس قد كان له قَتِيرٌ^(٣) *

(١) هذا النص مخالف لألفاظه في المعاني الكبير ، ولا يبدو أن يكون ترجمة وتعبيراً عن ألفاظ ابن قتيبة .

(٢) الحماسة ٥٦٧ بشرح التبريزي ، والمؤتلف ١٤١ .

(٣) ديوانه ١٧٤ وابن يميث ٧ : ١٠٣ . وروى : « شكير » .

أى صار .

وبقى وجه آخر لم يرتضه الشارح المحقق ، ولهذا لم يذكره ، وهو أن تكون كان على بابها ويُدْعَى القلب في الكلام ، ويكون الأصل : قد كانت فراخها بيوضاً ، كقول الآخر :

..... كما كان الزناء فريضة الرّجم^(١)

أراد : كما كان الرّجم فريضة الزنى .

وما اختاره الشارح المحقق هو مذهب ثعلب ، وأبي علي ، وابن جنّي ؛ وهو الجيد ؛ لأنّ القلب لا يُصار إليه إذا وُجد وجه آخر .

وأما قوله : (بيوضها) فقد رواه ثعلب بضم الباء . ومثى عليه (في الإيضاح) مستشهداً به على أنه جمع بيض ، كبيت وبيوت ، وخالفه (في التذكرة) وجزم بأنّ بيوضها بفتح الباء بمعنى ذات البيض ، واستبعد رواية الضم : وقال : فإن قلت ما تنكر أن يكون بيوضها بضم الباء ؟ فالقول في ذلك أنه ينبعد وإن كانوا قد قالوا التّمور ، لاختلاف الجنس ، لأنّ البيض هنا ضربٌ واحد وليس بمختلف ، فلا يجوز أن يجمع . وهذا الاستبعاد مبنيٌّ على أن يكون جمع بيض ، والصّحيح أنه جمع بيضة ، كما أنّ مُثُونًا جمع مائة وهي السّرة وما حولها ، لأنّه جمع بيّض لعدم الاختلاف المسوّغ للجمع . وهذا أولى من الطّعن في رواية ثعلب .

ويؤيد روايته قول بعض بني نُمير :

يُضِلُّ القطا الكُدريُّ فيها بيوضه وَيَعْوِي بها من خيفة الهلِكِ ذبيها^(٢)

(١) للناطقة المجدى في ديوانه ١٣٥ ، وانظر معجم الشواهد . والبيت بتمامه : كانت فريضة ما أتيت كما كان الزناء فريضة الرجم

(٢) في ط : « ويعدى بها » ، صوابه في ش .

وقول الجعدى :

* لهن أداحى به ويؤوض^(١) *

فإن قال قائل: هذا جعل بيوضاً جمع بيضة، كما جعل سخلاً جمع سخلة، ومثوناً جمع مائة. فالجواب أن نقول: إنما جعل سخلاً جمع سخلة لا سخل، وإن كان باب كل واحد منهما أن لا يكسر، لأن امتناع التكسر في أسماء الأجناس أقوى. ألا ترى أن أسماء الأجناس كلها لا يجوز تكسير شيء منها بقياس. وقد نص على ذلك سيويه في باب جمع الجمع. والآحاد المخلوقة كلها يجوز تكسيرها بقياس، فيما عدا هذا الباب، فكان جعل سخال جمع سخلة أولى من جعلها جمع سخل لذلك. وأما بيوض فالذى أوجب عليه أن يجعلها جمع بيض لابيضة أنه رأى أن فعولاً في جمع فعل مقيس، نحو فلس وفلوس؛ وفعل في جمع فعلة، نحو بدرة وبدور، غير مقيس، فيرجح عنده جعل بيوض جمع بيض لذلك. ومن ذلك صخور وثمر وأشباهه. وليس كذلك فعال فإنه جمع لفعلة وفعل بقياس، نحو جنان وكلاب. وجعل مثوناً جمع مائة لما لم يُسمع مان. وأما على قول أبي علي فلا بد من تقدير مضاف، والتقدير: كانت بيوضها ذات أفراخ، ولا قلب في الكلام حينئذ، كما في صورة جعل كان بمعنى صار مع رواية الباء. وإنما يدعى القلب في صورة جعل كان على بابها مع رواية ضم الباء.

٣٣

والقطا: ضرب من الطير، وهو نوعان: كدرى وجوفى. فالكدرى غير الألوان رُقش الظهور والبطن، صفر الحلق، قصار الأذنان.

(١) لم يرد في ديوان النابتة الجعدى.

والجُونِيُّ سُودُ البَطُونِ سُودُ بَطُونِ الأَجْنَحَةِ والقَوَادِمِ ، بِيضُ الصُّدُورِ
غُبْرُ الظُّهُورِ ، وَفِي عُنُقِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا طَوْقَانِ : أَصْفَرٌ وَأَسْوَدٌ .

وقوله : (بتيهاء قفر) الجارّ يتعلّق بقوله : « والعيس تجرى غروضها »
في بيت قبله .

والبيت من أبيات لابن أحمَرَ ، وهى :

صاحب الشاهد

(لَعَمْرِي لئن حَلَّتْ قُتَيْبَةَ بِلْدَةٍ شَدِيدًا بِمَالِ الْمُفْحَمِينَ عَضِيضُهَا
فَلَلِهَ عَيْنًا أُمَّ فَرَعٍ وَعَبْرَةٍ تُرْقِرُهَا فِي عَيْنِهَا أَوْ تُفِيضُهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةَ صَحِيحِ السُّرَى وَالْعَيْسُ تُجْرَى غِرْوُضُهَا
بَتِيهَاءَ قَفْرٍ وَالْمَطِيُّ كَأَنَّهَا قَطَا الحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فِرَاخًا بِيَوْضُهَا)

أبيات الشاهد

وفي شرحها : قتيبة : بطنٌ من باهلة . والمُفْحَمُونَ : الذين أقحمتهم
السَّنة ، وهى القَحْمَةُ بالضم ، أى القحط . وعَضِيضُهَا : عَضُّهَا . وصَحِيحِ
السُّرَى ، أى غير جائرٍ عن القَصْدِ ، فيكون أسرع لقصده لصحة سراه .
فتمنى أن يصحَّ سراه ويستقيمَ ليعجلَ إلى مقصده . وغُرْوُضُهَا : أنساعها .
أى إنّها قد أضمرت حتى قد كانت ، أى قد صارت . بيوضها : جمع
البيض . انتهى .

ومعنى البيت أن المطيِّ براها السَّيرَ وحملها على المتاعب ، حتّى صارت
كالفرّاخ في الضَّعف والهزال ، بعد ما كانت قويّةً سمانًا كالذَّجاجِ
البَيُّوضِ ، بإضافة الفِراخ إليها . انتهى .

وهذا كلامٌ من لم يقف على الرواية . والتى فى عامة نسخ شعره :

أريهم سهيلاً والمطيُّ كأنها قَطَا الحَزْنَ الخ

قال شارحه : قوله أريهم سهيلاً ، يعنى أصحابه وإن لم يجز له ذكر ،
لدلالة الحال عليه ، أى يريهم مَطْلَعَه الذى ببلاد أحبابه التى يقصدها ،
فهو يتمنى أن يصحَّ سُرَاهِ إلى مقصده ليريههم مطلعَ سهيلٍ ببلاد أحبابه^(١)
وتكون^(٢) المطىُّ على الحال التى وَصَفَهَا من قلقِ غُرُوضِهَا وأنساعِهَا. لِحَثِّه
إيَّاهَا على السرى الذى أهزلهَا^(٣) فقلقت أنساعها^(٤) . وشبَّهَهَا بِسُرْعَةِ القِطَا
التي فارقت فراخها لتحمل إليها الماء فتسقيها ، فهو أسرع لطيرانها .
وذلك كلام الشاعر على أنه أراد : يريهم سهيلاً من آخر الليل ، لأنَّ القِطَا
إنما تصير كما ذكر فى الصَّيْف . وطلوع سهيل بالحجاز يكون عند
فتور الحرِّ ، فى عِشْرِى آب^(٥) من شهور الروم .

وقوله : (والمطىُّ كأنها) حال من فاعل تجرى فى البيت المتقدِّم ،
على الرواية الأولى ، وصاحب الحال فى الرواية الثانية ضمير الجمع فى
أريهم سهيلاً . والعامل أرى ، كقولك : جئتكَ والشمس طالعة . وقوله :
(قد كانت) إلخ حالٌ من القِطَا ، والعامل ما فى كان من معنى التشبيه .
و(فراخاً) خبر مقدم لكان ، و(بيوضها) اسمها المؤخر .

وابن أحمر شاعر إسلامي مخضرم ، تقدِّمت ترجمته فى الشاهد الستين
بعد الأربعمائة^(٦) .

* * *

(١) الكلام من « أحبابه » السابقة إلى هنا ساقط من ش .

(٢) ش : « وتقول » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « التى هزلتها » . والسرى تذكر وتؤنث ، بل لم يعرف الحياني فيها إلا التأنيث .

(٤) ط : « فقلقت » ، صوابه فى ش .

(٥) ط : « فى عشر آب » . والمراد فى اليوم العشرين من آب .

(٦) الخزانة ٦ : ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد السبعائة^(١) :

٧٢٨ (سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامَى عَلَى كَانِ الْمَسْوْمَةِ الْعِرَابِ)

على أَنَّ (كان) فيه زائدة بين الجار والمجرور .

وزيادتها عند الشارح قسمان :

٣٤ أحدهما : زيادة حَقِيقِيَّة ، تزداد غير مفيدة لشيء إلا محض التوكيد ،
يكون وجودها في الكلام وعدمها سواء ، لا تعمل ولا تدلُّ على معنى .

ثانيهما : زيادة مجازيَّة ، تدلُّ على معنى ولا تعمل .

ومثَّل للأوَّل بهذا البيت وبالآية الشريفة^(٢) ، ويقولهم : لم يوجد
كان مثلهم . ومثَّل للثاني بما كان أحسن زيدا ، ويقولهم : إنَّ من أفضلهم
كان زيدا ، وبالبيت أيضا ، فجعله متردداً بينهما .

وما ذكره أحدُ مذاهبِ ثلاثة :

الأوَّل : مذهب ابن السَّرَّاج ، واختاره ابن يعيش ، قال : والذي
أراه أن تكون زائدة دخولها كخروجها ، لا عمل لها في اسم ولا خبر ،
ولا هي لوقوع شيء . وإليه ذهب ابن السَّرَّاج ، قال (في أصوله) : وحقُّ
الزائد أن لا يكون عاملاً ولا معمولاً ، ولا يحدث معنى سوى التأكيد .
ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ أنَّ كان في

(١) سر الصناعة ١ : ٢٩٨ والأزهيّة ١٩٧ وابن يعيش ٧ : ٩٨ ، ١٠٠
والضرائر ٧٨ وورصف المباني ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ والعيني ٢ : ٤١
والتصريح ١ : ١٩٢ ، والهمع ١ : ١٢٠ والأشباه والنظائر ٢ : ٣١١ والأشموقي
١ : ٢٤١ ، ويس ١ : ١٩١

(٢) يعنى قوله تعالى : « من كان في المهد صبيا » ، وهى الآية ٢٩ من سورة مريم .
وانظر شرح الرضى ٢ : ٢٧٢ .

الآية زائدة ، وليست الناقصة ، إذ لو كانت الناقصة لأفادت الزمان ، ولو أفادت الزمان لم يكن لعيسى عليه السلام في ذلك مُعْجزة ، لأنَّ الناس كلهم في ذلك سواء ، فلو كانت الزائدة تفيد معنى الزمان لكانت كالناقصة ، فلم يكن للعدول إلى جعلها زائدةً فائدة . ومن مواضع زيادتها قولهم : إنَّ من أفضلهم كان زيدا ، فكان مزيدةً لضرب من التأكيد ، إذ المعنى أنَّه في الحال أفضلهم وليس المراد أنَّه كان فيما مضى ، إذ لا مدح في ذلك . ولأنَّك لو جعلت لها اسماً وخبراً لكانَ التقدير : إن زيدا كان من أفضلهم ، وكنت قد قدَّمت الخبر على اسم إنَّ وليس بظرف ، وذلك لا يجوز . وقولُ الشاعر :

* على كان المسومة العرابِ * . . . البيت

كان فيه زائدة . وعند هذا القائلِ دلائلُها على الزمان يستدعي كونها ناقصة .

الثاني : مذهب السيرافي ، قال : لسنا نعني أنَّ دخولها كخروجها في كلِّ معنى ، وإنما نعني بذلك أنَّها ليس لها عمل ، ولا هي لوقوع شيءٍ مذكور ، ولكنها دالةٌ على الزمان الماضي^(١) وفاعلها مصدرها ، وذلك كقولك : زيد كان قائم ، تريد كان ذلك الكون ، وقد دلَّت على الزمان الماضي ، ولو خلا منها الكلامُ لوجب أن يكون ذلك في الحال . وقول الشاعر :

* على كان المسومة العرابِ *

كان ذلك الكون . وإذا قدَّر هذا التقدير كانت كان واقعة لوقوع شيءٍ مذكور ، وهو ذلك الكون .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الماضي » التالية ساقط من ش .

ثالثها : قال ابن يعيش : ذهب قومٌ إلى أَنَّ كان زيدت على وجهين : أحدهما أَنَّ تلغى عن العمل مع بقاء معناها ، والآخر أَنَّ تلغى عن العمل والمعنى معاً . وإنما تدخلُ لضربٍ من التأكيد . والأوّل نحو قولهم : ما كان أحسن زيدا ، المراد أَنَّ ذلك كان فيما مضى ، مع إلغائها عن العمل ، ومعناه ما أحسن زيدا أمس ، فهى فى ذلك بمنزلة ظننت ، إذا أُلغيت بطل عملها لا غير ، نحو قولك : زيد ظننتُ منطلق . ألا ترى أَنَّ المراد : فى ظننى . وأما الثانى فنحو قوله :

* على كان المسومة العراب (١) *

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُنكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . ولو أريد فيها المضى لم يكن لعيسى عليه السلام فى ذلك معجزة ، لأنّه لا اختصاص له بذلك الحكم دون سائر الناس .

وقوله : (سَرَاةِ بنى أبى بكر) الخ ، قيل هو جمع سَرِيّ ، وقيل اسم جمع له ، وهو الشَّريف . قيل : ويحتمل أن يكون بالضم ، جمع سَارٍ كقضاة جمع قاض . و (تَسَامَى) أصله تتسامى بتاءين ، من السمو ، وهو العلو . و (المسومة) : الخيل التى جعلت عليها سومة بالضم ، وهى العلامة ، وتُركت فى المرعى . (والعراب) : الخيل العربية ، وهى خلاف البراذين . والمعنى أَنَّ سادات بنى أبى بكر يركبون الخيول العربية . وروى : (المطهمة) بدل المسومة ، وهو التام الخليفة من كلّ حيوان . وروى : (جياذ بنى أبى بكر) إلخ ، وهو جمع جواد ، وهو الفرس السريع العدو . والمعنى على هذه الرواية أَنَّ خيل هؤلاء تفضل على خيول غيرهم .

(١) ش : « عليه » ، وما أثبت من ط يوافق ابن يعيش .

وقال ابن هشام (في شرح الشواهد) : السَّرِيُّ : ذو السخاء والمروءة ، وروى : (جِيَاد) فَإِنْ كَانَ جَمْعَ جَيِّدٍ فَهَمَا مِتْقَارِبَانِ ، أَوْ جَوَادٍ ، فَالْمَمْدُوحِ خَيْلِهِمْ ، وَالْمَعْنَى حَيْثُذُ : عَلَى الْمَسْؤِمَةِ الْعِرَابِ مِنْ جِيَادٍ غَيْرِهِمْ .

وهذه الرواية وهذا التفسير أظهر ، إذ ليس بمعروف تفضيلُ النَّاسِ عَلَى الْخَيْلِ ؛ وَكَأَنَّهُ فِهِمْ أَنَّ تَسَامَى بِمَعْنَى التَّفَاوُلِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ كَمَا ذَكَرْنَا .
ثم قال : وَتَسَامَى إِمَّا مِضَارِعَ ، أَوْ مَاضٍ عَلَى حَدِّ : الرَّكْبِ سَارَ . وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ رَوَى : « تَسَامَوْا » . وَرَوَى الْفَرَاءُ : « الْمَطْهَمَةُ الصَّلَابِ » ، أَيْ ذَوَاتِ الصَّلَابَةِ أَيْ الشَّدَّةِ .

وهذا البيت مع شهرته وتداوله لم أقف على خبر له . والله أعلم .

تتمة

ذهب ابن عصفور (في كتاب الضرائر) إلى أَنَّ زِيَادَةَ كَانَ فِي الشَّعْرِ ، وَأَنَّهَا تَكُونُ دَالَّةً عَلَى الْمَضِيِّ دَائِمًا . وَكِلَاهُمَا خِلَافُ الْمَرْضِيِّ . قَالَ : وَمِنْهَا زِيَادَةُ كَانَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَانِ الْمَاضِي ، نَحْوُ قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :
* فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ وَالْإِسْلَامِ ^(١) *

وقول الآخر ، أنشده الفارسي :

فِي عُرْفِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي وَجِبَتْ لَهُمْ هُنَاكَ بِسَعْيِ كَانَ مَشْكُورٍ ^(٢)
يريد : بِسَعْيِ مَشْكُورٍ ، وَقَوْلِ الْآخَرَ ، أَنْشَدَهُ الْفَرَاءُ :
* عَلَى كَانَ الْمَسْؤِمَةِ الْعِرَابِ *

(١) هو الشاهد التالي لشاهدنا هذا ، وصدده :

* فِي لُجَّةِ نَعْمَتِ أَبَاكَ بِجُورِهَا *

(٢) البيت للفَرَزْدَقِ فِي دِيْوَانِهِ ١٦٥ وَالضَّرَائِرُ ٧٧ .

وقول غيلان بن حريث :

* إلى كِنَاسٍ كَانَ مُسْتَعِيدِهِ ^(١) *

يريد إلى كِنَاسٍ مُسْتَعِيدِهِ . وقول امرئ القيس ، في الصَّحِيح من القولين :

أرى أمَّ عمرو دمعُها قد تحسَّرتُرا بكاءً على عمرو وما كان أصبراً ^(٢)
يريد : وما أصبر ، أى وما أصبرها .

وقد تزداد في سَعَةِ الكلام ، ومنه قول قيس بن غالب البدرى ^(٣) : «ولدت فاطمة بنتُ الخُرْشُبِ الكَمَلَةَ من عبس ، لم يوجدْ كان مثلهم» . إلاَّ أنَّ ذلك لا يحسُنُ إلاَّ في الشعر . وإنما أوردت زيادتها في فعلٍ دون زيادة الجملة لأنَّها في حال زيادتها غير مسندة إلى شيء . وسبب ذلك أنَّها لما زيدت للدلالة على الزمان الماضي أشبهت أمس ، فحكَّم لها بحكم أمس . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد السبعائة ^(٤) :

٧٢٩ (في لُجَّةٍ غَمَرَتْ أَباك بحورُها في الجاهليَّةِ كان والإسلام)

على أنَّ (كان) زائدة بين المتعاطفين لا عملَ لها ، ولا دلالة على مضي .

(١) مجاز القرآن ٢ : ٧ . ونسب في مجاز القرآن ٢ : ١٤٠ إلى العجاج .

(٢) ديوان امرئ القيس ٦٩ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) ضرائر ابن عصفور ٧٧ والأشموني ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٥٠ والنقائض

أَمَّا الْأَوَّلُ فظاهر . وَأَمَّا الثَّانِي فَلأنَّ المعنى أَنَّ الغَمْرَ ثابتٌ في زمن الجاهليَّة وفي زمن الإسلام ، لأنَّه كان في الجاهليَّة وانقطع ؛ لأنَّ المعطوف يَأْبَى هذا المعنى . وكذا (كان) في قولهم : لم يوجد كان مثلهم ، فإنَّها لو كانت دالَّةً على المضى لاقتضى أَنَّهُ يوجد مثلهم الآن . وهذا خلاف المقصود .

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً . وقبله يخاطبه :

صاحب الشاهد

(أَشْبَهْتَ أُمَّكَ إِذْ تَعَارَضَ دَارِمًا بِأَدِقَّةٍ مَتَقَاعَسِينَ لثَامِ
وَحَسِبْتَ بَحْرَ بَنِي كَلَيْبٍ مُصْدِرًا فغَرِقْتَ حِينَ وَقَعْتَ فِي الْقَمَقَامِ

أبيات الشاهد

في حومة غمرت أباك بحورها) إلخ .

٣٦

قوله : « أَشْبَهْتَ أُمَّكَ » إلخ ، يريد : أشبه عقلك عقل أُمك حين تُفَاخِر بكليب دارمًا . وكليب : رهط جرير ، ودارم : فخذُ شريف من قبيلة تميم . وأدقَّة : جمع دقيقتي ، يريد به الضَّعيف الضَّئيل . والمتقاعس : المتأخَّر عن المجد والشرف . ولثام : جمع لثيم .

وقوله : « وَحَسِبْتَ بَحْرَ » إلخ ، ويروى : « وَحَسِبْتَ حَبْلَ بَنِي كَلَيْبِ » يقول : ظننت أَنَّ بَنِي كَلَيْبِ يَنْجُونُكَ مِمَّا قَدْ وَقَعْتَ فِيهِ حِينَ تَعَرَّضْتَ لِي . وَمُصْدِرٌ : اسم فاعل من أَصْدَرْتَهُ ، بمعنى رَجَعْتَهُ . والقَمَقَامُ : البحر .

وقوله : (فِي لُجَّةِ غَمْرَتِ) إلخ ، اللُّجَّةُ : معظم الماء . وروى بدله : (فِي حَوْمَةِ) بمعناه . قال شارح المناقضات : « حَوْمَةُ الْمَاءِ : مَجْتَمَعُهُ وَمُعْظَمُهُ » (١) ، وهو بدل من القمقام . و (غَمْرَتِ) : غَطَّتْ . والغَمْرُ : الماء الكثير . وقد غمره الماء يغمره ، أَي عَلَاهُ . و (البحر) : الماء الكثير ، وكلُّ نهرٍ عظيم . (والجاهلية) : الزمان الذي كثر فيه الجهال ، وهي ما قبل

(١) الذي في النقاظص ٢٦٤ : « مجتمعه وكثرته » .

الإسلام . وقيل أيام الفِترَةِ . وقد تُطَلِّقُ على زمن الكفر مطلقاً ، وعلى ما قبل الفتح .

وترجمة الفرزدق تقدّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده : وهو الشاهد الثلاثون بعد السبعائة (٢) :

٧٣٠ (بَدَا لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَاءٌ)

على أن (بَدَاءٌ) فاعل بدا ، وهو مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل ، والتقدير : بدا لك رأىٌ بادٍ ، ولَمَّا كان ظاهر هذا الشعرِ على طَبَقِ « ثَبَّتَ الثُّبُوتُ » بجعل المصدرِ فاعلاً لفعله ، وهو مما لا معنى له ، أجاب عنه بما ذكر .

ولا يخفى أَنَّهُ تكلّف . والجيد ما قاله أبو علي (في كتاب الشعر) قال : أضمر البداء في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ (٣) ﴾ لِأَنَّ الْبَدَاءَ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ قَدْ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ أَظْهَرَ فِي قَوْلِهِ :

لَعَلَّكَ وَالْمَوْعُودُ حَقٌّ لِقَاؤُهُ بَدَا لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَاءٌ (٤)

وكذلك صنع ابن الشجري في الآية والبيت ، وقال : أَلَسُنُ الْعَرَبِ مُتَدَاوِلَةٌ فِي قَوْلِهِمْ : بَدَالِي فِي هَذَا الْأَمْرِ بَدَاءٌ ، أَيْ تَغْيِيرُ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ فَلَانٌ ذُو بَدَوَاتٍ ، إِذَا بَدَا لَهُ الرَّأْيُ بَعْدَ الرَّأْيِ . انْتَهَى .

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ .

(٢) الأغاني ١٤ : ١٥١ وأمالى القالى ٢ : ٧١ والخصائص ١ : ٣٤٠ وابن الشجري ١ : ٣٠٦ والروض الأنف ١ : ١٧١ والمغنى ٣٨٨ وشذور الذهب ١٦٧ ، والتصريح ١ : ٣٦٨ ، والهمع ١ : ٣٤٧ ، واللسان (بدا ٧١) .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) في النسختين : « حَقًّا لِقَاؤُهُ » ، صوابه بالرفع كما في معظم المراجع . وفي الخصائص : « صدق لقاؤه » . وفي الروض الأنف : « حق وقاؤه » .

وقد وقع هذا التركيب (في سيرة ابن هشام) ونصّه : قال ابن إسحاق : ظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ قد بدأ لعيمه بداءً .

قال السهيلي (في الروض) : أى ظهر له رأى ، فسمى بداءً لأنه شيء يبْدُو بعدما خَفَى ، والمصدر البُدُو^(١) ، والاسم البَداء . ولا يقال في المصدر بداله بُدُو ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأنّ الذى يظهر ويبْدُو ههنا هو الاسم نحو البَداء . ومن أجل أنّ البُدُو هو الظهور كان البَداء في وصف البارئ سبحانه محالاً ، لأنه لا يبْدُو له شيء كان غائباً عنه . والنسخ للحكم ليس يبْدُو^(٢) كما توهمه جماعة من الرافضة واليهود ، وإنّما هو تبديل حكم بحكم ، بقدر قدره ، وعلم قديم علمه . وقد يجوز أن يقال بدا له أنّ يفعل كذا ويكون معناه أراد . وهذا من المجاز الذى لا سبيل إلى إطلاقه إلاّ بإذن من صاحب الشرع ، وقد صحّ في ذلك ما خرّجه البخارى في حديث الثلاثة : الأعمى والأقرع والأبرص^(٣) ، وأنّه عليه السلام قال : « بدأ لله أنّ يبتليهم » . فبدا ههنا بمعنى أراد .

وابن أعين ومن اتبعه يُجيزون البَداء على الله^(٤) ، ويجعلونه والنسخ

(١) في الروض الأنف : « والمصدر البده والبو » . والبو ، يقال بالفتح ، ويقال بضم الباء والبدال مع تشديد الواو .

(٢) ط : « يبْدُو » ، صوابه في ش والروض .

(٣) انظر الحديث وتخرجه في الألف المختارة من صحيح البخارى . وهو الحديث رقم ٤٦٥ .

(٤) الذى في الروض : « وذكرنا الرافضة لأن ابن أعين ومن تبعه منهم يجيزون البداء على الله » . وابن أعين هذا هو زرارة بن أعين الكوفى ، مولى بنى أسعد بن همام ، وكان رئيس الشيعية أتباع أحر بن شميظ . انظر الحيوان ٢ : ٧/٢٦٨ : ١٢٢ . وكان أحر بن شميظ هذا من أمراء المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان يقول بالبداء أيضاً . وعندما انهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم أحر بن شميظ رجع فلولم إلى المختار وقالوا له : ألم تعدنا بالنصر على عدونا ؟ فقال : إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك لكنه بدا له . الفرق بين الفرق ٣٦ . فالقول بالبداء عند هؤلاء الإمامية انتقل من المختار إلى أتباعه وأتباع أتباعه ، وفي جمهرة ابن حزم ٥٩ أن عبد الله بن محمد =

شيئاً واحداً . واليهود لا تجيز النسخ ، يحسبونه بداءً . ومنهم من أجاز
البداء .

وروى الأصبهاني (في الأغاني) أن رجلاً وعدَّ محمد بن بشير الخارجيَّ صاحب الشاهد
بقلوصٍ ، وهي الناقة الشابة ، ومطله ، فقال فيه يذمه ويمدح زيد بن
الحسن بن علي بن أبي طالب :

(لعلك والموعودُ حقُّ لقاؤه بدَا لك في تلك القلوصِ بداءٌ^(١))
فإنَّ الذي ألقى إذا قال قائلُ من الناس : هل أحسستها لعناء^(٢)
أقول الذي يُبدي الشَّمات وإنَّها على وإشمات العدوِّ سواء^(٣)
دعوتُ وقد أخلفتني الوعدَ دعوةً بزيدٍ فلم يضلِّل هناك دُعاء^(٤)
بأبيضٍ مثلِ البدر عَظَمَ حقه رجالٌ من آلِ المصطفى ونساء^(٥)

فبلغت هذه الأبياتُ زيد بن الحسن ، فبعث إليه بقلوصٍ من جواد
إبله ، فقال بمدحه :

إذا نزلَ ابنُ المصطفى بطنَ تَلعةٍ نفي جَدبها واخضرَّ بالنبتِ عودُها^(٦)
وزيدُ ربيعِ النَّاسِ في كلِّ شتوةٍ إذا أَخلفتُ أنوؤها ورُعودها

= ابن علي بن الحسين ، وهو الملقب بالأفطح ، كانت له شيعة تدعى إمامته ، منهم زرارة بن أعين
الكوفي ، محدث ضعيف ، فقدم زرارة المدينة فلقى عبد الله فسأله عن مسائل من الفقه فألفاه في
غاية الجهل ، فرجع عن إمامته ، فلما انصرف إلى الكوفة أتاه أصحابه فسألوه عن إمامه وإمامهم ،
وكان المصحف بين يديه ، فأشار لهم إليه وقال لهم : هذا إمامي ، لا إمام لي غيره !

(١) في الأغاني ١٤ : ١٥١ : « حق وفأوه » .

(٢) في الأغاني : « هل للواعدين وفاء » .

(٣) في الأغاني :

أقول لمن تبدي الشمات وقولها
علي به بين الأنام عناء

(٤) في الأغاني : « وقد أخلفتني الرأي » .

(٥) لم يرد هذا البيت في الأغاني .

(٦) الأغاني : « بالغيث عودها » .

حَمُولٌ لِأَشْتَاتِ الدِّيَاتِ كَأَنَّهُ سِرَاجُ الدَّجَى إِذْ قَارَنْتَهُ سَعُودَهَا^(١)
انتهى .

وقوله : (لعلك والموعود) إلخ ، أوردته ابن هشام (فى المغنى) فى الجملة
المعترضة من الباب الثانى ، على أَنَّ قوله (والموعود حق لقاءه) جملة
اعتراضية بين ما أصله المبتدأ وبين خبره .

وأحسستها : استفدتها . وأحسست الشيء : وجدت حسه . وقوله
لَعْنَاءُ خَيْرِ إِنِّ الَّذِي أَلْتَى . يقول : إن قلتُ للسائل الشامتِ إِنِّي أَفْدْتُهَا
فقد كذبت ، وكذبت وإثباتُ العدوِّ سواءُ .

وقوله : « يزيد » الباءُ زائدة ، أى ناديته مرّة . وجملة وقد أَخْلَفْتَنِي
الوعد اعتراضية .

محمد بن بشير
وقائل هذه الأبيات محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجي ،
من بنى خارجة بن عثوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ،
ويكنى أبا سليمان . وهو شاعرٌ فصيحٌ حجازىٌ من شعراء الدولة الأموية ،
وكان منقطعاً إلى [أبى^(٢)] عبدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى ، أحد بنى
أسد بن عبد العزى . وله ترجمةٌ طويلةٌ فى الأغانى .

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد السبعمائة [وهو
من شواهد س^(٣)] :

(١) الأغانى : « لأسنان الديات » . وفى النسختين هنا : « إذ قارنته » ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) التكلة من الأغانى .

(٣) التكلة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٢٨٩ والمقتضب ٤ : ١١٦ والجل ٦٢ والأزهمية

١٩٧ والمغنى ٢٨٧ والعينى ٢ : ٤ والتصريح ١ : ١٩٢ والأشباه والنظائر ١ : ٤٩ ، ٦٩

والأشمونى ١ : ٢٤٠ وديوان الفرزدق ٨٣٥ .

٧٣١) فكيف إذا مررتُ بدارِ قومٍ وجيرانِ لنا كانوا كرامٍ (على أن (كان) فيه ناقصة كما ذهب إليه المبرد ، الواو اسمها ، ولنا خبرها ، وليست زائدة كما قال سيويه : وقال الخليل : إن من أفضلهم كان زيداً على إلغاء كان . وشبهه بقول الشاعر :

فكيف إذا رأيت ديار قومٍ وجيرانِ لنا كانوا كرامٍ . ٥١ .

قال الأعمى : الشاهد فيه إلغاء كان وزيادتها ، توكيداً وتبييناً لمعنى المضى ، والتقدير : وجيران لنا كرام كانوا كذلك . وقد ردّ المبرد هذا التأويل وجعل قوله «لنا» خبراً لها ، والصحيح ما ذهب إليه الخليل وسيويه من زيادتها ، لأنّ قوله لنا من صلة الجيران ، ولا يجوز أن تكون خبراً لكان إلا أن تريد معنى الملك ، ولا يصح الملك ههنا ، لأنهم لم يكونوا لهم ملكاً ، إنّما كانوا لهم جيرة . انتهى .

٣٨

ولا يخفى أنّ هذا تعسفٌ منه ، ولا فرق بين قولك : جيران لنا وبين كانوا لنا ، فإنّ الواو في كانوا ضمير الجيران ، واللام للاختصاص لا للملك .

وقد نسب الزجاج (في تفسيره) زيادة كان في البيت إلى المبرد ، ونقل عنه غلطة لم يغلطها أصغر الطلبة ، قال عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا ^(١) ﴾ : قال محمد بن يزيد : جائزٌ أن تكون كان زائدة فالعنى على هذا إنه فاحشة ومقت . وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حلت ديار قومٍ وجيرانِ لنا كانوا كرامٍ ^(٢)

(١) الآية ٢٢ من سورة النساء .

(٢) في المقتضب : « إذا رأيت ديار قوم » .

وهذا غلطٌ من أبي العباس لأنَّ كان لو كانت زائدةً لم تنصب خبرها^(١) . انتهى .

وهذا نقلٌ شاذٌ ، وكلهم أجمعوا على أنَّ زيادة كان في البيت إنما قال به سيويه . لكنَّ الزجاج تلميذ المبرد ، وهو أدري بمذهب شيخه . والله أعلم .

وتجوز المبرد زيادة كان في الآية مع نصب خبرها خطأً ظاهر^(٨) .

قال ابن السِّيد (في أبيات المعاني) : وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد يمتنع من زيادة كان في البيت ، ويقول : : إنما تلغى إذا كانت مجردة لا اسم لها ولا خبر ، وأما في البيت فالواو اسمها ، ولنا الخبر ، وكرام صفة لجيران . وقد ردَّ الناس هذا وقالوا : يجوز أن تكون^(٣) الواو حرفاً دالاً على الجمع يؤكِّد به الجيران ، كالواو في أكلوني البراغيث . وهذا مذهبٌ كثيرٌ من البصريين وبعض الكوفيين . ولأنَّه يقدر بلنا التأخير ، وهو صفة لجيران وقد حلَّ محله من حيث تبع الموصوف ، ولا حاجة تدعو إلى انتزاعه من موضعه وتقديره مؤخراً . وهذا حجة أبي علي . انتهى .

أقول : هذا التوجيه ضعيفٌ جداً ، فإنَّ القول بحرفية واو الجمع إنما هو إذا كان بعدها جمع مرفوع كما في المثال ، وأما إذا لم يأت بعدها جمعٌ مرفوع فلم يقل أحدٌ إنَّها تأتي حرفاً دالاً على الجمع . والصواب

(١) هذا تجن من الزجاج على المبرد ، فإن المبرد إنما حكى قول النحويين ، من زيادة كان ، ولم يرتضه ، بل رد عليه قائلاً : « وهو عندي على خلاف ما قالوا من إلغاء كان ، وذلك أن خبر (كان) (لنا) ، فتقديره : وجيران كرام كانوا لنا . انظر المقتضب ٤ : ١١٧ وما نقله البغدادي فيما سيأتي عن ابن السيد .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) ش : « يكون » .

ما وجّه به الشارح المحقق ، وهو أنّ كان زيدت مع الفاعل لأنّه كالجزء منها ، لأنّهم قالوا : والفاعل كالجزء من الفعل .

واستدلّ صاحب اللباب على أنّهما كالكلمة الواحدة بائى عشر وجهاً ، منها زيادة الفعل مع الفاعل في نحو هذا البيت . قال شارحه (القالى^(١)) : تقريره أنّهم حكموا بأنّ «كانوا» زائدة وإن كان الفعل وهو «كان» وحده زائداً ، ولكنّ لما كان الفاعل كالجزء لم يفكّوه عن الفعل ، فحكموا بزيادتهما جميعاً . انتهى .

وأبو على لم يجعل الواو فاعل كان ، وإنّما جعلها ضميراً مؤكّداً للضمير المستتر في الظرف الواقع صفة لجيران ، أعنى قوله لنا ، قال : لنا في موضع الصّفة لجيران ، وفيه ضميرهم مستتر على ما عهد من حكم الجارّ والمجرور إذا وقع صفة ، والضمير المتّصل بكان تأكيد له ، ولم يكن بدّ من اتصاله لأنّه لا يقوم بنفسه . واستدلّ على ذلك بقول الشاعر^(٢) :

نحنُ بغريرِ الودىِّ أعلمنا منّا بطعنِ الكمأةِ فى السدِّفِ

قال : فنّا من أعلمنا لا حاجة إليه ، لأنّ أعلم أفعل ، وأفعل إمّا أن يضاف ، وإمّا أن يتصل بمن ويمنع^(٣) من إضافته . وإذا كان كذلك فلا بدّ من تخريج يصحّ عليه الاعراب ، وذلك أنّه تأكيد للضمير فى منّا . ولقوّة تناوله قدّمه ليدلّوا على شدّة اتصاله . وإذا جاز ذلك فى أعلم [مع^(٤)] ما بعده كان فى كان أولى وأحسن .

هذا كلامه ، ونقله عنه اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) .

(١) فى النسختين : «القالى» بالقاف ، تصحيف سبق التنبيه عليه فى مواضع كثيرة .

(٢) هو سعد القرقرّة ، أو قيس بن الخطيم . وانظر معجم الشواهد .

(٣) فى النسختين : «يمنع» ، والوجه إثبات الواو قبلها .

(٤) التكلّة من ش .

وقد جمع ابن هشام (في شرح الشواهد) جميع ما للعلماء من التخاريج في هذا البيت قال :

« لنا » قيل خبر مقدّم ، ثم اختلف على قولين :

أحدهما : أنه خبر مبتدأ ، والأصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما فصار لنا كان هم ، ثم وصل الضمير إصلاحاً للفظ ، لأنه لا يصح وقوعه منفصلاً إلى جانب فعلٍ غير مشغول بمعمول .

والثاني : أنه خبر لكان وأنها ناقصة ، وهو قول المبرّد وجماعة ، وعليه فالجملة صفة لجيران ، وتقدّمت على الصفة المفردة ، والأكثر في الكلام تقديم المفردة .

وقيل لنا صفة لجيران ، ثم اختلف على قولين أيضاً :

أحدهما : أن كان تامة والضمير فاعل ، أي وجد . وردّ بأنه لا فائدة في الكلام على هذا القول .

والثاني : أنها زائدة ، ثم اختلف في الاعتذار عن الضمير على قولين : أحدهما أن الزيادة لا تمنع العمل في الضمير كما لم يمنع إلغاء ظن عملها في الفاعل مطلقاً . قاله^(١) ابن السّيد وابن مالك . وفيه نظر ، لأنّ الفعل الملقى لم ينزل منزلة الحروف حتى لا يليق الإسناد إلى الفاعل ، وإنّما هو فعلٌ صحيح وُضِع لقصد الإسناد . والثاني : أن الأصل : كان هم ، على أنّ الضمير توكيدٌ للضمير المستتر في لنا ، ثم زيدت كان بينهما ، ووُصل الضمير للإصلاح . انتهى .

(١) ط : « قال » ، صوابه في ش .

وقد لخصه (في المغنى) في بحث لعل .

وقوله : على تقدير كونها تامة مع فاعلها أنه لا فائدة في الكلام^(١) - ممنوع ، فإنها صفة لجيران بمعنى ثبتوا وحصلوا . وما أورده أولاً من أن الأصل لنا هم ، ثم زيدت كان بينهما ، فأتصل بها الضمير ، هو قول صاحب الكشاف ، قال في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً^(٢) ﴾ : وقرأ اليزيدى : (لكبيرة) بالرفع ، ووجهها أن تكون كان مزيدة ، كما في قوله : « وجيران لنا كانوا كرام » الأصل : وإن هي لكبيرة ، كقولك : إن زيد لمنطلق ، ثم وإن كانت لكبيرة . انتهى .

قال أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى (في كتاب التنبيه على أغلاط أبي زياد^(٣) الكلابى في نوادره) : روى أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى بن يزيد الجلودى ، في أخبار الفرزدق ، بإسناد متصل ذكره ، أن الفرزدق حضر عند الحسن البصرى ، فأنشده :

أقولُ إذا رأيتُ ديارَ قوميَ وجيرانٍ لنا كانوا كرامٍ

فقال له الحسن : كراماً يا أبا فراس . فقال الفرزدق : ما ولدتني إلا ميسانية ، إن جازاً ما تقولُ يا أبا سعيد . قال : وأُمُّ الحسن من ميسان . فهذا ردُّ الفرزدق عن نفسه . وقد أصاب ، وتقدير قوله : وجيران كرام كانوا لنا . انتهى .

(١) انظر ما مضى في الصفحة السابقة س ١١ - ١٢

(٢) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة : « وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ » .
(٣) ط : « أبي زيد » ، صوابه في ش . واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن ابن ربيعة بن عمرو بن نفاثة . انظر حواشي الحيوان ٦ : ١٢٨ . قال ابن النديم ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعراً من بني كلاب بن عامر . وأقول : إن هذا القسم من التنبيهات قد باد فيما باد من نصوص التنبيهات .

وميسان : قرية من قرى العراق . يريد إننى لم أكن من العرب العرباء
بل من المولدين إن صح ما لحنتنى فيه .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها هشام بن عبد الملك ويهجو
جريراً ، وأولها :

أبيات الشاهد
(أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعْنًا نَرَى الْعَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الْخِيَامِ
فَقَالُوا إِنْ عَرَضْتَ فَأَغْنِ عَنَّا دُمُوعاً غَيْرَ رَاقِئَةِ السَّجَامِ^(١)
فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بَدَارِ قَوْمِ وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ^(٢)
أَكْفَكْفُ عِبْرَةَ الْعَيْنِينَ مِنِّي وَمَا بَعْدَ الْمَدَامِعِ مِنْ لِمَامِ^(٣))

قوله : « أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ » إلخ ، الهمزة للاستفهام التقريري ، وروى
« هَلْ أَنْتُمْ » بدله . وعائجون : جمع عائج ، اسم فاعل من عَجَت البعير
أَعُوْجُهُ عَوْجاً ، إذا عطفَ رأسه بالزمام . والباء في بنا بمعنى مع . وروى
العيني فقط : « عالجون » باللام ، وقال : أى داخلون في عالج ، وهو اسم
موضع . ولم أره لغيره . وليس في الصحاح عَالَجَ بمعنى دخل في عالج .
ولَعْنَا أى لعلنا . ولَعْنٌ لغة في لعلَّ . وعَرَصَةُ الدار : ساحتها ، وهي
البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء ، وسميت عَرَصَةً لَأَنَّ الصَّبِيَانَ
يَعْرِصُونَ فِيهَا ، أى يلعبون ويَمْرَحُونَ .

وقوله : « إِنْ عَرَضْتَ » كذا رواه محمد بن المبارك (في منتهى الطلب
من أشعار العرب) : قال صاحب الصحاح : وعَرَضَ الرجلُ ، إذا أتى

(١) في ديوان الفرزدق ٨٣٥ : « فقالوا إن فعلت » .
(٢) في الديوان : « فكيف إذا رأيت ديار قومي » وفي النقاظ ١٠٠٤ : « وكيف إذا
رأيت ديار قوم » .
(٣) في الديوان : « من ملام » . وفي النقاظ : « من كلام » .

العروض، وهي مكة والمدينة وما حولهما . قال :

* فيا راكباً إما عرضت فبلغن^(١) *

وقول الكميث :

* فابلغ يزيد إن عرضت ومندراً^(٢) *

يعنى إن مررت به . انتهى .

وما هنا يحتمل كلاهما . وروى أيضاً : « إن فعلت » بدله ، أى فعلت العوج وهو عطف رأس الناقة بالزمام . وقوله : « فأغن عنا » هو أمر من قولهم : أغنيت عنك ، أى أجزأت مجزأة . يريد أن أصحابه لم يوافقوه على عطف الزمام . وقوله : « دموعاً » أصله بدموع ، فلما حذف الباء نصب . وراقئة بالهمز ، من رقباً الدمع رقباً ورُقوةً ، إذا سكن . والسجام : مصدر سجمَ الدمع سُجُوماً وسِجَماً ، أى سال .

وقوله : (فكيف إذا مررت) إلخ ، كيف استفهام وفيها معنى التعجب ، وهى هنا ظرف ، والعامل فيها فعلٌ محذوف دلٌّ عليه الكلام ، وهو أكون ، وهو مقدر بعدها ، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله . والتقدير : على

(١) صدر بيت مشترك بين شاعرين أحدهما عبد يفيث بن وقاص الحارثي الجاهلي ، وبينه :

فيا راكباً إما عرضت فبلغن
ندامى من نجران أن لا تلاقيا
والآخر مالك بن الربيع المازني ، وبينه :

فيا راكباً إما عرضت فبلغن
بني مالك والريب ألا تلاقيا

(٢) مجزءه ، كما في اللسان (عرض ٣٥ نمس ١٣٠) وتكلمة الصاغاني ٣ : ٤٤١ ،

* وعميها والمستسر المتامسا *

وانظر ديوان الكميث ١ : ٢٤٥ . وفي التكلمة :

« هكذا وقع : وعميها على الثنية . والصواب : وعميها على التوحيد . ويزيد هو يزيد بن خالد بن عبد الله . وهنذر هو منذر بن أسد بن عبد الله . وعميها هو إسماعيل بن عبد الله . والمستسر هو خالد بن عبد الله » .

أى حال أكون إذا مررت بدار قوم إلخ ، وجواب إذا محذوف لدلالة ما تقدم عليه ، وهو العامل فيها . كذا قال اللخمي .

وقال ابن هشام : كيف ظرفاً لأكفكف^(١) . وفيه نظر . والتاء في مررت للمتكلم ، بدليل لنا ، وأكفكف . وروى بدله : « رأيت » . وقوله : أكفكف : أحبس . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . واللّمَام بكسر اللام بعدها ميم . كذا في منتهى الطلب ، والمشهور « من ملام » .

وترجمة الفرزدق تقدمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد السبعمئة ، وهو من شواهد س^(٣) :

٧٣٣ (كأنَّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ يكون مزاجها عسلٌ وماءً^(٤))
على أنَّ أبا البقاء جَوَزَ زيادة (يكون) بلفظ المضارع ، وادَّعى
أنَّها هنا زائدة على رواية رفع مزاجها على المبتدئ وعسل خبرها .

وكذلك قال ابن السِّيد (في أبيات المعاني) : تكون^(٥) زائدة لا اسم لها ولا خبر ، فيكون قوله (مزاجها عسلٌ) جملةً من مبتدئ وخبر . وقد عطف ماءً على الخبر فرفع .

(١) ش : « كيف لأكفكف » ، صوابه في ط .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) في كتابه ١ : ٢٣ . وانظر سيرة ابن هشام ٨٢٩ والروض ٢ : ٢٨٠ والكمال ٧٣ والمقتضب ٤ : ٩٢ والأصول ١ : ٧٣ ، ٧٤ والجل ٥٨ والمختب ١ : ٢٧٩ وابن يمش ٧ : ٩١ ، ٩٣ وتسهيل الفوائد ٣٦ والمغنى ٤٥٣ ، ٦٩٥ والهمع ١ : ١١٩ والأشباه والنظائر ١ : ٢٧١ ، وديوان حسان ٣ .

(٤) ط : « كأنه » ، صوابه في ش وسائر المراجع .

(٥) كذا في النسختين ، وهي رواية صحيحة في البيت ستأتى في الصفحة التالية .

وذهب ابن الناظم أيضاً (في شرح الألفية) إلى أنَّ زيادتها بلفظ المضارع نادر . كقول أمِّ عقيل رضى الله عنه :

أَنْتَ تَكُونُ مَاجِدٌ نَبِيلٌ إِذَا تَهَبُّ شَمَالٌ بَلِيلٌ^(١)

وارتضاه ابن هشام (في شرح شواهد) ، لكنه أنكّر زيادتها (في المغني) ، قال : ويروى برفعهنَّ . أى برفع « مزاجها عسل وماء » على إضمار الشَّان . وأمَّا قول ابن السَّيد: إنَّ كان زائدة ، فخطأ ؛ لأنها لا تزداد بلفظ المضارع بقياس . ولا ضرورة لدعوى ذلك هنا . انتهى .

٤١ وهذا التخريج مشهور ، وذكره^(٢) ابن خلفٍ وغيره ، فيكون اسمها ضمير الشَّان والأمر ، وجملة « مزاجها عسل » من المبتدأ والخبر خبرها . وذكر ابن هشام اللخمي تخريجا آخر بعد ذلك ، قال : اسم يكون ضمير سبيئة ، وجملة « مزاجها عسل » في موضع الخبر ، أو إنَّ^(٣) خبرها مقدّم عليها ، وهو قوله من بيت رأس ، وجملة تكون من بيت رأس صفة لسبيئة ، وجملة مزاجها عسل صفة ثانية لها . قال : وعلى هذين القولين يقال « تكون » بالتاء . والسابق إلى هذا التخريج ابن السَّيد (في أبيات المعاني) .

ثم قال : والأحسن أن تقول^(٤) على هذا الوجه: تكون بالتاء ؛ لأنَّ السُّلَافَةَ مؤنثة ، ولو قلت بالياء جاز ، لأنَّ التانيث غير حقيقي ، وليس بالجيد .

(١) العيني ٢ : ٣٩ والتصریح ١ : ١٩١ والممع ١ : ١٢٠ والأشعري ١ : ٢٤١ وأم عقيل بن أبي طالب هي فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم جميع ولد أبي طالب . انظر جمهرة ابن حزم ١٤ وما سياتي .

(٢) ش : « ذكره » بلون سبق للواو .

(٣) ط : « وإن » ، صوابه في ش .

(٤) ط : « يقول » ، وأثبت ما في ش .

أقول : إذا أسند الفعل إلى ضمير المؤنث المجازي « فالتأنيث واجبٌ إلا في الضرورة ، وإنما جواز التأنيث في الإسناد إلى ظاهره .

وأما بيت أمّ عقيل فلم أر من خرّجه . وأقول بعون الله تعالى : إنَّ اسمَ تكون ضمير المخاطب المستتر فيها ، وخبرها محذوف ، وماجدٌ خبر أنت ، والتقدير : أنت ماجد نبيل تكوُّنه ، أو تكون ذلك ، والجملة اعتراضية بين المبتدأ والخبر .

وأمّ عقيل هي أمّ علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، واسمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

وهذا الرجز كانت ترقص به عقيلاً لما كان طفلاً . وقبله :

إنَّ عقيلاً كاسمه عقيلٌ وببيبي الملقفُ المحمولُ

وآخره :

* يُعطى رجالَ الحيِّ أو يُنيلُ *

وعقيل كلُّ شيءٍ : أفضلُه . وببيبي : بيبي ، أى يفتدى بيبي أو مفتدى به .

ورواه الأزدي (في كتاب الترقيص) :

أنتَ تكونُ السيّدُ النبيلُ إذا تهبُّ الشمالُ البليلُ^(١)

ورواية سيوييه . في البيت المتقدم بنصب مزاجها ، على أنه خبر مقدم ، ورفع عسل على أنه اسمٌ مؤخر . وإن شاء الله يأتى الكلامُ عليها في آخر الباب .

(١) ط : « شمال بليل » ، وأثبت ما في ش .

وروى أيضاً برفع مزاجها ونصب عسلٍ على الاسم والخبر ، ويكون ارتفاع ماءً بفعل محذوف تقديره: ومازجها ماءً ، لأنَّ الشيء إذا خالط شيئاً فقد خالطه ذلك الشيء أيضاً . وهذه رواية أبي عثمان المازني ومختاره ، نقله عنه ابن السيد وابن خلف وغيرهما .

وخبر كأنَّ المشددة في بيتٍ يليه ، وهو :

(على أنيابها أو طعمَ غَضٍّ من التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ اجتناءً)

فقوله « على أنيابها » هو الخبر . والأنياب أربعة أسنان : ثنتان من يمين الثنايا : واحدة من فوق وواحدة من أسفل ، وثنان من شِمالها كذلك . شبه طعم ريقها بطعم خميرٍ قد مزجت بعسلٍ وماءً ، أو بطعم تُّفَّاحٍ غَضٍّ قد اجتنى . فطعمَ بالنصب معطوفٌ على سبيئة . وهَصَّرَهُ : أماله . والاجتناءُ : أخذُ الثمر من الشجر . ويروى بدله : « جناءً » بكسر الجيم ، وهو الثمر بعينه .

والبيت الثاني ثابتٌ في ديوان حسان ، وهو عندي نسخةٌ قديمةٌ تاريخ كتابته سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وكذا رواه من تكلم في شعره . وقد أنكره السهيلي (في الروض) وقال : قوله : « كأنَّ سبيئة » خبر كأنَّ في هذا البيت محذوف ، تقديره : كأنَّ في فيها^(١) . ومثله في النكرات حسن^(٢) كقوله :

* إنَّ محلاً وإنَّ مرتحلاً^(٣) *

(١) في الروض ٢ : ٢٨٠ : « كأن في فيها خبيثة » .

(٢) في الروض : « ومثل هذا المحذوف في النكرات حسن » .

(٣) صدر بيت للأعشى في ديوانه ١٥٥ . وعجزه :

* وإن في السفر ما مضى مهلاً *

أى إِنَّ لَنَا مَحَلًّا . و كَقَوْلِ الْآخِرِ (١) :

* وَلَكِنْ زَنْجِيًّا طَوِيلًا مَشَافِرُهُ (٢) *

٤٢

وزعم بعضهم أَنَّ بعده بيتاً فيه الخبر ، وهو « على أنيابها » البيت .
وهو مصنوعٌ لا يشبه شعر حسانٍ ولا لفظه . انتهى .

والسبيئة : فعيلة معنى مفعولة . وهى الخمر التى تُسبأُ ، أى تُشترى
بالهمز . قال المبرد (فى الكامل) وأنشد البيت : يقال سبأت الخمر
سبأً ، إذ اشتريتها . والسبأُ : الخَمَارُ . قال ابن السِّيد : إنما
السبأُ مُبتاع الخمر لا بائعها . وهذا منه غلط . وفى القاموس :
سبأ الخمرَ كجعل ، سبأً وسبَاءً ومَسْبَأً : شَرَاهَا كاستبأها . وبياعها
السبَاءُ . والسبيئة . ككريمة : الخمر . ثم قال فى المعتل : سبى العلو :
أسره . والخمر سبياً وسبَاءً ، ووهم الجوهرى : حملها من بلد إلى
بلد . انتهى .

والجوهرى قيّد السبءَ بشرائها للشرب . قال : فأما إذا اشتريتها
لتحملها إلى بلد آخر قلت : سببتُ الخمر . فشراؤها للتجارة يكون عنده بالياء .

وردّ عليه الصفدى (فى نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم) .
قال : هذا تحكُّمٌ منه ، ودَعْوَى بلاد ليل . وقول ابن هرمة :

(١) هو الفرزدق من قصيدة فى الأغاني ١٩ : ٢٤ . يهجو بها أيوب بن عيسى الضبى . وليست
فى ديوانه .

(٢) صدره :

* فلو كنت قيسياً إذن ما حبستنى *

وهو الشاهد ٨٧٩ فيما سأتى . وروى : « فلو كنت ضيباً عرفت قرابتى » .

خَوْدُ تعاطيكَ بَعْدَ رَقْدَتِهَا إِذَا تلاها العيون مَهْدُوها^(١)
كَأْسًا فِيهَا صَهْبَاءٌ مُعْرَقَةٌ يَغْلُو بِأَيْدِي التَّجَارِ مَسْبُوها

يشهد بخلاف هذا الفرق الذي أبداه^(٢) . ولا يجوز سببت الخمر
بالياء إلا على قول من يرى تحويل الهمزة . انتهى .

وروى : « كَأَنَّ سُلَافَةً » ، والسلافة : الخمر ، وقيل خلاصة الخمر ،
وقيل ما سال من العنب قبل العصر ، وذلك أَخْلَصُها . واشتقاقها من
سَلَفَ الشيء ، إِذَا تَقَدَّمَ . وروى أيضاً : « كَأَنَّ خَبِيئَةً » ، وهى الخمر
المخْبِيئةُ المَصُونَةُ المَضْنُونُ بها . وقوله : (من بيتِ رأسِ) متعلقٌ بمحذوف
على أَنَّهُ صِفَةٌ أُولَى لِسَبِيئَةٍ ، وجملة (يكون) إلخ صفة ثانية لها ؛ كَأَنَّهُ
قال : سَبِيئَةٌ مُشْتَرَاةٌ من بيتِ رأسٍ مَمْزُوجَةٌ بِعَسَلٍ وَمَاءٍ . وبيتِ رأسِ :
موضع ، قال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال عبيد الله^(٣)
ابن عبد الله^(٤) بنُ خُرْدَاذِبَةَ : بيتِ رأسِ : اسمُ قريةٍ بالشام من ناحية
الأردن ، كانت الخُمُورُ تُبَاعُ فيها ، وبه ماتت حَبَابَةُ^(٥) جارية يزيد بن

(١) فى ديوان ابن هرمة ٤٩ واللسان والتاج « سبأ » : « إِذَا يَلِاقُ العيون » . وما فى شرح
شواهد المعنى يطابق ما هنا .

(٢) هكذا فى النسختين بالهمز . أبدأه : ابتدعه .

(٣) ش : « أَبُو عبيد الله » ، صوابه فى ط . وهو الجغرافى المشهور أَبُو القاسم عبيد الله بن
عبد الله بن خرداذبه ، صاحب كتاب المسالك والممالك الذى نشره دى غويه سنة ١٣٠٦ فى ليدن .
وكان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البراهمة ، فتولى أَبُو القاسم هذا البريد والخبر بنواحي الجبل .
الفهرست ٢١٢ ودائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٩ .

(٤) ويقال « ابن أحمد » أيضاً .

(٥) حبابة هذه بتخفيف الباء . وفيها يقول يزيد :

أبلغ حبابة أَسَقَى رُبمها المطر ما للفضود سوى ذكراكم وطر
الأغاني ١٣ : ١٥٤ . ويقول القمعاة بن خلود العيسى مخاطباً لابن هبيرة :

هلم فقد ماتت حبابة سامى بنفسك يقدمك الذرى والكواهل
أغرك أن كانت حبابة مسرة تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل
ابن الأثير ٥ : ٩٩ - ١٠٠ ، وكان ابن هبيرة يهدى لها ويرها تملقاً منه ليزيد .

عبد الملك ، فمات يزيدُ بعد بضع عشرةَ جزءاً عليها . انتهى . وقيل : بيتٌ : موضع الخمر ، ورأسٌ : اسمٌ للخمر . وقصد إلى بيت هذا الخمر لأنَّ خمره أطيبُ الخمر . وقيل الرأس هنا بمعنى الرئيس ، أى من بيت رئيس . قال اللخمي : وهذا أحسن الأقوال ؛ لأنَّ الرؤساء إنما تشرب الخمر ممزوجةً . وإنما اشترط أن يمزجها لأنها خمرٌ شاميةٌ صليبية ، فإن لم تُمزج قتلتُ شاربها . وخصَّ العسلَ والماءَ لأنَّ العسل أحلى ما يخالطها ، وأنه يذهبُ بمرارتها ، وأمَّا الماءُ فيبردُها ويلينها . وقيل : إنما عنى شرابَ الرؤساء والملوك على قول من جعلَ رأساً : بمعنى رئيس ، لأنها إذا مُزجت لا يشربها إلاَّ الرؤساءُ وأشرفُ الناس ، كراهيةً أن تُخرجهم عن عقولهم . ألا ترى إلى قول عدى بن زيد :

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزلالِ^(١)

وقد عابت على جذيمةَ الأبرش أخته شربَ الخمرِ صرفاً لأمرٍ لحقها من ذلك ، فقالت له :

ذاك من شربِك المدامةَ صرفاً وتماديك في الصِّبا والمُجونِ

وقد مدح الله خمرَ الجنةَ لما لم يكن الشاربُ يزوى وجهه لها ، فقال عزٌّ من قائل : ﴿ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ﴾^(٢) ، أى إنَّ الشارب إذا شربها لم يقطب وجهه ، ولم تُخرجه عن عقله .

٤٣

وبيتُ حسان مع ما بعده مأخوذٌ من قول امرئ القيس ، وإن كان في قول امرئ القيس زيادةً أحسنَ فيها ما شاء ، وأتبع دلوهُ في الإجابة الرشاء ، فقال :

(١) ديوان عدى بن زيد ٨٢ . وانظر تحريجه فيه .

(٢) الآية ١٥ من سورة محمد .

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْعَمَامِ وريح الخُزَامِي ونَشَرَ الْقَطْرُ^(١)
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمَسْتَحِرُّ

والزيادة التي زادها قوله « إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمَسْتَحِرُّ » يعنى عند تغير
الأفواه . فشبهه حسان ريقَ هذه المرأةِ بخمرٍ ممزوجةٍ بعسلٍ وماءٍ ، أو بطعم
غَضٍّ من التفاح .

والبيت من قصيدة لحسان بن ثابت قالها قبل فتح مكة ، مدح بها صاحب الشاهد
النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهجا أبا سُفيان ، وكان هجا النبي صلى الله
عليه وسلم قبل إسلامه ، وهى هذه :

(عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ إِلَى عَدْرَاءَ مَنزَلُهَا خَلَاءِ^(٢)
دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرُ تُعَفِّئُهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَانَتْ لَا يَزَالُهَا أَنْيْسُ خِلَالَ مَرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ
فَدَعُ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِيَطِيفُ يُورِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسِ يَكُونُ مَزَاجِهَا عَسَلٌ وَمَاءُ^(٣)
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبَاتِ الرِّيحِ الْقِدَاءِ
نُوَلِّيَهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا إِذَا مَا كَانَ مَغْتًا أَوْ لِحَاءِ
وَنَشْرِبُهَا فَتَتْرِكُنَا مَلُوكًا وَأَسَدًا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءِ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءِ

(١) ديوان امرئ القيس ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) ديوان حسان ٣ - ١٠ ، والسيرة ٨٢٩ - ٨٣٠ .

(٣) في الديوان : « كأن سبيته » . وبعد هذا البيت في الديوان فقط :

عل أنيابها أو طم غض من التفاح هصره الجناء

يُبَارِينِ الْأَسِنَّةِ مَصْنِيَاتٍ عَلَى أَكْتَاغِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءِ^(١)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطَّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النَّسَاءِ
فَإِذَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وِإِلَّا فَاصْبِرُوا لَجَلَادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ^(٢)
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جَنَدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عَرَضَتْهَا اللَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ قِتَالٌ أَوْ سِبَابٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحَكِّمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ وَقَوْمِي صَدَّقُوهُ فَقَلِّمَ مَا نُجِيبُ رُومًا نِشَاءُ
وَجِبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ^(٣)
أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ^(٤)
بِأَنَّ سَيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتْهَا الْإِمَاءُ
هَجُوتُ مُحَمَّدًا فَاجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ^(٥)
أَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرُّكُمْمَا لَخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجُوتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارُمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تَكْذُرُهُ الدَّلَاءُ

٤٤

- (١) في الديوان: « يبارين الأعتة مصعدات ». وفي السيرة: « ينازعن الأعتة مصنيات » .
(٢) في الديوان: « يعز الله فيه » .
(٣) موقع هذا البيت في كل من الديوان والسيرة قبل بيت: « وقال الله قد أرسلت عبدا » .
(٤) في الديوان: « فأنت مجوف نخب هواه » .
(٥) في السيرة: « وأجبت عنه » .

وهذه رواية ابن هشام (في السيرة) . وفي الديوان ثلاثة أبيات آخر من آخرها زيادة على هذا .

قال ابن هشام : قالها حسّان قبل يوم الفتح . ويروى : « لسانى صارمٌ لا عتب فيه » بالتاء . وبلغنى عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخُمُر تبسّم إلى أبى بكر . انتهى .

وقوله : « عَفَتْ ذاتُ الأصابع » إلخ عفت بمعنى درست . وذات الأصابع : موضع بالشام . والجواء بكسر الجيم كذلك . قال السهيلي : وبالجواء كان منزل الحارث بن أبى شَمِر . وكان حسّان كثيرًا ما يرد على ملوك غَسَّان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعذراء ، قال السكرى (في شرح ديوانه) : قرية على بريد من دمشق ، وبها قتل معاوية حُجْر بن عدى وأصحابه .

وقوله : « ديارٌ من بنى الحَسْحاس » ، بمهمات ، قال السكرى : الحسحاس بن مالك بن عدى بن النجار . وقال السهيلي : بنو الحسحاس حى من بنى أسد . قال السكرى : والرّوامس : الرياح التى ترمس الآثار وتغطّيها . وقال السهيلي : يعنى بالسّماء المطر . والسّماء لفظٌ مشتركٌ يقع على المطر وعلى السماء التى هى السّقف . ولم نعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السّماء بأرض قومٍ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا^(١)

لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنَّما عرفناه من قولهم فى جمعه : سُمِيَّ وَأَسْمِيَّة ، وهم يقولون فى جمع السّماء سماوات ، فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين .

وقوله: « وكانت لا يزالُ بها » إلخ خلالَ ظرفٍ بمعنى بَيْنَ، خبرٌ مقدَّم . ونَعَمٌ مبتدأ مؤخر . قال السهيلي : النَّعَمُ : الإبل ، فإذا قيل الأنعام دخل فيها البقرُ والغنمُ ، . والشَّاءُ والشَّوِيُّ : اسمٌ للجمع ، كالضَّانِّ والضَّيْنِ ، والإبلِ والأبيلِ ، والمعزِّ والمعيزِ . فأما الشَّاةُ فليست من لفظ الشاء ، لأم الفعل منها تاء .

وقوله: « فدع هذا » إلخ ، الطَّيفُ : الخيال . ويؤرَّقني : يُسهرني . فإن قيل : كيف يسهره الطيفُ والطيفُ حُلْمٌ في المنام ؟ فالجواب أنَّ الذي يؤرِّقه لوعةٌ يجدها عند زواله ، كما قال الطائي^(١) :

ظَبِيٌّ تَقَنَّصْتُهُ لِمَا نَصَبْتُ لَهُ من آخر الليل أَشْرَاكَا من الحُلْمِ
ثُمَّ انشَى وَبِنَا من ذِكْرِهِ سَقَمٌ باقٍ وإن كان معسولاً من السَّقَمِ^(٢)

وقوله: « لشعناء التي » إلخ، شعناء: بنت سلام بن مشكم اليهودي .

وبيت

* على أنيابها أو طعم غَضٌّ *

إلخ لم يورده ابن هشام (في السيرة) ، ولهذا أنكره السهيلي .

وقوله : « نُؤَلِّيها الملامة » إلخ ، يقال ، أَلَمَ ، إذا أَلَى بما يُلَامُ عليه^(٣) . يعني إن أتينا بما نلأمُ عليه صرفنا اللوم إلى الخمر ، واعتذرنا بالسُّكْرِ . والمَعْتَثُ ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها مثلثة : الضَّرْبُ باليد . واللَّحَاءُ : المُلاحَاةُ باللسان ، يروى أنَّ حسان مرَّ بِفِتْيَةٍ يشربون الخمرَ

٤٥

(١) هو أبو تمام . ديوانه ٢٦٨ من قصيدة في مدح مالك بن طوق التغلبي .

(٢) في الديوان : « ثم اغتدى » و « وإن كان معسولاً » .

(٣) ط : « باللام عليه » ، وأثبت ما في ش .

في الإسلام فنهاهم فقالوا : والله لقد هممنا بتركها فزيئنا لنا قولك :

ونشرها فتركنا ملوكًا البيت

فقال : والله لقد قلتها في الجاهلية ، وما شربتها منذ أسلمت :

ولذلك قيل : إنَّ بعض هذه القصيدة قالها في الجاهلية وقال آخرها في الإسلام .

وقوله : « غدينا خيلنا » إلخ النقع : الغبارُ . وكَدَاءُ بالفتح والمد : الثنَّية التي في أصلها مقبرة مكة ، ومنها دخل الزُّبير يومئذ ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من شعب أذَاحِر .

وقوله : « يبارين الأسنَّة » ، إلخ مباراتها الأسنَّة : أن يُضجع الرجل رُمَحَه ، فكان الفرسُ يركض لِيَسبق السَّنَان . والمُصغِيَات : المَوَائِل المنحرفاتُ للطَّعن . والأَسَل : الرَّماح . ورواية ابن هشام : « ينازعن الأَعنةُ مُصغِيَاتٍ » .

وقوله : « تظلُّ جِيادَنَا » إلخ المُسَمَّطَرَات : الخوارج من جُمهور الخيل . قال ابن دريد (في الجمهرة) : كان الخليل يروى : « يَطْلُمُهَنَّ بِالخُمُرِ النَّسَاءُ » ، وينكر يَطْلُمُهَنَّ ، ويجعله بمعنى يَنْفُضن النَّسَاءُ بِخُمُرهنَّ ما عليهنَّ من غبارٍ أو نحو ذلك^(١) . قال : والَطْلُمُ : ضَرْبُك خُبْزة المَلَّة بيدِكَ لتَنْفُضَ ما عليها من الرَّمَادِ . والَطْلُمة : الخُبْزة .

(١) الكلام بعد « يطلهمن » إلى هنا لم يرد في نسخة الجمهرة المطبوعة . انظر الجمهرة ٣ : ١١٦ . ولكنه في نقل الروض الأنف ٢ : ٢٨١ وفيه : « ينفض النساء » بدل : « ينفضن النساء » التي وردت على لغة أكلوني البراغيث .

وقوله : « فَنُحِكِمُ بِالْقَوَا فِي » ، أَحْكَمَهُ : كَفَّهُ وَمَنَعَهُ . ومنه سُمِّيَ الْقَاضِي حَاكِمًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمِ . قال جرير :

أَبْنَى حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا^(١)

وقوله : « أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي » إلخ المَغْلَغَلَةُ : الرِّسَالَةُ الذَّاهِبَةُ إِلَى كُلِّ بَلَدٍ ، مِنْ تَغْلَغَلَ ، إِذَا ذَهَبَ . وروى غير ابن هشام مصراعه الثاني كذا :

* فَأَنْتَ مَجُوفٌ نَخِبٌ هَوَاءٌ *

وَالنَّخِبُ ، بفتح النون وكسر المعجمة : الجَبَانُ .

وقوله : « هَجَوْتُ مُحَمَّدًا » ، قال اللخمي : قال ابن دريد : أَخْبِرْنَا السَّكَنَ بْنَ سَعِيدٍ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا انْتَهَى حَسَّانٌ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَزَاؤُكَ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةُ يَا حَسَّانَ » .

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ .

* أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ *

قال مَنْ حَضَرَ : هَذَا أَنْصَفُ بَيْتِ قَالْتَهُ الْعَرَبُ .

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي « قال صلى الله عليه وسلم : « وَقَالَكَ اللَّهُ يَا حَسَّانَ حَرَّ النَّارِ » .

(٣) ديوان جرير ٥٠ واللسان (حكيم) ، والكامل ٤٤٣ . وبعده :

أَبْنَى حَنِيفَةَ إِنِّي إِنْ أَهْجَيْتُكُمْ أَدَعُ الْيَمَامَةَ لَا تَوَارَى أَرْبَابًا

وقوله : « فشرُّكما لخيركما الفداء » . قال السُّهيلي :

في ظاهر هذا اللفظِ شناعة^(١) لأنَّ المعروف أن لا يقال هو شرُّهما
إِلَّا وفي كليهما شرٌّ^(٢) . وكذلك شرٌّ منك^(٣) . ولكنَّ سيوييه قال : تقول
مررت برجل شرٌّ منك . إذا نقَصَ عن أن يكون مثله . وهذا يدفع
الشناعة عن الكلام الأوَّل . ونحوُ منه قَوْلُهُ عليه السلام : « شرُّ صفوفِ
الرجالِ آخرُها » . يريد نقصانَ حظِّهم عن حظِّ الصفِّ الأوَّل ، كما قال
سيوييه . ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشرِّ . والله أعلم .

* * *

وأُشْدَ بعده . وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد السبعائة^(٤) :

٧٣٣ (فَلَا وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيْرَةٌ)

على أَنَّهُ قد فصل بالجارِّ والمجرور ، أعنى الجملة القسمية ، وهو
« وَأَبِي دَهْمَاءَ » بين لا النافية وبين زالت .

وهذا الفصل شاذٌّ . وإليه ذهب ابن هشام (في المغني) ، إِلَّا أَنَّهُ
لم يقيده بالشذوذ ولا بالقلة . وكأنَّهُ مطرِدٌ عنده . قال (في بحث
الجملة المعترضة) : ويفصل بين حرف النفي ومنفيهِ ، كقوله^(٥) :

٤٦

* وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً *

(١) في الروض : « بشاعة » .

(٢) في النسختين : « كلاهما شر » ، والوجه ما أثبت من الروض .

(٣) في النسختين : « شر مثله » ، صوابه من الروض .

(٤) المقرب ١ : ٩٤ والضرائر ١٥٦ والمغني ٣٩٣ والممع ٢ : ١٥٦ .

(٥) لابن هرمة في ديوانه ٤٨ ومعاني القرآن ٢ : ٥٤ ، ١٥٤ والكامل ٣٨٠ ،

٦٨٠ . وعجزة :

* تحدث لي نكبة وتنكؤها *

ويروي : « تحدث لي قرحة » و « تظهر لي قرحة » .

وقوله :

* فلا وأبى دَهْمَاءَ زالت عزيزةً *

قال شارحه ابن المَلَأ الحلبي : ويجوز أن تكون لا ردًا وحرفُ
النفي محذوفًا ، ولا اعتراض . انتهى .

وقد ردَّ الشارح المحقق هذا الجوازَ فقال : وليس مِمَّا حُذِفَ منه
حرف النفي إلخ .

ومراده الرَّدُّ على الفراء ، فإنه ذهب في موضعين (من تفسيره)
إلى أن حرفَ النفي منه محذوف :

الأوّل في سورة يوسف عند قوله تعالى : ﴿ تَاللّٰهِ تَفْتُنُوْا تَذَكَّرُ يُوْسُفُ ﴾^(١)
قال : أى لا تزال تذكر يوسف . ولا قد تُضَمَّر مع الأيمان ، لأنها إذا
كانت خبرًا لا يضممر فيها لا ، لم تكن إلا بلام . ألا ترى أنك تقول :
والله لا آتيناك . ولا يجوز : والله آتياك ، إلا أن تكون تريد لا . فلما
تبين موضعها وفارقت الخبر أضمرت . قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرحُ قاعدًا البيت^(٢)

وأنشدني بعضهم :

فلا وأبى دَهْمَاءَ زالت عزيزةً على قومها ما قتل الزند قادحُ

يريد : لا زالت .

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) مجزه في ديوانه ٣٢ ومعاني الفراء :

* ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي *

والموضع الثاني في سورة الكهف . عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ ﴾^(١) قال : لا يكون^(٢) تزال وأبرح وأفتأ إلا بجحد ظاهر أو مضمر . فأمَّا الظاهر فقد تراه في القرآن : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾^(٣) . والمضمر فيه الجحد قولُ الله تعالى : ﴿ تَفْتَوُا ﴾ معناه لا تفتؤ . ومثله قول الشاعر :

فلا وأبى دَهْمَاءُ زالتْ عزيزة البيت

وكذلك قول امرئ القيس :

فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعدًا البيت . انتهى

وقد جعله ابنُ عُصفور من باب حذف الناقى ، وهو ما ، لكن روى صدره على خلاف هذا . قال : ومنه حذف ما النافية وهو قليلٌ جداً وهو قوله :

لعمر أبى دَهْمَاءُ زالتْ عزيزةً على قومها ما قَتَلَ الزَّندَ قَادِحُ

يريد : ما زالت عزيزة . انتهى .

وكذا رواه المرادى (في شرح التسهيل) وخرَّجه . إلا أنه قال : أى

لا زالت عزيزة . انتهى .

وقوله : (فلا وأبى دَهْمَاءُ) الخ الفاءُ في التقدير داخلة على واو القَسَمِ ، أى فَوَ أبى دَهْمَاءُ لا زالت عزيزة . أقسمَ الشاعرُ بوالدِ هذه المرأة . فأبى مضافٌ إلى دَهْمَاءُ وهى اسم امرأة ، واسم زالت الضميرُ الراجع إلى دَهْمَاءُ ، وعزيزة خبرها ، وهى من العِزَّةِ بالعين المهملة وبالزاء المعجمة ، وج لمة

(١) الآية ٦٠ من سورة الكهف .

(٢) ش : « لا تكون » ، وأثبت ما فى ط ومعانى القرآن .

(٣) الآية ١١٨ من سورة هود .

لا زالت جواب القسم ، وعلى قومها متعلقٌ بعزيزة ، وما مصدريةٌ ظرفية .
وفتّل بالفاء بعدها مشناةٌ فوقية ، روى بشدّها وتخفيفها ، وهو فعلٌ
ماض ، والزندٌ مفعوله ، وقادح فاعله .

وقد ذكر أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) صفةَ الزند
والزنده ، وكيفيةَ الفتل ، فلا بأس بإيراده هنا ، قال :

أفضل ما اتخذت منه الزناد شجرتنا المرخ والعقار، بفتح العين
المهملة بعدها فاء ، فتكون الأنثى وهي الزنده السفلى مرخا ، ويكون
الذكر وهو الزند الأعلى عقاراً . أخبرني بعض علماء الأعراب أن العقار
شجرٌ يشبه صغارَ شجر الغبيراء ، منظره من بعيدٍ كمنظره . وأما المرخ
فقد رأيتُه يَنْبُتُ قُضباناً سَمْحَةً طَوَالاً لا وِرقَ لها . ولَفَضْلُ هاتين
الشجرتين في سُرْعَةِ الوَرَى ، وكثْرَةِ النارِ ، سارَ قولُ العربِ فيهما مثلاً ،
فقالوا : « في كلِّ الشَّجرِ نار ، واستمجدَ المرخ والعقار »^(١) ، أي ذهباً بالمجد
فكان الفضلُ لهما . ولذلك قال الأعشى :

زنادك خيرُ زنادِ الملسو لكِ خالط فيهن مرخٌ عقاراً^(٢)

٤٧

ويختار أن تكون الزنده من المرخ ، والزند من العقار .

ومن فضيلة المرخ في كثرة النار وسرعة الورى ، ما ذكر أبو زياد
الكلابي فإنه قال : ليس في الشجر كله أورى زناداً من المرخ ، قال :
وربما كان المرخ مجتمعاً ملتقاً وهبت الريح فحكَّ بعضه بعضاً فأورى ،
فاحترق الوادى كله . ولم نر ذلك في شيء من الشجر .

(١) الحيوان ٤ : ٤٦٦ والعقد ٣ : ٣٢ وجهرة العسكري ٢ : ٩٢ وفصل المقال

٢٠٢ والميدان ٢ : ١٨ والزنجشري ٢ : ١٨٣ واللسان (عفر ٢٦٦) .

(٢) ديوان الأعشى ٤١ .

ثم بعد أن ذكر الأشجار التي تتخذ منها الزناد قال : وصِفَةُ الزَّنْدَةِ :
 عود مُرَبَّعٌ في طول الشَّبرِ أو أكثر ، وفي عَرْضِ إصْبَعٍ أو أَشْفَ ، وفي
 صفحاتها فُرْضٌ ، وهي نُقْرٌ ، الواحدة منها فُرْضَةٌ ، وتجمع فِرَاضاً
 أيضاً . والزَّندُ الأعلى نحوها غير أنه مُستدير وطرفه أدقُّ من سائره .
 فأما وصفُ الاقتداح بها فَإِنَّ المقتدِحَ إذا أراد أن يقتدح بالزناد وضع
 الزندة ذات الفِراضِ بالأرض ، ووضع رجلَيْه على طرفيها ، ثم وضع
 طَرْفَ الزَّندِ الأعلى في فُرْضَةٍ من فِراضِ الزَّنْدَةِ ، وقد تقدَّم فهياً في
 الفُرْضَةِ مجرى للنار إلى جهة الأرض بحزٍّ ، وقد حَزَّهُ بالسَّكِّينِ في جانب
 الفُرْضَةِ ، ثم قتل الزَّندَ بكفِّه كما يُقتل المثقب ، وقد ألقى في الفُرْضَةِ
 شيئاً من التُّرابِ يسيراً يبتغى بذلك الخُشْنَةَ^(١) ، ليكون الزَّندُ أعمَلَ في
 الزَّنْدَةِ ، وقد جَعَلَ إلى جانب الفُرْضَةِ عند مُفْصَلِ الحَزِّ ، رِيَّةً^(٢) تأخذ فيها
 النَّارَ ، فإذا قُتِلَ الزَّندُ لم يلبث الدُّخَانُ أن يظهرَ ثم تتبعه النارُ^(٣) فنحدر
 في الحَزِّ ، وتأخذ في الرِّيَّةِ . وتلك النَّارُ هي السَّقْطُ . انتهى كلامه باختصار
 كثير .

وقد صحَّفَ بعضهم قوله : « ما قَتَلَ الزَّندَ قَادِحٌ » وروى : « ما قِيلَ
 للزَّندِ قَادِحٌ » ، على أنه فعل مجهول من القَوْلِ . وجَرَ الزند باللام .

وهذا البيت لم أقف له على تنمة ولا قائلٍ . والله أعلم .

* * *

(١) الخشنة ، بالضم : الخشونة . يقال خشن خشنة وخشانة وخشونة وخشنة .
 (٢) الريّة من الوري ، كالعدة من الوعد . ورت النار ترى ورياً وريّة حسة . وقد
 كتبت الكلمتان في الأصل كلمة واحدة برسم « الحزورية » ، وإنما هما كلمتان .
 (٣) كتبت « تتبعه » في ش بنقطتين فوق التاء الأولى ، ونقطتين تحتهما ، لتقرأ بالقراءتين
 جميعاً .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد السبعمئة (١) :

٧٣٤ (تَنْفَكُ تَسْمَعُ مَا حَيِّبٌ مَتَ بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُونَهُ)

على أن حرف النفي محذوف ، والتقدير : لا تنفك .

وظاهره أن حذف النافي أيَّ حرفِ نفي كَانَ ، يجوز حذفه من هذه الأفعال ، سواء وقعت جوابَ قسم كالأية والبيت الذي بعده (٢) ، أم لا كهذا البيت ، فإنه لم يتقدمه شيء . وهو الظاهر أيضا من كلام الزمخشري (في المفصل) ، ومن كلام ابن هشام (في شرح الشواهد) . لكن ابن يعيش قيّد حرف النفي بكونه لا ، وأنه لا يحذف من هذه الأفعال إلا إذا وقعت جوابَ قسم . قال : إن حرف النفي قد يحذف في بعض المواضع ، وإنما يسوغ حذفه إذا وقع في جواب القسم ، وذلك لأن اللبس ، كقوله :

تزال جبالٌ مبرماتٌ أعدها البيت (٣)

ولا يجوز أن يحذف من هذه الحروف غير لا ، لأنه لا يجوز حذف لم وما ، لأن « لم » عاملة فيما بعدها ولا يجوز أن تحذف وتعمل ، وكذلك « ما » قد تكون عاملة في لغة أهل الحجاز . انتهى .

ويؤخذ منه أنه لا يجوز حذف إن أيضا ؛ لأنها قد تعمل عمل ليس .

وفي كلامه نظر : أمّا أولاً فلأنه قد مثل بهذا البيت تبعا لصاحب المفصل ، وتنفك فيه ليس جوابَ قسم .

(١) الإنصاف ٨٢٤ وان يعيش ٧ : ١٠٩ والعين ٢ : ٧٥ والمجم ١ : ١١١ .

(٢) أي بعد هذا الشاهد وهو الشاهد ٧٣٥ .

(٣) هو الشاهد الثالث ٧٣٥ .

وأما ثانيًا فلأنَّ الكلامَ في حروفِ النَّفْسِ الدَّاخِلَةِ على الأفعالِ ،
وما الحجازية داخلة على المبتدأ والخبر ، فأين هذا من ذاك ؟ وهل هو
إلاَّ اشتباه .

٤٨ وقد تبعه المرادى (في شرح التسهيل) في الثاني قال : وينقاس
الحذف في المضارع جوابَ قسم ، وشذَّ في الماضي جوابَ قسم ، كقوله :
* لعمر أبي دهماء زالت عزيزة *

أى لا زالت . وشذَّ في المضارع غيرَ جواب ، كقوله :

وأبرحُ ما أدامَ اللهُ قوميَ بِحَمْدِ اللهِ مُنتَطِقًا مُجِيدًا^(١)

أى لا أبرح ، وقيل لا حذف ، والمعنى : أزول عن أن أكون منتطقًا
مُجِيدًا ، أى صاحبَ نطاقٍ وجوادٍ ، ما أدامَ اللهُ قوميَ ، فَإِنَّهُمْ يَكْفُونِي
ذلك . انتهى .

ودعوى عدم الحذف تعسُّفٌ وقع في أشدَّ ممَّا فرَّ منه^(٢) .

وأغربُ من قول المرادى ما ذهب إليه ابن عصفور ، من أنَّه
ضرورة ، قال : ومنه إضمار لا النافية في غير جواب القسم ، كقوله :
تنفك تسمعُ ما حييت البيت . انتهى .

فله دُرُّ الشَّارِحِ المحقِّقِ بما أجودَ اختياره ، وما أَرَصَنَ سَبْكَه .

وقوله : (تنفك تسمع) إلخ ، جملة تسمع مع فاعله الضمير خبرٌ
لا تنفكُ ، وما مصدرية ظرفية . و(حَيِّتَ) بالخطاب ، أى مدَّة حياتك .

(١) لחדاش بن زهير في معجم الشواهد .

(٢) في النسختين : « في أشد ما فر منه » ، والوجه ما أثبت .

ولا وجه لقول بعض أفاضل العجم (في شرح أبيات المفصل) : وقوله ما حيينَ بياناً لقوله تنفك تسمع، وتأكيده . انتهى

(وبالك) متعلق بتسمع على تقدير مضاف ، أى بخبر هالك . وسَمِعَ هنا ليست مما يتعدى لمفعولين ، وتعدّيها بالباء أحد استعمالاتها كما تقدّم ، كقولهم : « تسمع بالمعيديّ » . ويجوز أن تكون الباء زائدة فتكون متعدية إلى مفعول واحد ، كقولك : سمعت الخبر . وهذا أيضاً أحد استعمالاتها . و (حتى) حرف جر بمعنى إلى ، والهاء في (تكونه) ضمير الهالك . والأكثر في خبر كان إذا كان ضميراً أن يكون منفصلاً . وهذا من القليل .

وقد استشهد صاحب اللباب لقلته بهذا البيت . قال ابن هشام : أى لا تزال تسمع : مات فلانٌ، حتى تكون الهالك . والخطابُ لغير معين ، مثله في : « بشرٌ مالَ البخيل بحادث أو وارث » . وتسمع خبرٌ ، والباء [وحتى^(١)] متعلقتان به ، وما ظرف له ، والهاء من (تكونه) راجعة للهالك باعتبار لفظه دون معناه ، لأنّ السامع غير المسموع . ومثله مسألة التنازع : ظننى وظننت زيدا قائماً إياه . وقد غمّضَ هذا المعنى على ابن الطراوة فمنع المسألة ، وخالف الأئمة . وبعده :

(والمرء قد يرجو الرجا ء مؤملاً والموت دونه)

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كثيراً ما يتمثل بهما . انتهى . وكذا رواه العيني .

والذى رواه ابن المستوفى وغيره :

• والمرء قد يرجو الحياة •

ومؤملاً حال من ضمير يرجو . وقال العيني : مؤمّل إن كان اسم فاعل فهو حالٌ من المرء ، وإن كان اسم مفعول فهو مفعول ليرجو . هذا كلامه . فتأمّله .

ودون هنا بمعنى أمام أو خلف ، لأنه من الأضداد . وجملة « والموت دونه » حالٌ إمّا من ضمير مؤمّل ، أو من ضمير يرجو .

والبيتان نسبهما أبو عبيد القاسم بن سلام (في كتاب الأمثال)
لخليفة بن برّاز^(١) ، وهو جاهلي . وقد أخذ البيت بعضهم فقال :

صاحب الشاهد
خليفة بن برّاز

يُقال فلان مات في كلِّ ساعةٍ ويوشك يوماً أن تكون فلانا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد السبعائة^(٢) :

٧٣٥ (تزالُ جبالٌ مُبرّماتٌ أُعِدُّها لها ما مَشَى يوماً على خُفِّهِ جَمَلٌ)

على أن (تزال) جواب قسم وحذف منه حرف النفي . أي لا تزال . والقسم ٤٩

في بيت قبله ، وهو :

(حَلَفْتُ يَمِينًا يَا ابْنَ قُحْفَانَ بِالَّذِي تَكْفُلُ بِالْأَرْزَاقِ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

تزال جبالٌ مبرماتٌ البيت

فَأَعْطِ وَلَا تَبْخَلْ إِذَا جَاءَ سَائِلٌ فَعِنْدِي لَهَا عَقْلٌ وَقَدْ زَاخَتِ الْعِلَلُ)

وروى أيضاً :

* وَتُقْسِمُ لَيْلِي يَا ابْنَ قُحْفَانَ بِالَّذِي *

(١) انظر فصل المقال ٦٤ حيث أنشد البيت الشاهد منسوباً إليه برواية : « وتزال تسمع » .

وفي القاموس (برز) : « وكسحاب : اسم » .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٠٩ والحجامة ١٧٢٧ بشرح المرزوقي وسمط اللالك ٦٣١ وفصل

إلخ . فجملته لا تزال بتقدير لا ، جواب القسم الذى هو تقسم ليلى .
 ومُبرمات : محكمات . وأعدّها : أهيتها . وضمير لها للإبل فى شعرٍ قبل
 هذا يأتى آنفاً . وما مصدرية ظرفية . وجَمَل فاعل مَشى وسكّن للقافية .
 وعُقُل : جمع عقال ، وهو ما يربط به رُكبة البعير . وزاحت ، بإعجام
 الأوّل ، بمعنى زالت .

ساحب الشاهد وكان من حديث هذه الأبيات ما رواه أبو تمام (فى الحماسة) :
 أنّ سالم بن قُحطان جاء إليه أخو امرأته زائراً فأعطاه بعيراً من إبله
 وقال لامرأته : هاتى حَبلاً يَقْرِن به ما أعطيناها إلى بعيره . ثم أعطاه
 بعيراً آخر وقال مثل ذلك ، ثم أعطاه مِثْلَ ذلك ، فقالت : ما بقى عندى
 حَبَل ! فقال : « علىّ الجمالُ وعليكِ الحبالُ » . وأنشأ يقول :

أبيات الشاهد لقد بكرت أمّ الوليد تلومنى ولم أجترم جرماً فقلت لها مهلاً^(١)
 فلا تغذيني بالعاء ويسرى لكل بعير جاء طالبه حَبلاً
 فإننى لا تبكى علىّ إفاؤها إذا شبت من روض أوطانها بقلاً
 فلم أر مثل الإبل مالا لمقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلاً
 فرمت إليه خمارها وقالت : صيره حَبلاً لبعضها . وأنشأت تقول :

حلفت يمينا يا ابن قحطان الأبيات الثلاثة . انتهى .

ولم يتكلم الخطيب التبريزى بشيء (فى شرحه) على هذه الأبيات .

والإفال : أولاد الإبل . قال ابن المستوفى فى قوله :

* فإننى لا تبكى علىّ إفاها *

(١) انظر الحماسة ١٥٨١ ثم ١٧٢٦ بشرح المرزوق ؛ فقد أنشدت الأبيات فيها مرتين مع

خلاف فى الترتيب والنص .

قولين : أحدهما أَنَّ الإِبِلَ بَهَائِمٌ لَا تَهْتَمُّ بِى إِذَا مِتَّ ، بَلْ تَرَبِّعُ
وَتَشْبَعُ . والثانى : موتى عندها وأنا أَنحَرُهَا أَحَبُّ إِلَيْهَا ، فَلَعَلَّهُ يَأْخُذُهَا
مَنْ لَا يَنْحَرُهَا ، وَلَا يَغْمُهُمَا مَوْتِي لِأَنِّي جَوَادٌ . انتهى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمالى القالى) : إِنَّ هَذَا
مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ :

أَرَأَيْتَ إِنْ صَرَخَتْ بِلَيْلٍ هَامَتِي وَخَرَجْتَ مِنْهَا بَالِيًّا أَثْوَابِي^(١)
هَلْ تَخْمِشُنِ إِبِلِي عَلَى وَجُوهِهَا وَتُعَصِّبُنِ رِءُوسَهَا بِسِلَابِ^(٢)

والسِّلابُ : عصائبُ سُود . يقال امرأَةٌ مَسْلَبَةٌ ، إِذَا لَبَسَتْ السَّوَادَ
حَدَادًا .

وسالم بن قحطان بضم القاف وسكون المهملة بعدها فاءٌ : لم أقف له على سالم بن قحطان
خبرٍ ، وَلَا عَلَى زَوْجَتِهِ لَيْلَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ
مِنْ شَوَاهِدِ سَيَّبِيهِ^(٣) :

(حَرَّاجِيحٌ مَا تَنْفِكُ إِلَّا مَنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرِي بِهَا بِلْدًا قَفْرًا)
عَلَى أَنَّهُ خَطِيءٌ ذُو الرِّمَّةِ فِيهِ ، لِأَنَّ مَا تَنْفِكُ وَأَخْوَاتِهِ بِمَعْنَى الإِيجَابِ
مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ، لَا يَتَّصِلُ الْإِسْتِثْنَاءُ بِخَبَرِهَا ، كَمَا بَيَّنَّهُ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ .

٥٠

(١) السمت ٦٣١ ، ٦٦١ . وفي ط : « إن سرحت ليل همتي » ، لهوابه في السمت في
الموضمين . وفي ش مع أثر تصحيح ، ويروى : « صدحت » .

(٢) في السمت : « أو تعصبن رهوسها » .

(٣) في كتابه ١ : ٤٢٨ . وانظر معاني الفراء ٣ : ٢٨١ والمختضب ١ : ٣٢٩ والموشح
٢٨٦ ، ٢٨٧ وأن الشجرى ٢ : ١٢٤ وابن يعيش ٧ : ١٠٦ والضرائر ٧٥ ، والإنصاف
١٥٦ . والمغنى ٧٣ والممع ١ : ١٢٠ ، ٢٣٠ . والأشباه والنظائر ٣ : ٧٠ والأشموقي ١ : ٢٤٦
ويس ١ : ١٨٥ ، وديوان ذى الرمة ١٧٣ .

وذكر عنه جوابين :

أحدهما: أَنَّ تَنْفَكَ تَامَةٌ وَمَنَاخَةٌ حَالٌ ، وعلى الخسف متعلق بمناخة ،
ونرمى معطوف على مُنَاخَةٌ .

وثانيهما : أَنَّهَا نَاقِصَةٌ ، وعلى الخسف خبرها ، ومناخة حال . وذكر
ما وردَ على هذا الجواب .

والمخطئ هو أبو عمرو بن العلاء^(١) . قال المرزباني (في كتاب الموشح) :
أخبرني محمد بن يحيى ، حدثنا الفضل بن الحُباب ، حدثنا بكر بن
محمد المازني ، حدثنا الأصمعي ، سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول :
أخطأ ذو الرمة في قوله :

حَرَّاجِيحُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ البيت

في إدخاله إِلَّا بعد قوله « ما تنفك » .. قال الصولي : وحدثنا محمد
ابن سعيد الأصم ، وأحمد بن يزيد ، قالا : حدثنا يزيد المهلب
عن إسحاق الموصلي أَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ لِذِي الرِّمَةِ :

* حَرَّاجِيحُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ *

والآل : الشَّخْصُ . ويحتجُّ ببيته الذي ذكر فيه الآل في غير هذه
القصيدة ، وهو قوله :

فَلَمْ نَهِيْطْ عَلَى سَفْوَانَ حَتَّى طَرَحْنَ سِيْخَاهُنَّ وَصِرْنَ آلا^(٢)

وعلى هذا يكون « آلا » خبر تنفك ، ومناخة صفتها ، وَأَنْتَ الصِّفَةُ

(١) الكلام بعده إلى « العلاء » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا في الموشح ، وفي ضرائر ابن عصفور : « فما بلغت بنا سفوان » ، و : « فصرن آلا » .

والبيت في ديوان ذي الرمة ٤٣٩ برواية :

فَلَمْ نَهِيْطْ عَلَى سَفْوَانَ حَتَّى طَرَحْنَ سِيْخَاهُنَّ وَإِضْنِ آلا

لأنَّ الشخص ممَّا يُؤنَّث ويذكَّر . فرواية « إلاً » بالتشديد غلطٌ من الرأوى لا من القائل . ويردُّ عليه أنَّ ذا الرمة لما قرأ البيت عند أبي العلاء غلَّطه فيه بما ذكره النحويُّون .

وقال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : إنَّ ذا الرمة لما عيبَ عليه قوله ما تنفكُ إلاَّ مناخة فظنَّ له فقال : إنَّما قلت : « آلاً مناخة » أي شخصاً .

وكذا قال ابن هشام (في شرح الشواهد) قال ابن الأنباري (في الإنصاف) : الآل : الشَّخص . يقال هذا آلٌ قد بدا ، أي شخصٌ . وبه سُمِّي الآلُ ؛ لأنَّه يرفع الشخص أولَ النهار وآخره .

وبه يضمحلُّ توقُّف ابنِ المُلَّا الحلبي (في شرح المغني) ، في قوله : بقى شيءٌ ، وهو أنَّ صاحب القاموس على تبخُّره لم يذكُرْ مجيء الآل بمعنى الشَّخص ^(١) . انتهى .

وخرَّجه المازني (كما قال ابن يعيش) على زيادة إلاً ، وتبعه أبو على (في القَصْرِيَّات) وقال : إلاَّ ههنا زائدة ، لولا ذلك لم يجرُ هذا البيت ، لأنَّ تنفكُ في معنى تزال ، ولا يزال ^(٢) لا يُتكلَّمُ به إلاَّ منفيّاً عنها . انتهى .

ونسب ابن هشام (في المغني) هذا التخريجَ إلى الأصمعيِّ وابن جنِّي ، قال : وحملَ عليه ابنُ مالكٍ قوله :

* أرى الدَّهرَ إلاَّ منجنوناً بأهله ^(٣) *

وإنَّما المحفوظ : « وما الدَّهرُ إلاَّ » . ثمَّ إنَّ ثبتتْ روايته فتتخرَّج على

(١) هذا غير صحيح ، فإن صاحب القاموس ذكر الآل بمعنى الشخص في مادة (أول) .

(٢) ش : « ولا تزال » بالتاء .

(٣) مجهول القائل كما في معجم الشواهد . ومجزه :

* وما صاحب الحاجات إلاَّ معذبا *

أَنَّ أَرَى جَوَابٌ لِقِسْمٍ مَقْدَرٍ ، وَحَذَفَتْ لَا كَحَذَفِهَا فِي : ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَوُ ١﴾
 وَدَلٌّ عَلَى ذَلِكَ الْإِسْتِثْنَاءُ الْمَفْرُغُ . انْتَهَى .

وَلَمْ يَذْكَرْ ابْنَ عَصْفُورٍ غَيْرَهُ وَغَيْرَ احْتِمَالِ التَّمَامِ ، لَكِنَّهُ جَعَلَهُ مِنَ
 الضَّرَائِرِ . قَالَ : وَمِنْهَا زِيَادَةٌ إِلَّا فِي قَوْلِهِ :

أَرَى الدَّهْرَ إِلَّا مَنْجُونًا البيت

هَكَذَا رَوَاهُ الْمَازِنِيُّ ، يَرِيدُ : أَرَى الدَّهْرَ مَنْجُونًا . وَكَذَلِكَ جَعَلَهَا فِي
 قَوْلِ الْآخِرِ :

مَا زَالَ مُذْوَجَفَتْ فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ بِالْأَشْعَثِ الْوَرْدِ إِلَّا وَهُوَ مَهْمُومٌ ٢
 يَرِيدُ : هُوَ مَهْمُومٌ ، فَزَادَ إِلَّا وَالْوَاوَ فِي خَبَرِ زَالٍ .

وَفِي قَوْلِ الْآخِرِ :

وَكَلُّهُمْ حَاشَاكَ إِلَّا وَجَدْتَهُ كَعَيْنِ الْكَذُوبِ جَعْدُهَا وَاحْتِفَالُهَا ٣
 يَرِيدُ : وَكَلُّهُمْ حَاشَاكَ وَجَدْتَهُ .
 وَفِي قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ :

حَرَا جِيجٌ مَا تَنْفِكُ إِلَّا مُنَاخَةً البيت

يَرِيدُ : مَا تَنْفِكُ مُنَاخَةً .

(١) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٢) لذى الرمة في ديوانه ٥٨٤ ، واللسان (شعث ٤٦٦) . وجفت : أسرع ،
 يعنى الرياح . وجفت الرياح بالأشعث ، أى جرت ذيلها عليه . والأشعث الورد هو الصفار ،
 وهو شوك البهيمى إذا ببس ، وإنما أهتم الحمار لما رأى البهيمى هاجت ، وقد كان رعى البال وهى
 رطبة . من شرح الديوان واللسان . ويروى : « فى كل ظاهرة » ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) وكذا ورد بدون نسبة فى معانى الفراء ١ : ١٤٠ .

ويحتمل أن يُجعل زال وتنفكُ تامّتين وتكون إلاً داخلَةً على الحال .
وكذلك تُجعل إلاً في قوله :

٥١

* وكلُّهُمُ حاشاكُ إلاً وجدتهُ *

إيجاباً للنفي الذي يُعطيه معنى الكلام ، أى ما مِنْهُمُ أحدٌ حاشاكُ
إلاً وجدتهُ . وعليه حمّله الفراءُ . وأمّا « أرى الدهرُ إلاً منجنوناً » فلا
تكون إلاً فيه إلاً زائدة . انتهى .

وقد رأيتَ تخريجَ ابنِ هشامِ بيتَ المنجنونِ .

وأوّل مَنْ ذهبَ إلى أنّ تنفكُ في بيت ذى الرمة تامّةٌ هو الفراءُ (في
تفسيره) ، عند قوله : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمُشْرِكِينَ
مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيْتَةُ ^(١) ﴾ : قد يكون الانفكاك على جهة يزال
ويكون على الانفكاك الذى تعرفه . فإذا كانت على جهة يزال فلا بدّ لها
من فعل وأن يكون معها جحد ، فتقول : ما انفككت أذكرك ، تريد :
مازلت أذكرك . فإذا كانت على غير معنى يزال قلت : قد انفككت
منك ، وانفكَّ الشئُ من الشئِ ، فيكون بلا جحدٍ وبلا فعلٍ . وقد قال
ذو الرمة :

قلاتص لا تنفكُ إلاً مُناخَةً البيت

فلم يدخل فيها « إلاً » إلاً وهو ينوى بها التمامَ وخلافَ يزال ، لأنك
لا تقولُ : ما زلت إلاً قائماً . انتهى كلامه .

ونسبه ابن الأنبارى (في الإنصاف) إلى الكسائى ، قال : وهذا
الوجهُ رواه هشامٌ عن الكسائى .

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

وبما ذكرنا يُعَلِّمُ أَنَّ قول المُرادى (فى شرح التسهيل) : وخرَّجه قومٌ منهم على أَنَّها ناقصة ، خلافُ الواقع . وتنفكُّ على هذا مطاوع فكَّه ، إذا خلَّصه أو فصله .

قال الزمخشرى (فى حواشى المفصل) : وفى تصحيح البيت وَجِيهٌ ، وهو أن يريد لا تنفك عن أوطانها ، أى لا تنفصل عنها ، إلَّا ولها بعد الانفصال هاتان الحالتان : إمَّا الإناخة على الخسف فى المراحل ، أو السير فى البلد القفر . انتهى .

وبهذا يظهر قول الشارح المحقِّق : مناخةٌ حال ونرمى معطوف عليه .

وقال ابن عقيل والمُرادى (فى شرحيهما للتسهيل) : كأنه قال : ما تتخلَّص أو ما تنفصل عن السير إلَّا فى حال إناختها على الخسف ، وهو حبسها على غير علف . يُريد أَنَّها تُناخ مُعدَّةً للسير عليها ، فلا تُرسل من أجل ذلك فى المرعى . وأو بمعنى إلى ، وسكنَّ الياء للضرورة . انتهى .

والوجه الأوَّل أوجهٌ . و (الخسف) بفتح المعجمة : النقيصة ، يقال رَضِيَ بالخسف ، أى بالنقيصة . ويات على الخسف أى جائعاً . وربطت الدابة على الخسف ، أى على غير علف . و (على) بمعنى مع . وقال الشارح المحقق : جعل الخسف كالأرض التى يُناخ عليها ، كقوله :

* تحيةً بينهم ضربٌ وجيعٌ ^(١) *

يريد أن الإناخة إنَّما تكون على العلف ، فجعل الخسف بدلاً منه ، كما جعل الضربُ الوجيع بدلاً من التحية . و (نرمى) بالنون مع البناء للمعلوم ، ويروى (يُرمى) بالثناة التحتية مع البناء للمفعول . و (بها)

(١) لعمرو بن مديكرب ، وهو الشاهد التالى برقم ٧٣٧ .

نائب الفاعل ، وبلدًا ظرف للرَّمي ، وهو بمعنى المكان والأرض لا بمعنى المدينة . و (الحُرْجُوج) كعصفور : الناقَة الضامر^(١) ، قاله أبو زيد . وقد روى (مُناخَةٌ) بالرفع أيضًا . قال ابن المستوفى : قال أبو البقاء : روى مُناخَةٌ بالرفع على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف ، وموضع الجملة حال ؛ وبالنَّصب على الحال ، وتكون تنفكُ تامة .

وكذا رواه ابن الأنباريُّ (في الإنصاف) .

وأما التخريج الثاني من التخريجين اللذين ذكرهما الشارح المحقق فهو للأخفش أبي الحسن سعيد بن مسعدة الجاشعي ، قال (في كتاب المعاياة) : أراد : لا تنفكُ على الخسف أو نرعى بها بلدًا قفرًا إلا وهي مناخَةٌ ؛ لأنَّهُ لا يجوز لا تنفكُ إلا مناخَةٌ ، كما لا تقول : لا تزال^(٢) إلا مناخَةٌ . انتهى .

وقد تبعه على هذا جماعةٌ منهم الزَّجاج . قال ابن جنِّي في بعض أجزاءه : وقد قال فيه بعض أصحابنا قولاً ، أراه أبا إسحاق ، ورأيت أبا عليٍّ قد أخذَ به ، وهو أن يُجعل خبر ما تنفكُ الظرف ، كأنه قال : ما تنفكُ على الخسف ، ونصب [مناخَةٌ^(٣)] على الحال ، وقدم إلا عن موضعها . وقد جاء في القرآن والشعر نقلُ إلا عن موضعها . انتهى .
ومنهم أبو البقاء ، قال : يجوز أن تكون تنفكُ الناقصة ، ويكون على الخسف الخبر ، أي ما تنفكُ على الخسف إلا إذا أنيخت . وعليه المعنى . انتهى .

(١) كذا في النسختين . يقال ناقَة ضامرة وضامر أيضاً بغير هاء ، ذهبوا إلى النسب ، أي ذات ضمير ، كما قالوا : لابن وتامر . وانظر القاموس واللسان (ضمير) .

(٢) ط : « لا تزال » ، صوابه في ش .

(٣) تكلمة يفتقر الكلام إليها .

وقد رَدَّه جماعةٌ منهم صاحب (اللُّباب) ، وهو محمد بن محمد بن أحمد الأسفَرَايِنِي المعروف بالفاضل ، قال فيه : وَخُطِيَّ ذُو الرِّمَّةِ فِي قَوْلِهِ : حَرَّاجِيحٌ لَا تَنْفِكُ إِلَّا مَنَاخَةَ ، وَالاعْتِذَارُ بِجَعْلِهِ حَالًا وَعَلَى الْخُسْفِ خَبِيرًا ضَعِيفٌ ، لِمَا أَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ الْمَفْرُغَ قَلَمًا يَجِيءُ فِي الْإِثْبَاتِ ، وَيَقْدَرُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ بَعْدَهُ . وَتَقْدِيرُ الْبَلَامِ فِي تَنْفِكَ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . انْتَهَى .

قال شارحه الفالِي^(١) : معناه أَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ الْمَفْرُغَ فِي الْإِثْبَاتِ قَلِيلٌ . وَبَعْدَ تَسْلِيمِهِ إِنَّمَا يَأْتِي إِذَا قَدَّرَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ قَبْلَهُ لَفْظًا وَهَهُنَا يَقْدَرُ بَعْدَهُ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ إِلَّا مَنَاخَةَ مُسْتَثْنَى مِنْ^(٢) أَحْوَالِ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي عَالِي الْخُسْفِ أَيْ مَا تَنْفِكُ مَهَانَةً مَظْلُومَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، إِلَّا فِي حَالِ الْإِنَاخَةِ . وَذَلِكَ غَيْرُ مَعْهُودٍ فِي الْاِسْتِثْنَاءِ الْمَفْرُغِ ، فَإِنَّ أَعْمَ الْعَامِّ فِي الْاِسْتِثْنَاءِ الْمَفْرُغِ يَقْدَرُ قَبْلَهُ لَا بَعْدَهُ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبْتُ إِلَّا رَاكِبًا ، فَالتَّقْدِيرُ : مَا ضَرَبْتُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالِ الرُّكُوبِ . وَلِذَا جَازَ فِي الْإِثْبَاتِ نَحْوَ قَرَأْتُ إِلَّا يَوْمَ كَذَا ، التَّقْدِيرُ : قَرَأْتُ فِي جَمِيعِ الْأَيَّامِ إِلَّا يَوْمَ كَذَا . فَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ يَقْدَرُ قَبْلَ الْاِسْتِثْنَاءِ لَا بَعْدَهُ . انْتَهَى

ومنهج الشارح المحقق كما حرره .

ومنهج ابن هشام (في المغنى) قال فيه : قال جماعةٌ كثيرة : هي ناقصة ، والخبر على الخسف ، ومناخه حال . وهذا فاسدٌ لبقاء الإشكال ، إذ لا يقال : جاء زيد إلا راكبًا . انتهى .

وقول أبي البقاء : « وعليه المعنى » مردودٌ ؛ فإنَّ الحَالِيَّةَ سِوَاءَ نَصَبَتِ مَنَاخَةَ أَوْ رَفَعَتَهَا كَمَا رُوِيَ ، بِتَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ ،

(١) الفالِي ، بالفاء . وقد جاء في النسختين بالقاف ، وهو تصحيف نبت عل صوابه مراراً . انظر منها حواشئ ١ : ٣٣٨ .
(٢) ط : « عن » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

يكون التقدير فيها : هي مستمرة على الخسف في كل حال إلا حال
الإناخة ، فإنها تكون حينئذ ذات راحة . وهذا غير مراد الشاعر ، إذ
مراده وصف هذه الإبل بأنها لا تتخلص من تعب إلا إلى مثله ،
فليس لها حال راحة أصلاً .

وسيبويه قد أورد هذا البيت في باب أو التي ينتصب بعدها المضارع
بإضمار أن ، قال : واو رفعت لكان عربياً جائزاً على وجهين : على أن
تشرك بين الأول والآخر ، وعلى أن يكون مقطوعاً من الأول . قال تعالى :
{ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ }^(١) إن شئت
كان على الإشراك ، وإن شئت كان على : أو وهم يسلمون . وقال ذوالرمة :

حراجيج لا تنفكُ إلا مناخة البيت

فإن شئت كان على لا تنفكُ نرماً ، أو على الابتداء . انتهى .

يريد بالأول العطف على خبر تنفكُ ، وبالثاني القطع .

قال النحاس : سألتُ عنه علياً ، يعني الأحفش الصغير ، فقال : لك
أن تجعل نرماً معطوفاً ، ولك أن تقطعه ، ولك أن تقدر أو بمعنى إلى أن
وتسكن الباء في موضع نصب .

والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة ، يُقال لها أحجية العرب . وأولها : صاحب الشاهد

(لقد جشأتُ نفسي عشيّةً مُشرف

ويومَ لوى حُزوى فقلتُ لها : صبراً^(٢)

تحنُّ إلى مَيِّ كما حَنَّ نازعٌ

دَعَاهُ الهوى فارتادَ من قَيْدِهِ قَصْراً)

(١) الآية ١٦ من سورة الفتح .

(٢) ديوان ذي الرمة ١٦٩ - ١٧٣ .

جَشَأَتْ : نهضت . ومُشْرِفٌ وحُزْوَى : موضعان . واللَّوَى : منقطع
الرَّمْل . وصبراً : اصبرى ^(١) . والنازع : البعير يحنُّ إلى وطنه . فارتاد من
قيده قصرًا ، أى طلب السَّعة فوجده مقصوراً . ويقال : ارتاد جَدْبًا وارتاد
خيرًا ، أى طلب الخِصْب فوقع على جَدْب . إلى أن قال :

(فيأى ما أدراكِ أينَ مُناخنا

مُعرِّقَةَ الأَلجى بِمانِيَةِ سُجرا

قد اكتفلتَ بالْحَزَنِ واعوجَّ دُونها

ضواربُ من خَفَّانِ مجتابةٍ سِدرا

حراجيج ما تنفك إلاَّ مناخه البيت

أَنَحْنَ لتعريسٍ قليلِ فصارفٍ يَغْنى بنابيهِ مُطلحةٌ صُغرا)

مُعرِّقَةَ الأَلجى : قليلة لحم الأَلجى ، جمع لَحَى . وإذا كَثُر لحمُ

لحيها فهو عيبٌ . يقال : ناقةٌ سَجْرَاءُ : تضرب إلى الحمرة .

وقوله : « قد اكتفلت بالْحَزَنِ » أى صَيَّرَتِ الناقةَ الحزنَ خلقها ،

كالرَّجُل الذى يركب الكِفْلَ فإنما يركب على أقصى الكِفْلِ ؛ كما

تقول : اكتفلت الناقة ، أى ركبت موضع الكِفْلِ مِنَ النَّاقَةِ . والحزن :

ما غلُظَ من الأَرْضِ . والضَّارِبُ : منخفضٌ كالوادي . وخَفَّانٌ : موضع .

ومجتابةٌ سِدْرًا ، أى لابسة سِدْرًا ^(٢) . واعوجَّ ، يعنى : الضَّواربُ لَيْسَتْ

على جهةِ النَّاقَةِ .

والحراجيج : الضَّمْر . والخَسْفُ : الجوع ، وهو أن تبيتَ على غيرِ

علف ، والتعريس : النزول فى آخر الليل . وصارفٌ : أى فبعضها صارفٌ

(١) ش : « واصبرى صبرا » .

(٢) فى شرح الديوان أن « سدر : مكان » . وفى بعض نسخ الديوان أن المراد بالسدر هنا

هو شجر التبق . انظر تحقيق عبد القلوس صالح ص ١٤١٨ .

يَصْرِفُ بِنَابِيهِ مِنَ الضُّجْرِ وَالْجَهْدِ . وَمُطْلَحَةٌ : مُعْيِيَةٌ . وَصُغْرٌ : فِيهَا مَيْلٌ مِنَ الْجَهْدِ وَالْمُزَالِ .

وهذا نقلته من شرح ديوانه .

وترجمته تقدّمت في الشاهد الثامن من أوّل الكتاب^(١) .

* * *

وأُشْدُ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ^(٢) :

٧٣٧ (تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ)

عَلَى أَنَّهُ جَعَلَ الضَّرْبَ الْوَجِيعَ كَالْتَحِيَّةِ ، كَمَا جُعِلَ الْخَسْفُ كَالْأَرْضِ الَّتِي يَنَاحُ عَلَيْهَا .

يُرِيدُ أَنَّ الْخَسْفَ جُعِلَ بَدَلًا مِنَ الْأَرْضِ ، كَمَا أَنَّ الضَّرْبَ جُعِلَ بَدَلًا مِنَ التَّحِيَّةِ ، وَلَا يُرِيدُ أَنَّهُمَا مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ ، فَإِنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ فِيهِمَا ؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَيْسَ فِيهِ مِنْ أَرْكَانِ التَّشْبِيهِ غَيْرَ الْخَسْفِ ، وَلَا يُقَالُ لِمِثْلِهِ إِلَّا اسْتِعَارَةٌ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ التَّشْبِيهِ . فَإِنْ كَانَ الْمَشْبَهُ بِهِ مَذْكُورًا وَالْمَشْبَهُ غَيْرُ مَذْكُورٍ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ ، وَإِنْ كَانَ بِالْعَكْسِ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ . وَالْخَسْفُ وَإِنْ أَمَكَّنَ أَنْ يُجْعَلَ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا شُبِّهَ بِمَا بَعَسَدَهُ عُلِمَ أَنَّ مَرَادَهُ أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّنْوِيعِ ، كَمَا يَأْتِي بَيَانُهُ . وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ لَيْسَ مِنَ التَّشْبِيهِ قَطْعًا ،

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٦٥ ، ٤٢٩ . وانظر النوادر ١٥٠ والمقضب ٢ : ٤/٢٠ : ٤١٣ والخصائص ١ : ٣٦٨ والعمدة ٢ : ٢٢٤ وابن يعيش ٢ : ٨٠ والتصريح ١ : ٣٥٣ ويس ١ : ٣٥٣ ٣٥٤ والحاسة بشرح المرزوقي ٢٤٦ ، ٦٤١ ، ١٣٨٧ ، ١٤٨١ ، ١٧٦٥ .

إذ المعهودُ في مثله أن يشبّه الأوّل بالثاني لا العكس ، إذ لا يقال في زيد أسدٌ : إنَّ أسداً مشبّه بزيد . ولم يجيزوا أيضاً أن تشبّه التحية بالضرب ، لأنّه من باب التنويع ، وهو من خلاف مقتضى الظاهر . وهو ادّعاءٌ أن مسمّى اللفظ نوعان : متعارفٌ وغير متعارف ، على طريق التخييل ، بأن ينزل ما يقع في موقع شيءٍ بدلاً عنه . منزّلته بدون تشبيهٍ ولا استعارةٍ ، سواء كان بطريق الحمل ، كقوله :

* تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ *

٥٤

أو في الاستثناء المنقطع ، كقوله :

وبلدةٍ ليس بها أنيسٌ إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العيسُ^(١)

على معنى أنيسها اليعافير . أي إن كان يعدُّ أنيساً فلا أنيس إلاّ هو .

أو بدونها كقوله :

غضبتُ حنيفةً أن تُقتلَ عامرٌ يومَ النَّسارِ فأعقبوا بالصَّيلمِ^(٢)

أي إنهم لمّا طلبوا إلينا العُتبيّ وضعنا لهم السَّلاحَ مكانها . وهذا

تهمُّ . والصَّيلمُ : الدَّاهية .

وحيث أُطلقَ التنويعُ فالمرادُ به [هذا^(٣)] ، كما تراهم يقولون :

من باب :

* تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ *

(١) لجران المود في ديوانه ٥٣ ، وهو الشاهد ٨٠٤ فيما سأتى .

(٢) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٨٤ ، والمفضليات ٣٤٦ . وفي النسختين : « عامرا »

صوابه بالرفع كما في الديوان والمفضليات واللسان (عتب ، سلم) . ويروى أيضاً : « فأعقبوا » و « فأغضبوا » ثلاث روايات .

(٣) التكلة من ش .

فيجعلون المثال أساساً وقاعدة ، وليس من المجاز في شيء ؛ لأنَّ طرفيه مستعملان في حقيقتهما ؛ ولا تشبيهاً كما صرَّحوا به ، بل التشبيه يعكس معناه ويُفسِّده .

قال الشيخ (في دلائل الإعجاز) : اعلم أنَّه لا يجوز أن يكون سبيل قوله :

* لعابُ الأفاعى القاتلاتِ لعابه^(١) *

سبيل قولهم : « عتابه السيف » . وذلك لأنَّ المعنى في بيت أبي تمام على أنَّك تشبه شيئاً بشيءٍ لجامعٍ بينهما في وصف . وليس المعنى في عتابك السيف على أنَّك تشبه عتابه بالسيف بدلاً من العتاب . ألا ترى أنَّه يصح أن تقول مدادُ قلمه قاتلُ كسمِّ الأفاعى ، ولا يصحُّ أن تقول عتابك كالسيف ، اللهمَّ إلا أن تخرُجَ إلى باب آخر وشيءٍ ليس هو غرضهم بهذا الكلام ، فتريد أنَّه قد عاتب عتاباً خشناً مؤلماً . ثم إنَّك إذا قلت السيف عتابك ، خرجتَ به إلى معنى ثالث^(٢) ، وهو أن تزعم أنَّ عتابه قد بلغ في إيلامه وشدة تأثيره مبلغاً صار له السيفُ كأنه ليس بسيف . انتهى .

وليس هذا من قبيل التشبيه الذى ذكر معه ما يُحيلُ دخولَ أداة

التشبيه كقوله :

* أسدُ دمُ الأسدِ الهزبرِ خضابه *

(١) مجزه في ديوان أبي تمام ٢٥٧ ، ودلائل الإعجاز ٢٣٨ :

* وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل *

(٢) في النسختين : « حادث » ، صوابه من دلائل الإعجاز .

فإنَّه لا سبيلَ إلى التصريح بأداة التشبيه ، لدلالة التشبيه على أنه دون الأسد ، ودلالة الوصف على أنه فوقه . فالوصف مانعٌ . وأمَّا هنا فالتشبيه يعكس المعنى المراد . وأيضاً فإنَّ المقصود نفي ما صدرَ به ، يعنى لا تحيةَ بينهم . والتشبيه لا يفيد هذا المعنى .

وليس الشيخ أبا عُذْرَةَ هذا ، بل صرَّح به النحاة . منهم سيويه ، وقد فصله في باب الاستثناء من كتابه ، ونقله ابن عصفور وابن الطراوة قالوا : إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين إمَّا أن تكون إحداهما قائمةً مقام الأخرى ، أو مشبهةً بها ، أو هي نفسها . فإن كانت قائمةً مقامها كان الخبر ما تريد إثباته ، نحو قول عبد الملك بن مروان : « كان عقوبتك عزلك » ، وكان زيدٌ زهيراً . فالعزلُ ثابتٌ لا العقوبة . والتشبيه بزهير ثابت . ولو قلتَ : كان عزلك عقوبتك كان معاقباً لا معزولاً . ولو قلتَ : كان زهير زيداً . أثبت التشبيه لزهير بزيد .

قال ابن الطراوة : وقد ^(١) غلط في هذا أجلةً من الشعراء ، منهم المتنبي في قوله :

ثيابُ كريمٍ ما يصُصونُ حسانها إذا نُشِرتْ كان الهباتُ صوانها ^(٢)
فدَمَّه وهو يرى أنه مدحُه . ألا ترى أنه أثبت الصَّونَ ونفي الهبات ، كأنه قال : الذي يقوم لها مقام الهبات أن تصان . وقد أُجيب عن المتنبي .

(١) في ط : « قد غلط » مجردة من الواو .

(٢) مطلع قصيدة له في ديوانه ٢ : ٣٩٠ يمدح بها سيف الدولة وقد أهدى له ثياب ديباج ، ورحماً ، وفرساً ، ومهراً . قال العكبري : « رفع ثياب على تقدير : عندي ثياب ، أو أنتنى ثياب » . وفي الشرح أيضاً : « يقول : أنتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، ولكن يهبها ، فليس لها صوان إلا الهبات ، فلا يتركها في التخت ، بل يهبها . قال الواحدي : ويجوز أن يكون ما يصونها من متدبل ونحوه يكون هبة أيضاً » .

فإذا لم يكن في شيء من أطرافه تجوُّز ولم يُقصد التشبيه فهو حقيقة ،
 ٥٥ يجعل بدل الشيء القائم مقامه فرداً منه ادعاءً . فالتصرف في النسبة . الأثرى
 لو قلت إن كان الضرب تحيةً فهو تحيتهم ، كان حقيقة قطعاً . فجعل
 الغرض المقدّر كالظاهر ، وهو نوعٌ على حدة ، من خلاف مقتضى
 الظاهر .

وأما وجه بلاغته وعلى ماذا يدلُّ ، فقد حقّقه صاحب (الكشاف)
 في مواضع : منها أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
 وَلَا بَنُونَ ﴾^(١) الآية : هو من باب :

* تحيةً بينهم ضربٌ وجيعٌ *

وما ثوابه إلا السيف . وبيانه أن يقال : هل لزيد مال وبنون ،
 فتقول : ماله وبنوه سلامةٌ قلبه . تريد نفى المال والبنين عنه . وإثبات
 سلامة القلب له بدلاً عن ذلك .

وقال في موضع آخر : إنّه يدلُّ على إثبات النفي^(٢) ؛ فمعنى : « ليس
 بها أنيسٌ إلاّ اليعافير » : أى إنّه لا أنيسَ بها قطعاً . لأنّه جعل
 أنيسها اليعافير دون غيرها . وهى ليست بأنيسٍ قطعاً . فدلّ على أنّه
 لا أنيسَ بها . وهو قريبٌ مما لو قلت : إن كانت اليعافير أنيساً فإنّها
 أنيس . ووجه دلالته على إثبات النفي^(٣) أنّه استعملته العرب مراداً به
 الحصر ، فإنّ الكلام قد يدلُّ عليه ، نحو : الجواد زيد ، والكرم في

(١) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

(٢) ط : « ثبات النفي » .

(٣) ط : « ثبات النفي » .

العرب، وشرَّ أهرَّ ذا ناب. ولذا ذكره النحاة في باب الاستثناء. والحصْرُ الملاحظُ فيه جارٍ على نهج الاستثناء المنقطع، لأنَّه من التنويع عند الخليل. فعلى هذا وضح إفادته ثبات النفي^(١). وظهر عدم التجوُّز في مفرداته وأنَّه لا يتصور فيه التشبيه.

وأما قوله في المائة في تفسير: ﴿بِشْرٌ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ﴾^(٢) فَإِنْ قُلْتَ: المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت في الإساءة، قلت: وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله:

* تحية بينهم ضربٌ وجيع *

ومنه: ﴿فَبِشْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣). انتهى.

فمراده أن الآية من باب الإيجاز، وأن في الكلام تنوعاً مقدراً. وهذا تفرُّعٌ مبنى عليه. والتقدير: إن نَقَمْتُمْ مِنْهُمْ وادَّعَيْتُمْ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ فعقوبتهم المثوبة. وقد صرَّح في سورة مزيم، وهذا دأبه، يُجْمَلُ في محلِّ ويفصل في آخر.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾^(٤): فَإِنْ قُلْتَ: كيف قيل خيرٌ ثواباً، كأنَّ لفأخراهم ثواباً حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه؟ قلت: كأنَّه قيل: ثوابهم النار، على طريقة قوله:

(١) اتفقت النسختان هنا على « ثبات النفي ».

(٢) الآية ٦٠ من سورة المائة.

(٣) من الآية ٢١ من آل عمران و ٢٤ من التوبة، كما أنها الآية ٢٤ من الانشقاق.

(٤) من الآية ٤٦ من سورة الكهف و ٧٦ من مريم. والكلام بعده إلى « قلت » الثانية

• فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلِمِ •

وقوله :

• تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ •

ثم بُنِيَ عليه خير ثواباً . وفيه ضربٌ من التهكم الذى هو أَعْظَمُ للمتهدد من أن يقال له : عقابك النار . انتهى .

والمُرَادُ أَنَّ بعضَ التَّنْوِيعِ قد يُسْتَعْمَلُ فى مقامِ التهكم . وقد صرح به ابن فارس (فى فقه اللغة الصاحبى ^(١)) فى باب ما يجرى مجرى التهكم والهزء ، فقال : ومن هذا الباب أتانى فقرّيته جفأً ، وأعطيته جرماًناً . وقولُ الفرزدق :

• قريناهم المأثورة البيض ^(٢) • انتهى .

وقد يستعمل بلونه كما فى قوله : ﴿ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ^(٣) ﴾
الاية . وفى الحديث : « من كان له إمامٌ فقراءة الإمام قراءة له »
وقد فسّر بهذا المعنى ، ولا يمكن فيه التهكم .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدرة :

(وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحيةٌ بينهم ضربٌ وجيعٌ)

(١) كذا فى النسختين . والمعروف أنه « الصاحبى فى فقه اللغة » .

(٢) كذا اقتصر ابن فارس على هذا الجزء من بيت الفرزدق . وقد وجدته فى ديوانه ٥٦٢ ، والنقائض ٥٦٥ . وهو بتمامه :

قريناهم المأثورة البيض ، قبلها يثج العروق الأزانى المثقف
والمأثورة : السيوف التى قد صقلت حتى ظهر أثرها ، أى فرندها وحسبها الذى تراه فى
السيف كأنه أرجل نمل . والأزانى : الرماح المنسوبة إلى ذى زن . والمثقف : المقوم بالثقاف .
يريد : طاعنهم بالرماح ثم صرنا إلى التضارب بالسيوف .

(٣) الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

و (الخيل) : اسمُ جمعِ الفرس لا واحدَ له من لفظه . والمراد به
 الفُرسان كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « يا خيلَ الله اركبي » . وأراد
 بالخيال الأوَّل خيلَ الأعداءِ ، وبالثاني خيلَه ، والضمير في بينهم للخيالين .
 ودلَّفتُ : دنوت وزحقت ، من دلف الشيخ من باب ضَرَبَ ، إذا مشى
 مشياً لينا . والباءُ للتعدية ، أى جعلتها دالفة إليها . فاللام بمعنى إلى .
 وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنَّه ظُرف
 متصرِّف ، ولو فتح كان مبنياً لإضافته للمبنى .

٥٦

وزعم ميربادشاه (في حاشية البيضاوى) أنَّ معناه إنَّ ضربهم الوجيعَ
 كتحية بينهم ، على التشبيه البليغ المقابوب . وقد بيَّنَّا بطلانه .

ووصف الضربَ بالوجيع مجازاً . ويجوز أن يكون وجيع بمعنى
 مُوجع ، والمعنى ربَّ خيلٍ للأعداءِ أقبلتُ عليهم بخيلٍ أخرى كان
 التحيةُ بينهم ضرباً وجيعاً ، أى كان مكانَ التحية هذا النوعُ من
 الضرب .

وقد أوردته^(١) سيويوه في باب الاستثناء وقال : جعلوا الضربَ تحيةً
 كما جعلوا اتباع الظنِّ علمهم .

وأورده ثانياً في باب (أو) وقال : العرب تقول : تحيتك الضربُ ،
 وعتابك السيف ، وكلامك القتل^(٢) .

قال الأعلام : الشاهد فيه جعل الضرب تحيةً على الاتساع المقدم
 ذكره . وإنَّما ذكر هذا تقويةً لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأوَّل .

(١) ط : « أورد » ، صوابه في ش .

(٢) سيويوه ٢ : ٤٢٩ .

يقول : إذا تلاقوا في الحرب جعلوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع .

وهذا البيت نسيه شراح أبيات الكتاب وغيرهم ، إلى عمرو بن معد يكرب الصحابي ، ولم أره في شعره . والعجب من شيخنا الشهاب الخفاجي أنه نسيه إليه (في حاشية البيضاوي) وقال : هو من قصيدة مسطورة له في المفضليات ، مع أنه غير موجود شعره في المفضليات لا من كثيره ولا من قليله .

قال ابن رشيقي (في العمدة . في باب السرقات الشعرية) : وما يعد سرقاً وليس بسرقة اشتراك اللفظ المتعارف . كقول عنتره :

وخيل قد دلفت لها بخيل عليها الأسد تهتصراً^(١)

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

وقول الخنساء ترثي أخاها صخرأ^(٢) :

وخيل قد دلفت لها بخيل فدارت بين كبشيتها رحاها

وقول الأعرابي^(٣) :

وخيل قد دلفت لها بخيل ترى فرسانها مثل الأسود

وأمثال هذا كثير . انتهى^(٤) .

(١) ديوان عنتره ١١٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ .

(٢) ديوان الخنساء ١٤٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢٤ . وفي ديوانها : « بجول خيل » .

(٣) الذي في العمدة : « ومثله » .

(٤) وردت هذه الأبيات في العمدة على النسق الذي أثبتته من ط . وقد سقط البيت الثاني من ش وقدّم فيها البيت الأخير على الذي قبله . وورد البيت الأول لعنترة مشوهاً إذ جعل عجزه تكراراً سابقاً لعجز بيت الخنساء .

وإن يكن البيت لعمر بن معديكرب فقد تقدّمت ترجمته في
الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الْكِرَامُ لَيْسِي)

على أن (ليس) لتقصان فعليتها جاز ترك نون الوقاية معها . وصدوره :

* عددت قومي كعديد الطّيس *

وتقدّم شرحه في الشاهد الثاني والتسعين بعد الثلاثمائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(فَأَنْتِ طَلَّاقٌ وَالطَّلَاقُ إِلَيَّ)

وهذا صدر وعجزه :

* ثلاثاً ومن يخرق أعق وأظلم *

على أن جملة (والطلاق أليّة) من المبتدأ والخبر اعتراضية .

وتقدّم شرحه مفصّلاً في الشاهد الخامس والأربعين بعد المائتين^(٣)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد السبعمائة^(٤) :

(وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِي)

٧٣٨

٥٧

على أنه جاء خير كان جملة طلبية . وهذا مختص بالشعر .

والمعنى : كوني مُدكِّرةً بالمكارم ، وليس يريد كوني بالمكارم . يقوَّى

ذلك قوله قبله :

(١) الخزانة ٢ : ٤٤٤ .

(٢) الخزانة ٥ : ٣٢٤ - ٣٢٧ .

(٣) الخزانة ٣ : ٤٥٩ - ٤٧١ .

(٤) نوادر أبي زيد ٣٠ ، ٥٨ وضرائر ابن عصفور ٢٥٨ والمنى ٥٨٥ والهمع

١ : ١١٣ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣٦ .

(أَلَا يَا أُمَّ فَارِعَ لَا تَلُوِيْ عَلَى شَيْءٍ رَفَعْتُ بِهِ سَمَاعِي
 وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِيْنِي وَدَلِّي ذَلَّ مَا جِدَّةِ صَنَاعِ)
 فالمعنى : لا تلوميني على شيء رفعتُ به صوتي وذكري . وذكريني
 به (١)

والبيتان أوردهما أبو زيد (في نوادره) ، ونسبهما إلى بعض بني صاحب الشاهد
 نهشل ، وقائلهما جاهلي .

قال ابن عصفور (في كتاب الضرورة) : جعل ذكريني في موضع
 مذكرة ، وهو قبيح . لأنَّ فعلَ الأمر لا يقوم مقامَ الخبر في باب كان ،
 وإنما فعل ذلك لأنَّ كوني أمرٌ في اللفظ ، ومحصولُ الأمر منه لها إنما وقعَ
 على التذكير ، فلما كان في المعنى أمراً لها بتذكيره استعمل فيه لفظَ
 الأمر . انتهى .

وقال انسكرى (فيما كتب على نوادر أبي زيد) : المعنى : وصيري
 مذكرةً لي بالمكارم . وتقديره في العربية رديءٌ ، لو قلت : كن بغلام
 بشرني لم يجز . وهو يريد يا أُمَّ فَارِعَةَ ، فحذف ، وذلك شاذٌ لأنه ليس
 بمنادي إنما المنادي الأُمُّ . والصَّنَاعُ ، بفتح الصاد : الرفيقة الكف .
 والماجدة : الكريمة . يقول : اضبطي دلالك^(٢) بمنفعةٍ وصنعةٍ ، ولا تكوني
 خرقاء لا تنفع أهلها . انتهى .

وقال أبو زيد : قوله سماعي ، أي ذكري وحسن الثناء علي . ودلّي
 بفتح الدال ، من دللتُ تدلُّ ، ودللتُ أنا أدلُّ ، مثل خجلتُ أخجل . انتهى .

(١) كلمة « به » ساقطة من ش .

(٢) في النوادر : « اخلطي ذلك » .

قال ابن عقيل : الدَّلُّ قريبُ المعنى من الهدى . وهما من السَّكينة والوقارِ في الهيئة والمنظر^(١) والشمائل وغير ذلك . قاله أبو عبيدة . والصَّنَاع : الماهرة الحاذقة بعمل اليدين . وقال الأَخْفَش (في حواشيه على النوادر) : قوله : كوفى بالمكارم ذكَّرينى . تقديره : كوفى ممَّن أقول له ذكَّرتنى^(٢) إذا سهوت . فجرى هذا على الحكاية . كما قال :

* سمعتُ النَّاسَ ينتجعون غيثاً *

أراد : سمعت قائلًا يقول : النَّاسُ ينتجعون ، فحكى . هذا كلامه . وقال ابن هشام (في المغنى) : جملة ذكَّرتنى مؤوَّلة بالجملة الخبرية ، أى وكوفى تذكَّرتنى^(٣) . انتهى .

وإنَّما أوَّلَه لِمَا عُرِفَ من أنَّ شرط خبر كان إذا كانت جملة أن تكون خبرية . وقال السَّخاوى : يجوز أن يكون الخبر محذوفاً وذكَّرتنى أمراً مستأنفاً . أى كوفى بالمكارم مذكَّرة ذكَّرتنى .

* * *

وأُنشد بعده . وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد السبعمئة^(٤) :

٧٣٩ (قَنَافِذُ هَدَاجُونَ حَوْلَ بِيوتِهِمْ بِمَا كَانَ إِيَّاهُمْ عَطِيَّةُ عَوْدًا)

على أنَّ (كان) في البيت عند البصريين إمَّا شَانِيَّةٌ وإمَّا زَائِدَةٌ ، فيكون عَطِيَّةٌ في الأوَّل مبتدأً وعودًا فعل ماضٍ ، وألفُه للإِطلاق ، وفاعله ضمير عطية ، ومفعوله إِيَّاهُم المتقدم على المبتدأ ؛ والأصل عَوَّدَهُمْ ، فلمَّا

(١) في النسختين : « النظر » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في النسختين : « ذكَّرتنى » ، صوابه من النوادر ٣٢ .

(٣) في النسختين : « تذكَّرتنى » ، صوابه من المغنى .

(٤) المقتضب ٤ : ١٠١ والتسهيل ١٠٧ والعين ٢ : ٣٤ والمجم ١ : ١١٨ والتصریح

١ : ١٩٠ والإشموني ١ : ٢٣٧ وديوان الفرزدق ٢١٤ والنقائص ٤٩٣ .

تقدّم انفصل ، وجملة عودهم خبر المبتدأ . والجملة الكبرى ، أعني عطية عودهم ، في محل نصب خبر كان ، واسمها ضمير الشأن .

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : يجوز أن يكون اسمُ كان ضميراً مستتراً فيها عائداً على ما الموصولة . أي بسبب الأمر الذي كان هو عطية عودهم إياه . وجملة عطية عودهم خبر كان ، وحذف العائد لأنه ضميرٌ منصوب . ويجوز أيضاً أن يكون عطية اسم كان ، وتقديم معمول الخبر للضرورة . وهذا الجوابُ عندي أولى لأطراده في نحو :

باتت فؤادى ذات الخال سالبةً

فالعيشُ إن حُمَّ لي عيشٌ من العَجَبِ^(١)

إذ الأصل : باتت ذات الخال سالبةً فؤادى . ولا يجوز تقدير ذات مبتدأ ، لنصب سالبةً . واعترض على هذه الأوجه بأنَّ الخبر الفعلى لا يسبق المبتدأ ، فكذا معموله . والجواب : أنَّ المانع من تقديم الفعل خشيةُ التباسِ الاسميَّةِ بالفعلية ، وذلك مأمونٌ مع تقدُّمِ معمول . انتهى

وأوضحه (في المغنى) بقوله : ولانتفاء الأمرين ، وهما تهيئة العامل للعمل مع قطعه ، وإعمال الضعيف مع إمكان القوى ، جاز عند البصريين وهشامٍ تقديمُ معمولِ الخبر على المبتدأ في نحو : زيدٌ ضربَ عمراً ، وإن لم يجز تقديمُ الخبر . وقال البصريون في نحو قوله :

• بما كان إياهم عطيةً عودًا •

إن عطية مبتدأ ، وإياهم مفعول عود ، والجملة خبر كان ، واسمها

(١) مجهول القائل . وانظر العيني ٢ : ٢٨ والتصريح ١ : ١٩٠ والأشونى ١ : ١٣٨ .

ضمير الشأن . وقد خفيت هذه النكتة على ابن عُصفورٍ فقال : هَرَبُوا
من محذور وهو أَنَّ يَفصلوا بين كان واسمها بمعمول خبرها ، فوقعوا
في محذور آخرٍ ، وهو تقديم معمول الخبر حيث لا يتقدّم الخبر .
وقد بيّننا أَنَّ امتناع تقدّم الخبر في ذلك لمعنى مفقود في تقدّم معموله ^(١) .
انتهى .

وبهذه الأجوبة يُردُّ على الكوفيّين قولهم : يجوز أن يليَ كان أو
إحدى أخواتها معمولٌ خبرها غيرُ الظرف . واحتجُّوا بهذين البيتين .
قال ابن الناظم ، وبِقوله :

فَأَصْبَحُوا وَالنَّوَى عَالِي مَعْرَسِهِمْ وليس كلَّ النَّوَى يُلقَى المَسَاكِينُ ^(٢)
وقد خطَّاه ابن هشام فيه بآئه لو كان المَسَاكِينُ [اسماً ^(٣)] لِيَكَانَ
يجب أن يقال يلقون أو تلقى ^(٤) ، وإنَّما كان فيه عند الفريقين مسندةً
إلى ضمير الشأن .

صاحب الشاهد
والببيت من قصيدة للفرزدق (مذكورة في النقااض) ، هجاها جريراً .
وقوله : (قنafd مدأجون) : جمع قنafd بالذال المعجمة والمهملة ، وهو
حيوانٌ معروف ، يُضرب به المثلُ في سُرَى اللّيل ، يقال « أسرى من
قنafd ^(٥) » . وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى هم قنafd . وهذا تشبيهٌ بليغ كما

(١) ش : « تقديم معموله » .

(٢) حميد الأرقط . وانظر معجم الشواهد .

(٣) تكلة يفتقر إليها الكلام . والمعنى أن تكون المَسَاكِينُ اسماً ليس ويلقى خبراً لها ،

وفصل معدولها وهو « كل » بينها وبين اسمها .

(٤) ش : « أو تلقى » ، صوابه في ط .

(٥) وقالوا أيضاً : « أسرى من أنقد » ، وهو القنafd ، لا ينام ليله أجمع . يشبه النمام لحيشه

وتقلبه في ليله . - جهرة المسكرى ١ : ٥٢٥ .

حَقَّقَهُ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِي ، لَا اسْتِعَارَةً بِالْكُنْيَاةِ كَمَا تَوَهَّمُ الْعَيْنِي ، مَعَ اعْتِرَاضِهِ بِأَنَّهُ خَبِرَ مَبْتَدِئًا كَمَا ذَكَرْنَا . وَهَذَا جَوْنٌ : فَعَالُونَ مِنَ الْهَدَجِ ، بِالْإِسْكَانِ ، وَالْهَدَجَانِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ السَّيْرُ السَّرِيعُ . وَفَعَلُهُ كضَرْبِ . وَيُرْوَى : (دَرَّاجُونَ) مِنْ دَرَجِ الصَّبِيِّ وَالشَّيْخِ ، وَفَعَلُهُ كدَخَلَ ، وَمَعْنَاهُ تَقَارُبُ الْخَطْوِ بِمَنْزِلَةِ مَشْيِ الصَّبِيِّ ^(١) .

وعطية : أبو جرير . يقول : إنَّ رَهْطَ جَرِيرٍ كَالْقِنَافِذِ ، لَمِشِيهِمْ فِي اللَّيْلِ لِلسَّرْقَةِ وَالْفَجْورِ . وَإِنَّ أَبَا جَرِيرٍ هُوَ الَّذِي عَوَّدَهُمْ ذَلِكَ .
وقد هجاه الأخطلُ بمثل هذا أيضًا ، قال من قصيدة :

أَمَّا كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهَا

عِنْدَ التَّفَاخِرِ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرٌ ^(٢)

مُخْلَفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ

وَهُمْ بَغِيبٍ وَفِي عَمِيَاءَ ، مَا شَعَرُوا

مِثْلُ الْقِنَافِذِ هَذَا جَوْنٌ قَدْ بَلَغَتْ

نَجْرَانَ أَوْ بَلَغَتْ سُوءَ أَيْتِهِمْ هَجْرٌ ^(٣)

وترجمة الفرزدق قد تقدّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب ^(٤) .

* * *

(١) رواية النقائض : « قنائف دراجون خلف جحاشهم لما كان » .

(٢) في ديوان الأخطل ١٠٩ : « فليس لهم عند التفارط » . والتفارط : التقدم في طلب الماء . ومنه الحديث : « أنا قرطكم إلى الحوض » .

(٣) في الديوان :

على العيارات هداجون قد بلغت نجران أو حدثت سوءاتهم هجر
والعيارات : جمع عير ، وهو الحمار .

(٤) الخزنة : ١ : ٢١٧ .

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَرْبَعُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبُويَه (١) :

٧٤٠ (مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا)

عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِي بَابِ كَانَ الْإِخْبَارِ عَنِ النَّكْرَةِ الْمُحْضَةِ إِذَا حَصَلَتِ الْفَائِدَةُ كَمَا هُنَا . فَإِنَّ قَوْلَهُ فَصِيلٌ اسْمُ دَامَ ، وَحَيًّا خَبَرَهَا ، وَحَصَلَتِ الْفَائِدَةُ مِنْ تَقْدِيمِ فِيهِنَّ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْخَيْرِ ، وَلَوْ حَذَفَتْ فِيهِنَّ انْقَلَبَ الْمَعْنَى ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ مَا دَامَ فَصِيلٌ حَيًّا فَالمرادُ أَبَدًا ، كَمَا تَقُولُ : مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ ، وَمَا نَاحَ قُمْرَى . فَلَمَّا لَمْ تَمِّ الْفَائِدَةُ إِلَّا بِهِ حُسِّنَ تَقْدِيمُهُ لِمُضَارَعَتِهِ الْخَيْرَ فِي الْفَائِدَةِ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٢) فَإِنَّ قَوْلَهُ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَيْرًا فَإِنَّهُ بِهِ يَتِمُّ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ سَقُوطَهَا يُبْطِلُ مَعْنَى الْكَلَامِ ، لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ : لَمْ يَكُنْ كُفُوًا أَحَدٌ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْنَى ، فَلَمَّا أَحْوَجَ الْكَلَامُ إِلَى ذِكْرِ «لَهُ» صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْخَيْرِ الَّذِي لَا يُسْتغْنَى عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَيْرًا . وَلَمْ يَكُنْ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ : مَا كَانَ فِيهَا أَحَدٌ خَيْرًا مِنْكَ ، لِأَنَّكَ لَوْ حَذَفْتَ فِيهَا كَانَ كَلَامًا صَحِيحًا .

وَهَذَا الْبَيْتُ أوردَهُ سَيَبُويَه فِي بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ النَّكْرَةِ بِالنَّكْرَةِ وَأَمْثَلْتُهُ فِي كَانَ وَأَخْوَاتِهَا ؛ قَالَ فِيهِ : وَتَقُولُ : مَا كَانَ فِيهَا أَحَدٌ خَيْرًا مِنْكَ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ مِثْلُكَ فِيهَا ، وَإِيسَ أَحَدٌ فِيهَا خَيْرٌ مِنْكَ ، إِذَا جَعَلْتَ

(١) فِي كِتَابِهِ ١ : ٢٧ . وَانظُرِ النُّوَادِرَ ١٩٤ وَالْمُقْتَضِبَ ١ : ٩٤ وَابْنَ يَمِينِ ٤ : ٧/٢٣ ، ٩٦ ، ١١٥ وَشَرَحَ أَدَبَ الْكَاتِبِ لِلْجَوَالِقِ ٦٥ وَاللِّسَانَ (جُلْدُ ١٣ دَوْمِ ١٠٨ هِيا ٢٥٣) .

(٢) الْآيَةُ ٤ مِنْ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ .

فيها مستقراً ولم تجعله على قولك : فيها زيد قائم ، أجريت الصفة على الاسم . فإن جعلته على قولك : فيها زيد قائم ، نصبتها ، تقول : ما كان فيها أحدٌ خيراً منك ، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها ، إلا أنك إذا أردت الإلغاء فكلما أخرت الذي تلغيه كان أحسن . وإذا أردت أن يكون مستقراً مكتنفاً [به ^(١)] فكلما قدمته كان أحسن ، لأنه إذا كان عاملاً في شيء قدمته ، كما تقدم أظن وأحسب . وإذا ألغيت أخرته ، كما تؤخرهما ، لأنهما ليسا يعملان شيئاً . والتقديم ههنا والتأخير ، والإلغاء والاستقرار ، عربي جيدٌ كثير . فمن ذلك قوله عز وجل : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . وأهل الجفاء يقولون : ولم يكن كفواً له أحد ، كأنهم آخروها حيث كانت ، غير مستقرة . قال الشاعر :

(لتقرين قَرَباً جُلدياً ما دامَ فيهنَّ فصيلُ حياً
وقد دَجَا الليلُ فهياً هياً)

انتهى كلام سيويه .

قال ابن يعيش : سيويه يسمي الظرف الواقع خبيراً : مستقراً ، لأنه يقدر باستقر وإن لم يكن خبيراً سماه لغواً . وتقديم الظرف وتأخيره إذا كان مستقراً جائز عنده ، وإنما يختار تقدمه . فإن قيل : فما تصنع بقوله سبحانه : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ قدم الظرف مع أنه لغو ؟ قيل : لما كانت الحاجة ماسة والكلام غير مستغن عنه ، كأنه خبير مقدم لذلك . ألا ترى أن قوله تعالى : ﴿ الله الصمد ﴾ مبتدأ وخبر . وقوله : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ معطوف عليه ، وما عطفت على الخبر

(١) التكلة من ش وسيويه . لكن في سيويه : « تكنى به » .

كان في حكم الخبر ، فلذلك لم يكن من العائد في قوله له بُدُّ ، لَأَنَّ الجملة إذا وقعت خبيراً افتقرت إلى العائد . قال : وأهل الجفاء يقولون : ولم يكن كُفُوًّا له أحد^(١) . أراد بأهل الجفاء الأعراب الذين لم يبالوا بخطِّ المصحف ، ولم يَعْلَمُوا كيف هو . فأما قوله :

« ما دام فيهنَّ فصيلٌ حياً »

فإنه قدَّم الظرف ههنا وإن لم يكن مستقراً ، فإنه متعلق بالخبر وذلك لجواز التقديم عنده^(٢) مع أنه قد تدعو الحاجة إليه ولا يسوغ حذفه ، إذ حذفه يغيِّر المعنى^(٣) ، ويصير بمعنى الأبد ، كقولك : ماطلعت الشمس . فلما كان المعنى متعلقاً به صار كالمستقرِّ فقدَّمه لذلك . انتهى . وقد أورد الشارح المحقق هذا الكلام في آخر البحث (في الحروف المشبهة بالفعل) وقال : يجوز الإخبار عن النكرة في باب إنَّ وفي باب كان ، بالنكرة والمعرفة .

وجوزّه أبو حيَّان في الأوَّل دونَ الثَّاني ، قال (في تذكرته) : نصبُ إنَّ وأخواتها للنكرات لا ينحصر ، وقد أُخبر بالمعرفة ، وهذا غريب ، ولا يجوز في الابتداء ولا في كان . حكى سيبويه : إنَّ قريباً منك زيد ، وإنَّ بعيداً منك زيد . وأنشد سيبويه :

« وإنَّ شفاءً عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ^(٤) »

(١) ط : « ولم يكن له كفوًّا أحد » ، صوابه في ش وابن يميث . وانظر الصفحة السابقة . وبعده في ابن يميث : « فيؤخرون الجار والمجرور لقوة التأخير في الملنى عندهم » .
(٢) ط : « وذلك يجوز التقديم عنه » ، ش : « وذلك يجوز التقديم عنده » ، صوابه من ابن يميث ٧ : ١١٥ .

(٣) ابن يميث : « إذ لو حذف تغير المعنى » .

(٤) لامرئ القيس في معلقته ، وتامه :

« وهل عند رسم دارس من ممول »

وحكى : إن ألفاً في دراهمك بيضٌ ، وإن بالطريق أسداً رابضٌ .
 وجاز عندى أن يكون المعرفة خبراً عن النكرة هنا لما كان المعنى
 واحداً ، وأنه لما كان فضلةً فكأنه غير مسند إليه ، فجاز تنكيره ،
 ولما كان الخبر مرفوعاً صار كأنه مسند إليه فكان معرفة .

وذكر الجرمي هذه المسألة (في الفرخ) وقال : إنه يبتدأ بالنكرة
 ويخبر بالمعرفة عنها في هذا الباب . وقال : جائز ذلك ، لأنهم لا يقدمون
 خبر إن كما يتسعون في ذلك ، فأعطوا إن ما منعوا في كان . وقد منعوا
 خبر كان ، ومنعوا أن يكون خبرها معرفة واسمها نكرة ، فأعطوا كل
 واحد منهما ما منعه صاحبه . انتهى .

والشارح تابع في ذلك لابن مالك . وكثرة السماع يشهد لصحة
 قولهما .

وهذه الأبيات الثلاثة نسبها ابن السيرافي وابن خلف لابن ميادة . صاحب الشاهد
 وتقدمت ترجمته في الشاهد التاسع عشر من أوائل الكتاب^(١) .

وقوله : « لتقربين » قال ابن السيرافي : هو جواب قسم محذوف ،
 وهو بضم الراء وكسر الباء . قال الجوهرى : قربت أقرب قرابة ، مثل
 كتبت أكتب كتابة ، إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة . والاسم
 القرب بفتحيتين . وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما القرب ؟ قال :
 سير الليل لورد الغد . قلت : ما الطلق ؟ قال : سير الليل لورد الغب .
 وقال : أقرب القوم فهم قاربون ، ولا يقال مقربون . قال أبو عبيد :
 هذا الحرف شاذ .

أقول : قد سُمع ثلاثيُّه فلا شذوذ . وقال أبو الحسن الأَخفش :
لتقرُّبَيْن : لتَرِدِنَ . وليلة القَرَب : ليلة الورد . وهذا خطابٌ لناقته . يقول :
لتسيرِنَّ إلى الماء سيرا حثيثاً^(١) . والجلْدِي بضم الجيم وسكون اللام بعدها
ذال معجمة ، ومعناه السَّريع الشديد ، فهو وصفُ القَرَب . وقيل منادى
مرحَّم . جُلْدِيَّة : اسم ناقته . والضمير في فيهن عائد على الإبل ، ودلَّ
عليه سياق الكلام وذكُرُ الناقة ، فأضمر وإن لم يَجْر لها ذكر . والفصيل :
ولد الناقة ، وإنما ذكره لأنَّ ناقته من جملة الإبل يسوقها إلى الماء سوقاً
حثيثاً . فيقول : لا أعذرك ما دام فيهنَّ فصيلٌ يطبق السَّير . ودجأ اللَّيْلُ :
أظلم . وهَيَّا هَيَّا زجرٌ لها وتصويتٌ حتى تسيير ، أى مبادرةً . وليس منه
فعل ، وهى مكسورة الأوَّل . وقد حكيت بالفتح . قاله ابن خلف . [وقوله^(٢) :
ليس منه فعلٌ ، يناقضه قول الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : يقال
هوى هوى هَيَّا وهويًا وهويانا ، إذا سقط . وأنشد هذا الرجز^(٣) ثم قال :
يريد هوى واعجلى . انتهى .

ومقتضاه أَنه بالفتح لا بالكسر ، وأَنه مصدرٌ لا اسمُ فعل ، إلا أن
يكون هذا هو الأصل ثم نُقِل إلى اسم الفعل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد السبعمائة ، وهو

من شواهد سيبويه^(٤) :

(١) ط : « حبيبا » ، صوابه في ش .

(٢) تكلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) رواية الرجز في شرح الجواليقي :

لتقرُّب قريبا جلدِي ما دام منهن فصيل حيا

فقد دنا الليل فيها حيا

ولا ريب أن « جلديا » بالدال المهملة تصحيف .

(٤) في كتابه ١ : ٢٨٤ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩١ والمصنف ٣ : ٤٠ وسر الصناعة

١ : ٢٥٨ وأسرار البلاغة ١٦٠ والمغنى ٣٥١ ، ٤٨٣ والمجع ٢ : ٧٧ ، ١٤٠ والأشعورى

٣ : ١٢٢ ، « واللسان (هليل) . وهو من معلقة امرئ القيس .

(وَإِنْ شَفَاءَ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٌ) ٧٤١

على أنه يجوز أن يُخْبَرَ في باب إن أيضاً عن النكرة كما هنا ، فإن شفاء وقع اسم إن منكرًا ، وأخبر عنه بعبرة .
قال الشارح المحقق : وكذا أنشده سيبويه .

أقول : هذا نصه (في باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة إن وأخواتها) ، قال : وتقول : إن قريبًا منك زيدًا ، إذا جعلت قريبًا منك موضعًا . وإن جعلت الأول هو الآخر قلت : إن قريبًا منك زيدًا ، وتقول : إن بعيدًا منك زيد . والوجه إذا أردت هذا أن تقول : إن زيدًا قريبًا أو بعيدًا منك . لأنه اجتمع معرفة ونكرة . وقال امرؤ القيس :

وَإِنْ شَفَاءَ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
فهذا أحسن لأنه نكرة . وإن شئت قلت : إن بعيدًا منك زيدًا .
وقلما يكون « بعيدًا منك » ظرفًا ، لأنك لا تقول : إن بُعدك وتقول :
إن قربك^(١) ؛ فالذنو أشد تمكينًا في الظرف من البعد . انتهى كلامه .
والرواية المشهورة في البيت : « وإن شفائي » ، بالإضافة إلى ياء المتكلم .
وهذا هو المشهور المعروف .

والبيت من أول معلقة امرئ القيس : ولم يذكر شراحها تلك الرواية ،
صاحب الشاهد إلا أن الخطيب التبريزي قال : روى سيبويه هذا البيت « وإن شفاء
عبرة » ، واحتج فيه بأن النكرة يُخْبَرَ عنها بالنكرة . ويروى :
• وإن شفائي عبرة لو سَفَحَتْهَا •

(١) في كتاب سيبويه : « لأنك لا تقول إن بعدك زيدًا ، وتقول إن قربك زيدًا » .

أى صببتُها . ولو للتمنّى لا جوابَ لها . والعبرة ، بالفتح : الدّمة ، وجمعها عِبَر ، كَبْدَرَةٌ وبِدْر . ومُهْرَاقَةٌ بفتح الهاء ، أى مصبوبة . قال ابن السيد (فى شرح أدب الكاتب) : قد ذكر ابنُ قتيبة فى باب فعلت وأفعلت هَرَقَتِ الماءَ وأهرقته . وقد قال مثله بعضُ اللغويين ممّن لا يُحسن التصريف ، وتوهم أنّ هذه الهاء فى هذه الكلمة أصل . وهو غلطٌ ، والصّحيح أنّ هَرَقَتِ وأهرقتِ فعِلانِ رباعِيانِ معتلّانِ ، أصلهما أَرَقَتِ^(١) . فمن قال هَرَقَتِ فالهاءُ عنده بدلٌ من همزة أفعلت ، كما قالوا : أرحت الماشية وهَرَحْتها ، وأنرت الثوب وهَنَرْتُهُ . ومن قال أهرقت فالهاءُ عنده عوضٌ من ذهاب حركة عين الفعل عنها ، ونقلها إلى الفاء ؛ لأنّ الأصل أَرَيْقَتُ أو أَرَوَقَتُ ، بالياء أو بالواو ، على الاختلاف فى ذلك ، ثم نُقلت حركة الواو أو الياء إلى الراء ، فانقلب حرفُ العلة ألفاً لانفتاح ما قبلها ثم حُذف لسكونه وسكون القاف^(٢) . والساقط من أَرَقَتِ يحتمل أن يكون واوًا فيكون مشتقًا من راق الشيء يروق ، ويحتمل أن يكون ياءً لأنّ الكسائيّ حكى راق الماء يريق ، إذا انصب . والدليل على أنّ الهاء فى هَرَقَتِ وأهرقت ليست فاء الفعل على ما توهم من ظنّها كذلك ، أنّها لو كانت كذلك للزم أن يُجرى هَرَقَتِ فى تصريفه مُجرى ضربت ، فيقال هَرَقَتِ أهرق هَرَقًا ، كما تقول ضربت أضرب ضربًا ، أو مُجرى غيره من الأفعال الثلاثية التى يجىء مضارعها بضمّ العين وتجىء مصادرها مختلفة . وكان يلزم أن يُجرى أهرقت فى تصريفه مُجرى أكرمت ونحوه من الأفعال الرباعية المصححة ، فيقال أهرقت أهرق

(١) ط : « أريقت » ، صوابه فى ش والاقضاب لابن السيد ٢٢٧ .

(٢) ش : « الفاء » ، صوابه فى ط والاقضاب ٢٢٧ .

٦٢

إهراقاً ، كما تقول : أكرمت أكرماً إكراماً . ولم تقل العرب شيئاً من ذلك ، وإنما يقولون فى تصرّف هَرَقْتْ أَهْرِيْق ، يفتحون الهاء ، وكذلك يفتحونها فى اسم الفاعل فيقولون مُهْرِيْق ، وفى اسم المفعول مُهْرَاق ، لأنها بدل من همزة لو ثبتت فى تصرّف الفعل لكانت مفتوحة . ألا ترى أنك لو صرّفت أرقّت على ما ينبغى من التصريف ولم تحذف الهمزة منه لقلت فى مضارعه يُؤْرِيْق ، وفى اسم فاعله مُؤْرِيْق ، وفى اسم مفعوله مُؤْرِيْق . وقالوا فى المصدر : هِرَاقَة كما قالوا إِرَاقَة . وإذا صرّفوا أهرقت قالوا فى المضارعُ أَهْرِيْق وفى المصدر إِهْرَاقَة ، وفى اسم الفاعل مُهْرِيْق وفى اسم المفعول مُهْرَاق ، فأسكنوا الهاء فى جميع تصرّف الكلمة . فهذا يدلُّ على أنه رباعىٌ معتلٌّ وليس بفعل صحيح ، وأنَّ الهاء فيه بدل من همزة . أرقّت أو عوضٌ كما قلنا . قال العُدَيْل بن الفُرَخ (١) :

فكنت كمهريق الذى فى سِقائه لرقراقِ آلِ فوقَ رابيةٍ صلِّدِ (٢)

وقال ذو الرمة :

* فلما دنت إهراقُ الماءِ أنصتت (٣) *

وقال الأعشى فى أراكِ :

فى أراكِ مرِّد يكاد إذا ما ذرّت الشمس ساعةً يُهْرَاقِ (٤)

(١) سبقت ترجمته فى ٥ : ١٩٠ . والفرخ بضم الفاء وآخره خاء معجمة ، وفى الاقتضاب

٢٢٨ : « الفرج » ، تحريف .

(٢) فى الاقتضاب : « رابية جلد » ، وكذا فى اللسان (هرق ٢٤٦) .

(٣) تمامه كما فى الاقتضاب ٢٢٨ وديوان ذى الرمة ٦٤٥ واللسان (هرق) :

* لأعزله عنها وفى النفس أن أثنى *

وهو من لغز له فى بكرة البئر من أبيات ثلاثة ، وقبلة :

وجارية ليس من الإنس تستحي ولا الجن قد لاعتبها ومعى ذهني
فأدخلت فيها قيد شبر موفر فصاحت ولا والله ما وجدت تزنى

(٤) ديوان الأعشى ١٤١ .

انتهى كلامه ، ولجودته سقناه بتمامه .

وقوله : (فهل عند رسم) إلخ ، الرّسمُ : الأثر . والدّارس : المنطّمس .
والفاء في جواب شرط مقدّر ، قال ابن جنى (في سر الصناعة) : ومن
ذلك قول امرئ القيس :

وإنّ شفائي عبّرةٌ البيت

ففي قوله معوّل مذهبان : أحدهما أنّه مصدرٌ عوّلت بمعنى أعولت ،
أى بكيت . أى فهل عند رسم دارسٍ من إعوالمٍ وبكاءٍ . والآخر : أنّه
مصدر عوّلت على كذا ، أى اعتمدت عليه ، كقولهم : إنّما عليك معوّلى ،
أى اتكالى . وعلى أى الأمرين حملت المعوّل فدخل الفاء على : فهل عند
رسمٍ ، حسنٌ جميل ، أمّا على الأوّل فكأنّه قال : إنّ شفائي أن أسفح
عبّرتى . ثم خاطب نفسه أو صاحبيه فقال : إذا كان الأمر على ما قدّمتُ
من أنّ في البكاء شفاءً وجدي ، فهل من بكاءٍ أشفى به غليلي ؟ فهذا
ظاهره استفهامٌ لنفسه ، ومعناه التّحضيض لها على البكاء ، كما تقول :
قد أحسنت إلىّ فهل أشكرُك ؟ أى فلاشكرُك . وقد زرتنى فهل أكافئك ؟
أى فلاكافئُك . وإذا خاطب صاحبيه فكأنّه قال : قد عرّفْتُكما سببَ
شفائي ، وهو البكاء والإعوالم ، فهل تُعولان وتبكيان معي لأشفيّ وجدي
ببكاكما . فهذا التفسير على قول من قال إنّ معوّلى بمنزلة إعوالمى . والفاء
عقدت آخر الكلام بأوّلّه ، لأنّه كأنه قال : إن كنتما قد عرّفتما ما أوثره
من البكاء فابكيا معي . كما أنّه إذا استفهم نفسه فكأنّه قال : إذا
كنتُ قد علمتُ أنّ في الإعوالم راحةً لى فلا عذرَ لى في ترك البكاء .
وأما مَنْ جعل معوّلى بمعنى تعويلى على كذا ، أى اعتمادى واتكالى عليه ،
فوجه دخول الفاء على (فهل) في قوله : أنّه لما قال : إنّ شفائي عبّرةٌ

مهراقة فكأنه قال : إنما راحتى فى البكاء ، فما معنى اتكالى فى شفاء غليلى على رسمٍ دارس لاغناءً عنده عنى . فسببى أن أقبل على بكائى ولا أعول فى برد غليلى^(١) على مالا غناءً عنده . وهذا أيضاً معنى يُحتاج معه إلى الفاء لتربيط آخر الكلام بأوله ، فكأنه قال : إذا كان شفائى إنما هو فى فيض دمعى فسببى أن لا أعول على رسمٍ دارسٍ فى دفع حزنى ، وينبغى أن أجدد فى البكاء ، الذى هو سبب الشفاء . انتهى كلامه .

٦٣

ووقع فى رواية ابن هشام « وهل » بالواو : قال (فى المعنى ، فى بحث هل ، وفى عطف الإنشاء على الخبر من الباب الرابع) : إن هل فيه للنون ، ولذا صحَّ العطف ، إذ لا يُعطف الإنشاء على الخبر .

وقد تقدّم فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائة عن الباقلانى (فى إعجاز القرآن) أن هذا البيت مناقض لما قبله ، فراجعهُ^(٢) .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين^(٣) .

* * *

وأُنشد بعده

(يكون مزاجها عَسَلٌ وماء)

على أنه يجوز أن يخبر فى بابى (كان) و (إن) بمعرفة عن نكرة فى الاختيار كما هنا ، فإن مزاجها روى بالنصب على أنه خبر مقدّم وهو معرفة ، وعَسَلٌ اسم كان مؤخر وهو نكرة .

(١) رسمت فى ط « غلى لى » خطأ ، صوابه فى ش وسر الصن : ١ : ٢٥٩ .

(٢) الخزائة ٣ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) الخزائة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

وقال الزَّمَحْشَرِيُّ : لا يجوز هذا إلا في ضرورة الشعر .

وهذا مذهب ابن جنِّي ، قال (في المحتسب) : روى عن عاصمٍ أَنَّهُ قرأ : ﴿ وما كانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ ﴾ نصباً ﴿ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾^(١) رفعا . ولحنه الأعمش . وقد روى هذا الحرف أيضا عن أبان بن تغلب أَنَّهُ قرأه كذلك^(٢) . ولسنا ندفع أن جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح ، فإنما جاءت منه أبيات شاذة ، وهو في ضرورة الشعر أعذر^(٣) ، والوجه اختيار الألفح الأعرَب ، ولكن وراء ذلك ما أذكره . اعلم أن نكرة الجنس تُفيد مُفاد معرفته . ألا ترى أنك تقول : خرجت فإذا أسدٌ بالباب ، فتجد معناه معنى قولك : خرجت فإذا الأسدُ بالباب ، لا فرق بينهما . وذلك أنك في الموضعين لا تريد أسداً واحداً معيناً ، وإنما تريد خرجت فإذا بالباب واحداً من هذا الجنس . وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في « مُكَاءً وَتَصَدِيَةً » جوازاً قريباً ، حتى كأنه قال : وما كان صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا الْمَكَاءُ وَالتَّصَدِيَةُ ، أي إلا هذا الجنسُ من الفعل . وإذا كان كذلك لم يجر هذا مجرى قولك : كان قائمٌ أخاك وكان جالسٌ أباك ، لأنه ليس في جالس وقائم من معنى الجِنْسِيَّةِ التي تلاقى معنياً نكرتها ومعرفتها^(٤) . وأيضاً فإنه يجوز مع النفي من جعل اسم كان وإخواتها نكرة ما لا يجوز مع الإيجاب^(٥) ، فكذلك هذه القراءة ، لَمَّا

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنفال ، وانظر المحتسب ١ : ٢٧٩ .

(٢) ط : « أنه قراءة كذلك » ، صوابه في ش والمحتسب .

(٣) في النسختين : « عذر » ، وأثبت ما في المحتسب .

(٤) بعده في المحتسب : « على ما ذكرنا وقدمنا » .

(٥) بعده في المحتسب : « ألا تراك تقول : ما كان إنسان خيراً منك ، ولا تجيز :

كان إنسان خيراً منك » .

دخلها النفي قَوِيَّ وَحَسَنَ جَعَلَ اسْمَ كَانَ نَكْرَةً . هذا إلى ما ذكرنا من مشابهة نكرة اسم الجنس لمعرفته . ولهذا ذهب بعضهم في قول حسان :

كَانَ سَيْئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ

أَنَّهُ إِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ كَانَ عَسَلٌ وَمَاءٌ جَنْسَيْنِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَكُونُ مَزَاجُهَا الْعَسَلُ وَالْمَاءُ . فبهذا تسهل هذه القراءة ، ولا تكون من الْقُبْحِ وَاللَّحْنِ [الذى ^(١)] ذهب إليه الأعمش . انتهى .

وإليه أيضاً ذهب ابن السِّيد (فى أبيات المعاني) قال : هذا لا يجوز إلا فى ضرورة الشعر ، فأما فى الكلام فلا يجوز .

وقال اللخمي : حَسَنَ ذَلِكَ أَنَّ مَزَاجًا مِضَافًا إِلَى ضَمِيرِ نَكْرَةٍ . قال السِّيرافي عندما أنشد سيوييه :

* أَظْبِيُّ كَانَ أُمَّكَ أَمَّ حِمَارٍ ^(٢) *

إنَّ ضَمِيرَ النُّكْرَةِ لَا تَسْتَفِيدُ مِنْهُ إِلَّا نَكْرَةً . ألا ترى إذا قلتَ مررتَ بِرَجُلٍ فَكَلَّمْتَهُ ، لم تكن الهاءُ موجبةً تعريفًا لشخصٍ بعينه ، وإن كانت معرفة من حيث علم المخاطب أنَّها ترجع إلى ذلك المنكور . انتهى .

وقال ابن خلف : فى هذا أربعة أقوال : قيل هو على وجه الضرورة ، وقيل أراد مزاجاً لها فنوى بالإضافة الانفصالَ فأخبر بنكرة عن نكرة . وقال أبو على : نصب مزاجها على الظرفِ السَّادِّ مسدِّ الخبر ، كأنه قال : يكون مستقيراً فى مزاجها . فإذا كان ظرفاً تعلق بمحذوف يكون

(١) التكلة من المحتسب .

(٢) هو الشاهد ٥٢٤ فى الخزانة ٧ : ١٩٢ .

الناصبَ له ، وقُدِّمَ على غسل وماءٍ كعادتهم في الظروف إذا وقعت أخباراً
عن التُّكرات ، لثلاثا تلتبس بالصفات^(١) .

ثم نقل توجيه ابن جنى . وكذا نقل اللخميُّ عنه قال : وعن
أبي عليٍّ أنَّ مزاجها ينتصب على الظرف ، تقديره على المعنى : يكون
مكانَ مزاجها غسلٌ وماءٌ .

قال ابن هشام (في المعنى) : وتأولُه الفارسيُّ على أنَّ انتصاب
المزاج على الظرفية المجازية .

وزعم شارحه ابن الملاء أنَّ كان على تاويل أبي عليٍّ تكون تامّة .

وذهب الزمخشري (في المفضل) إلى أنَّ هذا ونحوه من القلب
الذي شجّع عليه أمنُ الإلباس .

وإليه جنح ابن هشام (في المعنى) قال في الباب الثامن : من فنون
كلامهم القلبُ ، وأكثر وقوعه في الشعر . وأنشد البيت . وقال في الباب
الرابع منه : إنَّه ضرورة . ولم يذكر القلب .

وروى في البيت رفع مزاجها ونصب غسل ورفع ماءً ، ويرفع الجميع .
وقد تقدم كُله مشروحاً مع القصيدة في الشاهد الثاني والثلاثين
بعد السبعمئة^(٢) .

• • •

وأنشد بعده :

(ولا يَكُ موقفٌ منكِ الودَّاعا)

(١) ط : « يلتبس بالصفات » ، وأثبت ما في ش .

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٢٢٤ - ٢٣٧ .

لما تقدّم قبله ، من أنّه يجوز في الاختيار أن يُخبر عن نكرة بمعرفة في ذينك البابين .

قال ابن مالك (في التسهيل) : وقد يُخبر هنا وفي باب إن بمعرفة عن نكرة اختياراً .

وقال (في شرحه) : لَمَّا كان المرفوع هنا مشبهاً بالفاعل ، والمنصوبُ مشبهاً بالمفعول ، جاز أن يُغنيَ هنا تعريفُ المنصوبِ عن تعريفِ المرفوعِ ، كما جاز في باب الفاعل ، لكن بشرط الفائدةِ وكونِ النكرة غيرَ مَحْضَةٍ . من ذلك قولُ حسان :

* يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ *

وليس بمضطرٌّ ، إذ يمكنه أن يقول مزاجها بالرفع فيجعل اسم يكون ضمير الشأن . وقولُ القطامي :

* ولايك موقفٌ منك الوداعا *

وليس بمضطرٌّ ، إذ له أن يقول : ولايك موقفي . والمحسن لهذا شبه المرفوع بالفاعل والمنصوب بالمفعول . وقد حُمِلَ هذا الشبه في باب إن ، كقول الفرزدق :

وإن حراماً أن أسبَّ مجاشعاً بآبائي الشَّمِّ الكرامِ الخضارم^(١) . انتهى .

وهذا مبنئٌ على تفسير الضرورة بما لا مندوحةً للشاعر عنه . وهذا

(١) ديوان الفرزدق ٨٤٤ والمقتضب ٤ : ٧٤ والمجم ١ : ١١٩ . وفي الديوان : « وليس يعدل أن سببت مقاعسا » . ورواية « مجاشعا » خطأ ، فإن « مجاشع بن دارم » من أجداد الفرزدق في نسبه ، وهو دائم الاعتزاز به . و« مقاعس » هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم .

فاسدٌ من وجوهٍ تقدّم بيانها في شرح أوّل شاهد . وعند الجمهور هو من الضّرورة ، ومعناها ما وقع في الشعر سواء كان عنه مندوحةً أم لا .

قال اللخمي : جعلُ موقفاً وهو نكرة اسم يكُ ، والوداع وهو معرفة الخبر ، ضرورة لإقامة الوزن . وحسن الضّرورة فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن النكرة^(١) قد قربت من المعرفة بالصّفة .

والثاني : أن المصدر جنسٌ ، فمفاد نكرته ومعرفته واحد .

والثالث : أن الخبر هو المبتدأ في المعنى .

وقال صاحب اللباب : وهما ، أي المرفوع والمنصوب بكان ، على شرائطهما في باب الابتداء . وزعم بعضُ المنتميين إلى هذه الصّنعَة أن بناء الكلام على بعضهما^(٢) من غير تقدير دخولٍ على المبتدأ والخبر سائغ ، بدليل قوله :

* ولايكُ موقف منك الوداعا *

وليس بمحمول على الضّرورة ، إذ لا يتمّ المعنى المقصود إلا هكذا ، إذ لو عرفهما لم يؤدّ أنه لم يرخص أن يكون ما سوى ذلك من المواقف وداعاً . ولو نكرهما لم يؤدّ أن الوداع قد كرهه إليه حتى صار نُصب عينيه . ولو عرف الأول ونكر الثاني لجمع بين الهُجنتين . والجواب بعد تسليم جميع ما ذكره أنه لو أراد إيراد هذا المعنى بطريق النفي دون النهي ، لا بدّ أن يقول : ما موقف منك الوداع ، بعين ما ذكره . على أن

(١) ط : « النكرات » ، وأثبت ما في ش .

(٢) أي بعض النكرات والمعارف دون تقييد بالنوع .

المقصود أن لا يكون الوداعُ موقفاً منها^(١) فيكون من باب القلب ، مثل ما فى قول الآخر :

* يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ * انتهى .

أراد بالهجتين ترخيصَ كونِ ما سوى هذا الموقف المعين موقفَ وداع ، وفواتِ النُكْتةِ المستفادَةِ من تعريفِ الوداع . وحاصلهُ أنه لما اختار أن وجودَ شرائطِ المبتدأ والخبر فى هذه الأفعال لازم ، ذهب إلى أن البيتَ محمولٌ على الضُّرورة ، لأنها دعت إلى القلب .

وأجاب عن استدلال المخالف بوجهين :

الأول : أن يقال : لا نسلّمُ أنهما إن كانا معرفتين يلزم قبّح ، لأنّ مبناهُ أن اللام فى الموقف للعهد ، وهو ممنوعٌ لجواز أن تكون للجنس ، أى لايك جنسُ الموقف الوداع . وفيه عمومٌ سلّمناه ، لكن لا نسلّمُ أنهما إن كانا منكّرين يلزم قبّح ، لأنّه مبنىٌ على أن اللام فى الوداع للعهد إلى الشيء المكروه عنده ، وهو ممنوعٌ لجواز كونه للجنس . سلّمناه لكنّه منقوضٌ بنقضِ إجمالى ، وتوجيهه لو صحّ ما ذكرت لكان الواجب أن يقال عند إرادة هذا المعنى بطريق النفى دون النهى : ما موقفُ منك الوداع بعينِ ما ذكرت . لكنّ التالى باطل ، لأنّ تنكير المبتدأ وتعريف الخبر بعد النفى ليس حدّ الكلام الذى يجب أن يكون عليه الاتفاق^(٢) .

الثانى : أن مقصود الشاعر أن لا يكون موقف الوداع موقفاً من موافقها بأن لا يكون وداعٌ أصلاً . وعلى هذا كان الوداع اسم كان ،

(١) ش : « على أن المقصود لا يكون الوداع موقفاً منها » .

(٢) ط : « بالاتفاق » .

والموقف خبره ، فقلب بأن جعل الاسم خبراً والخبر اسماً ، والقلب ممّا^(١) يشجّع عليه عند أمن الالتباس .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدْرُهُ :

(قفى قبل التَّفَرُّقِ يا ضُبَاعا)

والبيت مطلعٌ قصيدةٌ للقطاميّ تقدم الكلام عليه في الشاهد الثالث صاحب الشاهد والأربعين بعد المائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س^(٣) :

٧٤٢ (أسكرانُ كان ابنَ المرَاغَةِ إِذْ هَجَا تَمِيمًا بِجَوْفِ الشَّامِ أَمْ مُتَسَاكِرًا)

على أن سيويه مثل به للإخبار عن النكرة بالمعرفة .

وهذا نصّه : اعلم أنّه إذا وقع في الباب نكرةٌ ومعرفة فالذي تُشغَلُ به (كانَ) المعرفة ؛ لأنّه حدُّ الكلام ، ولأنّهُما شيءٌ واحدٌ^(٤) ، وليس بمنزلة قولك : ضرب رجلٌ زيداً ، لأنّهُما شيئان مختلفان ، وهما في كان بمنزلتهم في الابتداء . فإذا قلت : كان زيدٌ فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك ، وإنّما ينتظر الخبر . فإذا قلت حليماً فقد أعلمته مثل ما علمت . فإذا قلت كان حليماً فإنّما ينتظر أن تعرّفه صاحب الصّفة ، فهو مبدوءٌ به في الفعل وإن كان مؤخراً في اللفظ . فإن قلت : كان حليم ،

(١) ط : « ما » ، وأثبت ما في ش .

(٢) المزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) في كتابه ١ : ٢٣ ، ٣١٤ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٥ والمغنى ٤٩٠ والمهج

١ : ٦٧ وديوان الفرزدق ٤٨١ .

(٤) في كتاب سيويه : « لأنّهُما شيءٌ واحدٌ » بدون سبق للواو .

٦٦

أو رجل . فقد بدأت بنكرة ، فلا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور .
ولا يُبدأ بما فيه يكون اللبس ، وهو النكرة . ألا ترى أنك لو قلت كان
حلياً أو كان رجل منطلقاً ، كنت تلبس ، لأنه لا يُستنكر أن يكون
إنسان هكذا . فكرهوا أن يبدءوا باللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون
فيه هذا اللبس . وقد يجوز في الشعر في ضعف من الكلام . حملهم على
ذلك أنه فعل بمنزلة ضرب ، وأنه قد يُعلم إذا ذكرت زياداً وجعلته
خبراً أنه صاحب الصفة ، على ضعف من الكلام . وذلك قول خدّاش
ابن زهير :

فإنك لا تُبالي بَعْدَ حَوْلٍ أَظْبِيْ كَانِ أُمَّكَ أَمِ حِمَارُ

وقال حسان :

كَأَنَّ سَبِيْثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسِيْ يَكُونُ مِزَاجِهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري :

أَلَا مَنْ مَبْلِغُ حَسَّانَ عَنِّيْ أَسْحَرُ كَانِ طَبَّكَ أَمِ جُنُونُ

وقال الفرزدق :

أَسْكَرَانُ كَانَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ إِذْ هَجَا تَمِيْمًا بِجَوْفِ الشَّامِ أَمِ مِتْسَاكِرُ

فهذا إنشاد بعضهم . وأكثرهم ينصب السكران ويرفع الآخر على

قطع وابتداء . انتهى كلام سيوييه .

وقوله : « وأكثرهم ينصب السكران » ، أي ويرفع ابن المراغة على

أنه اسم كان ويكون الخبر مقدماً وهو سكران . وعلى هذا لا قبح .

وقوله : « ويرفع الآخر » هو متساكر ويكون رفعه على القطع يجعله خبر

(م ١٩ — خزنة الأدب — ج ٩)

مبتداً محذوف ، أي أم هو متساكر ، فتكون أم منقطعة . وإذا رفع سكرانٌ ونصب ابنَ المراغة ، وهذه مسألتنا ، ففيه قبحٌ لضرورة الشعر لأنه جعل اسم كان ضمير سكران وهو نكرة ، ويكون ابن المراغة خبر كان ، فيكون قد أخبر بمعرفة عن نكرة ، ويرتفع سكران حينئذ بكان محذوفة كما يأتي بيانه ، ويكون متساكر معطوفاً عليه ، وعلى هذا أم متصلة ، ويكون العطف من عطفٍ مفردٍ على مفرد ، والجملة واحدة . وعلى الأول جملتان .

وإنما قال الشارح المحقق : « وأورد^(١) سيبويه للتمثيل بالإخبار عن النكرة بالمعرفة » ، ولم يقل : استشهد للإخبار ، لأن سيبويه لم يذهب إلى أن هذا جائز في الاختيار حتى يستشهد له ، وإنما هو قبيحٌ خاصٌ بالشعر لم يرتضه في الكلام . فأورد هذه الأبيات أمثلة لما استقبله في الشعر .

وقد روى رفع ابن المراغة مع رفع سكران ، فيكون المعرف على هذا مبتدأً والمنكر خبراً وكان زائدة .

وجوز ابن خلف أن يضم في كان ضمير الشأن . وهذا خطأ تبع فيه يوسف بن السيرافي (في شرحه لشواهد سيبويه) .

قال ابن هشام : وضمير الشأن يعود على ما بعده لزوماً ، ولا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم هي ولا شيء منها عليه . وقد غلط يوسف ابن السيرافي إذ قال في قوله :

* أسكران كان ابن المراغة إذ هجا * . . البيت

(١) ش : « وأورده » ، صوابه في ط و شرح الرضى للكافية ٢ : ٢٧١ .

فيمن رفع سكرانُ وابنُ المِراغة : إنَّ^(١) كانَ شأنيّة ، وابنُ المِراغة وسكرانُ مبتدأً وخبره ، والجملَةُ خبرٌ كانَ . والصَّوابُ أنَّ كانَ زائِدة . والأشهرُ في إنشادهِ نصبُ سكرانُ ورفعُ ابنِ المِراغة ، فارتِفاعُ متساكرٍ على أنَّه خبرٌ لهوٌ محذوفاً . ويروى بالعكس فاسمُ كانَ مستترٌ فيها . انتهى .

٦٧ وقال أبو علي (في المسائل العسكرية) : قوله أسكرانُ رفعٌ بفعلٍ مضمَرٌ تكونُ كانَ تفسيراً له ، ودليلاً عليه . وحسُنُ الرفعُ في هذا الموضعُ لأنَّ التقديرُ : أكانَ سكرانُ ابنَ المِراغة ؟ فاستفهمُ عن سُكره لا عنه في نفسه . وإذا كانَ كذلكُ كانَ الأولى أن يرفعُ ، لأنَّ النكرة لما دخلها هذا المعنى من أنَّ القصد إنما وقع إليها ، وجب أن يكون الرفعُ ، فترفعُ بكان . وكذلك قول الآخر :

* أَطْبِيُّ كَانِ أَمَلِكُ أَمَّ حِمَارُ * انتهى

ومثله لابن جنى (في الخصائص) قال : وقد حُذِفَ خَبِرُ كَانِ في قوله :

* أَسْكَرَانُ كَانِ ابْنِ المِراغة * البيت

ألا ترى أنَّ تقديره : أكانَ سكرانُ ابنَ المِراغة ، فلمَّا حذِفَ الفعلُ فسَّره بالثاني ، وابنُ المِراغة المذكورُ خبرٌ كانَ الظاهرة ، وخبرٌ كانَ المضمرة محذوفٌ معها ، لأنَّ كانَ الثانية دلت على الأولى . وكذلك الخبرُ الثاني الظاهر دلَّ على الخبرِ الأولِ المحذوفِ . انتهى .

وزعم ابن الملا الحلبي (في شرح المغني) أنَّ سكرانُ مبتدأٌ . قال :

(١) ط : « وإن » ، صوابه في ش .

وصحَّت ابتدائيَّته مع نكارتِه^(١) لوقوعِه في حِيْز الاستفهام ، وأنَّ جملة كان ابنَ المراغة خبره . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريراً . وأراد بابن المراغة جريراً ، وكان الفرزدق قد لُقِبَ أُمُّه بالمراغة ونسبها إلى أنَّها راعيةٌ حَمِير . والمراغة : الأتان التي لا تمتنع من الفحول . وإذ ظرف يتعلَّق بكان ، وفاعل هجا ضمير ابن المراغة . وأراد بتميم ههنا بنى دارم بن مالك بن حنظلة ، وهم رهط الفرزدق ، وجريرٌ من رهط كليب بن يربوع بن حنظلة . فلم يعتدَّ الفرزدقُ برهط جرير في تيمم ، احتقاراً لهم . وأراد بجوف الشام داخلها . وروى أبو علي وابنُ جنِّي وغيرُهما : « ببطن الشَّام » وهو بمعناه . وروى : « بجوَّ الشام » ، وهذا تحريف .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب^(٢)

* * *

وأنشد بعده :

(فَإِنَّكَ لَا تُبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ أَظْبِيُّ كَانَ أُمَّكَ أَمْ حَمَارُ)

لما تقدَّم قبله ، فاسم كان ضمير ظبي وهو نكرة ، وأُمَّكَ بالنصب خبرها وهو معرفة ، وظبي اسمٌ لكان المضمرة المداول عليها بكان المذكورة ، وهو نكرة أيضاً ، وخبر المحذوفة محذوف أيضاً مدلولٌ عليه بخبر المذكورة ، كما تقدَّم عن ابن جنِّي .

وقيل : ظبي مبتدأً وجملة كان أُمَّكَ خبره .

قال ابن هشام (في المعنى) الأوَّل أولى ، لأنَّ همزة الاستفهام بالجمل

(١) في اللسان أن المنكر ضد المروف ، وقد نكر نكارة .

(٢) الخزائن ١ : ٢١٧ .

الفعلية أولى منها بالاسمية . وعليهما فاسم كان ضميرٌ راجع إليه .
وقول سيويوه إنه أجبر عن النكرة بالمعرفة واضح على الأول ، لأنَّ
ظبياً المذكور اسم كان ، وخبره أمك ، وأمّا على الثاني فخبر ظبي إنما هو
الجملة والجملة نكرات ، ولكن يكون محلّ الاستشهاد قوله : كان أمك
على أن ضمير النكرة عنده نكرة^(١) . انتهى .

وذهب صاحب (المفتاح) إلى أن تنكير المسند إليه غير موجود
بالاستقراء . وأمّا هذا البيت ونحوه فتنكير المسند إليه إنما هو في ظبي
إذا ارتفع بالمضمر ، لا في ضمير كان العائد عليه . وهو واردٌ على القلب ،
والأصل : أظبياً كان أمك أم حماراً . قال : إنَّ كون المسند إليه نكرة
والمسند معرفة سواء . قلنا : يمتنع عقلاً أو يصحُّ عقلاً ليس في كلام العرب ،
وأمّا ما جاء من نحو قوله :

• ولايك موقفٌ منك الوداعا^(٢) •

وقوله :

• يكون مزاجها عسلٌ وماء^(٣) •

وبيت الكتاب :

• أظبيُّ كان أمك أم حمارٌ •

(١) في النسختين : « أعيدت نكرة » ، صوابه من المعنى ٥٩٠ . وبعده : « لا على أن
الاسم مقدم » .

(٢) هو الشاهد ١٤٣ في الخزانة ٢ : ٣٦٧ .

(٣) هو الشاهد ٧٣٢ في هذا الجزء الثامن ، كما سبق الاستشهاد به بعد الشاهد ٧٤١ .
وما بقده من الكلام إلى « وماء » التالية ساقط من ش .

فمحمولٌ على منوال: عرضتُ الناقةَ على الحوض. وأصل الاستعمال:
ولايك موقفاً منك الوداعُ، ويكون مزاجُها عسلاً وماءً، وأظبياً كان أمك
أم حماراً. ولا تظننَّ بيتَ الكتابِ خارجاً عما نحن فيه، ذهاباً إلى
أنَّ اسم كان هو الضمير، والضمير معرفة، فليس المراد كان أمك، إنما
المراد ظبي، بناءً على أن ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء. ولذلك
قدّرنا الأصل على ما ترى. انتهى.

واختار السعد (في المطول) هذا الأخير، فليس فيه قلبٌ لفظي
وإنما يكون فيه قلب معنوي. قال: قيل إنه قلبٌ من جهة اللفظ،
بناءً على أن ظبي مرفوع بكان المقدرة لا بالابتداء، فصار الاسم نكرة
والخبر معرفة. والحق أن ظبي مبتدأ، وكان أمك خبره، فحينئذ^(١)
لا قلب فيه من جهة اللفظ، لأن اسم كان ضمير، والضمير معرفة.
نعم فيه قلبٌ من جهة المعنى؛ لأن المخبر عنه في الأصل هو الأم. انتهى.
ويشهد للقلب ما رواه ابن خلف، قال: وقد يُنشد:

* أظبياً كان أمك أم حمار *

على أنه جعل اسم كان معرفة وخبرها نكرة. فهذا جيد، إلا أنه
كان يجب أن ينصب حمار، لأنه معطوف على ظبي. فيجوز رفعه على
إضمار مبتدأ. قال المبرد (في كتابه الجامع): والأجود في هذه الأبيات
نصب الأخبار المقدمة ورفع المعارف، ورفع القوافي على قطعٍ وابتداء. انتهى.

والبيت من أبيات لثروان بن فزارة العامري الصحابي، وقد تقدم
الكلام عليها مفصلاً في الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسائة^(٢).

* * *

(١) ش: «فع» بدل «فحينئذ»، وهي كتابة رمزية اختزالية.

(٢) الخزائن ٧: ١٩٢-١٩٧.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٧٤٣ (أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عَنِّي أَطِيبٌ كَانَ سِحْرَكَ أُمَ جُنُونُ)
لما تقدّم قبله ، والكلام فيه كما تقدّم .

والطَّبُّ بالكسر ، قال الأَعْلَمُ : هو هنا العِلَّةُ والسَّبَبُ ، أي أُسْحِرْتَ فكان ذلك سببَ هجائك أُمَ جُنَيْتَ . وسِحْرٌ هنا مصدرُ سُحِرَ المبنى للمفعول ، وهو مضافٌ للمفعول .

والبيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصارى . وقد اختلف في إسلامه . صاحب الشاهد وحسّان هو ابن ثابتٍ شاعرُ النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أبو قيسٍ من الأوس ، وحسّان من الخزرج ، وكانا يتهاجيان ، فقال أبو قيسٍ لحسان : أذهبَ عنك عقلك بسحرٍ حتّى اجترأتَ على هجائى ، أم أصابك جنونٌ فلم تدرِ ما صنعتَ . يُعْظِمُ فى نفسِ حَسَّانِ ما يأتى من هجاءِ الأوسِ وشُعرائِها ، ويتوعّده بالمقارضة .

ورواه ابن دريد (فى الجمهرة) كذا :

* أَطِيبٌ كَانَ دَاءُكَ أُمَ جُنُونُ *

وقال : الطَّبُّ هنا : السَّحْرُ . وروى أيضاً :

* أَطِيبٌ كَانَ شَأْنُكَ أُمَ جُنُونُ *

وهما أحسنُ من الرّواية الأولى . وبعده :

(فَلَسْتَ بُزَائِلِي أَبَدًا تَمْنَى بِصَدْرِكَ مِنْ وَحَاوِحِهِ فُنُونُ^(٢))

(١) فى كتابه ١ : ٢٣ ، واللسان (طب ٤٢) .

(٢) ش : « لصدرك » .

والوواح بوأوين ومهملتين : الحزازات .
 وأبو قيسٍ تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين ^(١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد السبعمئة ، وهو
 من شواهد س ^(٢) :

٦٩

٧٤٤ (إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ)

هذا عجزٌ وصدره :

(وَإِذَا أَقْرَضْتَ قَرْضاً فَاجْزِهِ)

على أَنَّ (ليس) يجوز حذف خبرها كثيراً كهذا البيت ، أي ليس
 الجمَل جازياً أو يَجْزِي . وقيل إِنَّ الجمَل هو الخبر ، وسكّن للقافية ،
 واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يَجْزِي ، أي ليس الجازي الجمَل ،
 فلا حذف فيه . وقيل : إِنَّ ليس فيه عاطفة ، وقد ذكره الشارح في
 لا العاطفة ، وسيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله .

هذا ورواية البيت عند سيويه :

* إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى غَيْرُ الْجَمَلِ *

وكذا رواه الطوسي في شرح ديوان لبيد .

وأنشده سيويه على أَنَّ الفتى وهو معرفة قد نعت بغير ، وهي نكرة ،
 والذي سوّغه أَنَّ التعريف باللام يكون للجنس ولا يخصُّ واحداً بعينه ،
 فهو مقاربٌ للنكرة ؛ وَأَنَّ غيراً مضاف إلى معرفة فقاربت المعارف لذلك .

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ - ٤١٣ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٧٠ . وانظر مجالس ثملب ٥١٥ والمقتضب ٤ : ٤١٠ ،

والأصول ١ : ٣٤٨ ، ٣٦٨ والأزهية ١٩٢ ، ٣٠٥ ودلائل الإعجاز ٢٩٩ والعيى ٤ : ١٧٦

والتصريح ١ : ٢٩١ / ٢ : ١٣٥ وديوان لبيد ١٧٩ .

وكذا أورده ابن السَّرَّاج (في الأصول) قال : إِنَّ غيرًا لا تدخل في الاستثناء إلا في الموضع الذي ضارعت فيه إلا . ألا ترى أنك تقول مررت برجلٍ غيرِك ولا تقع إلا في مكانها ، لا يجوز أن تقول : جاءني رجلٍ إلا زيد ، تريد غير زيد على الوصف . فلاستثناء هنا محال . ولكن تقول : ما يحسنُ بالرجلٍ إلا زيدٌ أن يفعل كذا ، لأنَّ الرجل جنسٌ ، ومعناه : بالرجل الذي هو غير زيد ، كما قال :

* إنما يَجْزِي الفتي غير الجمل * انتهى

وهذا البيت من قصيدة طويلة للبيد بن ربيعة الصَّحَابِي ، وقد تقدَّم صاحب الشاهد بعضُها في الشاهد الثامن والعشرين بعد المائتين ^(١) . وهذه أبياتٌ منها ^(٢) :

أبيات الشاهد	وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلٌ سُلِّطَ الشَّيْبُ عَلَيْهِ فَاشْتَعَلَ أَمَلًا الْجَفْنَةَ مِنْ شَحْمِ الْقُلَلِ جَارِقِي ، وَالْحَمْدُ مِنْ خَيْرِ الْخَوْلِ بِأَلْوَكٍ فَبِذَلْنَا مَا سَأَلْ فَاشْتَوَى لَيْلَةَ رِيحٍ وَاجْتَمَلَ بِيَدَيْ كُلِّ هَضُومٍ ذِي نَزَلِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ إِنَّمَا يُنَجِّحُ أَصْحَابُ الْعَمَلِ وَاعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيمُ الْكَسَلِ	(اعْقَلِي إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَعْقَلِي إِنْ تَرَى رَأْسِي أَمْسَى وَاضْحًا فَلَقَدْ أَعْوَصُ بِالْخَصْمِ وَقَدْ وَلَقَدْ تَحَمَدُ لَمَّا فَارَقْتَ وَعِلامٍ أَرْسَلْتَهُ أُمَّهُ أَوْ نَهْتَهُ فَاتَّاهُ رِزْقُهُ مِنْ شِوَاءٍ لَيْسَ مِنْ عَارِضَةٍ فَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ أَعْمِلِ الْعَيْسَ عَلَى عِلَاتِهَا وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلًا فَارْتَجِلْ
--------------	---	---

(١) الخزانة ٣ : ٣٦٨ - ٣٧٣ .

(٢) ديوان البيد ١٧٧ - ١٨٠ .

واكذب النفس إذا حدتتها إن صدق النفس يُزرى بالأمل
غير أن لا تكذبها في التقي واخزها بالبر لله الأجل ()

قوله : « اعقلى إن كنت » إلخ يخاطب عادلته ، وقيل نفسه .
وعقلت الشيء عقلاً ، من باب ضرب ، إذا تدبرته . ولما نافية .

وقوله : « إن ترى رأسى » إلخ وضح الشيء وضوحاً ، إذا برق بياضه .
وشبه انتشار الشيب باشتعال النار . في سرعة الانتهاب .

وقوله : « فلقد أعوض » إلخ أعوض بالخصم ، إذا لوى عليه أمره .
وقال الطوسي : أعوض : أركب به الأمر العويص ، أى الشديد . ويقال
أعوض به ، أى أذنته بالعويص^(١) . ويقال : أعوض [به^(٢)] ، أى احمله
على العوضاء ، وهى الشدة . والجفنة ، بفتح الجيم : القصة . وأراد
بالقلل الأسنمة : جمع سنام ، والواحد قلة . وقلة كل شيء : أعلاه وأرفعه .
يقول : إنى وإن شئت فإنى أنفع وأضر .

وقوله : « ولقد تحمد » إلخ جارتى فاعل تحمد . والخول بفتح
الخاء المعجمة : العطيّة .

وقوله : « و غلام أرسلته » إلخ ، الواو واو رب . والألوك ، بفتح الهمزة :
الرسالة ، ومنه ألكنى السلام إلى فلان ، أى أبلغ عنى السلام .

وقوله : « أو نهته فأتاه » إلخ معطوف على أرسلته ، أى رب غلام نهته
أمه عن السؤال منّا حياءً أو قنوعاً فبعثنا إليه بما اشتوى واجتمل . يريد

(١) ط : « أى آتاه بالعويص » على أنه تفسير لامضارع . وإنما المراد هنا تفسير الأمر

كافى ش .

(٢) التكلة فى ش .

إِنَّا نُنْعِمُ عَلَى الْفَقِيرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، سواءَ جَاءَ يَطْلُبُ أَوْ مُنْعٍ مِنَ الطَّلَبِ .
يقال شَوِيْتُ اللحمَ ، واشتويته . وإذا شويته فنَضِجَ قلت قد انشوى
بالنون لا غير . واجتمَلَ : اتَّخَذَ الْجَمِيلَ ، بفتح الجيم ، وهو الشَّحْمُ
المذاب . يقال اجتمَلَ ، أى أَذَابَ الشَّحْمَ . وفي الحديث : « لعن الله
اليهودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فباعوها ^(١) » : وقال الطُّوسِي :
ويقال اجتمَلَ اللحمَ أى طبخه بالشَّحْمِ ليس معه ماءٌ ، وذلك إذا قَلَاهُ
به . وقوله : « ليلة ريح » أى ليلة بردٍ من الشَّتَاءِ . وهذا غايةُ الكرمِ ،
فإنَّ شِدَّةَ الْعَرَبِ وَبُؤْسَهُمْ فِي الشَّتَاءِ ، لعدم النبات .

وهذا البيت استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ
مَا يَدْعُونَ ^(٢) ﴾ على أَنَّ يَدْعُونَ افتعالٌ من الدُّعَاءِ ، أى يدعون لأنفسهم ،
كما في اشتوى واجتمَلَ ، أى شوى لنفسه وجَمَلَ لنفسه . ومثله (في
الصحاح) قال : اشتويت : اتَّخَذْتُ شِوَاءً . وَأَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ .

وقوله : « من شواءٍ » إلخ من متعلقة باشتوى في البيت المتقدم .
قال صاحب الصحاح ، شويت اللحمَ شِيًّا ، والاسمُ الشَّوَاءُ . والعارضة :
الناقة التي أصابها كَسْرٌ أَوْ عَرَضٌ فَنُحِرَتْ . وَالْهَضُومُ ، بفتح الهاء وضم
المعجمة : الفَتَى الذي يُهْتَضَمُ مَالُهُ يُقَطَّعُ مِنْهُ وَيُكَسَّرُ . وَالنَّزَلُ ، بفتح
النون والزاي : المعروف والخير .

وقوله : فإذا أقرضت ^(٣) » إلخ بالبناء للمفعول ، يقال : أقرضني

(١) من حديث جابر بن عبد الله في البخارى (المغازى والتفسير) ومسلم وأبي داود والترمذى
والنسائى (البيوع) وابن ماجه (التجارات) . وانظر الحديث ٦٣٨ من الألف المختارة .
واللفظ فيها : « قاتل الله اليهود ، لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها » .

(٢) الآية ٥٧ من سورة يس .

(٣) هذه الرواية غير الرواية التي أثبتت في الأبيات السابقة والديوان ، وهي الرواية الأخرى
التي أثبتتها البندادى في أول الكلام على الشاهد .

فلانٌ، أى أعطاني قرضاً . والقرض : ما تُعطيه من المال لتقتضاه ^(١) . والقرض هنا : ما سلف من إحسان أو إساءة . قال أمية بن أبي الصلت :

لا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتٍ بِطَيِّبَةٍ وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأَنْجُ عَرِيَانَا ^(٢)
كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى قَرْضَهُ حَسَنًا
أَوْ سَيِّئًا وَمَدِينَا كَالَّذِي دَانَا

وزعم العيني أن قرضاً هنا مفعول مطلق . وقال الزجاج عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ^(٣) : معنى القرض في اللغة : البلاء السيئ والبلاء الحسن . العرب تقول : لك عندى قرضٌ حسنٌ وقرضٌ سيئٌ . وأصل القرض ما يُعطيه الرجل ليجازى عليه . وأنشد بيت لبيد وبيت أمية .

وقوله : (فاجزه) أمرٌ من الجزاء . قال صاحب المصباح : جزى يجزى مثل قضى يقضى وزناً ومعنى . وفي الدعاء : جزاه الله خيراً ، أى قضاة له وأثابه عليه ، وجزيت الدين : قضيته . وروى :

* فإذا جوزيت قرضاً فاجزه *

قال العيني : هما بمعنى واحد . وليس كذلك ، لأن الجزاء لا يكون إلا بعد الإقراض ، لا على الجزاء .

وقوله (إنما يجزى الفتى) إلخ بالبناء للمعلوم ، والفتى فاعله . وزعم

(١) ط : « لتقتضاه » ، صوابه في ش .

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ٦٣ .

(٣) الآية ٢٤٥ من البقرة ، وكذلك الآية ١١ من سورة الحديد .

العيني أنه بالبناء للمجهول ، والفتى نائب الفاعل . وكأنه لم يتصور
 المعنى . ومعناه أن الذى يَجْزِي بما يُعامل به من حَسَنٍ أو قَبِيحٍ هو الإنسان
 لا البهيمة . قال الزمخشري (فى المستقصى) وقيل : الفتى السيد اللبيب .
 والعرب تقول للجاهل : يا جمل . أى إِنَّمَا يَجْزِي اللبيبُ مِنَ الناسِ
 لا الجاهلُ . يُضْرَبُ فى الحثِّ على مجازاة الخير والشر . انتهى .

وعلى هذا فيكون للجمل هنا موقع ، لا أنه جاء للقافية فقط كما
 زعم الطوسى .

والجمل كنيته عند العرب أبو أيوب . قال ابن الأثير (فى المصنع)
 كُنِيَ الجملُ به لصبره على المَسِيرِ والأحمالِ ، تشبيهاً بصبر أيوب
 عليه السلام ^(١) .

وإلى هذا لَمَحَّ على بن العباس ، الشهير بابن الرومى ، فى شعر لبيدٍ وقد
 ضمَّنه فى شعره هاجياً به وزير المعتضد ، أبا أيوب سليمان بن عبد الله فقال :

يا أبا أيوب هذى كنيةً	من كنى الأنعامِ قديماً لم تزل
ولقد وفق من كناكها	وأصاب الحقَّ فيها وعدل
أنت شبه للذى تُكنى به	وليبعض الخلقِ من بعضٍ مثل ^(٢)
لست ألك على ما سُمّنى	من قبيح الرَّدِّ أو منع النفل ^(٣)
قد قضى قولٌ لبيدٍ بيننا	إنما يَجْزِي الفتى ليسَ الجملُ

(١) إلى هنا ينتهى النص فى المصنع لابن الأثير ٥٧ . وفيه : « لشبه بصبر أيوب عليه السلام » .

(٢) ط : « من بعض بطل » صوابه فى ش وديوان ابن الرومى ١٩٠٢ .

(٣) النفل ، بالتحريك : العطية والهبة ، ومثله النافلة والنوفل . كما أن النوفل الكثير المطاء .

كم حَدَوْنَاكَ لَتَرُقِي فِي الْعِلَا وَأَبِي اللَّهِ ، فَلَا تَعْلُ هُبْلُ^(١)

ولم أر ذكر أَيُّوبَ واشتقاقه في كتب اللغة المدونة ، كالقاموس ،
والعباب ، والصُّحاح مع كثرة دورانه في الألسنة ، ولا في مفردات
القرآن مع أنه مذكور فيه .

وفي المعربات للجواليقي : قال أبو علي : وقياس همزة أَيُّوب أن
تكون أصلاً غير زائدة ، لأنه لا يخلو أن يكون فيعولا أو فعولوا . فإن
جعلته فيعولا كان قياسه لو كان عربياً أن يكون من الأوب مثل قيوم ،
ويمكن أن يكون فعولاً مثل سفود وكلوب ، وإن لم يعلم في الأمثلة هذا ،
لأنه لا يُنكر أن يجيء العجمي على مثال^(٢) لا يكون في العربي . ولا يكون
من الأوب وقد قلبت الواو فيه إلى الياء ، لأن من يقول صِيم في صوم لا يقرب
إذا تباعدت من الطرف ، فلا يقول إلا صُوماً . وكذلك هذه العين إذا
تباعدت من الطرف وحجز الواو بينه وبين الآخر لم يجز فيه القلب^(٣) .
انتهى .

فأجاز أن يكون من مادة (أوب) ومن مادة (أيب) ، والمادتان
مذكورتان في القاموس ، وفي غيره الأولى فقط .

(١) إشارة إلى ما كان من قول أبي سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد : « اعل هبل » ،
أي اعل يا هبل دينك ، وقال السهيلي : « معناه زد علواً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الله اعل وأجل » . انظر الحديث رقم ٥٥٢ من الألف المختارة ، والروض الأنف ٢ : ١٤٣
والسيرة ٥٨٢ جوتنجن .

(٢) ط : « على لسان » ، صوابه في ش والمغرب للجواليقي ١٥ .

(٣) في النسختين : « إلا القلب » ، وهو عكس المراد ، صوابه من المغرب ١٥ ، وإن
كان في بعض أصوله « إلا القلب » بزيادة « إلا » . وقد تنبه إلى هذا الخطأ الذي نهبت عليه مصحح
نسخة بولاق من الخزانة .

وقوله : « أَعْمِلِ الْعَيْسَ » إلخ أَعْمِلُ : أمرٌ من الإعمال ، وهو الإشغال .
والعيس : الإبل البيض . وروى « العنس » بالنون ، وهى الناقة الشديدة .
والعلاآت ، بالكسر : الحالات ، جمع عِلَّة بمعنى الحالة .

وقوله : « وَإِذَا رُمْتَ رَجِيلاً » إلخ توصيم فاعل يأمر ، والمفعول محذوف
أى يأمره . والتوصيم ، بالصاد المهملة ، هو فى الجسد كالتكسير والفترة ؛
ووصمته الحمى بالتشديد ، إذا أحدثت فيه فترة وتكسيراً . وهو من الوصم ،
وهو الصدع فى العود من غير بينونة . والوصم أيضاً : العيب والعار .

٧٢ وقوله : « وَأَكْذِبِ النَّفْسَ » إلخ ، اكذب فعل أمر ، والنفس مفعوله ،
وحدثتها بالبناء للفاعل . قال الزمخشري (فى المستقصى) : هذا المصراع
مثلٌ يضرب فى الحث على الجسارة ؛ أى حدثها بالظفر وبلوغ الأمل
إذا هممت بأمر ، لتنشطها للإقدام ؛ ولا تناغها^(١) بالخيبة فتثبطها .
انتهى .

وقوله : « إِنَّ صِدْقَ » إلخ ، يعنى إذا حدثت نفسك بالموت لم تُعمر
شيئاً ولم تؤثّل مالاً ، وفسد عليك عيشك ، فأزرى ذلك بأملك . والإزراء
بتقديم المعجمة على المهملة : النقص . قال بعضهم :

وَإِذَا صَدَقْتَ النَّفْسَ لَمْ تَتْرِكْهَا أَمْلاً وَيَأْمُلُ مَا اشْتَهَى الْمَكْذُوبُ

وأورد هذا البيت صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وَنَعْلَمُ
مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾^(٢) على أَنَّ ما مصدرية ، فإنه يقال : حدثت نفسه
بكذا ، كما يقولون حدثته به نفسه^(٣) .

(١) المناغاة : المحادثة ، ومنه مناغاة الصبي . وفى النسختين هنا : « ولا تنازعها » ،

صوابه من المستقصى ١ : ٢٨٩ .

(٢) الآية ١٦ من سورة ق .

(٣) ش : « فإنه يقال حدثت به نفسه » فقط .

وقوله «غير أن لا تكذبنها» ، هو استثناء من قوله أكذب النفس .
واخزها بالمعجمتين : أمرٌ من خزاه يخزوه خزواً ، إذا ساسه وقهره . والباء
متعلقة به ، والله متعلق بالبر . والأجلُّ : أفعال تفضيل .

وترجمة لبيد تقدّمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد السبعمئة (٢) :

٧٤٥ (لم يكُ الحقُّ على أن هاجه رَسْمُ دارٍ قد تَعَفَى بالسَّرَرِ)

على أن حذف نون (يكن) المجزوم الملاقى للسّاكن ، جائزٌ عند يونس .
وقال السيرافي : هذا شاذٌ .

والبيت أنشده أبو زيد (في نوادره) مع بيت آخر بعده ، وهو :

(غَيْرَ الجِدَّةِ من عِرْفَانِهِ خِرْقُ الرِّيحِ وطُوفانِ المَطَرِ)

وقال بعدهما : لا أعرف بيتاً حُدفت منه النون من يكن مع الألف
واللام غير هذا البيت . وهذا الحصر غير صحيح ، فقد سُمِع في غيره ،
قال ابن صخرٍ الأَسدي (٣) :

فإن لَاتِكُ المِراةُ أَبَدَتْ وَسَامَةً فقد أَبَدَتْ المِراةُ جِبْهَةَ ضَيْغِمِ

قال ابن السَّرّاج (في الأصول) : قالوا : لم يكن الرَّجُلُ ، لأنَّ
هذا موضعٌ تحرَّك فيه النون ، والنون إذا وليها الألف واللام للتعريف

(١) الخزانة ٢ : ٢٠٤٦ .

(٢) نوادر أبي زيد ٧٧ والخصائص ١ : ٩٠ والمنصف ٢ : ٢٢٨ والمجع ١ : ١٢٢ .

(٣) اسمه الخنجر بن صخر الأَسدي . وانظر تخرّج هذا الشاهد في معجم الشواهد .

لم تحذف إلا أن يُضطرَّ إليه شاعر ، فيجوز ذلك على قُبْحِ واضطرار .
وأنشد هذين البيتين .

وكذلك ذهب إلى أنه ضرورة أبو علي (في كتاب الشعر) ، وابنُ
عصفور (في الضرائر) .

وقال ابن جنى (في سر الصناعة) : أنشد قطربُ وقرأناه على بعض
أصحابنا يرفعه إليه :

* لم يك الحق سوى أن هاجه * البيت

أى لم يكن الحق . وكان حكمه إذا وقعت النون موقعاً تحرك فيه
فتقوى بالحركة أن لا يحذفها ، لأنها بحركتها قد فارقت شبه حروف
اللين ، إذ كن لا يكن إلا سواكن . وحذف النون من يكن أقبح من
حذف التنوين ونون التثنية والجمع ، لأن النون في يكن أصل ، وهى
لام الفعل ، والتنوين والنون زائدتان^(١) ، فالحذف فيهما أسهل منه في
لام الفعل . وحذف النون من يكن أيضاً أقبح من حذف نون من
في قوله :

* غير الذى قد يُقال م الكذب^(٢) *

٧٣ أى من الكذب ، لأن يكن أصله يكون ، حُذِفَتْ منه الواو لالتقاء
الساكنين ، فإذا حذفت منه النون أيضاً لالتقاء الساكنين أجمعت به
لتوالى الحذفين ، لا سيما من وجه واحد عليه . هذا قول أصحابنا في

(١) هذا الصواب من ش . وفي ط : « الزائدتان » .

(٢) صدره في اللسان (ألك) ، والخصائص ١ : ٣١١ / ٣ : ٢٧٥ :

* أبلغ أبا دختنوس مالكة *

هذا البيت . وأرى أنا شيئاً آخر غير ذلك ، وهو أن يكون جاءً بالحق بعد ما حذف النون من يكن ، فصار يك ، مثل قوله : ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ^(١) ﴾ فلماً قدره يك ، جاء بالحق بعد ما جاز الحذف في النون وهي ساكنة تخفيفاً ، فبقي محذوفاً بحاله ، فقال : لم يك الحق . ولو كان قدره يكن ثم جاء بالحق لوجب أن يكسِر زرنه لالتقاء الساكنين .

هذا كلامه ، ولا يخفى أن تعليله يقتضى قياس هذا الحذف . وهذا الذى ادّعاه لنفسه هو لشيخه أبى على (فى المسائل العسكريّة) قال فى آخرها ، بعد إنشاد البيت : إن قلت فيه إن الجزم لحقه قبل لحاق الساكن واجتماعه معه ، فكان الساكن الثانى قد مضى فى الحرف . ونظير هذا إنشاد من أنشد :

* فغضَّ الطرفَ إنَّك من نُميرٍ ^(٢) *

حرَّكَ الساكن الأوَّل فلحقَ الساكن الثانى وقد مضى الحذف ^(٣) بالفتح للساكن الأوَّل ، فكذلك لحق الساكن وقد مضى الحذف فى الحرف . وإن شئت قلت إن الحركة هنا كانت لالتقاء الساكنين لم يعتدَّ بها ، وكان الحرف فى نيّة سكون ، فكما كان يحذفها ساكنة كذلك يحذفها إذا كانت فى نيّة السكون . انتهى كلامه .

وقوله : (على أن حاجه) ظرف مستقرٌّ فى موضع الخبر لكان . و (الحق) يطلق على معانٍ منها وهو المراد هنا : الموجود بحسب مقتضى

(١) الآية ٩ من سورة مريم .

(٢) لجرير فى ديوانه ٧٥ . وانظر معجم الشواهد . وعجزه :

* فلا كعباً بلغت ولا كلاباً *

(٣) فى النسختين : « الحرف » ، وانظر ما سياتى .

الحكمة ، أى ليس بلائقٍ بالعاشق أن يَهيج حزنه الرسمُ الدائر . وهاج هنا متعدُّ بمعنى أثار . والهاءُ مفعولٌ مقدَّم ضمير العاشقِ في بيتِ قبله ، وهو على حذفٍ مضافٍ أى هاج حُزنه ووجده . ورسمُ فاعلٌ هاج ، وهو أثر الدار ، وجملة (قد تعفَى) في موضع الصِّفة لرسم . وتعفَى : مبالغةٌ عفاً الرسمُ ، أى دثرَ ودرس . وقوله : (بالسَّر) ظرفٌ مستقرٌّ في موضع الصِّفة لدار ، فقد وصف المضاف والمضاف إليه . والسَّر هنا ضبطه أبو حاتم بفتح السين والراء المهملتين^(١) وقد يكسر الأوَّل^(٢) ؛ وكلُّ منهما اسم موضع . قال ياقوت (في معجم البلدان) : قال نصر : السَّر بالتحريك : وادٍ يدفع من اليمامة إلى أرضِ حضرموت . والسَّر بكسر أوله ، قال السُّكْرى في قول أبي ذؤيب :

بأية ما وقفتُ والركا ب بين الحجون وبين السَّر^(٣) :

هو موضعٌ على أربعة أميال من مكة حرسها الله تعالى ، عن يمين الجبل بطريق منى . وكان عبد الصَّمَد بن علي اتَّخذ عنده مسجداً كان به شجرةٌ ، ذُكر أنه سُرَّ تحتها سبعون نبياً ، أى قطعت سُرُّهم . انتهى .

وكذا قال ياقوت ناقلاً عن الأزهرى : عن ابن عمر أنه سُرَّ تحتها سبعون نبياً ، سمى سُرراً لذلك .

ثم قال ياقوت : وروى المغاربة : «السَّر» : وادٍ على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل ، قالوا : هو بضم السين وفتح الراء الأولى ، قالوا :

(١) انظر النوادر ٧٧ .

(٢) ط : « وقيده بكسر الأوَّل » ، صوابه في ش .

(٣) شرح السُّكْرى ١١٣

كذا رواه المحدثون بلا خلاف . قال الرياشي : المحدثون يضمُّونه ، وهو إنما هو السَّرْر بالفتح . وهذا الوادى هو الذى سرُّ فيه سبعون نبياً ، أى قطعت سرُّهم بالكسر . وهو الأصحَّ . انتهى .

وروى : « ودَثِر » بدل قوله « بالسرر » أى دَرَس ولم يبق منه شيء . وعلى هذا يكون معطوفاً على تعفَى ، فيكون صفةً لرسم أيضاً .

وقوله : « غَيَّر الجِدَّة » إلخ هذه الجملة صفةً لرسم أيضاً . والجِدَّة بكسر الجيم : مصدر جدَّ الشيءُ يعجد بالكسر جِدَّة ، هو خلاف القديم . والعِرْفان بالكسر : مصدر عرَّفته عِرْفَةً بالكسر وعِرْفَاناً ، إذا علمته بحاسةٍ من الحواسِّ الخمس ، فهو مصدر مضاف لمفعوله ، والهَاءُ ضمير الرسم ، وفاعله محذوف . وخِرَّقَ فاعل غَيَّرَ ، وهو بكسر الحاء المعجمة وفتح الراء المهملة ، أى القِطْع من الرِّيح ، جمع خِرْقَة . وروى الأصمعي : « خُرُق » بضمّتين جمع خَرِيق ، وهى الرِّيح التى تتخرَّق فى الجبال وغيرها . و « طُوفان المطر » : كثرته . كذا قال أبو حاتم فيما كتبه على النوادر . يقول : غَيَّرت كثرةُ الرِّيحِ والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم .

٧٤

والبيتان نسبهما أبو زيد لحُسَيْل بن عرفطة قال : وهو شاعر جاهلى . وحُسَيْل : مصغر حَسَل ، بكسر الحاء وسكون السين المهملة بعدهما لام ، وهو ولد الصَّبِّ . قال أبو العباس^(١) : هو حَسَيْل بفتح الحاء وكسر السين . وقال أبو حاتم : وحُسَيْن : مصغر حسن بالنون . وغلَّطه الأَخْفَش فيه . والله أعلم .

حسبل بن
عرفطة

(١) أبو العباس هذا هو محمد بن يزيد الأزدي المبرد ، شيخ أبي الحسن على بن سليمان الأَخْفَش .

أفعال المقاربة

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد السبعائة^(١) :

٧٤٦ (إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الْهَوَىٰ مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ)

على أَنَّ بعضهم قال : إِنَّ النفي إذا دخل على (كاد) تكون في الماضي للإثبات ، وفي المستقبل كالأفعال ، مستمسكاً بالآية وهذا البيت .

وهذا الفصل في (كاد) هنا هو بعينه عبارة اللباب بتغيير كلمه . قال (صاحب اللباب) : وإذا دخل النفي على كاد فهو كسائر الأفعال على الصحيح ، وقيل يكون للإثبات ، وقيل يكون في الماضي دون المستقبل ، تمسكاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ^(٢) ﴾ ، ويقول ذي الرمة :

* إِذَا غَيَّرَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ * إلخ

والجواب أنه لنفي مقاربة الذبح ، وحصول الذبح بعد لا ينافيها ، ولم يؤخذ من لفظ : وما كادوا ، بل من لفظ : فذبحوها . انتهى .

قال شارحه الفالي : قوله : « وإذا دخل النفي » إلخ معناه نفي ما دخل عليه ، إدراجاً له في الأمر العام المعلوم من اللغة ، وهو أنه إذا دخل النفي على فعلٍ أفاد نفي مضمونه . وقيل يكون للإثبات ، أي لإثبات الفعل الذي دخل عليه كاد في الماضي وفي المستقبل . أمّا في الماضي ، فلقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ^(٢) ﴾ ، والمراد أنهم قد فعلوا الذبح . وأمّا في المضارع فلأنَّ الشعراءَ خَطُّوا ذا الرمة في قوله :

(١) الموشح ٢٨٣ ودلائل الإيجاز ١٨٩ ، ١٩٠ وابن يعيش ٧ : ١٢٤ ، ١٢٥ والتسميل ٨٠ والمعنى ٣ : ٣٧٨ والأشعري ١ : ٢٦٨ وديوان ذي الرمة ٨٦ .
(٢) الآية ٧١ من سورة البقرة .

. لم يكذب رسيس الهوى من حُبِّ مئة يبرح

وهو أنه يؤدّي إلى أنَّ المعنى إنَّ رسيس الهوى يبرح ويَزُول وإنَّ كان بعدَ طولِ عهد . فلولا أَنَّهُمْ فَهَمُوا في اللغة أَنَّ النفي إذا دَخَلَ على المضارع من كاد أفاد إثباتَ الفعل الواقعِ بعده لم يكنْ لتخطئتهم وجه . وقيل : يكون في الماضي للإثبات دون المستقبل ، تمسُّكا بقوله تعالى : ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ إذ المعنى قد فعلوا كما ذكرنا . ويقول ذى الرمة : « إذا غيَّر الهجر » البيت ، إذ المعنى : وما برح حبُّها من قلبي . فهذا القائل تمسَّك بقول ذى الرمة ، والقائل الأول تمسَّك بتخطئة الشعراء ذَا الرمة . والجواب أَنَّهُ لنفي مُقَارَبَةِ الذَّبْح ، وحصولُ الذَّبْح بعدُ ، أى بعد أن نَفَى مقاربةَ الذبح ، لا يُنافيها . ولم يؤخذ من لفظ : كادوا ، بل من لفظ : فذبحوها .

٧٥

وهذا جوابٌ عن القولين المذكورين ، فإنَّ^(١) لا نسلَمُ أنَّ النَّفى الداخِل على كاد يفيد الإثبات لا في الماضي ولا في المستقبل ، بل هو باقٍ على وضعه^(٢) ، وهو نفي المقاربة . وليس ما تمسَّكوا به بشئٍ ؛ أمَّا في الآية فهو أنَّ معناه أنَّ بنى إسرائيل ما قاربوا أن يفعلوا للإطناب في السُّؤالات ، ولِمَا سَبَقَ في قولهم : ﴿ اتَّخَذْنَا هُزُؤًا^(٣) ﴾ وهذا التعذُّت دليلٌ على أَنَّهُمْ كانوا لا يُقَارِبُونَ فعله فضلًا عن نَفْسِ الفعل . ونَفَى المقاربة قد يترتَّب عليه الفعل وقد لا يترتَّب ، وهو قوله : « وحصولُ الذَّبْح بعدُ لا ينافيها » . وأمَّا إثباتُ الذَّبْح فَمَا خُوذُ مِنَ الْخَارِجِ ، وهو قوله : ﴿ فذبحوها ﴾

(١) ط : « بأنا » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « وصفه » .

(٣) الآية ٦٧ من سورة البقرة .

وأما البيت فكذلك معناه ، أن حبَّها لم يقارب أن يزولَ فضلاً عن أن يزول . وهو مبالغةٌ في نفي الزوال ؛ فإنَّك إذا قلت : ما كاد زيدٌ يسافر فمعناه أبلغُ من : ما يسافر زيد ، أى لم يسافر ، ولم يقرب من أن يسافرَ أيضاً . فالبيت مستقيمٌ ، ولا وجهَ لتخطئة الشعراءِ إياه . انتهى .

وقد بيَّنَ الشارحُ المحقِّقُ فسادَ هذين القولين في آخر الباب . وقوله كغيره : « إنَّ الشعراءَ خطَّئوا ذا الرِّمَّةَ » المخطئُ إنما هو عبد الله بن شبرمة .

قال المرزُباني (في الموشح) : : حدَّثني أحمد بن محمد الجوهريُّ ، وأحمد بن إبراهيم الجمالُ ، قالا : حدثنا الحسن بن عَلِيلِ العَنزِي قال : حدَّثنا يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة بن حبيب بن أبي صُفْرَةَ قال : حدثنا عبد الصَّمَدِ [بن ^(١)] المعدَّل عن أبيه ، عن جدِّه غيلان بن الحكم ، قال :

قَدِمَ عَلَيْنَا ذُو الرِّمَّةِ الكَوْفَةَ فوَقَفَ عَلَي راحلته بِالْكِناسَةِ يَنشُدنا
قصيدته الحائِيةُ ، فلَمَّا بَلَغَ إلى هذا البيت :

إِذا غَيَّرَ النِّسائُ المَحْبِيبِ . . . إلخ

فقال له ^(٢) ابن شبرمة : ياذا الرِّمَّةَ ، أراه قد بَرِحَ . ففكَّرَ ساعة

ثم قال :

إِذا غَيَّرَ النِّسائُ المَحْبِيبِ لَمْ أَجِدْ ^(٣) رَسيسَ الهوى إلخ

قال : فرجعتُ إلى أبي الحكم بن البَخْتَرِيِّ بن المختار ، فأخبرته

(١) التكلة من ش والموشح .

(٢) وكذا في الموشح : « فقال له » بزيادة الفاء .

(٣) الكلام بعده إلى « لم أجد » في الصفحة التالية بالسطر ٩ ساقط من ش .

الخبر فقال : أَخْطَأَ ابْنُ شُبْرَمَةَ حَيْثُ أَنْكَرَ عَلَيْهِ ، وَأَخْطَأَ ذُو الرِّمَّةِ حَيْثُ رَجَعَ إِلَى قَوْلِهِ . إِنَّمَا هَذَا كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذُ بِرَاهَا ﴾ ، أَيْ لَمْ يَرَاهَا وَلَمْ يَكْذُ . انْتَهَى .

وقال السيد المرتضى (في أماليه) : روى عبدُ الصمد بن المعدَّل عن غَيْلَانَ عن أَبِيهِ عن جَدِّهِ غَيْلَانَ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا ذُو الرِّمَّةِ الكَوْفَةَ فَأَنْشَدَنَا بِالْكُنَاسَةِ ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، قَصِيدَتَهُ الحَائِثِيَّةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ المَحْبِينَ إلخ

فقال له عبد الله بن شبرمة : قد بَرِحَ يا ذَا الرِّمَّةِ . فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ :

* إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ المَحْبِينَ لَمْ أَجِدْهُ ^(١) * إلخ

قال : فَأَخْبَرْتُ أَبِي بِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ وَاِعْتِرَاضِ ابْنِ شُبْرَمَةَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَخْطَأَ ذُو الرِّمَّةِ فِي رَجوعِهِ عَنْ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ ، وَأَخْطَأَ ابْنُ شُبْرَمَةَ فِي اعْتِرَاضِهِ عَلَيْهِ . وَهَذَا كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذُ بِرَاهَا ^(٢) ﴾ . انْتَهَى .

وهذا البيت من قصيدة لذي الرِّمَّةِ مطلعها :

صاحب الشاهد

(أَمَنْزَلَتْنِي مِثِّي سَلَامٌ عَلَيْكَا عَلَى النَّأْيِ وَالنَّائِي يَوَدُّ وَيَنْصَحُ)

وبعده :

(فَلَا القُرْبُ يُبْدِي مِنْ هَوَاهَا مَلَالَةً وَلَا حُبُّهَا إِنْ تَنَزَّحَ الدَّارُ يَنْزَحُ ^(٣))

(١) هنا ينتهي السقط الذي نهت عليه في الصفحة السابقة .

(٢) الآية ٤٠ من سورة النور .

(٣) ط : « من هواها ملامة » ، صوابه في ش والديوان ٧٨ ومجموعة المعاني ٢١ . وفي

الديوان أيضاً : « يدني » موضع « يدي » .

أَتَقْرَحُ أَكْبَادُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ كما كبدى من ذكر مية تَقْرَحُ^(١)
 وقوله : « إذا غيَّر النَّأى » إلخ ، النَّأى فاعل غيَّر ، ومعناه البُعْد .
 و (رسيس الهوى) : مَسَّهُ . و (يبرح) : يزول ، وهو فعل تامٌ لازم .
 و (مية) : اسم معشوقته . يقول : إنَّ العِشاقَ إذا بُعدوا عَمَّنْ يحبُّونَ دَبَّ
 السُّلُوْءُ إليهم ، و زالَ عنهم ما كانوا يُقاسون ، وأَمَّا أنا فلم يقربُ زوال
 حبِّها عَنِّي ، فكيف يمكن أن يزول .

٧٦

وزاد على هذا المعنى قوله فى هذه القصيدة :

(أرى الحُبَّ بالهجرانِ يُمَحِّى فينمحي وحبُّك مياً يَسْتَجِدُّ ويربِّحُ^(٢))
 أى يزيد الحبُّ كما يزيد الرِّبْح .

وقوله : « فلا القربُ يُبدى » إلخ نزحت الدار : بَعُدت . يقول :
 حبُّها إن بَعُدتِ الدار لم يتغيَّر ، هو لازمٌ ثابت .
 وقوله : « أَتَقْرَحُ » القَرَح : الجُرْح .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت فى الشاهد الثامن من أول الكتاب^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد السبعائة^(٤) :

٧٤٧ ظننى بهم كعسى وهمُ بتَنوْفَةٍ يتنازعون جوائزَ الأمثالِ

على أن أبا عبيدة قال : إنَّ (عسى) تَأْتى بمعنى اليقين كما فى البيت .

(١) هذا البيت لم يرد فى الديوان ، ونقله كارليل هنرى عن الخزانة فى حواشى الديوان ،
 لكنه فى نسخة عبد القدوس مثبت عن بعض النسخ .

(٢) فى الديوان ٧٩ : « فيمتحى » ، وفى نسخة عبد القدوس : « فيمحي » .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٤) ابن يعيش ٧ : ١٢٠ والأضداد للأصمى ٣٥ وابن السكيت ١٨٨ والسجستاني ٩ وابن

نبارى ١٨ ، واللسان (جوز ، عسى) ، وديوان ابن مقبل ٢٦١ .

ونقله عنه عبد الواحد أبو الطَّيِّب اللغوي (في كتاب الأضداد)
قال فيه : قال أبو حاتم وقطرب : عسى تكون شكاً مرّةً وبقيناً أخرى ،
كما قال تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم ۗ ﴾^(١) وعسى في القرآن واجبةٌ .
قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي واجبةٌ من الله . وكل ما في القرآن
من ذلك فهو واجبٌ من الله . قال أبو عبيدة : ومنه قول ابن مقبل :
« ظنّي بهم كعسى » ، البيت ، أي ظنّي بهم كيقين . انتهى .

واعترض عليه الشارح المحقق بأنّه لا يعرف عسى في غير كلام
الله لليقين ، ويجوز أن يكون معنى ظنّي بهم كعسى ، أي رجاءٌ مع طمع .
ويؤيدُ توقُّفه ما ذهب إليه ابن السكّيت (في كتاب الأضداد) قال
فيه : الظنُّ يقين ، والظنُّ شك ؛ ومن اليقين قولُ ابن مقبل :
ظنُّ بهم كعسى وهم بتنوفةٍ يتنازعون جوائزَ الأمثال^(٢)
ويروى : « جوائِب » أي تجوب البلاد . يقول : اليقينُ منهم
كعسى ، وعسى شك . انتهى .

فجعل اليقين للظنِّ^(٣) وعسى للشك على أصلها . والرواية عنده :
« ظنُّ بهم كعسى » ، بتنوين ظنٍّ من غير إضافةٍ إلى الياء . والباء متعلقة
بمحذوف على أنّه صفة لظنٍّ ، وهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أو خبره
محذوف ، أي للناس ظنُّ بهم ، فالباء متعلقة بظنٍّ ، والكاف اسمُ

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .

(٢) ش : « ظنّي بهم » ، صواب النص في ط وأضداد ابن السكّيت . على أنه يروى أيضاً :
« ظنونا بهم » كما عند الأحمى ، و « عهدي بهم » كما في الجبهة ١ : ٢٣٣ .

(٣) ط : « معنى الظن » ، وأثبت ما في ش .

صفةً لظنٍّ ، وجملة وهم بتنوفة حاليَّة ، وجملة يتنازعون حالٌ من ضمير الظرف المستقرِّ . والتنوفة : الفلاة . ويتنازعون : يتجادبون . وجوائز الأمثال ، أى الأمثال السائرة فى البلاد . ومعناه « جوائز الأمثال » من جاب الوادى أو المكانَ يَجُوبُه جَوْبًا ، إذا سلكه وقطعه . وأمَّا على رواية « ظنى » بالإضافة فهو مبتدأٌ وخبره كعسى ، أى يقينى بهم كشكٌ فى حالِ كونهم فى الفلاة ، إذ لَسْتُ أعلمُ الغيب . يريدُ أنَّه لا يقينَ له بهم . وهذه الرواية فسَّرَ أبو حاتمِ الظنَّ فى البيت باليقين ، نقله عنه عبد الواحد المذكور ، قال (فى كتابه الأضداد) : قال أبو حاتم : وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾^(١) فَأَظَنَّهُ يَسْتَيْقِنُ . قال الشاعر فى الظنِّ بمعنى اليقين : « ظنُّى بهم كعسى » . . . البيت . والجوائز : التى تجوز البلادَ ، أى تقطعها . يقول : يقينى بهم كعسى . انتهى .

ولم أقف على تنمة هذا البيت ، وهو لابن مقبل^(٢) ، وهو شاعر إسلاميٌّ صاحب الشاهد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثلاثين^(٣) .

ثم رأيت (فى كتاب الأضداد لأبى بكرٍ محمد بن القاسم بن بشر الأنبارى) قال : عسى لها معنيان متضادَّان : أحدهما الشكُّ والطَّمَعُ ، والآخِرُ اليقين . قال تعالى : ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾^(٤) معناه ويقينٌ أن ذلك يكون . وقال بعض المفسرين : عسى فى جميع

(١) الآية ٢٨ من سورة القيامة .

(٢) ط : « لابن أبى مقبل » ، صواب هذه : « لابن أبى بن مقبل » و « أبى » فيه هيئة التصغير . وأثبت ما فى ش فهو المعروف المتداول . وتصح رواية ط بإضافة « ابن » قبل « مقبل » . والبيت من قصيدة طويلة له فى ديوانه ٢٥٥ - ٢٦٤ .

(٣) الخزانة ١ : ٢٣١ .

(٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

كتاب الله واجبة . وقال غيره : عسى في القرآن واجبة إلا في موضعين في سورة بنى إسرائيل : ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾^(١) يعني بنى النضير ، فما رحمهم ربهم بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوقع العقوبة بهم . وفي سورة التحريم : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً ﴾^(٢) فما أبدله الله بهن أزواجاً ولا بين منه^(٣) . وقال تميم بن أبي [بن]^(٤) مقبل في كون عسى إيجاباً :

ظنُّ بهم كعسى وهم بتنوفةٍ يتنازعون جوائزَ الأمثال
أراد : ظنُّ بهم كيقين . ويروى : «سائر الأمثال»^(٥) . ويروى : «جوائز
الأمثال» . وأنشدنا أبو العباس :

* عسى الكرب الذى أمسيت فيه * البيت

فعسى في هذا الباب على معنى الشك . انتهى كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد السبعمائة^(٦) :

٧٤٨ (لا تلحنى إننى عسيتُ صائماً)

على أن المتأخرين استدلوا بهذا ، وبالمثل ، وهو : «عسى الغوير أبؤساً»
بوقوع المفرد منصوباً بعد مرفوع ، على أن أن والفعل في قولهم : عسى

(١) الآية ٨ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٥ من سورة التحريم .

(٣) من البيئونة ، والمراد الطلاق .

(٤) التكلية من ش . والذي في أزداد ابن الأنبارى : «تميم بن أبي» فقط . وانظر ما سبق

قريباً في الحواشى .

(٥) ط : «سائر الأمثال» ، صوابه في ش وأزداد ابن الأنبارى .

(٦) الخصائص ١ : ٩٨ وابن الشجرى ١ : ١٦٤ وابن يمش ٧ : ١٤ ، ١٢٢

والمقرب ١ : ١٠٠ والمغنى ١٥٢ والهمع ١ : ١٣٠ والمزهر ١ : ٢٢٨ والأشونى ١ : ٢٥٩

وملحقات ديوان روبة ١٨٥ .

زيد أن يفعل ، في موضع نصب على أنه خبرٌ لعسى ، وهي تعمل عمل كان .
قال ابن هشام (في شرح أبيات الناظم) : طعن في هذا البيت
عبد الواحد الطَّراح^(١) (في كتابه بغية الآمل ، ومُنية السائل) فقال :
هو بيتٌ مجهولٌ ولم ينسبه الشُّراح إلى أحدٍ : فسقط الاحتجاج به .
ولو صحَّ ما قاله لسقط الاحتجاجُ بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه ،
فإنَّ فيه ألفَ بيتٍ قد عُرف قائلوها ، وخمسين بيتاً مجهولة القائلين .
انتهى .

أقول : الشاهد الذي جهل قائله إن أنشده ثقة كسيبويه وابن السَّراج
والمبرد ونحوهم فهو مقبولٌ يعتمد عليه ، ولا يضرُّ جهلُ قائله ، فإنَّ
الثقة لو لم يعلم أنه من شعرٍ من يصحُّ الاستدلال بكلامه لَمَا أنشده .
ومرادُ عبد الواحد أنه لم ينسبه الشُّراح إلى أحدٍ من أنشده من الثقات
أو إلى قائلٍ معيَّن يُحتجُّ بكلامه .

ثم قال ابن هشام : وقد حرَّف ابن الشجريُّ هذا الرجزَ فأنشده :

قُمْ قائماً قم قائماً
إني عسيتُ صائماً

وإنما قُمْ صدرٌ رَجَزٌ آخرٌ يأتي في باب الحال ، ولا يتركَّب قوله
إني عسيتُ صائماً ، عليه ؛ بل أصلُه :

أكثرتَ في العَدْلِ مُلحاً دائماً لا تُكثِرُنْ إني عَسَيْتُ صائماً

فإنَّ معناه : أيُّها العاذلُ الملحُّ في عَدْلِهِ ، إنَّه لا يمكنُ مقابلةَ كلامِكَ
بما يناسبُه من السَّبِّ ، فإنَّني صائمٌ . وهو مقتبسٌ من الحديث : « فليقلْ

(١) في كشف الظنون : « الطواح » بالواو .

لِئَنِّي صَائِمٌ^(١) .. ويروى « لا تَدْحَنِي » مكان « لا تُكْثِرُنِي » ، وهو بفتح التاء . يقال لحيته ألحاه لحيًا ، إذا لُمته .

والشاهد في قوله صائماً ، فإنه اسم مفرد جيء به خبراً لعسى .

كذا قالوا ، والحقُّ خلافه ، وأن عسى هنا فعل تامٌ خبريٌّ ، لا فعل ناقصٌ إنشائيٌّ . يدلُّك على أنه خبريٌّ وقوعه خبراً لإن ، ولا يجوز بالاتِّفاق : إنَّ زيداً هل قام ، وأنَّ هذا الكلامَ يقبل التصديق والتكذيب . وعلى هذا فالمعنى : إنِّي رجوتُ أن أكونَ صائماً . فصائماً^(٢) خبرٌ لكان ، وأن والفعل مفعولٌ لعسى . وسيبويه يُجيز حذف أن والفعل إذا قويت الدلالة على المحذوف . ألا ترى أنه قدّر في قوله : « مِنْ لَدُ شَوْلَا^(٣) » : من لَدُ أَنْ كَانَتْ شَوْلَا .

ومن وقوع عسى فعلاً خبرياً قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا^(٤) ﴾ ألا ترى أنَّ الاستفهام طلبٌ ، فلا يدخل على الجملة الإنشائية ، وأنَّ المعنى قد طمِعتم أن لا تقاتلوا إنَّ كُتِبَ عليكم القتال .

ومما يحتاج إلى النظر قولُ القائل : عسى زيد أن يقوم ، فإنَّك إنَّ قدَّرت عسى فيه فعلاً إنشائياً كما قاله النحويُّون أشكل ، إذ لا يُسندُ

(١) تمام الحديث : « إذا دعي أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إنِّي صائم » . الجامع الصغير ٦٠٨ . وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، عن أبي هريرة .

(٢) ط : « وصائماً » .

(٣) قطعة من شطر من الرجز في سيبويه ١ : ١٣٤ ، وهو من شواهد الخزانة فيما سبق ١ : ٢٤ ، وهو بتامه :

• من لد شولا فإلى إتلائها •

(٤) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

فعلُ الإنشاءِ إِلَّا إلى مُنشئه وهو المتكلمُ ، كبعثُ واشتريتُ ، وأقسمتُ ، وقبلتُ ، وحررتكُ . وأيضاُ فمن المعلوم أن زيدا لم يترجَّ وإنما المترجى المتكلمُ . وإن قدرته خبراً كما في البيت والآية فليس المعنى على الإخبار ولهذا لا يصحُّ تصديق قائله ولا تكذيبه .

فإن قلتُ : يُخلَص من هذا الإشكال أنهم نصُّوا على أن كان وما أشبهها أفعالٌ جارية مَجرى الأدوات ، فلا يلزم فيها حكمُ سائر الأفعال .

قلتُ : قد اعترفوا مع ذلك بأنَّها مسندةٌ ، إذ لا ينفكُ الفعل المركَّب عن الإسنادِ إِلَّا إن كان زائداً أو مؤكِّداً ، على خلافٍ في هذين أيضاً . وقالوا : إنَّ كان مسندةٌ إلى مضمون الجملة . وقد بيَّنا أنَّ الفعلَ الإنشائيَّ لا يمكنُ إسنادُه لغير المتكلمِ . وإنما الذي يخلَص من الإشكال أن يُدعى أنَّها هنا حرفٌ بمنزلة لعلِّ ، كما قال سيويهِ والسيرافِيُّ بحرفيّتها في نحو عسى ، أي^(١) وعسأك وعسَاه . وقد ذهب أبو بكر وجماعةٌ إلى أنَّها حرفٌ دائماً . وإذا حملناها على الحرفيّة زال الإشكال ، إذ الجملة الإنشائيّة حينئذٍ اسميّةٌ لا فعليةٌ ، كما تقول : لعلَّ زيدا يقوم . فاعرف الحقَّ ودع التقليد ، واستفتِ نفسك وإن أفتاك الناس .

هذا كلام ابن هشام ، وهو خلاف مسلك الشارح المحقِّق .

وقال ابن هشام في شرح المثل : إنَّ عسى للإشفاق ، والغوير : ماءٌ لكلب معروف . قال ابن الكلبي . وهو في الأصل مُصغَرُ غَوْرٍ أو غار . والأبؤس : جمع بُؤس ، وهو الشدَّة . وأصل المثل أنَّ الزبَّاءَ لما قتلتُ جَذيمةً جاء قصيرٌ إلى عمرو بن عدى فقال : ألا تأخذُ ثارَ خالك ؟ فقال :

(١) كلمة « أي » ساقطة من ش .

كيف السَّبِيلُ إلى ذلك . فعَمَدٌ قَصِيرٌ إلى أَنفِهِ فجدَعَهَا ، فقيل : « لأمرٍ ما جدَعٌ قَصِيرٌ أَنفَهُ » وأتى الزبَاءُ وزعم أَنَّهُ فرَّ إليها ، وأنَّهُم آذَوْه بسببها . وأقام في خدمتها مدَّةً يتَّجِرُ لها ، ثم إِنَّه أَبطأَ عنها في السَّفَرِ فسألت عنه ، فقيل : أخذَ في طريقِ الغُوبِرِ ، فقالت : « عسى الغُوبِرُ أبُوسًا » . ثم لم يلبثُ أن جاءَ بالجِمالِ عليها صناديقُ ، في جوفها الرِّجالُ ، فلمَّا دخلوا البلدَ خرجوا من الصَّنَاديقِ ، وانضافَ إليهم الرِّجالُ الموكِّلون بالصَّنَاديقِ فقتلوا في الناس قتلًا ذريعًا ، وقتلوا أهلَ الزبَاءِ ، وأسروها وفقَّسوا عينيها وأتوا بها عمراً فقتلها . وقيل إِنَّها امتصَّت خاتماً كان معها مسموماً . ومعنى المثل : لعلَّ الشرَّ يأتي من قِبَلِ الغُوبِرِ . يُضربُ للرَّجلِ يتوقَّع الشرَّ من جهةٍ بعينها .

٧٩

وجاءَ رجلٌ إلى عمرَ رضى اللهُ عنه يحملُ لقيطاً فقال له عمر : « عسى الغُوبِرُ أبُوسًا » . قال ابنُ الأعرابيِّ : عَرَّضَ به ، أى لعلَّكَ صاحبُ اللَّقِيْطِ . ووهب ابنُ الخبَّازِ في أصلِ المثل فقال : قالته الزبَاءُ حينَ أَلجأها قَصِيرٌ إلى غارها . انتهى .

وفي الصحاح : « قال الأصمعيُّ : أصله أَنَّهُ كان غارٌ فيه ناسٌ ، فانهارَ عليهم ، أو أتاهم فيه عدوٌّ فقتلهم ^(١) ، فصار مثلاً لكلِّ شئٍ يُخافُ أن يأتي منه شرٌّ » .

قلت : وتكونُ الزبَاءُ تكلمت به تمثلاً . وهذا حسنٌ لأنَّ الزبَاءَ فيما زعموا روميَّةٌ ، فكيف يحتجُّ بكلامها ، وقد يقال : وجهُ الحجَّةِ أَنَّ العربَ تمثَّلت به بعدها .

واختلِفَ في ناصبِ أبُوسًا ، فعند سيبويه وأبي علي أَنَّهُ (عَسَى) ،

(١) في الصحاح (غور) : « فقتلهم » .

وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مِرَاجِعَةِ الْأَصُولِ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : (يَصِيرُ) مَحذُوفَةٌ .
 وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ : التَّقْدِيرُ : أَنْ يَكُونَ أَبُوسًا ، كَقَوْلِهِ :

* لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانُ ^(١) *

وَمَنْعَ سَيُوبِهِ أَنْ يَكُونَ إِضْمَارٌ فِيهِ لِأَنَّ فِيهِ إِضْمَارَ الْمُوصُولِ ، وَقَدَّرَ
 إِلَّا صِفَةً . وَقِيلَ التَّقْدِيرُ : يَكُونَ أَبُوسًا ، وَفِيهِ مَجِيءُ الْفِعْلِ بَعْدَ عَسَى
 بِغَيْرِ أَنْ ، وَإِضْمَارُ كَانَ غَيْرِ وَاقِعَةً بَعْدَ أَدَاةِ تَطْلُبِ الْفِعْلِ . وَقِيلَ التَّقْدِيرُ :
 عَسَى الْغُوبِرُ يَأْتِي بِأَبُوسٍ ، وَفِيهِ تَرْكُ أَنْ وَإِسْقَاطُ الْجَارِ تَوْسَعًا . وَلَكِنْ
 يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ الْكَمَيْتِ :

قَالُوا أَسَاءَ بَنُو بَكْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ عَسَى الْغُوبِرُ بِإِبَّاسٍ وَإِغْوَارٍ ^(٢)

وَتَلَخَّصَ أَنَّ أَبُوسًا خَبِرَ لَعَسَى ، أَوْ لَكَانَ ، أَوْ لَصَارَ ، أَوْ مَفْعُولٌ بِهِ .
 وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَقَدَّرَ يَبَّاسٌ أَبُوسًا ، فَيَكُونَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا ،
 وَيَكُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا ^(٣) ﴾ أَي يَمْسَحُ مَسْحًا ، وَقَوْلِ
 أَبِي ذَهَبِلِ الْجَمْحِيِّ :

لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنِنَا وَلَا يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالذَّهْرُ أَعْوَجُ ^(٤)

أَي لَأَوْشَكَ يَفْرُقُ بَيْنِنَا تَفْرِيقًا ، ثُمَّ حُذِفَ الْفِعْلُ وَأُقِيمَ الْمَصْدَرُ
 مَقَامَهُ وَأُضِيفَ إِلَى ظَرْفِهِ .

(١) هُوَ الشَّاهِدُ ٢٤٠ فِي الْخَزَانَةِ ٣ : ٤٢١ . وَصَدْرُهُ :

* وَكُلُّ أَحْ مَفَارِقِهِ أَخُوهُ *

(٢) دِيْوَانُ الْكَمَيْتِ ١ : ١٨٦ وَالْمُسْتَقْصَى ٢ : ١٦١ وَاللِّسَانُ (بِأَسْ ٣٢١ غُورَةُ ٣٤٤) .

(٣) الْآيَةُ ٣٣ مِنْ سُورَةِ ص .

(٤) دِيْوَانُ أَبِي ذَهَبِلِ ٥٥ وَالشُّعْرَاءُ ٦١٧ وَالْأَغَانِي ٦ : ١٥١ . وَفِي الدِّيْوَانِ وَالْأَغَانِي :

« يَفْرُقُ بَيْنِنَا » . وَفِي الدِّيْوَانِ فَقَطْ : « وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ » .

انتهى كلام ابن هشام ، وهذا خلاف ما اختاره (في المعنى) قال فيه : الصواب أنَّهما أى البيت والمثل ممَّا حُذِفَ فيه الخبر ، أى يكون أبوساً ، وأكون صائماً ، لأنَّ في ذلك إبقاءً لهما على الاستعمال الأصلي ، ولأنَّ المرجوَّ كونه صائماً لا نفس الصائم . انتهى .

واعترض عليه بأنَّه إنَّما يكون ذلك إبقاءً على الاستعمال الأصلي أن لو جعل التقدير أن يكون وأن أكون ، لأنَّ الأصل في خبر عسى أن يكون بأنَّ ، وعدمها قليل كما نصَّ هو عليه . وقد ذكر جميع أوجه عسى في الاستعمال ، ومذاهب النحويين فيها (في معنى اللبيب) .

وقول الشاعر: « أكثرت في العذل » إلخ ، يجوز أن يكون بيتاً مصرعاً من تمام الرجز^(١) من ضربه الأوَّل ، وأن يكون بيتين من مشطوره . وقد نسب إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أجده في ديوان رجزه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(لعمر أبيك إلاَّ الفرقدانِ)

هذا عجز ، وصدوره :

(وكلُّ أخ مفارقه أخوه)

وتقدَّم شرحه مفصَّلاً في الشاهد الأربعين بعد المائتين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد السبعمئة^(٣) :

(١) ط : « من تمام الرجز » ، صوابه في ش .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٤١ .

(٣) كامل المبرد ٢١٧ ، ٢٢٠ والشراء ٣٥١ وتاريخ الطبري ٤ : ٤٠٦ .

٨٠ ٧٤٩ (هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ)

على أن خبر (كدت) فيه محذوف ، والتقدير : وكدت أفعل .

كذا قدره أبو علي (في كتاب الشعر) وأورد له نظيراً . والمراد : همت بقتله ولم أفعله وكدت أقتله .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ^(١) ﴾ على أَنَّ الهمَّ القصدُ ، مِنْ هَمَّ بِالْأَمْرِ : قَصَدَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ ، كما في البيت . ومنه الهمام للملك ، لَأَنَّهُ إِذَا قَصَدَ شَيْئًا أَمْضَاهُ .

(والحلائل) : جمع حليلة ، وهي الزوجة . والمعنى : قصدتُ قتل عثمان ابنِ عثمانِ رضَى اللهُ عنه ولم أفعلْ ما قصدته ، وقاربته ، وليتنى تركت زوجاته يبكينَ عليه .

والبيت من أبياتِ سبعةٍ لضبائِ البرجُميِّ ، قالها في الحبس ومات صاحب الشاهد فيه ، أوردها أبو تمام (في كتاب مختار أشعار القبائل) ، وهي :

(مَنْ قَافِلٌ أَدْنَى الْإِلَهِ رِكَابِهِ	يُبَلِّغُ عَنِ الشَّعْرِ إِذْ مَاتَ قَائِلُهُ	أبيات الشاهد
فَلَا يَقْبَلُنْ بَعْدِي أَمْرٌ سِمْ خُطَّةً	حِذَارَ لِقَاءِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ نَائِلُهُ	
وَلَا تُتْبِعِينِي إِنْ هَلَكْتُ مَلَامَةً	فَلَيْسَ بَعَارٍ قَتْلُ مَنْ لَا تَقَاتِلُهُ	
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ	كَمَا بِيضِ مَاءٍ لَمْ تُطِغْهُ أَنْامِلُهُ	
هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي	تَرَكَتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ	
وَقَائِلَةٌ لَا يَبْعَدُنْ ذَلِكَ الْفَتَى	إِذَا أَحْمَرَّ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ أَصَانِلُهُ ^(٢)	
وَقَائِلَةٌ لَا يُبْعَدُ اللهُ ضَابِئًا	إِذَا الْكَبِشُ لَمْ يُوجَدْ لَهُ مَنْ يَنَازِلُهُ	

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .

(٢) في الكامل ٢٢٠ : « ولا تبعدن أخلاقه وشمائله » .

وقوله : « مَنْ قَافِلٌ » استفهام ، أَيْ مَنْ رَاجِعٌ ، وجملة « أدنى الإله ركابه » دعائية ، أى قَرَّبَ اللهُ إِبْلهَ إِلَى وطنه .

وقوله : « سِيمَ خُطَّةٍ » أى كُلفَ أَمْرًا . ومفعول يَقبلُنْ محذوف .

وقوله : « وَلَا تُتَبِعْنِي » خطابٌ لَامرَأته . وقوله : « فليس بعارٍ » إلخ أى قتلُ من لا تقدر على مقاتلته ، لأنَّه مات في حبس الإمام .

وقوله : « و قائله » أى رُبَّ قائله . ولا يبعَدُنْ ، أى لا يَهْلِكُنْ ، من بَعَدَ من باب فرح ، إذا هَلَكَ . وقوله : « إذا احمرَّ من برد » إلخ يريد أنَّه مضيافٌ في الشَّتاء ، وهو زمن القحط عند العرب ، لعدم نبات الأرض .

وقوله : « لا يُبعد الله » من أَبَعَدَه أى أهلكه : وضائى آخره همزة بعد موحدَّة وأوله ضاد معجمة ، وهو قائل الشَّعر . والكبش : السيّد الشجاع .

ضائى
البرجمى

وضائى هذا هو ضائى بن الحارث بن أرطاة ، من بنى غالب بن حنظلة التميمى البرجمى ، بضم الموحدة وسكون المهملة وضم العجم ، نسبة إلى البراجم ، وهم ^(١) ستُّ بطونٍ من أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ، وهم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكلفة ، والظلم ، ومكاشر ^(٢) ، لقبوا بالبراجم لأنَّ رجلاً منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم : تعالوا فلنجتمع ^(٣) مثلَ براجم يدي هذه ! ففعلوا فسُموا بالبراجم ، وهى عُقد الأصابع . وفى كلِّ إصبع ثلاثُ براجم .

(١) هذا ما فى ش ، وفى ط : « وهى » .

(٢) فى الاشتقاق ٢١٨ : أنهم خمسة ، بإسقاط « مكاشر » . وكذا فى اللسان (برجم) والمعارف ٣٥ . وهناك براجم من عبد القيس بن أفضى ، وهم عبد شمس ، وعمرو ، وحى : بنو معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديمة بن لكيز بن أفضى بن عبد القيس . جهرة ابن حزم ٢٩٥ - ٢٩٦ ونهاية الأرب للنويرى ٢ : ٣٤٤ .

(٣) ط : « فلتجتمع » ، وأثبت ما فى ش .

وضابني^١ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقنص الوحش ، فاستعار من بعض بني جرول بن نهشل كلباً اسمه قُرْحان ، بضم القاف وسكون المهملة بعدها حاءٌ مهملة ، وكان يصيد به البقرَ والطَّباءَ والضِّباعَ ، فطال مُكثُهُ عنده ، فطلبوه فامتنع ، فركبوا يطلبون كلبهم ، فقال لامرأته :
 ٨١ اخلطى لهم في قِدْرِكَ من لحوم البقر والطَّباءِ والضِّباعِ ، فإن عافوا بعضاً وأكلوا بعضاً تركوا كلبك لك ، وإن هم لم يفرقوا فلا كلب لك . فلما أطعمهم أكلوه ثم أخذوا كلبهم ، فغضب ضابني^٢ ورمى أمهم بالكلب وقال :

تَجَشَّمْ نَحْوِي وَفَدُ قُرْحَانَ سَرَبَخًا

تَظَلُّ بِه الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرٌ^(١) .

فَأَرَدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَأَحُوا كَأَنَّمَا

حَبَاهُمْ بَتَاجِ الْهُرْمَزَانِ أَمِيرٌ^(٢)

وَقَلَّدْتُهُمْ مَا لَوْ رَمَيْتُ مُتَالِعًا

بِهِ وَهُوَ مُغْبِرٌ لِكَادَ يَطِيرُ

فِيَارَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ

أَمَامَةَ مَنِّي ، وَالْأُمُورُ تَدُورُ^(٣)

(١) الحيوان ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠ والنقائض ٢١٩ والشعراء ٣٥٠ وتاريخ الطبري ٤ : ٤٠٢ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٦ . وفي الحيوان والشعراء والنقائض : « وفد قرحان شقة . تظل بها الوجناء » .

(٢) الطبري : « فباتوا شباعاً ناعمين كأنما » ، وفي النقائض والطبري : « بيت المرزبان أمير » .

(٣) في النقائض والشعراء : « ثمامة عنى » .

فَأَمُّكُمْ لَا تَنْرُكُوهَا وَكَلْبَكُمْ
 فَإِنَّ عَفْوَكَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرٌ
 فَإِنَّكَ كَلْبٌ قَدْ ضَرَبْتَ بِمَا تَرَى
 سَمِيعٌ بِمَا فَوْقَ الْفَرَاشِ بِصِيرٌ
 إِذَا عَثْنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةٌ
 (١) يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ الْفَرَاشِ هَرِيرٌ

فلما بلغهم الشُّعْرُ وَأَنَّهُ رَمَى أُمَّهُمْ بِالْكَلْبِ اسْتَعْدَوْا عَلَيْهِ عَثَانَ بْنَ
 عَثَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَحْبِسُ عَلَى الْمَهْجَاءِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنَشَدَهُ
 الشُّعْرَ ، فَقَالَ لَهُ عَثَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أَعْرِفُ فِي الْعَرَبِ أَفْحَشَ وَلَا أَلْأَمَّ
 مِنْكَ ، فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أَحَدًا رَمَى أَحَدًا بِكَلْبٍ غَيْرِكَ ، وَإِنِّي لِأَظُنُّكَ
 لَوْ كُنْتَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَزَلَ فِيكَ وَحْيٌ . فَحَبَسَهُ فِي
 السُّجْنِ ، فَقَالَ فِي الْحَبْسِ أَبِيَاتًا مِنْهَا :

وَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيْسَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ
 وَسِيَأِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ الْأَبِيَاتِ فِي إِنْ الْمَشْدُودَةِ .

فَلَمَّا سَمِعَهَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْحَبْسِ ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَجَعَلَهَا فِي أَسْفَلِ
 نَعْلِهِ لِيَفْتِكَ بَعْمَانَ ، فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ فَضْرَبَهُ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْحَبْسِ إِلَى أَنْ مَاتَ
 فِيهِ . وَفِي ذَلِكَ قَالَ الْأَبِيَاتِ الَّتِي مِنْهَا :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي الْبَيْتِ

وَلَمْ يَزَلْ فِي الْحَبْسِ حَتَّى أَصَابَتْهُ الدُّبَيْلَةُ (٢) فَانْتَنَ ، فَمَاتَ فِي الْحَبْسِ .

(١) الحيوان : « يبيت له فوق السرير » . الشعراء : « يبيت لها فوق الفراش » .

(٢) الدبيلة ، بالتصغير : داء يجتمع في الجوف ، وهو خراج ودمل كبير ، تقتل صاحبها غالباً . ولله ما يدعى بالسرطان .

ولمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ جَاءَ عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائٍ فَرَفَسَهُ بِرِجْلِهِ ، فَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ وَقَالَ : حَبَسْتَ أَبِي حَتَّى مَاتَ !

ولمَّا كَانَ زَمَنُ الْحِجَّاجِ ، وَاسْتَعْرَضَ أَهْلَ الْكُوفَةِ لِيُوجِّهَهُمْ إِلَى الْمَهْلَبِ ، عُرِضَ عَلَيْهِ فِيهِمْ عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائٍ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ يُرْعَشُ كِبَرًا ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي مِنَ الضَّعْفِ عَلَى مَا تَرَى ، وَلِي ابْنٌ أَقْوَى عَلَى الْأَسْفَارِ مِنِّي ، أَتَقْبَلُهُ بَدِيلًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا وَلَّى قَالَ قَائِلٌ : أَنْتَ دَرَى مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَذَا عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائٍ الْبَرْجَمِيُّ الَّذِي يَقُولُ أَبُوهُ :

هممت ولم أفعل البيت

وَحَكَى الْقِصَّةَ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : رُدُّوهُ عَلَيَّ . فَلَمَّا رُدَّ قَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، هَلَّا بَعَثْتَ إِلَى عُثْمَانَ بَدِيلًا يَوْمَ الدَّارِ ، إِنَّ فِي قَتْلِكَ لَصَلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ ، يَا حَرَسِيُّ اضْرِبْ عُنُقَهُ ! وَسَمِعَ ضَوْضَاةً^(١) فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : الْبَرَاجِمُ جَاءَتْ لَتَنْصُرَ عُمَيْرًا . قَالَ : أَتِحْفُوهُمْ بِرَأْسِهِ ! فَوَلُّوْا هَارِبِينَ .

* * *

وَأَنشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَمْسُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ^(٢) :

(١) الضَوْضَاةُ وَالضُّوْضَاءُ : أَصْوَاتُ النَّاسِ وَجَلْبَتِهِمْ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ ضَوْضَى ضَوْضَاةً وَضِيضًا بِالْكَسْرِ . اللَّسَانُ (ضَوَا) . وَفِي ش : « ضَوْضَاءٌ » بِالْمُهْمَلِ .

(٢) فِي كِتَابِهِ ١ : ٤٧٨ . وَانظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٣ : ٧٠ وَالْكَامِلَ ١١١ وَأَمَالِي الْقَتَالِ ١ : ٧١ وَالْجَمَلُ ٢٠٩ وَمَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِيِّ ٤٨٣ وَحِمَاةُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٦٠ وَابْنُ يَعْيشَ ٧ : ١١٧ ، ١٢١ وَالْمَقْرَبُ ١ : ٩٨ وَالضَّرَائِرُ ١٥٣ ، وَالْحِمَاةُ الْبَصْرِيَّةُ ١ : ٤٤ وَالْعَيُونُ الْغَائِزَةُ ١٦٣ وَالْمُنْفَى ١٥٢ ، ٥٧٩ وَشَرْحُ شَوَاهِدِهِ لِلْسَيَوْتِيِّ ١٥٢ وَالْعَيْنِ ٢ : ١٨٤ وَالْمُهْمَلُ ١ : ١٣٠ وَالتَّصْرِیحُ ١ : ٢٠٦ وَالْأَشْمُونِيُّ ١ : ٢٦٠ ، ٢٦٤ .

٧٥٠ (عسى الكرب الذى أمسيتُ فيه

يكونُ وراءه فرجٌ قريبُ)

على أنه حذف (أن) من خبر عسى ، وهو قليل ، والتقدير : أن يكون وراءه إلخ .

وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) . وهو ظاهر كلام سيويه ، قال سيويه : واعلم أنَّ من العرب من يقول عسى يفعل يشبهها بكاد يفعل ، فيفعل حينئذ فى موضع الاسم المنصوب فى قوله « عسى الغوير أبوساً » . فهذا مثلٌ من أمثال العرب ، أجزوا فيه عسى مجرى كان . قال هُدبة :
عسى الكرب الذى أمسيتَ فيه يكون وراءه فرجٌ قريبُ
وقال :

عسى الله يُغنى عن بلاد ابن قديرٍ بمنهجرِ جَوْنِ الرِّبابِ سَكُوبِ
وقال :

فأما كَيْسٌ فنجاء ولكن عسى يغترُّ بى حَمِقٌ لثِيمٌ . ١٥

قال الأعمى : الشاهد فى هذه الأبيات إسقاط أن ضرورة ورفع الفعل . والمستعمل فى الكلام أن يكون كما قال تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك ﴾^(١) و ﴿ عسى الله أن يأتي بالفتح ﴾^(٢) . والمنهمر : السائل . والجون : الأسود . والرِّباب : السَّحاب . والحَمِق : بكسر الميم : الأحمق .

(١) الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٥٢ من سورة المائدة . ولفظها : « فعى الله أن يأتي بالفتح » . وترك الفاء والواو ونحوها فى مثل هذا جائز فى الاستشهاد . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

وكذا قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) ، وبعد أن أورد هذه الأبياتَ وغيرها قال : وما ذكرته من أن استعمال الفعل الواقع في موضع خبر عسى بغير أن ضرورة هو مذهبُ الفارسيِّ وجُمهورِ البصريِّين . وظاهرُ كلامِ سيبويه يُعطى أنه جائزٌ في الكلام ، لأنه قال : « واعلم أن من العرب من يقول : عسى يفعل ، تشبيهاً بكاد ^(١) . فإطلاق القول ولم يقيّد ذلك بالشعر . إلا أنه ينبغي أن لا يُحمل كلامه على عمومهِ . لما ذكره أبو عليّ من أنها لا تكاد تجيء بغير أن إلا في ضرورة . وأيضاً فإنّ القياس يقتضى أن لا يجوز ذلك إلا في الشعر ، ولأنّ استعمالها بغير أن إنما هو بالحمل على كاد ، لشبهها بها من حيثُ جمعتهما المُقارَبة . وكادٌ محمولة في استعمالها بغير أن على الأفعال التي هي للأخذ ^(٢) في الشروع ، من جهة أنّها لمُقارَبة ذاتِ الفعل ، فقربت لذلك من الأفعال التي هي للأخذ في الفعل ؛ وليست عسى كذلك لأن فيها تراخياً . ألا ترى أنّك تقول : عسى زيد أن يحجّ العام [الآتي ^(٣)] . وإنما عدت في أفعال المقاربة مع ما فيها من التراخي من جهة أنّها تدخل على الفعل المرجو ، والفعلُ المرجو قريبٌ بالنظر إلى ما ليس بمرجو . فلما كانت محمولة في استعمالها بغير أن على ما هو محمول على غيره ، ضعف الحمل فلم تجيء إلا في الضرورة . انتهى .

والبيت من قصيدة لهذبة بن خشرم ، قالها في الحبس ، وهي : صاحب الشاهد

(١) الذي في الضرائر وسيبويه : « يشبهها بكاد » . وانظر ما سبق أيضاً ، ولكن هكذا وردت في النسختين .

(٢) الكلام بعده إلى « للأخذ » التالية ساقط من ش ونسخة الضرائر .

(٣) التكلة من ضرائر ابن عصفور .

(طَرِبْتَ وَأَنْتَ أَحْيَانًا طَرُوبٌ

وكيف وقد تَعَلَّكَ المَشِيبُ^(١)

يُجِدُّ النَّأَى ذِكْرَكَ فِي فِوَادِي

إِذَا ذُهَلَتْ عَلَى النَّأَى القُلُوبُ^(٢)

يُؤرِّقُنِي اكْتِئَابُ أَبِي نَمِيرٍ

فَقَلْبِي مِنْ كَاتِبَتِهِ كَثِيبٌ^(٣)

فَقُلْتُ لَهُ : هَذَاكَ اللهُ مَهْلًا

وَخَيْرُ القَوْلِ دُو اللَّبِّ المَصِيبِ^(٤)

عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ

يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

فِيأْمَنَ خَائِفٌ وَيُقَمِّكَ عَانٍ

وَيَأْتِي أَهْلَهُ الرَّجُلُ الغَرِيبُ^(٥)

أَلَا لَيْتَ الرِّيحَ مُسَخَّرَاتٍ

بِحَاجَتِنَا تَبَاكُرُ أَوْ تَتُوبُ^(٦)

(١) ابن الشجري : « وقد تفشاك المشيب » ، وكذلك في شرح شواهد المغنى للسيوطي .

(٢) القائل والعيبي والسيوطي : « عن النأي » .

(٣) ابن الشجري : « وأرقني » .

(٤) هذا البيت لم يرد في حماسة ابن الشجري .

(٥) القائل وابن الشجري : « النأي الغريب » .

(٦) هذا البيت لم يرد في حماسة ابن الشجري . وفي سمط اللالك ٢٤٩ : « وبنحط أبي علي :

تصبح أو تتوب » .

فتخبرنا الشمالُ إذا أتتْنا
فإننا قد حللنا دارَ بلوى
فإن يك صدرُ هذا اليومِ ولى
وقد علمتْ سُلَيْمَى أَنَّ عُدَى
وَأَنَّ خَلِيقَتى كَرَمٌ وَأَنّى
أَعِينُ على مكارمها وأغشى
وقد أبى الحوادثُ منك ركننا
على أَنَّ المنيةَ قد تُوفى

وتخبرَ أهلنا عَنَّا الجنوبُ^(١)
فَتُخَطُّنَا المَنايا أو تصيبُ
فإنَّ غداً لناظره قَريبُ
على الحَدَثانِ ذو أَيْدِ صَليبُ
إذا أَبَدتْ نواجذها الحُروبُ
مَكارمها إذا كَمَعَ الهَيوبُ^(٢)
صَلياً ما تَوَبَّسَه الخُطوبُ^(٣)
لوقتِ ، والنوائِبُ قد تنوبُ^(٤)

هذا ما أورده القالى (فى أماليه) ، وزاد بعده الشريف الحسينى (فى

حماسته) :

(وإنى فى العظامِ ذو غَناءِ
وإنى لا يخاف الغدرَ جارى
وكم من صاحبٍ قد بانَ عَنى
فلمْ أبدِ الذى تحنو ضلوعى
مخافةً أن يَرائى مستكيناً
ويشمتَ كاشحٌ ويظنُّ أنى
فبعدهك سَدَّتْ الأعداءُ طُرُقاً

وأدعى للفعالِ فاستجيبُ^(٥)
ولا يخشى غوائلِ القريبُ
رُميتُ بفقدِهِ وهو الحبيبُ
عليه ، وإنى لأنا الكئيبُ
عدوٌّ أو يُساءَ به قَريبُ
جَزوعٌ عند نائبةِ تنوبُ
إلى ورابنى دهرٌ يَريبُ

(١) فى الحماسة البصرية : « إذا هاب الهيوب » .

(٢) هذا البيت والبيتان بعده لم يردا فى حماسة ابن الشجرى .

(٣) هذا البيت ورد عند ابن الشجرى تالياً للبيت التالى .

(٤) عند القالى : « ما تَوَبَّسَه الخُطوب » بالياء . وقد قيده البغدادى فى شرحه بأنه بالوحدة .

ومدلولها واحد .

(٥) الحماسة البصرية : « وأدعى للساح » .

وَأَنْكَرْتُ الزَّمَانَ وَكُلَّ أَهْلِي وَهَرَّتَنِي لَغَيْبَتِكَ الْكَلِيبُ
وَكُنْتُ تَقْطَعُ الْأَبْصَارُ دُونِي وَإِنْ وَغِرْتُ مِنَ الْغَيْظِ الْقُلُوبُ

الطرب : خفةٌ تُصيب الإنسانَ لفرحٍ أو حزنٍ . والنأي : البُعد .
ويؤرقتني : يُسهرني . والاكتئاب : افتعالٌ من الكآبة ، وهي الحزن .
وأبو نمير ، قال اللخمي : هو ابن عمّه ، وكان مسجوناً معه . وقال ابن
هشام (في شرح شواهد) : هو رجلٌ كان مسجوناً معه ، فجالسه يوماً
وأظهر له التألم . وقال العيني : هو رجلٌ من قرابته زار هُدبةَ أَيَّامَ حبسه
فأظهر الحزنَ والكآبةَ . وقوله : « و خير القول ذو اللب » أي قول
ذو اللب . ورواه ابن المستوفى :

* وخير القول ذو العيج المصيب *

بالمثناة التحتية والجيم ، وقال : وهو مأخوذ من قولهم ما عجت به ،
أي لم أرضَ به . وإن روى « العنج » بالنون فهو الاسم من عنجت البعير
أعنجه عنجاً ، وهو أن يجذب الراكب خطامه فيردّه على رجليه ،
ضربٌ من رياضة البعير . قال ابن السيرافي : والعيج من القول : ما ينتفع
به ، وهو مأخوذ من قولهم : ما عجت بكلامه أي ما انتفعت . كذا
وجدته العيج بفتح العين والياء .

وقوله : (عسى الكرب الذي أمسيتُ فيه) إيج الكرب : الهم . قال
ابن المستوفى : روى بفتح التاء وضمها من (أمسيت) . والنحويون إنما
يروونه بالضم ، والفتحُ عندي أولى ، لأنه يخاطب ابن عمّه أبا نمير ،
وكان معه في السجن . وقوله هذا لابن عمّه ليسليّه به ، لِمَا رآه من
خوفه ، أجود من أن يكونَ يريدُ به نفسه ، لأنَّ في قوله لابن عمه زجراً

له : مهلاً ، أى امهل ، يدلُّ على ما ذكرته . ولا يجوز أن يقال إنَّ اكتئاب ابن عمِّه إنّما كان حذراً على هُدبة ، لأنَّه لو كان كذلك لما قال له مهلاً ، ولأنَّ الإنسان أكثرُ عنايةً بنفسه من عنايته بغيره . ولا يمتنع ضمُّ التاء على أن يريد به : لا يضقُّ صدرك بشيءٍ ، فإنَّ الكرب الذى أمسيت فيه يكون له فرج قريب ، فيزول ما عندك . انتهى .

وعين اللخميُّ فتح التاء ، قال : الرواية عن أبي القاسم الزجاجي ضمُّ التاء ، وإنَّما هى تاء المخاطب ، لأنَّ ما قبل البيت يدلُّ عليها ، لأنَّه يخاطب أبا نمير ، وهو ابن عمه ، وكان مسجوناً معه .

وقوله : (يكون وراءه) اسم يكون ضمير الكرب ، وخبره الظرف ، وفرج فاعل الظرف . وقال ابن هشام : وراء ظرف مؤنث تصغيره على وريثة ، وظهور الهزمة فى تصغيره دليل على أنه ليس من وارىت كما قال بعضهم . والأظهر أنه بمعنى أمام كقوله تعالى : ﴿ من ورائه جهنم ﴾^(١) ﴿ وكان وراءهم ملكٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ غصباً ﴾^(٢) . والفرج : انكشاف الهم . وفى يكون ضمير الكرب ، ويجوز أن تكون ناقصة وتامة ، وعلى الأوَّل يكون فرج مبتدأً وقريبٌ صفته ، والظرف خبر ، والجملة الاسمية خبر يكون . وعلى الثانى تكون الجملة حالا . ويجوز على الوجهين أن يكون فرج فاعلاً بالظرف على أنه خبرُ الناقصةِ وحالٌ من فاعل التامة . وهذا أرجح من تقديره مبتدأً . وإنما لم أقدر فرجُ اسمَ يكون على أنها الناقصة ووراءه الخبر ، أو فاعلاً ليكون على أنها التامة ووراءه متعلق

(١) الآية ١٦ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

بيكون كما فعل بعضهم ، لأنَّ فاعل الفعل الواقع في باب كاد لا يكون إلاَّ ضميراً راجعاً للاسم السابق ، فلا يجوز كاد زيد يموت أبوه . وما خرج عن ذلك نادر ، فلا يحمل عليه مع وجود مندوحة عنه . وكذلك لا يكون اسم يكون ضمير الشأن كما قدره جماعة ، لِمَا ذكرنا . انتهى كلامه .

وعانٍ : أسير . وأراد بدار بلوى : السَّجن . والناظر هنا : المنتظر .
والأيَّد : القوَّة . وكعَّ : جبن وخاف . وما تؤبَّسه : ما تذللُّه وما تؤثرُّ به ،
بالموحدة بعد الهزمة . وباقى ألفاظ القصيدة ظاهرة .

وهديبة هو هديبة بنُ خشرم بن كُرز بن أبي حيَّة بن الكاهن ،
وهو سلمة ، ابن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن
الحارث بن سعد بن هُذيم ، وسعدٌ : ابنُ أسلمَ بن الحاف بن قضاة ، ويقال
بل هو سعد بن أسلم بن هذيم ، وهذيمٌ عبدٌ لأبيه ربَّاه ، فقيل سعد
ابن هذيم ، يعنى سعداً هذا .

هدية بن
خشرم

وهديبة شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ،
وكان يروى للحطيثة ، والحطيثة يروى لكعب بن زهير . وكان جميل
راوية هُديبة ، وكثيراً راوية جميل .

وكان لهديبة ثلاثة أخوة كلُّهم شاعر ، وأُمُّه كانت شاعرةً أيضاً .
كذا في الأغاني .

وهديبة ، بضم الهاء وسكون الدال بعدها موحَّدة . وخشرم ، بفتح الخاء
وسكون الشين المعجمتين . وكُرز ، بضم الكاف وسكون المهملة . وأبو حيَّة ،
بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية .

وسبب حبسه على ما رواه الأصمبهباني بسنده في الأغاني^(١) : أَنَّ هُدَيْبَةَ
ابن خشرم وزيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّة بن حنيس^(٢) بن
عمرو بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم
المذكور^(٣) اصطحبا وهما مُقبِلان من الشام في ركب من قومهما ، فكانا
يتعاقبان السَّوقَ بالإبل ، ومع هُدَيْبَةَ أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :
٨٥

عُوجِي عَلَيْنَا وَارْبِعِي يَا فَاطِمَا	مَا بَيْنَ أَنْ يُرَى الْبَعِيرُ قَائِمَا
أَلَا تَرِينَ الدَّمْعَ مَنْسَى سَاجِمَا	حِذَارِ دَارِ مَنْكَ أَنْ تَلَاثِمَا ^(٤)
فَعَرَّجَتْ مَطَّرِدَا عُرَاهِمَا	فَعَمَّا يَبْذُ القُطْفَ الرُّوَاسِمَا
كَأَنَّ فِي المُنْثَاةِ مِنْهُ عَائِمَا	إِنَّكَ وَاللَّهِ لِأَنَّ تَبَاغِمَا
خَوْدَا كَأَنَّ البُوصَ وَالْمَاكِمَا	مِنْهَا نَقَا مَخَالِطُ صِرَائِمَا
خَيْرٌ مِنْ اسْتِقْبَالِكَ السَّمَائِمَا	وَمِنْ مُنَادٍ يَبْتَغِي مُعَاكِمَا ^(٥)

وقوله : « ما بين أن يرى البعير » أي ما بين مُناخ البعير إلى قيامه .
ومطرد : متتابع السير ، عُراهم : شديد . وفعم : ضخم . والرَّسيم : سير فوق
العنق . والرَّواسم : الإبل التي تسيّر هذا السير . والمُنْثَاة : الزَّمام ،
وعائم : سابع . وتباغم : تكلم . والبُوص : العَجْز . والمَاكِمَاتان : ما عن يمين
العَجْز وشماله . والنَّقَا : ما عظم من الرمل . والصرائم دونه . ومُعَاكِمَا ، أي
يُعِينكَ عَلَى عِصْمِكَ حَتَّى تَشُدَّهُ .

(١) الأغاني ٢١ : ١٧٠ .

(٢) كذا في النسختين ، وليس في أعلام قبائلهم . وفي الأغاني : « حنيس » ، صواب هذه
« حنيس » . وفي معجم المرزباني ٤٨٣ : « حنبش » ، تحريف أيضاً .

(٣) ط : « هذيم بن المذكور » ، صوابه في ش مع أمر تصحيح .

(٤) كذا في النسختين . ولعله نوى حذف لا ، كما في قوله تعالى : « بين الله لكم أن

تصلوا » . وفي الأغاني : « لن تلاثما » .

(٥) ويروى : « ومن نداء يبتغي » . وفي النسختين : « مناد تبتغي » ، صوابه من الأغاني .

فغضب هُدبة حين سمع زيادةَ يرجز بأخته ، فنزل فرجَزَ بأخت
زيادة ، وكانت تُدعى أمَّ خازم ، وقيل أم قاسم ، فقال :

لقد أَرَانِي وَالغَلَامَ الْحَازِمَا	نُزَجِي الْمَطِيَّ ضُمَّرَا سَوَاهِمَا
مَتَى تَقُولُ الْقُلُوصَ الرَّوَاسِمَا	وَالجِلَّةَ النَّاجِيَةَ الْعِيَاهِمَا
يُبْلِغُنَّ أُمَّ خَازِمٍ وَخَازِمَا	إِذَا هَبَطْنَ مُسْتَحِيرَا قَاتِمَا
وَرَفَعَ الْحَادِي لَهَا الْهَمَاهِمَا ^(١)	أَلَا تَرَيْنَ الْحُزْنَ مِنِّي دَائِمَا
حِذَارَ دَارِ مِنْكَ أَنْ تَلَايِمَا ^(٢)	وَاللَّهِ لَا يَشْقَى الْفَوَادَ الْهَائِمَا
تَمْسَاكُ اللَّبَاتِ وَالْمَاكِمَا ^(٣)	وَلَا اللَّامُ دُونَ أَنْ تَلَازِمَا ^(٤)
وَلَا اللَّثَامَ قَبْلَ أَنْ تُفَاغِمَا ^(٥)	وَتَعْلُوَ الْقَوَائِمُ الْقَوَائِمَا ^(٦)

وقوله : « تقول القُلُوصَ » الخ أوردته النحويون شاهداً على إعمال
القول إعمال الظن . والعِيَاهِم : الشِّداد .

قال : فشمته زيادة ، وشمته هُدبة ، وتسأباً طويلاً ، فصاح بهما
القوم : اركبا لا حَمَلَكُمَا اللهُ ، فَإِنَّا قَوْمٌ حُجَّاجٌ . وَخَشُوا أَنْ يَقَعَ بَيْنَهُمَا
شُرٌّ ، فوعظوهما حتَّى أمسك كلُّ واحدٍ منهما على ما في نفسه ، وهُدبة
أشدُّهما حَنَقًا ، لِأَنَّهُ رَأَى أَنْ زِيَادَةَ قَدْ ضَامَهُ إِذْ رَجَزَ بِأَخْتِهِ وَهِيَ تَسْمَعُ

(١) في الأغاني : « ورجع الحادي » .

(٢) في الأغاني : « لن تلايما » .

(٣) في نوادر المخطوطات ٢ : ٢٥٦ : « تمسالك » .

(٤) في نوادر المخطوطات : « دون أن تفاغما » .

(٥) الأغاني : « ولا اللام » ، وفي نوادر المخطوطات : « ولا اللام » . وبعده في الأغاني :

• ولا الفقام دون أن تفاغما •

(٦) الأغاني : • وتركب القوائم القوائما •

قوله ، وكانت أخت زيادة غائبة ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجَّهما ، ورجعا إلى عشائرهما . وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار . ولم يزل هُدبة يطلب غيرة زيادة حتى أصابها ، فقتله وهرب ، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص ، فأرسل إلى عم هُدبة وأهله فحبسهم بالمدينة ، فلما بلغ هُدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه ، وتخلَّص عمه وأهله ، فلم يزل محبوباً حتى شخص عبد الرحمن أخو زيادة إلى معاوية ، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقيدَه منه إذا قامت البيئَة ، فكره سعيد الحكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية فلما صاروا بين يديه ^(١) قال له معاوية : قل يا هُدبة . قال : إن شئت أن أقصَّ عليك قصتنا كلاماً وشعراً فعلت . قال : بل شعراً . فقال هُدبة ارتجالاً :

٨٦

ألا يا لقومي لِلنَّوَابِجِ وَالذَّهْرِ وللمرءِ يُرِدِي نَفْسَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وللأَرْضِ كَمِ مِنْ صَالِحٍ قَدْ تَأَكَّمْتُ عليه فَوَارَتْهُ بِلَمَاعَةٍ قَفَّرِ
فَلَا تَتَّقِي ذَا هَيْبَةٍ لَجَلَالِهِ وَلَا ذَا ضِيَاعٍ هُنَّ يَتَرَكْنَ لِلْفَقْرِ
حتى قال :

رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ رَمِينَنَا مَنَايَا رِجَالٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرِ
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا وَرَاعَكَ مِنْ مَعْدِي وَلَا عَنْكَ مِنْ قَصْرِ
فَإِنْ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَمْ نَضُقْ بِهَا ذِرَاعًا وَإِنْ صَبْرٌ فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ
وهذا البيت الأخير من شواهد النحويين . وتأكَّمت : صارت أكمة .
وروي بدله : « قد تواددت » ، « قد تلمَّأت » و« تَلَّأمت » ، أي وارتته .

(١) وكذا في الأغاني ٢١ : ١٧٩ . وكثيراً ما يعبر بالجمع عن المفرد . كما في قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » . وفي ط فقط : « فلما صاروا بين يديه » .
(٢) ش : « ألا يا لقوم » .

فقال له معاوية: أراك يا هدبة قد أقررتَ بقتل صاحبهم. ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولد؟ فقال: نعم، المِسور، وهو غلام لم يبلغ، وأنا عمُّه وولُّ دم أبيه. فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمِسورُ أحقُّ بدم أبيه. فردَّه إلى المدينة، فحبس ثلاثَ سنين حتى بلغ المِسورُ، وذهب عبدُ الرحمن بالمِسور وقد بلغ إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل: مروان بن الحكم، فأخرج هدبة، فلما مضى به من السجن للقتل التفت فرأى امرأته، وكانت من أجمل النساء، فقال:

أَقْلَى عَلَى اللُّومِ يَا أُمَّ بُوَزَعَا
وَلَا تَعَجَّبِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
وَلَا تَنكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
أَغَمَّ القِفَا وَالوَجْهَ ، لَيْسَ بِأَنْزَعَا
كَلِيلًا سِوَى مَا كَانَ مِنْ حَدِّ ضَرْسِهِ
أَعْيَبَدَ مِبْطَانَ العَشِيَّاتِ أَرُوعَا^(١)
ضَرْوَبًا بِلَحْيَيْنِهِ عَلَى عَظْمِ زُورِهِ
إِذَا النَّاسُ هَشُّوا لِلْفَعَالِ تَقْنَعَا
وَحُلَّى بَدَى أَكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ
وَصَبِرَ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَضَّ فَأَسْرَعَا

(١) في النسختين: « من جد ضربه »، صوابه في الأغاني، وفي ش بخط ناخنها تعليقاً على « أعيبد »: « كذا بخط المؤلف، والصواب: « أكيبد ». وفي الأغاني أيضاً: « أكيبد »، وهو تصغير الأكيد، وهو الضخم الوسط، ولا يكون إلا بطن السير.

فمالت زوجته إلى جزارٍ وأخذت شَفْرته فجذعت به أنفها ،
وجاءته تَدْمَى مجدوعةٌ ، فقالت : أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح ؟
قال : فرسَف في قيوده وقال : الآن طاب الموتُ ؟ فإذا هو بأبويه يتوقَّعان
الثُّكُل ، فهما بسوء^(١) حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبلياني اليومَ صبراً منكما
إن حزننا إن بدا بادي شُرِّ
لا أراي اليومَ إلا ميتاً
إن بعد الموت دارَ المستقرِّ
اصبراً اليومَ فإنني صابرٌ
كلُّ حى لقضاءٍ وقَدَرُ

قال النَّوفلي : حدثني أبي عن رجلٍ من عذرة عن أبيه قال : إنني
لَنُي بلادنا يوماً في بعض المياہ ، فإذا أنا بامرأة تمشي أماي وهي مُدْبِرة
ولها خَلْقٌ عجيب من عَجْزٍ وهيئة ، وتَمَامِ جِسمٍ وتَمَامِ قامَةٍ ، وإذا صَبِيَّانِ
قد اكتنفاها يمشيان ، فتقدَّمَتْهُما والتفتُ إليها ، وإذا أقبح منظر ،
وإذ هي مجدوعة الأنف مقطوعة الشفتين ، فسألتُ عنها فقيل : هذه
امرأة هدية تزوجت بعده رجلاً أولدها هذين الصبيين .

قال ابن قتيبة : فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل عنه^(٢) ،
فقال : أعطيك ما لم يُعْطَ أحدٌ من العرب : مائة ناقة حمراء ، ليس فيها
ذاتُ داءٍ^(٣) . فقال : والله لو نقبت لي قببتك هذه ، ثم ملأتها ذهباً

(١) وكذا في الأغاني ٢١ : ١٧٥ .

(٢) ش : « فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة عنه » .

(٣) الأغاني : « ليس فيها جداء ولا ذات داء » . والجداء من الغم والإبل : المقطوعة الأذن .

ما رضيت^(١) بها . ولم يزل سعيدهُ يسأله حتى عرض عليه سِتَّ دِيَاتِ فَأَبَى ، فدفعه إليه حينئذٍ لقتله بأخيه ، فاستأذن هديبةً في أن يصلي ركعتين ، فأذن له فصلأهما ونخفف ، ثم التفت إلى من حضر فقال : لولا أن يُظنَّ بي الجزعُ لأطلتهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما . ثم قال لأهله : إنه بلغني أن القَتِيلَ يَعْقِلُ ساعةً بعد سقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فإني قابضٌ رجلِي وباسطها ثلاثاً . ففعل ذلك حين قُتِل .

وقال قبل أن يقتل :

إن تقتلونني في الحديد فإنني قتلت أحاكم مطلقاً لم يقيد

فقال أخو زيادة : والله لا قتلته^(٢) إلا مطلقاً من وثاقه . فأطلق له وتولى قتله ابنه المسور ، دفع إليه عمه السيف وقال : قم فاقتل قاتل أبيك . فقام فضربه ضربتين قتله فيهما .

وهديبة أول من سنَّ ركعتين عند القتل^(٣) . هذا ما اختصرته من الأغاني .

* * *

(١) في الأغاني : « ما رضيت بها من دم هذا الأجدع » .

(٢) هذا ما في الأغاني . وفي النسختين : « لا أقتله » .

(٣) في حواشي ش بخط الناسخ : « أول من سن ركعتين عند القتل خبيب لا هديبة » . وهذا حق . وجاء في ترجمته من صفة الصفوة ١ : ٢٥٤ . أن المشركين لما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصل ركعتين . فتركوه فركع ركعتين وقال : « والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعاً لزدت . اللهم أحصهم عدداً واقتلهم ببدأ ، ولا تبق منهم أحداً » ، وقال : ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزوع ثم قال : « وكان خبيب هو [أول من] سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة » . وانظر الإصابة ٢٢١٨ .

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الحَادِى والخمسون بعد السبعائة^(١) :

٧٥١ (عَسَى طَيِّبٌ مِّنْ طَيِّبٍ بَعْدَ هَذِهِ

سُتُطْفِئُ غُلَاتِ الكُلَى والجَوَانِحِ)

على أَنَّ السَّيْنَ فى قَوْلِهِ « سَتُطْفِئُ » قَائِمَةٌ عِنْدَ المُتَأَخِّرِينَ مَقَامَ أَنَّ ، لِكُونِهِمَا لِلِاسْتِقْبَالِ .

قال الزمخشرى (فى المِفْصَلِ) : وَلَمَّا انْحَرَفَ الشَّاعِرُ فى هَذَا البَيْتِ عَمَّا عَلَيْهِ الِاسْتِعْمَالُ جَاءَ بِالسَّيْنِ الَّتِى هِىَ نَظِيرَةٌ أَنَّ ، يَعْنِى لَمَّا لَمْ يَأْتِ الشَّاعِرُ بِمَا حَقُّهُ أَنَّ يَجِىءُ بِهِ مَعَ عَسَى فى الخَبَرِ ، وَهُوَ أَنَّ ، أَتَى بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ فى الدَّلَالَةِ عَلَى الِاسْتِقْبَالِ . وَهُوَ السَّيْنَ . عَلَى أَنَّ ذَلِكَ شَاذٌ . وَكَمَا دَخَلَ أَنَّ فى خَبَرٍ لَعَلَّ حَمَلًا عَلَى عَسَى ، دَخَلَ السَّيْنَ فى خَبَرٍ عَسَى حَمَلًا عَلَى لَعَلَّ .

والبیت آخر أبيات أربعة ، أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من صاحب الشاهد الحماسة) ، وعزاها لِقَسَّامِ بن رَوَاحَةَ السَّنِيسِى . وقبله :

أبيات الشاهد

(لَبِئْسَ نَصِيبُ القَوْمِ مِّنْ أَخْوِيهِمْ

طَرَادُ الحَوَاشِى وَاسْتِرَاقُ النِّوَاضِحِ

وَمَا زَالَ مَن قَتَلَ رِزَاحٍ بِعَالِجِ

دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحِ

دَعَا الطَّيْرَ حَتَّى أَقْبَلَتْ مَن ضَرِبَتْهُ

دَوَاعِى دَمٍ مُهْرَاقَهُ غَيْرَ بَسَارِحِ)

عَسَى طَيِّبٌ مِّنْ طَيِّبٍ البیت

يريد بأخويهم : صاحبيهم ، يقال يا أخا بكر ، يراد : يا واحداً

(١) ابن يعيش ٨ : ١١٨ ، ١٤٨ والمغنى ٥٣ وشرح شواهده للسيوطى ٩٦ ويس ١ : ١٠٦ ، والحماسة ٩٥٨ بشرح المرزوق .

منهم . والحاشية : صغار الإبل ورذالها . والنواضح : جمع ناضح ، الإبل التي يُستسقى عليها الماء ، جعلت كأنها تنضح الزرع والنخل . وطراد وما عطف عليه بدلٌ من نصيب . يقول : إنهم لا يُقدمون على القوم ، ويُغيرون على حواشيها دون جلتها ، لأنَّ الصبيان يرعونها . يعنى بلغ من جبنهم أن لا يتعرضوا للرعاة إلا سرقةً ، يسرقون النواضح ويطردون الحواشي ، فيرضون بذلك من طلب الثأر . فبئس العوض ذلك من دم أخويهم . يهزأ بهم . وهذا تعريضٌ بمن^(١) وجب عليه طلبُ الدمِ فاقْتَصَرَ على الغارة وسرقة الإبل . وفيه بعثٌ على طلب الدم . وأكد ذلك بقوله : « وما زال من قتلى رزاح إلخ » وهو براءٌ مفتوحة وزاى ومهملة : قبيلة من خولان . وقتلى : جمع قتيل . وعالج بالجيم : موضعٌ بالبادية فيه رمل . والدمُّ الناقع ، بالنون والقاف ، قيل : الثابت ، وقيل : الطرى . والدمُّ الجاسد ، بالجيم ، قيل : القديم ، وقيل : اليابس . والماصح بالصاد المهملة ، من مصح كمنع مُصوحاً : ذهب وانقطع . يقول : لا يزال من مقتولى هذه القبيلة بهذا المكان دمٌ طرىً ويابس غير زائل . يعنى أن دماءهم باقيةٌ بحالها ما لم يثأروا بها ، لأنَّ غسل تلك الدماء إنما يكون بما يُصبُّ من دماء أعدائهم . ولم يكتف بهذا الإغراء حتى قال : « دعا الطير » إلخ يقول : دعا دواعى دمائهم طيورَ الأماكن العيدة والجبال المُطلَّة ، حتى أنت سباعها وطيورها ، وقَعَتْ عليها تأكل منها . ومهراقه ، الهاء ضمير الدم . يعنى أنه مصبوبٌ في موضعه لم يزل ولم يحل . قال الطبرسى : ويجوز أن يريد بالمهراق الموضع المصبوب فيه الدم . وفيه حثٌ على طلب الثأر . وضرية : اسم بلادٍ تشتمل على بلادٍ سميت باسم ضرية بنت ربيعة بن نزار ، كما قيل للماء الذى بين

(١) ط : « بمن » ، صوابه في ث .

البصرة ومكة الحوَّاب ، كجعفر بالحاء المهملة ، سُمِّيَ ^(١) بالحوَّاب بنت كلب بن وبرة .

وقوله : (عسى طيئ) إلخ قال المرزوقي : عسى لفظةٌ وُضعت للترجى والتأميل ، إلاَّ أنها تؤذَن بأنَّ الفعل مستقبلٌ مطموع فيه . ووضع السين بدل أن في خبر عسى لاشتراكهما في الدلالة على الاستقبال ، مع أنَّ السين أشهر فيها . ومعنى « عسى طيئ » : لعلَّ البطن المغلوب من هذه القبيلة في القتال ينتصف من البطن الغالب منها فيه . وقوله « بعد هذه » إشارة إلى الحالة الحاضرة بالتذكير ، الجامعة لكلِّ ما ذكره . والغلات : جمع غلَّة بالضم : حرارةُ الجوف . والمعنى : المرجوُّ من أولياء الدم أنَّ يطلبوا الثأر في المستقبل وإن كانوا آخروه إلى هذه الغاية ، فتسكن نفوسٌ وتبرد قلوب ^(٢) .

وكانت القبيلتان معاً من طيئ ، لأنَّ طيئاً قبائل يكون أبداً بينهم قتال . وطيئ بالهمزة على وزن السيِّد ، وقد تحذف الهمزة فيبقى كحى .

(والكلى) : جمع كلية أو كلوة . (والجوانح) : الضلوع ، جمع جانحة . قال بعضهم : الغلة إنما تكون في القلب ، ولكنه أراد المبالغة أى تجاوز القلب والكبد إلى الكلية .

وقال الخوارزمي : إن سئل أىُّ غلَّةٍ للكلى حتى أُضيفت إليها ؛ أجيب بأنَّ المزاج عند ورود الهموم والأحزان عليه ، ممَّا ينفعل ويسخن ، فإذا سخن المزاج حمى البول واحتدَّ ، والبول ممره على الكلى ، فكأنه قال : ستطفى الغلل التي يظهر أثرها في البول . هذا كلامه .

(١) ش : « سميت » .

(٢) ش : « وتبرد قلوب » ، صوابه في ط وشرح المرزوقي .

صاحب الشاهد

وقائل هذه الأبيات شاعرٌ جاهليٌّ وهو (في بعض نسخ الحماسة):
 قَسَامُ بن رَوَاحَةَ ، وفي بعض آخر منها: قَسَامَةُ بن رَوَاحَةَ ، بزيادة الهاء . وهو
 بفتح القاف وتخفيف السين المهملة . وفي كلٍّ منهما رُوي ابن رَوَاحَةَ
 السَّنْبِسِيُّ والعَنْبِسِيُّ .

قسام بن رواحة

وقد أوردته الآمدي (في المؤتلف والمختلف) فيمن يقال له ابن رَوَاحَةَ
 قال : ومنهم قسام بن رَوَاحَةَ العَنْبِسِيُّ . ليس له عندي في شعراء طيِّبٍ
 ذكر . وأنشد له الطائي (في الحماسة) : لبئس نصيب القوم ، الأبيات
 الأربعة ~~هنا~~ ما ذكره . ولم يرفع نسبه ^(١) .

وهذا نسبه (من جمهرة الأنساب) قال : قسام الشاعر ابن رَوَاحَةَ
 ابن جُلِّ بضم الجيم وتشديد اللام ، ابن حِقِّ ، بكسر الحاء المهملة وتشديد
 القاف ، ابن ربيعة بن عبد رُضِيِّ ، بضم الراء المهملة وفتح الضاد المعجمة
 بعدها ألف مقصورة ، ابن وَدِّ بفتح الواو وتشديد الدال ، ابن وَدِّ بضبط
 ما قبله أيضاً ، ابن مَعْن بن عَتُود ، بفتح المهملة بعدها مثناة فوقية مضمومة
 ابن عُنَيْنٍ ^(٢) بضم المهملة وبين النونين مثناة تحتية ، ابن سلامان
 ابن ثَعْلَ ، بضم المثناة وفتح العين المهملة ، ابن عمرو بن الغوث بن
 طيِّب بن أدد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ .
 ولم أر في نسبه لاسنيسا ولا عنيسا ، والله أعلم .

٨٩

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد السبعمائة ^(٣) :

(١) المؤتلف للآمدي ١٢٧ . وانظر أيضاً معجم المرزبان ٣٤٠ ، وما كتبت في حواشي
 الحماسة .

(٢) ش : « حنين » ، صوابه في ط وجمهرة ابن حزم ٤٠١ . وفي الاشتقاق ٣٨٧ :
 « عنين : فعيل من عن يمن ، إذا اعترض » .

(٣) مع المواع ١ : ١٢٨ والمقاييس ٦ : ١٤١ واللسان (ولي ٢٩٣) .

٧٥٢ (فَعَادَى بَيْنَ هَادِيَتَيْنِ مِنْهَا وَأَوْلَى أَنْ يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ)

على أن (أولى) من مرادفات كاد ولا تستعمل إلا مع أن .

كذا قال ابن مالك (في التسهيل)؛ ومثّل له شراحه بهذا البيت .

قال ابن عقيل : عادى من العداء ، بكسر العين ، وهو الموالاة بين الصيدين بصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد ، ومنه قول امرئ القيس :

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
وَالهَادِيَةُ : أَوَّلُ الْوَحْشِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

كَانَ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عَصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مُرَجَّلٍ
وقال صاحب الصحاح : أنشد الأصمعي هذا البيت وقال : أرى قارب أن يزيد . قال ثعلب : ولم يقل أحد في أولى أحسن مما قال الأصمعي . ٥١ .

واستظهر الشارح المحقق أن يكون أولى المستعمل مع أن فعلاً تاماً متعدياً ، وأن مع منصوبه مفعولاً لأولى ، فإنه بمعنى قارب وهو فعل متعد . وإنما استظهره للزوم أن مع الفعل ، وهذا خلاف شأن أفعال المقاربة . وأما أولى المستعمل مع اللام في قولهم : أولى لك ، وأولى له ، وأولى لى ، فهو اسم للوعيد غير منصرف للعلمية ووزن الفعل^(١) . لا أفعل تفضيل لأفعل ، بدليل قولهم : أولاة الآن^(٢) . وهو من الولى ، وهو القرب . قال المبرد (في الكامل) عند إنشاد قول الخنساء :

(١) ط : « للوعيد لا أفعل تفضيل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل » ، صوابه في ش .
(٢) في اللسان (وى ٢٩٤) : « وحكى ابن جنى : أولاة الآن ، فأنت » . قال : وهذا يدل على أنه اسم لا فعل .

هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الْهُمُومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لَهَا^(١)
يقول الرجل ، إذا حاول شيئاً فأفْلتهُ من بعد ما كاد يُصيبه : أَوْلَى
له . وإذا أفْلت من عَظيمة^(٢) قال : أَوْلَى لِي . ويروى عن ابن الحَنَفِيَّة
رحمة الله عليه أَنَّهُ كان يقول : إذا مات مَيِّت في جواره أو في داره :
أَوْلَى لِي ، كدت أَكُون السَّوَادَ الْمُخْتَرَمَ^(٣) . وَأَنشد لرجل يَقتنصُ الصَّيْدَ
فإذا أفْلته الصَّيْدُ قال : أَوْلَى لَكَ . فكثُر ذلك منه فقال :
فلو كان أَوْلَى يُطعم القومَ صِدَّتْهُم

ولكنَّ أَوْلَى يتركُ القومَ جُوعاً^(٤) اهـ

وقال الفارسي (في كتاب الشعر) : أَوْلَى اسم مبتدأ ، ولك الخبر .
ولا يجوز أن يكون أَفعل من كذا ، لأنَّ أبا زيد حكى أَنَّهُم يقولون أَوْلَاةُ
الآن ، إذا أوعِدُوا . فدخل علامة التَّأْنِيثِ على أَفعل يدلُّك على أَنَّهُ ليس
بأَفعل من كذا . وَأَنَّهُ مثل أَرْملة وَأَضْحاة ، في أَنَّهُ على أَفعل ، لا يراد
به اتصال الجارِّ به ، إلَّا أَنَّهُم جعلوا المؤنَّث فيه أيضاً معرفة ، كما
جعلوا المذكَّر كذلك ، فصار بمنزلة شَيْءٍ سَمِيَ بأَضْحاة فلم ينصرف .
فأمَّا في قوله : « أَوْلَى فأولى يا امرأ القيس » فالخبر منه محذوف للعلم به .
ألا ترى أَنَّ الكلمة استعملت كثيراً في الوعيد حتَّى صارت علماً له ،
فحذِف الخبر لذلك .

فإن قلت : أيجوز أن يكون أَوْلَى اسماً للفعل وفيه ضمير المخاطب
كأَفٍّ ووَشْكان ، ويكون « لك » في أَوْلَى لك لا يكون الخبرَ ولكِنَّه

(١) الكامل ٧٤٠ ، وديوان الخنساء ١٢١ . وفي ط : « وأولى لها » خلافاً لما في ش
والكامل والديوان .

(٢) ط : « عظمة » ، صوابه في ش والكامل .

(٣) في الكامل : « كدت والله أكون السواد المخترم » . السواد : الشخص . والمخترم :

الذي اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته .

(٤) في اللسان : أصدت فلانا صيداً ، إذا صدته له ، كقولك : بغيته حاجة ، أى بغيته له .

بمنزلة قولهم « لك » في : هلم لك ، للتبيين ، وفي سقياً لك ونحو ذلك ،
ويكون امتناع التنوين من الدخول عليه كامتناعه على وشكان ونحوه ،
لا كما امتنع من الدخول على غير المنصرف ؟

فالجواب ما قدّمناه ، من أنّ موضع أولى رفعً بالابتداء . ويدلُّ على
صحة ذلك أنّ أبا زيد حكى أنهم يقولون : أولاة الآن بالرفع ، وهذا
تأنيث أولى ، ولو كان اسماً المفعول لم يرفع . ألا ترى أنّك لا تجد فيما
سمي به الفعل شيئاً مرفوعاً ، فيجعل أولى مثله . والآن في قولهم أولاة
الآن متعلّق بمحذوف . كما تقول : الوعيد الآن . انتهى كلامه .

* * *

وأنشد بعده :

(وما كدتُ آيباً)

على أنّه استعمل (كاد) في الضرورة مثل كان ، فجاء خبرها مفرداً
في قوله : « وما كدتُ آيباً » ، كما يجيء خبر كان مفرداً .

وهذا قطعة من بيت ، وهو :

(فأبْتُ إلى فهمٍ وما كِدْتُ آيباً

وكم مثلها فارقتها وهي تصفِرُ)

وتقدم الكلام عليه مشروحاً في الشاهد السابع والثلاثين بعد الستائة (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد السبعائة ، وهو

(٢) من شواهد س

(قد كادَ من طُولِ البَيْلى أَنْ يَمَّصِحَا)

٧٥٣

(١) الخزانة ٨ : ٣٧٤ - ٣٨٢ . وفي ط : « السادس والثلاثين بعد الستائة » ، صوابه في ش .

(٢) في كتابه ١ : ٤٧٨ وانظر المقتضب ٣ : ٧٥ والجمل ٢١٠ والإنصاف ٦٦ .

وابن يعيش ٧ : ١٢١ والمقرب ١ : ٩٨ والضرائر ٦١ واللسان (مصح) وملحقات

ديوان رؤبة ١٧٢ .

على أنه جاز اقتران خبر كاد بأن لما ذكره .

قال سيويوه : وقد جاء في الشعر كاد أن يفعل ، شبهوه بعسى . قال
رؤية :

* قد كاد من طول البلي أن يمصحاً *

وقد يجوز في الشعر أيضاً لعلّي أن أفعل ، بمنزلة عسيت أن أفعل . ١ هـ .
ومثله لابن عصفور (في الضرائر) قال : ومن ذلك عند بعض
النحويين دخول أن في خبر كاد . نحو قول رؤية :

* قد كاد من طول البلي أن يمصحاً *

وقول الآخر :

كادت النفس أن تفيظ عليه

إذ ثوى حشوَ رِيطةٍ وبرودٍ^(١)

والصحيح أن دخولها في خبر كاد ضرورة ، إلا أنها ليست مع ذلك
بزائدة ، لعملها النصب . والزائدة لا تعمل ، بل هي مع الفعل الذي

(١) انفرد ابن السيد في الاقتضاب ٣٨٩ بنسبة هذا البيت إلى أبي زيد الطائي ، في رثاء
ابن أخته الجلاج الحارثي ، وكان قد مات عطشاً في طريق مكة . وقصيدة البيت طويلة في ٥٩ بيتاً
نجدتها في ديوان أبي زيد ٤٢ - ٥٦ ، والاختيارين للأخفش ٥١٨ - ٥٣٥ ، وأمالى اليزيدي
٧ - ١٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٣٨ - ١٤١ . ولم أجد فيها هذا البيت . ووجدت في هامش
شرح شواهد المعنى للسيوطي ٢٣١ أن البيت لمحمد بن منذر شاعر البصرة . وأجد به أن يكون
لأبي زيد الطائي المخضرم الذي يكثر الاستشهاد بشعره ، وقد جاء على لغة طيء الذين ينطقون
فاضت بالظاء المعجمة كما في اللسان (فيظ) . وسبب اللبس أن لمحمد بن منذر قصيدة أخرى طويلة
جداً يعارض بها قصيدة أبي زيد ويرثي بها عبد الحميد بن عبد الوهاب الثقفي ، وكان قد علق به
حتى انتهك ستره ، كما ذكر ابن المعتز في الطبقات ١١٩ - ١٢٦ . وانظر الأغاني ١٧ :
٩ - ٣٠ ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ - ٦٠ . والبيت بدون نسبة في أدب الكاتب ٣١٤ ،
وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٩٧ وتأويل مشكل القرآن ٤٠٧ واللسان (فيظ) .

نصبتَه بتأويل مصدرٍ . وذلك المصدرُ في موضع خبر كاد ، على حد قولهم : زيدٌ إقبالٌ وإدبار . ١ هـ .

قال علي بن حمزة البصرى (فيما كتبه على نوادر أبي عمرو الشيباني) وكان أبو عمرو والأصمعيُّ يقولان : لا يقول عربيٌّ : كادَ أنْ ، وإنما يقولون : كاد يفعل . وهذا مذهبُ جماعةِ النحويين ، والجماعةُ مخطئون ، وقد جاء في الشعر الفصيح منه ما في بعضه مَقْنَع . فمن ذلك ما أنشده ابنُ الأعرابيِّ :

* يكاد لولا سيره أنْ يُمْلِصا ^(١) *

وأنشد هو وغيره ^(١) :

حتى تراه وبه إكداره يكاد أن ينطحه إمجاره

لو لم ينفس كربه هُراهُ

وأنشد أبو زيد وغيره في صفة كلب :

يرثم أنفَ الأرضِ في ذهابه يكاد أن ينسلَّ من إهابه ^(٢)

٩١

وقال بعض الرُّجَّاز :

* يكاد من طول البلي أنْ يَمَصِّحا ^(٣) *

(١) أي يكاد أن يفلت لولا جذب سير الحمام له . والظاهر أنه في صفة فرس .

(٢) من أرجوزة طردية لأبي نواس في ديوانه ٢١٠ - ٢١١ . والشطر الأول مع نسبته إلى أبي نواس في الحيوان ٢ : ٦٦ ، ويرثم : يكسر ، غنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه . وفي الديوان ٢١١ : « يترك وجه الأرض في إهابه » ، تحريف . ورواية الشطر الثاني هي كذلك في الحيوان ٢ : ٦٧ ، لكن في الديوان ٢١٠ : « يكاد أن يخرج من إهابه » .

(٣) لرؤية في ملحقات ديوانه ١٧٢ . وانظر معجم الشواهد .

وقال ذو الرمة :

وجدت فؤادى كاد أن يستخفَّهُ

رجيعُ الهوى من بعض ما يتذكَّرُ^(١) هـ .

أقول : مرادهما بقولهما : « لا يقول عربيُّ كاد أن » : أنه لا يقول ذلك في الكلام ، وأما الشعر فهو محلُّ الضرورة . فلا خطأً في قولهما .

وأما ما ورد في صحيح البخارى : « وكاد أميةُ بن أبي الصلت أن يسلم^(٢) » ، وجاء في الحديث أيضاً : « كاد الفقر أن يكون كفراً^(٢) » ، فنادر .

وهذا الرجز نُسب إلى رؤبة . وقبله :

صاحب الغامد

(ربع عفا من بعد ما قد امتحى)

وأنشده ابن يعيش :

(ربعُ عفاه الدهرُ طولاً فامتحى)

ورواه اللخمي :

(ربع عفاه الدهرُ دأباً وامتحى)

ولم أر هذا الرجز في ديوان رؤبة .

وكذلك قال ابن السيد (في شرح أبيات أدب الكاتب^(٢)) ، واللخمي

(في شرح أبيات الجمل) بأنهما لم يرياها في ديوانه .

والرَّبع : المنزل حيث كان . وروى بدله : (رسمٌ) . والرسم : أثر الدار .

وعفا يكون لازماً كالرواية الأولى ، يقال عفا المنزل يعفو عَفْواً ، وَعُفْواً ،

(١) ديوان ذى الرمة ٢٢٤ ، ودرة الفواص ١٣٣ .

(٢) الاتضاب ٣٩٦ .

وعفاء ، بالفتح والمدّ ، أى درس . ويكون متعدياً كالرواية الثانية .
يقال عَفَتَهُ الرِّيحُ أى مَحَتَهُ . وَاَمَحَى أصله اَنَمَحَى ، مطاوع محوته
محوّاً ، أى أزلته ، فَاَمَحَى ، أى زال وذهب أثرُهُ . ويقال محيته محياً
بالباء ، من باب نفع .

وزعم العيني أنّ (مِنْ) فى قوله « من بعدِ » زائدة وما مصدرية ،
واسم كاد ضمير راجعُ إلى ريع . ومِنْ تعليلية متعلّقة بكاد لا يمتصح ،
لأنّه صلة أنّ . و(البلى) بالكسر والقصر : مصدر بلى الثوب يبلى ، إذا
أخلق . وبلىّ المنزل ، إذا درَس . فإنْ فتحت الباء مددته . و(يَمْصَح)
بفتح الباء والصاد : مضارعُ مَصَحَ ، بفتح الصاد أيضاً . قال الجوهري :
مصح الشيءُ مُصَوِّحاً : ذهب وانقطع . قال : ومصح الثوبُ : أخلق .
وللهِ درُّ القائل :

يا بدرُ إنَّكَ قد كُسيْتَ مَشَاهِباً من وجه أمِّ محمدِ ابنةِ صالحِ
وأراك تَمْصَحُ فى المَحَاقِ ، وحُسْنُهَا باقٍ على الأَيَّامِ ليسَ بمَاصِحِ

وهو فى الأشهر فعلٌ لازم ، ولم يذكره متعدياً . وفى كثير من كتب
اللغة ما يخالفه . فقد ذكره الهروى ، وابن شميل ، والصاغاني ، متعدياً .
وفى القاموس : مصح الله مَرَضَكَ ، أى أذهبَه ، كَمَسَحَهُ . و (فى الذيل
والصلة للصاغاني) : يقال للمريض : مَصَحَ اللهُ ما بك ، ومسح ، والصاد أعلى .

وقال ابن برى (فيما كتبه على دُرَّةِ الغَوَاصِ) : هذا غلطٌ لأنَّ مسح
لا يتعدى إلا بالباء ، يقال مسحت بالشيءِ أى ذهبت به . فلو كان بالصاد
قيل مصح الله بما بك ، أى أذهبَه ، فتعدّيه بالباء أو بالهمزة ، فيقال أمصح
الله ما بك ، إذ لا يقال مصحه بدون باء . ا هـ .

وهذا مأخوذاً من الجواليقي، قال (في تكملة إصلاح المنطق) : ما تغلط فيه العامة. ويقولون في الدعاء للمريض: مَسَحَ اللهُ ما بك . وكان النَّضْرُ ابن شُمَيْل يقول : مَسَحَ اللهُ ما بك ، أَى أَذْهَبَهُ ، وغيره يجيز : مَسَحَ اللهُ ما بك . ١ هـ .

وقال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : سئل أبو بكر الزُّبَيْدِي عن قول القائل : مَسَحَ اللهُ عنك بيمينه الشَّافِيَةَ ، أباالسَّيْنِ يكتب أم بالصاد ؟ فقال : الذي أقوله وأعتقده وأرويه أَنَّهُ بالسَّيْنِ لا بالصاد فَإِنَّ من كتبه بالصاد فَإِنَّمَا ذهب إلى قولهم مَصَّحَ الظَّلُّ ، إِذَا ذَهَبَ . وهو قول النَّضْرِ بن شُمَيْل . ولا يُلْتَفَتُ إليه ، لِأَنَّ الصَّادَ إِنَّمَا اسْتَعْمَلَتْ في الظَّلِّ خَاصَّةً .

٩٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون يعد السبعمائة^(١) :

٧٥٤ (وقد جَعَلَتْ قَلُوصُ ابْنِي زِيَادٍ
من الأَكْوَارِ مَرْتَعَهَا قَرِيبُ)
على أَنَّهُ قد جاءَ نادرًا خَبرَ جَعَلَ جَمَلَةً اسميةً ، وهو قوله : (مرتعا قريبا) .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : أوقع الجملة من المبتدئ والخبر موقعَ الجملة من الفعل والفاعل ، أراد : وقد جعلت قلووص ابني سهيل^(٢) يقربُ مرتعها من الأَكْوَارِ ، كما قال :

(١) التسهيل ٧٩ والمغني ٢٣٥ وشرح شواهد السيوطي ٢٠٦ والعيني ٢ : ١٧٠ ، والتصريح ١ : ٢٠٤ والأشعري ١ : ٢٥٩ والحماسة بشرح المرزوقي ٣١٠ .
(٢) كذا في إعراب الحماسة الورقة ٦٢ . وهذا مبنى على رواية البيت : « قلووص ابني سهيل » طبقاً لرواية أبي تمام في الحماسة .

فقد جعلتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي

وعيني على فقد الحبيب تنام^(١) . ١ هـ

أقول : الصواب في التقدير : تقرب من المرتع ، بإسناد الفعل إلى ضمير القلوص ، فإنَّ جميع أفعال المقاربة لا يكون فاعلُ خبرها الفعليُّ إلاَّ ضميرَ اسمِها كما نصَّ عليه الشارح المحقق .

وقال الخطيب التبريزي (في شرح الحماسة) : وقد جعلت قلووص ابني سهيل يقرب مرتعها من الأكوار ، أي لم تتباعد في الرعي لَمَّا حُطَّ رحلها ، لما بها من الإعياء ، فبركت مكانها . وجعلت ههنا بمعنى طفقت وأقبلت ، ولذلك لا يتعلَّى . و « مرتعها قريب » في موضع الحال . أي أقبلت قلووص هذين الرجلين قريبة المرتع من رحالمهم .

وهذه غفلة من الخطيب ، فإنه بعد أن قال : إنَّ جعلت بمعنى طفقت ، كيف يسوغ له أن يجعل الجملة حالية .

وسبقه إلى جعل الجملة حالية الإمام المرزوقي ، وتبعهما خضرم الموصلي (في شرح شواهد التفسيرين) .

ثم قال الخطيب : قال أبو العلاء : ويروى : « فقد جعلت قلووص ابني سهيل » بنصب قلووص . وكثير من الناس يرفع القلووص ، وهو وجه رديء ، لأنَّ القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن بد من إتيانه بالفعل ، كما قال :

جعلت وما بي من جفاء ولا قلى أزوركم يوماً وأهجركم شهراً

(١) في حاشية إعراب الحماسة : « الصديق » إشارة إلى رواية أخرى هي : « عل فقد الصديق » . وانظر ما كتبت في تحقيق الحماسة بشرح المرزوقي .

وعلى ذلك جميع ما يردُّ ، فإذا قال القائل جعل زيد فعله جميلٌ ، ولم يأت بلفظ الفعل ، وإنما يحمله على المعنى ، كأنه قال : جعل زيد يجمل . وأحسن من هذه الرواية أن تنصب قلوصلاً ويكون في جعلت ضميرٌ يعود على المذكورة ، وليست جعلت في هذا القول في معنى المقاربة ، وإنما هي صيرت ، فلا تفتقر إلى فعل ، ويكون قوله : « مرتعها قريب » في موضع المفعول الثاني ، كما يقال : جعلت أخاك ماله كثيرٌ . ١ هـ .

وذكر الشلوبين (فيما كتب على الحماسة) أن بعض الناس أجاز أن يكون جعل بمعنى صير وحذف من جعلت ضمير الشأن ، والتقدير : وقد جعلته أى جعلت الأمر والشأن^(١) مرتعها قريباً من الأكوار . وأن آخر^(٢) أجاز أن يكون على إلغاء جعلت مع تقدمها ، على حدّ إجازة أبي الحسن : ظننت عبد الله منطلق . ١ هـ .

فإن أراد ببعض الناس أبا العلاء فلا يصحُّ نسبة حذف ضمير الشأن إليه ، فإنه روى بنصب القلوصل على أنه مفعول أوّل لجعل بمعنى صير ، والفاعل ضمير المرأة . ويردُّ على القول الآخر أن الإلغاء لا يكون في أفعال التصيير ، وإنما يجوز في أفعال القلوب . ٩٣

وقد أخطأ العيني في هذه الكلمة من وجهين .

الأوّل أنه قال : جعل هنا من أفعال المقاربة ، وإنما هي من أفعال الشروع .

والثاني : أنه قال : وجعلت هنا على صيغة المجهول ، أسندت إلى

(١) ش : « وقد جعلت الأمر والشأن » ، وما أثبت هو رواية ط .

(٢) في النسختين : « آخراً » ، ووجه ما أثبت .

قلوص . وإنما جعلتُ بالبناء للمعلوم وقلوصُ اسمها ، وجملة مرتعها قريبٌ من الأكوار في محل نصب على أنه خبرها . والقَلُوص : الناقة الشَّابَّة . ويروى : « ابْنِي سُهَيْل » بدل « ابْنِي زِيَاد » . والأكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرَّحْلُ بآداته . والمَرْتَع : موضع الرتوع ، وهو أكل الماشية ما شاءت . تقول : رتعت الماشية رتوعاً .

وهذا البيت أحد أبيات ثلاثة في الحماسة ، تقدمت مشروحة في الشاهد الثاني والخمسين بعد الثلثمائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٥٥ (وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يثقلني ثوبِي فأنهضُ نهضَ الشَّارِبِ الثَّمَلِ)

على أنه قد يجيءُ خبر جعل جملةً شرطيةً مصدريةً بإذا . فجملة (إذا ما قمتُ يثقلني ثوبِي) في محل نصب ، على أنه خبر جعل .

وهذا كقول همام الرقاشي :

وقد جعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضتُ

بباب دارِك أدلُوها بأقسوامِ ^(٣)

أى أوصلها إليك بأقسوامِ . وكقول عبد الله بن عباس رضي الله

(١) الخزانة ٥ : ١١٩ - ١٢٢ .

(٢) المقرب ١ : ١٠١ والمغني ٥٧٩ وشرح شواهده للسيوطي ٣٧١ والمغني ٢ : ١٧٣

والتصريح ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٦ والجمع ١ : ١٢٨ ، ١٣١ والأشعري ١ : ٢١٣ .

(٣) انظر البيان ٢ : ٣/٣١٦ ، ٤/٣٠٢ : ٨٥ فقد أنشد الجاحظ البيت مع أبيات منسوبة

إلى همام الرقاشي . على حين وردت في الحماسة ١١٢٠ بشرح المرزوق و ٣ : ١٢٩ تبريزي

منسوبة إلى عصام بن عبيد أو ابن عبيد الله الزماني .

عنهما : « فجعل الرجلُ إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً^(١) .
وعلى هذا يكون ثوبى فاعل يُثقلنى ، ويكون وقوع الجملة الشرطية
خبراً لجعل موقع الفعل المضارع نادراً .

وقد تبع الشارحُ المحقق في هذا ابن مالك (في التسهيل) ، قال فيه :
وربما جاء خبر جعل جملةً اسميةً وفعليةً ، مصدريةً بإذا^(٢) . ولا يخفى
أنه إذا جاز تخريجها على ما ثبت لها لا ينبغي العدولُ عنه إلى ادعاء
النُدرة ، فإنه لا مانع من جعل يثقلنى خبراً لها ، ويكون ثوبى بدل
اشتغال من التاء في جعلتُ ، وذلك بتقدير إذا ظرفيةً لا شرطيةً . وكذا
الحال في البيت الثاني ؛ وفي الأثر ، ولكن فيه شذوذٌ وهو مجيء الماضى
خبراً ، فلا يخرج هذا عن قوله سابقاً : « ويتعين في جميع أخبار أفعال
المقاربة أن يكون فاعلُ أخبارها ضميراً عائداً إلى اسمها » .

وإليه ذهب ابن هشام (في المغنى) قال : اشترطوا الإضمار في بعض
المعمولات . ومن ذلك مرفوع خبر كاد وأخواتها إلا عسى . ومن الوهم
قولُ جماعة في قول هُدبة :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه البيت^(٣)

إن فرج قريب اسم يكون . والصواب أنه مبتدأ خبره الظرف ، والجملة
خبر يكون^(٤) واسمها ضمير الكرب ، وأما قوله :

(١) أخرجه البخارى في كتاب التفسير في سورة الشعراء . قال ابن عباس : « لما نزلت :
وأندر عشيرتك الأقربين ، صدق النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر ،
يا بنى عدى ، ياباطون قريش . حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر
ما هو » .

(٢) التسهيل لابن مالك ٥٩ - ٦٠ ، والنص فيه : « مصدرية بإذا أو كلما » .

(٣) هو الشاهد رقم ٧٥٠ في هذا الجزء التاسع .

(٤) ش : « كان » ، تحريف .

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ثوبى البيت

فثوبى بدل اشتِمال من تاء جعلتُ لا فاعل يثقلنى . ٥١ .

إِلَّا أَنْ ما استثناه ابنُ هشامٍ في عسى لم يذكره الشارح المحقق .
قال ابن هشام : تقول كاد زيد يموت ، ولا تقول يموت أبوه . ويجوز
عسى زيد أن يقوم أبوه ، فترفع السببى . ولا يجوز رفعها الأجنبيَّ ،
نحو : عسى زيد أن يقوم عمرو عنده . ٥١ .

وما استثناه الشارح المحقق في كاد ، نحو : كاد زيد تخرج نفسه
لم يذكره ابن هشام . فأفاد كلُّ منهما فائدةً ليست عند الآخر . ولقد
صدق القائل في قوله :

ما حوى العِلْمَ جميعاً أحدٌ لا ولو مارسه ألفَ سنَةٍ

٩٤ لكنَّ ابن مالك جوِّزَ بقلَّةٍ في خبر جميع هذه الأفعال أن يرفعَ
غير ضمير الاسم : قال (في التسهيل) : ويتعيَّن عود الضمير من الخبر
إلى الاسم . وكونُ الفاعل غيره قليل . ٥١ .

تتمة

وقع في بعض نسخ التسهيل : وربَّما جاءَ خبر جَعَلَ جملة اسمية
وفعلية ، مصدرية بإِذا أو كَلِّمًا ، ونادرٌ إسنادُها إلى ضمير الشَّانِ ودخولُ
النفي عليها . ٥١ .

قال شارحة المرادى : ولم يتعرَّض المصنِّف^(١) لهذه الزيادة في شرحه .
ومثال تصدُّره بكَلِّمًا : جعلَ زيدٌ كَلِّمًا جاءَ عمرو ضَرْبَهُ . ويحتاج إلى
سماع ، إِلَّا أَنْ في صحيح البخارى : « فجعل كَلِّمًا جاءَ ليخرج رَمَى في

(١) ش : « المص » ، وهو اختصار لكلمة « المصنّف » ، وانظر تحقيق النصوص ص ٥٨ .

فيه بحجر^(١) . ويمكن تمثيل المسألة الثانية بما حكاه الزاهد غلام ثعلب :
أنه يقال : عسى زيد قائم ، برفع المبتدأ والخبر بعد عسى . فيتخرج^(٢)
على أن في عسى ضمير الشأن . هذا إن جعلنا الضمير في إسنادها إلى
أفعال الباب . وإن جعلناه عائداً إلى جعل احتاج إلى سماع .

ومثال المسألة الثالثة : ما جعل زيد يتكلم ، وقول أنس : « فما جعل
يُشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت^(٣) » . ولا ينبغي أن يعود
الضمير إلى أفعال الباب ، إذ لم يندُر دخول النفي عليها . هـ .

صاحب الشاهد
والبيت من أبيات خمسة لعمر بن عمرو بن أحمر الباهلي ، إلا أن قافيتها
رائية ، لا لامية كما وقع في إنشاد النحويين .

والأبيات رواها عمرو المذكور المرزباني (في الموشح^(٤)) ، ورأيتها
كذلك بخط ابن نبانة السعدي البغدادي صاحب الخطب النباتية ،
كتبها في آخر ديوان محمد بن بشير الخارجي ، ورواها عن أبي سعيد
عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، وقد أقوى في بيتين منها نصاً عليهما
المرزباني ، وهي :

(ما للكواعب يا عيساء قد جعلتُ

تَزورُ عني وتطوى دوني الحجرُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (باب ما قيل في أولاد الشركين) ، وهو حديث
طويل عن سمرة بن جندب .

(٢) ش : « فيخرج » .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء ، باب من تَطَرَّ في المطر حتى يتحادر على لحيته .

(٤) موشح المرزباني ١١٨ . والأبيات لم ترد في صلب ديوان ابن أحر ، وإنما وردت
في ملحقات ديوانه ١٨١ .

قد كنتُ فَرَّاجَ أَبْوَابٍ مغلَّقةٍ
 ذَبَّ الرِّيَادِ إِذَا مَا خُولِسَ النَّظْرُ^(١)
 فمقد جعلت أرى الشَّخصينَ أربعةً
 والواحدَ اثنين مِمَّا بُورِكَ النَّظْرُ^(٢)
 وكنْتُ أمشي على رجلين معتدلاً
 فصرت أمشي على رجلٍ من الشَّجرِ^(٣)
 وقد جعلتُ إِذَا مَا قُمْتُ يُثقلُنِي
 ثوبِي فأنهضُ نهضَ الشَّاربِ السَّكِرِ^(٤)

قوله : « ما للكواعب » استفهامٌ إنكارى ، أنكر إعراض الكواعب عنه ، وهى جمع كاعب ، وهى الشابة التى نتأ ثديها وظهر . وعيساء : اسم امرأة . وازور عن الشئ وتزاور عنه : مال عنه . وتطوى بالبناء للمفعول . ودونى : أمامى . والحجر ، بضم ففتح : جمع حجرة . يريد أنهم لا يقبلان على ويسدُّنْ أَبْوَابَ الحجر أمامى .

وفرَّاج : مبالغة فرج ، من فرجت الباب من باب ضرب ، إِذَا فتحتَه . وذَبَّ الرِّيَادِ ، بالنصب : خبرٌ آخر لكان ، وهو بالذال المعجمة ، أى كثير الحركة والدخول والخروج . يقال فلان ذبُّ الرِّيَادِ ، إِذَا كان لا يستقرُّ فى موضع . والرِّيَادِ : مصدر راود يراد . وخُولِسَ : مجهول خالس الشئ : فاعلٌ من خلست الشئ ، إِذَا اختطفته بسرعة على غفلة .

(١) هذا البيت لم يرد فى الموشح .

(٢) فى الموشح : « لما بورك البصر » .

(٣) فى الموشح : « متهداً فصرت أمشى على أخرى من الشجر » .

(٤) فى الموشح : « يثقلنى ردى » .

يريد أن النساء كُنَّ^(١) يتسارِقن النَّظْرَ إلىَّ لحسنَى وشبابى ، عندما كنت خفيفَ الحركة . وجَعَلْتُ من أفعالِ الشروع . وإنما رأى الشخصين أربعة لضعف بصره من شيخوخته وسِنِّه . وقوله : « مما بُورِكَ النَّظْرُ » تهكم واستهزاءً ببصره ، جعل ضعف بصره بركة ، لأنَّه يُرِيه الشيءَ مضاعفاً .

٩٥

وقوله : « على رجل من الشجر » أراد العصا ، فإنَّ الشيوخَ يعتمدون عليها فى المشى . ويروى : « على أخرى من الشجر » أى على رجلٍ أخرى من الشجر .

وقواه : « إذا ما قمت » ما زائدة وزيادتها بعد أداة الشرط جازماً أو غير جازم مطرّدة ، حتّى نظمها بعضهم بقوله :

خُذْ لَكَ ذِي الْفَسَائِدِ « ما » بعد إذا زائده

وزعم العيني أن ما مصدرية ، وأنَّ التقدير حين قيامى . وقوله : « يثقلنى » من أثقله الشيءُ : أجهده وأتعبه بجعله ثقيلاً . وقوله : « فأنهض » معطوف على يثقلنى ، فهو خبر بعد خبر ، لا على جعلت كما زعم العيني ، لوجهين : أحدهما أن النهوض على هذا الوجه مسبَّب عن إثقاله الثوب لا عن الشروع فى القيام . وثانيهما : تناسب المتعاطفين فى المضارعة^(٢) وفى السببية : فإنَّ كلاً منهما سببٌ للآخر .

وزعم العيني أن التحقيق فيه أنه أقام السبب ، وهو الإثقال ، مقامَ المسبَّب ، وهو النهوض نهضَ الشَّارب . هذا كلامه .

(١) ط : « كانوا » ، ش : « كانوا كن » مع وضع خط فوق « كانوا » إشارة إلى خطأ النسخة .

(٢) ش : « فى المضارعة » .

وأَنْهَضَ : أَقوم ، وله مصدران أحدهما ما فى البيت . والثانى النهوض . ونَهَضَ الشارب صفةً مفعولٍ مطلقٍ نائبٍ عنه ، أى فأنهض نهضاً كنهض الشارب . وقال العينى : نَهَضَ الشارب منصوبٌ على الإِطلاق وهذا لا معنى له ، وكأنه يريد على المفعول المطلق . والسُّكْرُ ، بكسر الكاف : صفة مشبهة من السُّكْر . وكذلك الثَّجِيلُ بكسر الميم صفة مشبهة ، وهو الذى أخذ منه الشرابُ قِوَاهُ .

وقافية هذا البيتِ والذى قبله فىهما إقواءٌ ، بخلاف ما قبلهما ، فإنَّ قافيته مرفوعة .

وعمر بن أَحمرَ الباهلُ شاعرٌ إسلامىٌ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأربعمائة^(١) .

وقال العينى : قائل البيت الشاهد أبو حِيَّةَ التَّمْرِى . وقد نُسِبَ للحكم بن عبدِ الأعرج الأسدَى . وليس بصحيح لأنَّه لا يوجد فى ديوانه .

ويروى الشطر الثانى : « فقامت قيام الشارب السُّكْرُ » . ومن رواه هكذا الجاحظُ (فى باب العُرْجان من كتاب الحيوان له^(٢)) ، ونسبه لأبى حِيَّةَ النمْرِى هكذا^(٣) :

(١) الخزانة ٦ : ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) الحيوان ٦ : ٤٨٣ - ٤٨٤ . وكلمة « له » ساقطة من ط .

(٣) ط : « لأبى حية النمري » له هكذا ، تحريف .

وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يوجعني
ظهري فقامتُ قيامَ الشَّاربِ السَّكرِ
وكنتُ أمشي على رجلَيَّ معتدلاً
فصرتُ أمشي على أخرى من الشَّجَرِ^(١)

(١) في الحيوان والموشح : « على رجلين معتدلاً » .

فعل التعجب

أنشد فيه :

(يا ما أميلح غزلانا شذن لنا)

تمامه :

(من هؤليائكن الضالِ والسمرِ)

وتقدّم الكلام عليه في خواصّ الاسم من أول الكتاب^(١) :

قيل إنّ هذا البيت من أبيات لعلّ بن محمد المغربي^(٢) . وهو متأخر ، له قصيدة في مدح علي بن عيسى وزير المقتدر^(٣) . وقيل المقتدر في سؤال سنة عشرين وثلثمائة .

وإنما أراد التشبّه بكلام العرب . فلا يصحّ الاحتجاجُ به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد السبعمئة^(٤) :

٧٥٦ (وناخذُ بعدهُ بدِنابِ عيشِ أجبَ الظهرِ ليس له سنّامُ)

٩٦ على أنّ نصب (الظهر) على التشبيه بالمفعول به .

أقول : روى ابنُ الناظم وغيره (الظهر) في هذا البيت على ثلاثة

أوجه :

(١) الخزانة ١ : ٩٣ - ٩٩ .

(٢) في الخزانة ١ : ٩٨ : « العربي » .

(٣) ط : « ابن المقتدر » ، صوابه في ش ، وما سبق في ١ : ٩٨ .

(٤) التكلة من ش . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ١٠٠ والمقتضب ٢ : ١٧٩ وابن

الشجري ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٤ وابن يميث ٣ : ٤/٥٧٩ : ٤/٥٣٤ : ٦/٨٣ ، ٨٥ ،

والأشباه والنظائر ٣ : ١٣٦ والأشوفى ٣ : ١١ ويس ٢ : ٨٠ وديوان النابغة ٧٥ .

الأول بالنصب ، وهو ضعيف كما قال الشارح المحقق . وقال ابن الحاجب (في أماليه) : ونصب الظهر كنصب الوجه في : مررت برجل حسن الوجه ، وهي لغة فصيحة على التشبيه بالفعل . ومنهم من جعله نصباً على التمييز ، ولا حاجة إليه لكونه معرفة ، والتمييز المنصوب إنما يكون بالنكرة . وفيه ردٌ على من قال إنه تمييز ، كالبيضاوي ، فإنه استشهد به عند قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (١) قال : نفسه منصوب على التمييز ، كالظهر في البيت .

الثاني : رفع الظهر على الفاعلية .

الثالث : خفضه بإضافة أجب إليه .

وأما (أجب) فهو مجرور لا غير . قال ابن الحاجب : وأجب مخفوضٌ علامةٌ خفضه الفتحة ، صفةٌ لذنبٍ أو عيش . والفتح إنما هو على رفع الظهر ونصبه ، وأما على جرّه فأجب مجرور بالكسرة للإضافة . وأما قطعه إلى الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أو إلى النصب بتقدير أعنى ، فلا يجوز ، لأن قطع النكرة غير الموصوفة نادر .

وقد خلط العيني ونسب إلى ابن الناظم ما لم يُقله . قال : الاستشهاد في قوله أجب الظهر ؛ فإنه يجوز فيه ثلاثة أوجه : الأول : أجب الظهر برفع أجب ونصب الظهر . وهذا من أقسام الضعيف ، وهو على تقدير : هو أجب .

الثاني : نصب أجب على الحالية ورفع الظهر .

والثالث : جرّ أجب على الصفة لعيش ، وجرّ الظهر على الإضافة .

(١) الآية ١٣٠ من سورة البقرة .

هذا كلامه ، وتبعه على هذا خَضْرُ الموصلي (في شرح أبيات التفسيرين) .
 وأنشده سيبويه بنصب الظهر بأجَب على أَنَّ في أَجَب تنويناً مقدراً
 ولم يظهر ، لأنه لا ينصرف .

والبيت من أبيات النابغة الذبياني ، وهي :

(أَلَمْ أَقِمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرُنِي أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الْهُمَامُ آيات الشاهد
 فَإِنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دُخُولِ وَلَسْكَنَ مَا وَرَاءَكَ يَاعَصَامُ
 فَإِنَّ يَهْلِكَ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
 وَنَاخُذُ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ)

ومن حديث هذه الأبيات أَنَّ النابغة كان عند النعمان ملك العرب
 بالحيرة ، كبيراً عنده ، خاصاً به ، وكان من ندمائه وأهل أنسه ، فحُصِدَ
 على منزلته منه ، فاتهموه بأمرٍ ذكرناه في مواضع من هذا الكتاب ^(١) ،
 فغضب عليه النعمان وأراد البطش به . وكان للنعمان بوابٌ يقال له
 عِصَامُ بن شَهَبَرِ الجرمي ، قال للنابغة : إِنَّ النُّعْمَانَ مَوْقِعُ بَكَ فَاَنْطَلِقْ !
 فهرب النابغة إلى ملوك غَسَّانَ ملوكِ الشام ، فكان يمدحهم وترك النعمان ،
 فاشتدَّ ذلك عليه ، وعرف أَنَّ الذي بلغه كَذِبٌ . فبعث إليه : إِنَّكَ لَمْ
 تعتذر من سَخَطِي إِنْ كَانَتْ بَلَعْتِكَ ، وَلَكِنَّا تَغَيَّرْنَا لَكَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا كُنَّا
 لك عليه ، ولقد كان في قومك ممتنعٌ وحِصْنٌ ، فتركتهُ ثم انطلقت إلى
 قومٍ قَتَلُوا جَدِّي ، وبيني وبينهم ما قد علمت . وكان النعمان وأبوه وجدُّه
 قد أكرموا النابغة وشرفوه وأعطوه مالا عظيما . وبلغ النابغة أَنَّ
 النعمان ثقيلٌ من مرض أصابه حتى أشفقَ عليه منه ، فاتاه النابغة
 فألفاه محمولاً على رَجُلَيْنِ يُنْقَلُ مَا بَيْنَ الْغَمْرِ وَقُصُورِهِ الَّتِي بَيْنَ الْحِيرَةِ ،

(١) انظر منها الخزانة ٢ : ١٣٦ .

فقال لبِوَابِهِ عصام :

ألم أقسم عليك لتخبرنني الأبيات المذكورة .

قال أبو عبيدة : كانت ملوكُ العرب إذا مرض أحدُهم حملته الرجال على أكتافها ، يتعاقبونهُ ، لأنَّهُ عندهم أوطأ من الأرض . فعافاه الله وعفا عن النابغة .

قال حسان بن ثابت : وفدتُ إلى النعمان فحسدتُ النابغة على ثلاث لا أدرى على أيتهاً كنتُ أحسدُ : أعلى إدناء النُعمان له بعد المباحة ومسايرته له وإصغائه إليه ^(١) ، أو على جودة شعره ، أو على مائة بعير من عسافيره أمر له بها ؟

قال أبو عبيدة : قيل لأبي عمرو : أمِنُ مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه ، أم لغير ذلك ؟ قال : لا لعمر الله ، ما لمخافته فعل ، إن كان إلاً آمناً من أن يوجهه إليه النعمان جيشاً . وما كان النابغة يأكلُ ويشرب إلاً في آنية الذهب والفضة ، من عطايا النُعمان وأبيه وجده ، ولا يستعمل غير ذلك .

وقوله : « ألم أقسم عليك ^(٢) إلخ هو استفهام تقريرى ، وقوله « لتخبرنني » جواب القسم وقوله : « أمحمول » إلخ خبر مقدم والهوام مبتدأ مؤخر ، والجملة في موضع المفعول لتخبرنني . والتحقيق أن الواقع مفعولاً محذوف مضاف إلى هذا الاستفهام ، والتقدير : جواب هذا الاستفهام . والنعش : السرير ، كان الرِّجال يحملونه على سريرهِ في مرضهِ .

(١) ش : « وإصغاه » ، تحريف .

(٢) في النسختين : « ألم أخبرك » ، والوجه ما أثبت .

وقال العيني : وقيل معنى أمحمول على النعش ، أى هل مات فحُمِلَ على النعش أم لا ؟ انتهى .

(أقول) : هذا كلامٌ من لم يصل إلى العنقود .

والهُمام : الملك العظيم الهمة .

وقوله : « فَإِنِّي لَا أَلُومُكَ » إلخ : لا أَلُومُكَ في تركك الإذْن لي في الانتهاة إلى الملك ، ولكن أَخِيرْتَنِي بِكُنْه أَمْرِهِ . ورواه العيني :

* فَإِنِّي لَا أَلَامُ عَلَى دُخُولِ *

وقال : أى لا أَلَامُ على ترك الدخولِ عليه ، لأنِّي محجوب لا أَصِلُ إليه لغضبه عليّ . وهذا خلاف ما رَوَاهُ الناس .

وقوله : « ما وراءك يا عصام » صار مثلاً عند العرب ، وأورده الزمخشري (في أمثاله ^(١)) قال فيه : هو من قول النابغة ، يضرب في الاستخبار عن الشيء ، وهو عِصَامُ بن شَهْبَرِ الباهليّ حاجبُ النُعمان . ومن شعر عصام هذا :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وَجَعَلَتْهُ مَلَكًا هُمَامَا

والبيت الأول من هذا مثلٌ أيضاً ، يضرب لمن شُرِفَ بنفسه لا بآبائه .

وفي الأمثال أيضاً : « كُنْ عِصَامِيًّا وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا » ، أى افتخرْ

بنفسك لا بعظام آبائك البالية .

(١) المستقصى للزمخشري ٢ : ٣٣٤ .

قال الزمخشري : وهو عصامُ الخارجي ، وإنما سمته العرب خارجياً لأنه خرج عن غير أولية كانت له .

ويحكى أن الحجاجَ ذكِرَ عنده رجلٌ بالجهل ، فأراد اختباره فقال : أعظايُّ أم عصايُّ ؟ أراد : أشرفتَ بآبائك الذين صاروا عظاماً أم بنفسك ؟ فقال الرجل : أنا عصايُّ عِظايُّ . فقال الحجاج : هذا أفضلُ الناس ، ففضي حوائجَه ومكث عنده ، ثم فتشَه فوجده أجهلَ الناس ، فقال له : تصدَّقني أو لأقتلنك ، كيف أجبتني بما أجبتني حين سألتك عما سألتك ؟ قال : لم أعلم أعصايُّ خيرٌ أم عظايُّ ، فخشيت أن أقول أحدهما ، فقلت كليهما ، فإن ضررتني أحدهما نفعني الآخر . فقال الحجاج عند ذلك : « المقاديرُ تُصيرُ العبيَّ خطيباً » .

وقوله : « فأن يهلك أبو قابوس » إلخ هو كنية النعمان ، وقابوس : معرَّب كاووس ، كطاوس ، اسم أحدِ ملوكِ الفرس . وقوله : « ربيع الناس » إلخ يريد أنه كان كالربيع في الخصب لمجديهِ ، وكالشَّهر الحرام لجاره ، أي لا يُوصَل إلى مَنْ أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحدٍ . والمعنى : إن يمَت النُّعمان يذهبُ خيرُ الدُّنيا عنها ، كانت تعمَّرُ به ، وبجوده وعدَّله ونفعِهِ للنَّاس . ومن كان في ذمَّته وسلطانَه فهو آمنٌ على نفسه مَحْقُونُ الدَّم ، كما يَأْمَنُ الناس في الشهر الحرام على دماهم وأموالهم . وروى بدله : « والنَّعمُ الرُّكام » بالضم ، أي المتراكمة .

وقوله : « وناخذبعده » إلخ الذَّناب والذَّنابة بكسرهما ، والذَّنابي بالضم والقصر : الذَّنْب . قال الشنتمريُّ : المستعمل للبعير ونحوه الذَّنْب ، وللطائر الذَّنابي ، وللعين ونحوها الذَّنابة ولما لا خير فيه . والأجْبُ بالجم : الجمل المقطوع السَّنَام ، والسَّنَام : حدبة البعير ، يقول : إن مات بقينا

في طرفِ عيشٍ قد مضى صدرُهُ ومُعظَّمُهُ وخَيْرُهُ ، وقد بقي منه ذنبُهُ ،
ويكون العيش كبعيرٍ قد جُبَّ سَنَامُهُ . يريد : صار الناسُ بعده في أسوأ حالٍ
وأضيق عيشٍ وذُلٍّ ، وتمسَّكوا منه بمثل ذنب بعيرٍ أجَبَ الظَّهْرَ . والسَّنَامُ
يستعار كثيراً للعرز ، حتى كأنه غلب فيه .

وقد أوردَ أبو القاسم الزجاجيُّ هذه الأبياتَ الثلاثة (في أماليه
الصُّغرى والوسطى^(١)) وقال فيهما : أمَّا عصامٌ فحاجب النعمان . يقول :
لا ألومك إن منعتني من الوصول إليه ، ولكن عرَّفني خبره . وكان الملكُ
إذا مرض يُجْعَل في سريرٍ ويُحْمَل على أكتاف الرجال ، يعللُ بذلك^(٢)
ويقولون : هو أرفهُ له . وأمَّا قوله : وناخذُ بعده ، فيجوز فيه الرفع والنصب
والجزم . أمَّا الجزم فعلى العطف على قوله يهلك ربيعُ الناس . والرفع على
القطع والابتداء ، والنصب بالصرف على إضمار أن . وكذلك كلُّ معطوفٍ
بعد جواب الجزاء من الأفعال المستقبلية ، تجوز فيه هذه الأوجه الثلاثة .
وقوله « أجَبَ الظَّهْرَ » يعني مقطوع الظهر . وهذا تمثيلٌ تشبيه . ويروى :
« أجَبَ الظَّهْرَ » بخفضهما جميعاً على إضافة أجَبَ إلى الظهر ، ويروى :
« أجَبَ الظَّهْرَ » بفتح أجَبَ ونصب الظهر على أن يكون موضع أجَبَ
خفضاً ولكنه لا ينصرف ، وينصب الظهر على التشبيه بالمفعول به
ويضم في أجَبَ الفاعل ، كأنه قال : أجَبَ الظهر بالتنوين ، ثم منعه
من التنوين لأنه لا ينصرف ، وهو في تقدير قولك : مررت برجلٍ
حسن الوجه ، وكثير المال ، وطيب العيش . ويروى : « أجَبَ الظَّهْرَ » على أنه
في موضع خفض ورفع الظهر به ، كأنه قال : أجَبَ ظَهْرُهُ ، فأهل الكوفة

(١) انظر ملحقات أمالي الزجاجي ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) التعليل : الترفيه والتلهية .

يجعلون الألف واللام عقيب الإضافة ، وأهل البصرة يضمرون ما يعلق الذكر بالأول ، وتقديره عندهم : أجبَّ الظهر منه . انتهى .

وتقدّمت ترجمة النابغة الذبياني في الشاهد الرابع بعد المائة (١) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد السبعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٧٥٧ (والله عينا حَبْرٍ أَيُّما فتى)

على أَنَّهُ قد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب كما هنا فإنَّ فيه معنى التعجب من الفتوة كما تقول : أى رجل زيد ؟ وقد تضمَّنت أى معنى المدح والتعجب الذى تضمَّنته زِعْمَ وجبداً .

وأى إذا أُضيفت إلى مشتقٍّ من صفة يمكن المدح بها كانت للمدح بالوصف الذى اشتقَّ منه الاسم الذى أُضيفت إليه . فإذا قلتَ : مررت بفارسٍ أىُّ فارس ، فقد أثبتت عليه بالفروسيَّة خاصَّةً (٣) . وإن أُضيفت إلى غير مشتقٍّ فهى للثناء عليه بكلِّ صفةٍ يمكن أن يثنى عليه بها (٤) ، فإذا قلتَ مررت برجلٍ أىُّ رجلٍ فقد أثبتت عليه ثناءً عاماً فى كلِّ ما يُمدح به الرَّجل .

قال سيبويه : وسألته - يعنى الخليل - عن قوله :

(١) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٠٢ . وانظر الكامل ٧٣٥ والعين ٣ : ٤٢٣ والممع ١ : ٩٣ والدرر

١ : ٧١ والأشموني ١ : ٢/١٦٨ : ٢٦٢ والحامسة بشرح المرزوقي ١٥٠٢ وبشرح التبريزي

٤ : ٧٥ .

(٣) ط : « الخاصة » .

(٤) ط : « يثنى عليها » .

فَأَوْمَاتُ إِيْمَاءٍ خَفِيًّا لِحَبْتِرٍ وَلِلَّهِ عَيْنَا حَبْتِرٍ أَيَّمَا فَتَى

فقال : أَيُّمَا تكون صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة ، وتكون استفهاماً مبنياً عليها ومبنية على غيرها ، ولا تكون لتبيين العدد ، ولا في الاستثناء نحو قولك : أتوفى إلا زيدا . ألا ترى أنك لا تقول له : عشرون أَيُّمَا رجلٍ ولا أتوفى إلا أَيُّمَا رجل . والنصبُ في مثله رجلاً كالنصب في عشرين رجلاً . فأَيُّمَا لا تكون في الاستثناء ، ولا يختص بها نوعٌ من الأنواع ، ولا يفسر بها عدد . وأَيُّمَا فتى استفهامٌ . ألا ترى أنك تقول : سبحان الله مَنْ هو وما هو ؟ فهذا استفهامٌ فيه معنى التعجب . ولو كان خبيراً لم يجز ذلك ، لأنَّه لا يجوز في الخبر أن تقول من هو وتسكت . انتهى .

قال النحاس : قد فسّر الخليل أَيُّمَا بقوله تكون صفة للنكرة ، كقولك مررت برجل أَيُّمَا رجل ، وحالاً للمعرفة ، أى إن شئت رويت :
* فله عينا حبتِرٍ أَيُّمَا فتى *

بالنصب ، أى كاملاً^(١) . ومبنياً عليها ، كقولك أَيُّمَا رجل ، ومبنية على غيرها ، نحو زيد أَيُّمَا رجل ، ولا تكون لتبيين العدد ولا في الاستثناء ، لأنها لم تقو في الصفات . على أن الأخص قد أجاز ذلك . انتهى .

وقال الأعمى : رفع أَيُّمَا بالابتداء والخبر محذوف ، والتقدير : أَيُّ فتى هو ، وما زائدة مؤكدة . وفي أى معنى المدح والتعجب . وصف أنه أمر ابن أخت له يقال له حبتِر ، بنحر ناقه من أصحابه ، لأنه كان في غير محله ليخلفها عليه إذا لحق بأهله ، وأوماً إليه بذلك حتى لا يشعر به أحد ، ففهم عنه وعرف إشارته لذكائه وحده بصريه . والإيماء . الإشارة بعين أو يد . انتهى .

(١) يعنى فتى كاملاً .

وروى المبرد (في الكامل) الرفع والنصب في أيما فتى في البيت ، قال
عند الكلام على قول ليلى الأخيلىة :

نظرتُ وركنُ من بُوانةِ دُوننا وأركانِ جِسْمي أَيُّ نظرةِ ناظرٍ

قولها: « أَيُّ نظرةِ ناظرٍ » يصلح فيه الرفع والنصب على قوله : نظرتُ أَيُّ
نظرةِ وأَيَّةِ نظرة ، وأَيُّتِما نظرة وأَيُّما نظرة ، كما تقول : مررت برجل
أَيُّما رجل . وتَأوِيلُه : برجل كامل . فَأَيُّما في موضع كامل ، وتقول :
مررت بزَيْدٍ أَيُّما رجل على الحال . ومن قال أَيُّ نظرة هي فعلى القطع
والابتداء ، والمخرج مخرج استفهام ، وتقديره أَيُّ نظرة ؟ كما تقول :
سبحان الله أَيُّ رجل زيد .

وهذا البيتُ يَنْشُدُ على وجهين :

فَأَومَأْتُ إِيمَاءً خَفِيًّا لِحَبْرَةٍ ولله عينا حَبْرَةٍ أَيُّما فتى

و « أَيُّما » إن شئتَ على ما فسرنا : انتهى كلامه .

وقد أنشده ابن مالك (في باب الموصول من شرح التسهيل) بنصب
أَيُّما على أنه حال من حبتر . وأنكره أبو حيان (في شرحه) وقال :
أصحابنا أنشدوه بالرفع على أنه مبتدأ أو خبر مبتدأ ، وقد رَوَوْهُ أَيُّ
فتى . ولم يذكر أصحابنا كون أَيُّ تقع حالا ، وإنما ذكروا لها خمسة
أقسام : موصولة ، وشرطية ، واستفهامية ، وصفةً لنكرة ، ومنادى .

١٠٠

هذا كلامه على ما ذكره العيني ، وما نقلناه من كلام الأئمة يردّ عليه .

وقول المرادى (في شرحه) تبعاً لأوّل كلام أبي حيان : أنشده المصنف
بنصب أَيُّ على الحال ، وأنشده غيره بالرفع ، يردّه رواية المبرد وغيره .

ولا أكاد أقضى العجبَ من قول العيني : الاستشهاد فيه أن أياً فيه صفة ، وقد عَلِمَ أنه صفة لمعرفة وحالٍ من نكرة^(١) ، ولا يضاف إلا إلى نكرة . انتهى .

وهذا من نمط اختراع الخراع^(٢) الذي صنعه الصفدى^(٣) وقصد به التحميص^(٤) .

والبيت من قصيدة للراعي النميري ، وأورد منها أبو تمام (في الحماسة) ثلاثة عشر بيتاً ، وكان نزل بالرّاعي رجلٌ من بني كِلابٍ في ركبٍ معه ليلاً في سَنَةِ مُجدبة ، وقد عَزَبَتْ عن الراعي إبلُهُ ، فأشار إلى حِبتَرٍ بخِضِيَّةٍ ، فنحر لهم ناقةً وأحلَّهم ، وصَبَّحت الراعي إبلُهُ فَأَعْطَى رَبَّ الناقة ناقةً مثلها ، وزاده ناقةً ثنِيَّةً ، فقال هذه القصيدة في هذه القضية .

وهجاه بعضهم في نحرِ ناقةٍ ضيفه بأبيات ، وأجاب عنها الراعي بقصيدةٍ ، والجميع مذكورٌ في باب الهجاء من الحماسة .

قال الطبرسي (في شرح الحماسة) : حِبتَرٍ بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناة من فوق هو ابن أخي الراعي ، ومعناه في اللغة القصير من الناس ، وإنَّمَا رَسَمَ له عَرَقَبَتَها في السَّرِّ بعد أن اختارها ، مخافة أن يمتنع صاحبُها بما همَّ به فيها . وقوله : والله عينا حِبتَرٍ ، اعتراضٌ . وإذا عَظَّموا الشئَ نسبوا إليه إلى الله تعالى . وأيُّما فتى

(١) في النسختين : « عن نكرة » ، وأثبت ما في العيني .

(٢) كذا في النسختين .

(٣) ش : « الصفدى » ، بالغين المعجمة .

(٤) التحميص ، من الإحاض ، وهو الأخذ في ملح الكلام والحكايات ، ويقال أحض القوم إحاضاً ، إذا أفاضوا فيما يؤنسهم .

ينشد بالرفع والنصب ، فالرفع على تقدير أيما فتى هو . والنصب على الحال . انتهى .

وترجمة الراعي تقدّمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة^(١) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد السبعمائة^(٢) :

٧٥٨ (وقد وجدت مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ

فإنْ وجدتَ لسانًا قائلًا فقل)

لما ذكره من معنى أحسن ، أى صِفَه بالحسن كيف شئت . فإن فيه منه كل ما يمكن أن يكون في شخص . كالبيت : فإن معناه وجدت مكاناً للقول بكثرة ما فيه من المناقب ، فإن كان لك لسان قائل فقل ما شئت ، أى فليست تحتاج في شيء غائب إلى مدحه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للمتنبى مدح بها سيف الدولة . وقبله :

(والمدحُ لابن أبي الهيجاء تُنجدُه

بالجاهليّة عَيْنُ العِيِّ والخَطَلِ^(٣))

تُنجدُه : تعينه . والخَطَلُ : اضطراب القول . وهذا تعريضٌ بأبي العباس النامى^(٤) ، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين

(١) الخزانة ٣ : ١٥٠ .

(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٦٩ .

(٣) الرواية في الديوان : « عين العي » بالعين المعجمة المفتوحة ، وهو الضلال .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمى المصيصى ، المعروف بالنامى ، شاعر رقيق الشعر من أهل المصيصة ، ثغر قريب من طرسوس ، اتصل بسيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبى في المنزلة والرتبة . وله آمال أملها بجلب . وكانت له مع المتنبى معارضاة اقتضاها اجتماعهما في حلب وقربهما من سيف الدولة . مات في حلب سنة ٣٩٩ . وفيات الأعيان ١ : ٣٨ - ٣٩ .

كانوا في الجاهليَّة . يقول : إذا مدحته وأعنته بذكر آبائه الجاهليين
كان ذلك عينَ العيِّ ، ثم وضح^(١) هذا المعنى وتممه بقوله :

(ليتَ المدائحَ تستوفى مناقبه فما كليبٌ وأهلُ الأعْصِرِ الأوَّلِ)

أى ليت ما مدح به من الشعر استوفى ذكر مناقبه ، ومتى ينفرغ
الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة^(٢) .

(خُذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به

في طلعةِ الشَّمسِ ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ)

يقول : امدحه بما تشاهده واترك ما سمعت ، فإنَّ الشمس تغنيك
عن زُحَلِ . وجعله كالشمس وآبائه كزُحَلِ . والمعنى : فيما^(٣) قُربَ منك
عوضٌ عمَّا بعد عنك ، لا سيَّما إذا كان القريبُ أفضلَ من البعيد .

١٠١

(وقد وجدت مكان القول ذا سعة البيت)

وترجمة المتنبي تقدّمت في الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة^(٤) .
وهذا البيت إنّما أورده لتنظير معنى بمعنى .

(١) وضح ، سقطت من ش ، وكتب الشنقيطى فى هامشها بدلا منها « أكد » مع وضع علامة إلحاق .

(٢) المكبرى : « أدخل ما عل من يعقل لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه »
ثم قال : « فا كليب وسائر الملوك الأولين عند ما خلده من الفخر وأبقاه من المكارم » .
وكليب بن ربيعة مضرب المثل فى العزة عند العرب ، يقولون : « أعز من كليب وائل » .

(٣) فى النسختين : « فا » ، والوجه ما أثبت من شرح المكبرى .

(٤) الخزائنة ٢ : ٣٤٧ . وفى ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » .

أفعال المدح والذم

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد السبعمائة^(١) :

٧٥٩ نَعِيمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُبِيرِ

على أَنَّ طَرْفَةَ اسْتَعْمَلَ نَعِيمَ عَلَى الْأَصْلِ ، بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ .

قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة يحيى بن وثاب : ﴿ فَنَعِيمَ

عُقْبَى الدَّارِ ﴾^(٢) : أَصْلُ قَوْلِنَا : نَعِيمَ الرَّجُلِ زَيْدٌ : (نَعِيمٌ) كَعَلِيمٌ . وَكُلُّ مَا كَانَ عَلَى

فِعْلِ وَثَانِيهِ حَرْفٌ حَلَقِي فَلَهُمْ فِيهِ أَرْبَعُ لُغَاتٍ ، وَذَلِكَ نَحْوُ فَخَذٍ وَنَعِيرٍ^(٣)

بِفَتْحِ الْأَوَّلِ وَكَسْرِ الثَّانِي عَلَى الْأَصْلِ . وَإِنْ شِئْتَ أَسَكَنْتَ الثَّانِيَّ وَأَقْرَرْتَ

الْأَوَّلَ عَلَى فَتْحِهِ . وَإِنْ شِئْتَ أَسَكَنْتَ وَنَقَلْتَ الْكَسْرَةَ إِلَى الْأَوَّلِ . وَإِنْ

شِئْتَ أَتْبَعْتَ الْكَسْرَ الْكَسْرَ . وَكَذَلِكَ الْفِعْلُ ، نَحْوُ ضَحِكٍ ، وَإِنْ شِئْتَ

ضَحِكٌ ، وَإِنْ شِئْتَ ضِحْكٌ ، وَإِنْ شِئْتَ ضِحِكٌ . فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ نَعِيمَ

الرَّجُلِ ، وَإِنْ شِئْتَ نَعِيمٌ ، وَإِنْ شِئْتَ نَعِيمٌ . وَإِنْ شِئْتَ نَعِيمٌ . فَعَلَيْهِ جَاءَ :

﴿ فَنَعِيمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ : وَأَنْشَدْنَا أَبُو عَلِيٍّ لَطَرْفَةَ :

(فَفِدَاءُ لِبْنِي قَيْسٍ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُرٍّ وَضُرٍّ

مَا أَقَلَّتْ قَدَمِي إِنَّهُمْ نَعِيمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُبِيرِ)

ورويانا عن قطرب : نَعِيمَ الرَّجُلِ زَيْدٌ ، بِإِشْبَاعِ كَسْرَةِ الْعَيْنِ وَإِنْشَاءِ

(١) المقتضب ٢ : ٣٠ والمحتسب ١ : ٣٥٧ والإنصاف ١٢٢ وابن يعيش ٧ : ١٢٧

والهمع ٢٠ : ٨٤ ، وديوان طرفة ٧٣ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرعد .

(٣) فى النسختين : « ومعز » ، تحريف . وليس فى المعز لغة بهذا الضبط وإنما المعز ،

بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ فَقَطْ ، كَمَا يُقَالُ الْمَعْرَى وَالْمَعْرَاءُ وَالْمَعِيزُ وَالْأَمْعُوزُ وَالْمَعَازُ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ

وَالْقَامُوسِ . وَنَصَّ الْحَتَّابُ : « نَحْوُ فَخَذٍ وَمَحْكٍ وَنَفَرٍ » . وَالنَّفَرُ : الْغَضْبَانُ وَالغَضْبَانُ : وَهُوَ

مَنْ نَفَرَ الْقَدْرَ تَنَفَّرَ ، إِذَا غَلَّتْ .

بإء بعدها، كالمطافيل والمساجيد^(١). ولا بدَّ من أن يكون الأمر على ما ذكرنا لأنه ليس في أمثلة الأفعال (فَعِيلَ) البتة، انتهى.

وقد بسط القول على نعم وبئس ابن الأنباري (في مسائل الخلاف)، وابن الشجري (في المجلس الستين من أماليه)، وقيد قراءة يحيى بن وثاب بفتح الفاء وسكون العين.

وقوله: «فداءً لبني قيس» إلخ قال شراح أبيات المفصل وغيره: أي أنا فداءً لهذه القبيلة. والسرُّ والضُّرُّ بضمهما: السَّرَاءُ والضَّرَاءُ. وما: دَوَامِيَّةٌ. والإِقْلَالُ: الرَّفْعُ. وقَدَمِي فاعل أَقَلَّتْ. وروى: «قدمائ» بالثنية. وعليهما فمفعول أَقَلَّتْ محذوف، التقدير أَقَلَّتْنِي. و«إنهم» تعليل لقوله فداءً. وروى أيضاً:

* ما أَقَلَّتْ قَدَمٌ نَاعِلَهَا *

والناعل: لابس النعل، أي ساتر القدم بالنعل. وروى أيضاً:

* ثم نادوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ *

أي قالوا: هؤلاء القوم هم الذين قال الناس في حقهم: نعم الساعون هم في الأمر المبرِّ. فالمخصوص بالمدح محذوف. والمبرِّ: اسم فاعل من أَمَرَ فلانٌ على أصحابه، أي غلبهم. أي هم نعم الساعون في الأمر الغالب الذي عَجَزَ الناسُ عن دفعه:

هذا ما قالوا، والمروئِي في ديوان طرفة في عدَّة نسخ البيت الأوَّل كما رواه ابن جني. والبيت الثاني كذا:

(خالتي والنفسُ قِدماً إنَّهم نِعَمَ السَّاعون في القومِ الشُّطْرُنُ)

(١) في النسختين: «والمساعد»، صوابه من المحتسب.

قال شارح ديوانه الأعلام الشتمري : يقول : نفسى فِداءً لبني قيس على ما أصاب الناس من أمر يسرُّهم أو يضرُّهم . والسُّرَّ والضرُّ : السَّرَاءُ ، والضرُّاءُ . وقوله : « في القوم الشُّطْرُ » يعنى البُعْداءِ من النَّاسِ الغُرَباءِ . وواحد الشُّطْرُ شطير . وأصل الشُّطير : الناحية ^(١) . وكلُّ من بعد عن أهله فقد أخذ في ناحيةٍ من الأرض . يقول : سعيهم في الغرباءِ أحسنُ سعي . انتهى .

وفهم من كلامه أنَّ قوله خالتي مبتدأً والنفس معطوف عليه . وقوله فداءً خبر لهما مقدَّم . لكن يُنظَر : ما وجه ذكر الخالة ههنا ^(٢) ؟ وقدماً بالكسر : ظرف متعلِّق بنعم ، ولا يمنع منه ذكر إنَّ المكسورة لأنَّه ظرفٌ اغتفر فيه التَّقْدِيم .

وقيس : أبو قبيلة الشاعر ، وإنَّما جعل نفسه فداءً لبنيه لأنَّهم يتبادرون في إغاثة الملهوف .

وهذا نسب طرفة الشاعر : طرفة بن العبد بن سُفيان بن سعد بن مالك بن ضَبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل .

والبيتان من قصيدةٍ طويلةٍ لطرفة تقدَّم بعض أبياتٍ منها في باب اسم الفاعل في الشاهد السابع بعد السَّمانَة ^(٣) . وهذه أبياتٌ قبل البيت الشاهد :

صاحب الشاهد

(١) كذا في النسختين . والمعروف في المعاجم هو الشطر ، بالفتح للناحية . وأما الشطير ، فهو الغريب والبعيد ، كما يقال لشطر الشيء أى نصفه شطير أيضاً .

(٢) أقول ، أزل الخالة منزلة الأم لأمرٍ ما . وهم مما يفدون بأبائهم وأمهاتهم .

(٣) ط : « الشاهد السادس بعد السَّمانَة » ، وعلق ناشرها بقوله : « همامش الأصل :

السادس صوابه السابع » . وقد وردت الكلمة على الصواب في صلب ش . وانظر الخزانة ٨ :

أبيات الشاهد

(نحنُ في المشتاةِ ندعو الجفلى
حين قال الناس في مجلسهم
بجفانٍ تعترى نادينا
كالجوابي لانتى مترعة
ولقد تعلم بكرُّ أننا
ولقد تعلم بكرُّ أننا
يكشفون الضر عن ذى ضرهم
ففضل أحلامهم عن جارهم
ذلق في غارة مسفوحة
نمسيك الخيل على مكروها
حين نادى الحى لما فزعوا
أيها الفتيان في مجلسنا

لا ترى الآدبَ فينا ينتقِرُ^(١)
أقتارُ ذاك أم ریحُ قُطرُ
من سديفٍ حين هاج الصنبرُ
لقرى الأضيافِ أوللمُختَضِرُ^(٢)
آفةُ العُزُرِ مسامیحُ يُسرُ
فاضلُو الرأيِ وفي الرَّوعِ وقُرُ
ويُبرُون على الآبى المبرُ
رُحْبَ الأذرعِ بالخيرِ أمرُ
ولدى البأسِ حُماةُ ما نَفرُ
حين لا يُمسكها إلا الصُبرُ
ودعا الداعى وقد لجَّ الذُعرُ
جرُّدوا منها وِراداً وشُقُرُ

ثم وصف الخيل بأبيات تسعة وقال :

(ففداءً لبنى قيسٍ على
خالتي والنفسُ قدماً إنهم
ما أصابَ الناسَ من سُرٍّ وضرٍّ
نِعِمَ الساعونُ في القومِ الشُطرُ)

قوله : « نحن في المشتاة » إلخ قال شارحه الأعلام الشتمرى :
يريد زمن الشتاء والبرد ، وذلك أشد الزمان . والجفلى : أن يعم بدعوته
إلى الطعام ولا يخصص واحداً دون آخر . والآدب : الذى يدعو إلى المأدبة

(١) ط : « لا ترى الآداب » ، صوابه فى ش .

(٢) بعه فى الديوان ٦٩ :

ثم لا يخزن فينا لحمها
يخزن كينصر : يفسد ويتغير ، ومثله « يخنز » ، وهى رواية أخرى . وتقبط أيضاً
« يخزن » بالبناء للمجهول ، أى يحفظ ويحرز .

وهي كلُّ طعام يُدعى إليه . والانتقار : أن يدعُو النَّقْرَى : وهو أن يخصَّهم ولا يُعمِّهم . يقول : لا يُخصُّ الأَغْنِيَاءُ ومن يَطْمَعُونَ في مكافاته ، ولكنَّهُم يُعمُّون ، طلباً للحمد ولاكتسابِ المجد .

وقوله : « حين قال الناس » إلخ القُتَارِ بالضم : رائحة اللحم إذا سُوي . والقُطْرُ ، بضمّتين : العود الذي يتبخَّرُ به . يقول : نحن نطعم في شدَّةِ الزمان إذا كان رِيحِ القُتَارِ عِنْدِ القومِ بمنزلةِ رائحةِ العود ، لما فيه ^(١) من الجَهْدِ والحاجةِ إلى الطعام .

١٠٣

وقوله : « بجفانٍ تعترى » إلخ أى ندعوهم إلى الجفان . ومعنى تعترى : تليِّمُ به وتأتيه . والنادى : مجلس القوم ومتحدِّثهم . والسَّدِيف : قطع السنام . والصَّنْبِيرُ أشدُّ ما يكون من البرد . قال ابن جنى (في الخصائص) الصَّنْبِيرُ بنون مشددة وباء ساكنة . وكان حقُّه إذا نُقِلت الحركة أن تكون الباء مضمومة ، لأنَّ الرَاءَ مرفوعة ، ولكنه قدَّر الإضافة إلى الفعل ، يعنى المصدر ، كأنه قال حين هَيَّج الصَّنْبِيرُ . يعنى أنَّه نقل الكسرة في الوقف إلى الباء الساكنة وسكنت الراء ^(٢) .

قال الدمامينى (في الحاشية الهندية) بعد أن نقل هذا الكلام : وهذا من الغرائب ؛ فإنَّ الصَّنْبِيرَ لا شك في كونه فاعلاً بهاج ، لكنه أعربه بالكسرة نظراً إلى أنَّ الفعل في معنى المصدر المضاف إلى هذا الفاعل ، ثم نقل الكسرة . وقد نظمتُه لغزاً فقلت :

أيا علماء الهند إننى سائلٌ فمُنُوا بتحقيقٍ به يظهر السرُّ

(١) أى في الشتاء وشدَّة الزمان .

(٢) انظر الخصائص ١ : ٢٨١ . وقد تصرف البغدادي في نقله . وانظر كذلك الخصائص

أرى فاعلاً بالفعل أَعْرَبَ لفظه
بجرٍّ ولا حرفٌ يكون به الجرُّ
وليس بمحكىٍّ ولا بمجاورٍ
لِذِي الخفض والإنسان للبحث يُضطرُّ
فهل من جوابٍ منكمُ أستفيده
فمِنْ بحرِكُمْ مازال يُستخرج الدرُّ

وقد استشهد الجوهري ببيت طرفه على أَنَّ الصَّنِيرَ بكسر الباء :
شدة البرد ، فجعل الكسرة أصليَّة ، وجوِّزَ أن تكون الباء ساكنة في الأصل
ولكن حُرِّكت بالكسر للضرورة . وعلى هذا لا يلغز . انتهى كلامه .

قال الشُّمْنِيُّ : وقد سُبِقَ الدَّمَامِينِيُّ إلى اللغز في ذلك بِأبي سعيد فرج ،
المعروف بابن لُبِّ النحوى الأندلسي (في منظومته النونية ، في الألفاظ
النحوية) فقال :

ما فاعلٌ بالفعل لكن جرُّه مَعَ السُّكون فيه ثابتان

وفي شرحها : يعنى الصَّنِيرِ من قول طرفه . ا هـ .

وقوله : « كالجوابي لآتني » إلخ الجوابي : جمع جابية ، وهو الحوض
العظيم يُجَبَى فيه الماء ، أى يُجْمَع . شَبَّه الجفان بها في سَعَتها وعِظْمها .
والترعة : المملوءة . وقوله لا تني : أى لا تفتتر ولا تزال . والقيرى :
القيام بالضيف . والمُتَحَضِّرُ : النازل على الماء ، اسم فاعل من احتَضَرَ .
والمحاضر : المياه ، واحدها مَحْضَرٌ كجعفر . يقول : لا تزال جفاننا
مترعة لمن جاءنا ضيفاً أو لمن كان حاضراً معنا نازلاً على ماثنا .

وقوله : « ولقد تعلم بكر » إلخ ، العُجْرُ : جمع جَزور . والمساميح :
الأسْحِيَاءُ . واليُسْرُ : الداخولون في اليُسْرِ . يريد : تفضل آراؤنا وسياستنا

رأى غيرنا ، ولا نخفُّ عند الرُّوع بل نشبُت ونتوقَّر . وقوله : « ويبرُّون »
أى يَغلبون ويظهرون . على الآبى ، أى الممتنع . أى نحن نغلب الآبى
الغالب .

وقوله : « فُضِّلُ أَحْلَامُهُمْ » يقول : إن جهل جارهم حلموا عنه حلماً
فاضلاً ، ولم يكافئوه على جهله . وقوله : « رُحِبُ الأذرعِ » أى واسع الصدر^(١)
بالمعروف . وأمر : جمع أمورٍ ، وهو الكثير الأمر .

وقوله : « ذَلِقَ فى غارةِ » أى مُسرعون إلى الغارةِ متقدِّمون فيها . وأصله
من ذَلِقَ السَّيْفُ ، إذا كان يخرج من غمده . والمسفوحة : المصبوبة ،
ويقال هى الكثيرة . والحُماة : جمع حامٍ ، وهو الذى يحمى حريمه
وعشيرته .

وقوله : « نمسك الخيل » يقول : نصبر على ارتباطِ الخيل والقيامِ
عليها . وقوله : « على مكروهاها » أى نُمسِكها على شدةِ الزمان وجُوعِ النَّاسِ
ونؤثرها على أنفسنا . ويحتمل أن يريد نُمسك الخيل على ما نلقاه من
شدةِ الحرب وجُهداها ، ولا ننهزم . وإنما ذكر مكروه الخيل ، لأنَّها
إذا أصابها مكروه فى الحرب فهم أجدرُّ أن يصيبهم . والبيت الذى
بعده يدلُّ على هذا التفسير الثانى .

١٠٤

وقوله : « وقد لَجَّ الذُّعر » أى دام الذُّعر فى القلب واشتدَّ . والذُّعر :
الفرع ، وحرَّك العين إتباعاً لحركة الذال .

وقوله : « أَيُّها الفتيان » إلخ جرِّدوا منها وِراداً ، أى ألقوا عنها جلالها

(١) ش : « الصدور » .

وأَسْرَجُوهَا لِلْقَاءِ . وَقِيلَ ^(١) الْجَرِيدَةُ مِنَ الْخَيْلِ ، وَهِيَ الَّتِي تُخْتَارُ فَتُجَرَّدُ
أَيُّ تُكْمَشُ فِي مَهْمِّ الْأُمُورِ . وَالْوِرَادُ : جَمْعُ وَرْدٍ . وَشُقْرٌ : جَمْعُ أَشْقَرٍ ،
وَحَرَكُ الثَّانِي إِتْبَاعاً لِلأَوَّلِ .

وتقدّمت ترجمة طرفة بن العبدِ في الشاهد الثاني والخمسين بعد
المائة ^(٢) .

* * *

وَأُنْشِدُ بَعْدَهُ :

(العاطفون تحين ما من عاطفٍ)

تقدّم شرحه مستوفى عليه الكلام ، في الشاهد الحادى والثمانين
بعد المائتين ^(٣) :

* * *

وَأُنْشِدُ بَعْدَهُ :

(فَمَضِيَتْ تُمَّتَ قُلْتُ لَا يَغِينِي)

على أَنَّ (تُمَّ) إِذَا لِحَقَّتْهَا التَّاءُ اخْتَصَّتْ بِعَطْفِ قِصَّةٍ عَلَى قِصَّةٍ .
تقدم هذا من الشارح المحقق في باب المذكر والمؤنث أيضاً . وهو
المشهور . وقد وقع في شعر رُوَيْبَةَ عَطْفُ الْمَفْرَدِ بِهَا ، قَالَ :
فَإِنْ تَكُنْ سَوَائِقُ الْجِمَامِ ^(٤) سَاقَتَهُمْ لِلْبَلَدِ الشَّامِ .
فَبِالسَّلَامِ تُمَّتَ السَّلَامِ .

(١) ش : « وهى » .

(٢) الخزائنة ٢ : ٤١٩ .

(٣) الخزائنة ٤ : ١٧٥ - ١٨٢ في الشاهد ٢٨١ ، وعجزه :

* والمطمون زمان أين المطم * .

(٤) ملحقات ديوان رُوَيْبَةَ ١٨٣ . وفى ط : « فلان يكن » ، صوابه فى ش والملحقات .

وقبله :

يا هال ذات المنطق التمام وكفك الخضب البنام

وقول الشارح المحقق: « وقد جَوَّزه ابن الأنباري ولا أدري ما صحته ،
 أقول : تجويزه مأخوذ من شعر رؤبة . وحينئذ صحته واضحة .
 والمذكور عجز ، وصدْرُه :

(ولقد أمرُّ على اللثيم يسبُّي)

وتقدم الكلام عليه مراراً ، وأوَّلُ ما ذكر في الشاهد الخامس
 والخمسين (١) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الستون بعد السبعائة (٢) :

٧٦٠ (ماوىَّ يا ربَّتْما غارةِ شعواء كاللذعةِ بالميسمِ)

على أن التاء لحقت (رُبَّ) للإيدان بأن مجرورها مؤنث ، وما زائدة
 بين ربَّ ومجرورها ، كما قاله الشارح المحقق في ربَّ من حروف الجر .
 والبيت أوَّلُ أبياتٍ أربعةٍ لضمرة بن ضمرة النهشلي ، وأوردها
 أبو زيد (في نوادره) . وبعده :

(ناهبُها الغنمَ على طيِّعِ أجردَ كالقدحِ من السَّاسِمِ
 ماوىَّ بل لستُ برعيدةِ أبلغَ وجَّادِ على المُعْدِمِ
 لا وألتُ نفسُكَ خلَّيتها للعامريِّينَ ولم تُكَلِّمِ (٣))

وماوىَّ : منادى مرخَّم ماويَّة ، اسم امرأة . ويا في قوله : (ياربَّتْما)

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ - ٣٥٩ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) نوادر أبي زيد ٥٥ والأزهية ٢٧١ وابن السجري ٢ : ١٥٣ والإنصاف ١٠٥

وإبن يعيش ٨ : ٣١ والعيني ٣ : ٣٣٠ والمجع ٢ : ٣٨ والأشياء والنظائر ٢ : ٨٥ .

(٣) ضبطت كاف : « نفسك » في النوادر بالكسر ، وكان الخطاب لماوية المتقدمة الذكر .

ولكن البغدادي قد ضبطها في تفسيره بالفتح ، وجعله دعاء على رجل .

للتنبية لا للنداء : وفي رواية أبي زيد : « ماوىَّ بَلَّ رَبِّمَا » ، قال أبو زيد :
الشَّعْوَاءُ : الغارة المنتشرة ، وهي بالعين المهملة . واللَّدْعَةُ ، بالذال المعجمة
والعين المهملة ، مِنْ لَدَعْتَهُ النَّارُ ، إِذَا أَحْرَقْتَهُ .

هذا ما رواه أبو زيد ، قال العيني : وإنما اللدعة بالذال المهملة والغيرين
المعجمة : المِكْوَى . ١ هـ .

١٠٥ وهذا معارضة النقل بالرأى . قال أبو زيد : والمَيْسَمُ : ما يُوسَمُ به
البعير بالنار . وقوله : « نَاهَبْتُهَا » جواب رَبِّ ، أى نهبت بالغارة الغنم
بالضم ، وهى الغنيمة . والغارة : اسمٌ من أغار القوم إغارة ، أى أسرعوا
فى السَّير . وقوله : « على طَيْعٍ » أى فرس طَيْعٌ ، وهو فيعل من الطَّوع ، وهو
الانقياد . قال أبو زيد : طَيْعٌ : فرسٌ لَيِّنُ العِنانِ طَوْعٌ . وأجرد ، بالجيم
والراء ، قال أبو زيد : هو قصير الشعر ^(١) . وهو صلبٌ كأنه قِدْحٌ من
خشب السَّاسِمِ الآبِنوس ^(٢) ، وهو السَّاسِمُ . والقِدْحُ بكسر القاف : السَّهْمُ
قبل أن يراش ويُنصل . والسَّاسِمُ ، بسينين مهملتين مفتوحتين ، قال أبو
الحسن الأتخفش (فيما كتبه هنا) : وأنشِدْتُ عن ابن الأعرابي : « نَاهَبْتُهَا
الْغَنَمَ عَلَى صُنْتَعٍ » ، وزعم أَنَّهُ الصُّلْبُ الشَّدِيدُ ، وهو بضم الصاد المهملة
وسكون النون وضم المثناة من فوق ، بعدها عين مهملة . قال أبو زيد :
رَجُلٌ رَعْدِيدٌ ورَعْدِيدَةٌ ، إِذَا كَانَ يُرْعَدُ [عِنْدَ ^(٣)] الْقِتَالِ . والأبْلَخُ ،

(١) الذى فى النوادر ٥٦ : « وأجرد قصير الشعر » ، وقدامى اللغويين يؤثرون
« الشعر » بالتاء على « الشعر » مجرداً منها . وفى اللسان : « والشرة : الواحد من الشعر ،
وقد يكئ بالشرة عن الجمع ، كما يكئ بالشبية عن الجنس » .

(٢) الآبِنوس بكسر الباء ، كما فى تاج العروس ، وضبطت فى النوادر بضم الباء . والكلمة
دخيلة .

(٣) التكلية من ش والنوادر .

بالموحدة والخاء المعجمة ، صفة رَعْدِيْدَة ، قال أبو زيد : المتكَبِّرُ الفخور .
وَوَجَّادٌ بتشديد الجيم ، صفة ثانية لرعديدة . قال أبو زيد : وَجَّادٌ : كثير
الغَضَبِ ، وهو مبالغةٌ فاعلٍ من الوجود ، وهو الغضب . ويقال المَوْجِدَة
أيضاً . والمُعْدِمُ : الفقير ، وهو اسم فاعلٍ من أَعَدَمَ فلانٌ ، إذا افتقر .

وقوله : « لا وَأَلَّتْ نَفْسُكَ » إلخ ، هذا دعاءٌ على رجل استأسرَ لأعدائه
دون أن يُجْرَحَ . قال أبو زيد : وَأَلَّتْ : نجت . والموتل : المَنْجَى . وتُكَلِّمُ :
تجرح ، بالبناء للمفعول ، من الكَلَّم وهو الجرّح .

وضمرة بن ضمرة شاعر جاهليٌّ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد الثامن
والثمانين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(يا صاحِبًا رُبَّتَ إنسانٍ حَسَنٌ يَسْأَلُ عنكَ اليومَ أو يسألُ عَن)
على أَنّه جاء مجرور (رُبَّتَ) مذكراً على خلاف القياس .

وقد تقدّم الكلام عليه ، في باب المذكر والمؤنث ، في الشاهد [الواحد
و ^(٢)] الخمسين بعد الخمسائة .

وأنشد بعده :

(والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرِ)

على أَن (العائذات) كان في الأصل صفةً للطَّيْرِ فقدّم عليه وصار
الطَّيْرِ بدلا من العائذات . والعائذات مفعول به للمؤمن ، والمؤمن

(١) الخزانة ٢ : ٣٨ - ٤٠ .

(٢) التكملة من ش . وانظر الخزانة ٧ : ٤٢١ - ٤٢٤ .

معطوفٌ على مُقسمٍ به متقدِّمٌ . وقد تقدَّم الكلام عليه في الشاهد السابع والأربعين بعد الثلاثائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده : وهو الشاهد الحادى والستون بعد السبعائة ^(٢) :

٧٦١ (لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(عَيْنًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ)

على أَنَّهُ قد يدخل الفعلُ الناسخُ على المخصوصِ بالمدحِ أو الذمِّ ، سواءً تقدَّم المخصوصُ كما في المثال ، أو تأخَّر كما في هذا البيت . وأصله لنعم السيدان أنتما ، فدخل عليه الناسخ فصار وجدتما ، فضمير التثنية نائب الفاعل لوجد ، وهو المفعولُ الأوَّل له . وقوله : « لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ » جواب القسم ، والقسم وجوابه في موضع المفعول الثانى لوجد .

١٠٦ وكذا إعرابه على مقتضى مختارِ الشارحِ المحقِّقِ في جعل المخصوص مبتدأً وجملة المدح أو الذمَّ خبره .

و (السَّحِيلُ) بالمهملتين : الخيط الذى لم يُحكَمَ فتلُهُ . و (المُبْرَمُ) الخيط الذى أُحكِمَ فتلُهُ . وأراد بالأوَّل الأمرَ السَّهْلَ ، وبالثانى الأمرَ الشَّدِيدَ .

والبيتُ من معلِّقة زهير بن أبى سُلمى ، وقد شرحناه مع أبيات منها في الشاهد السادس والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال ^(٣) .

(١) الخزانة ٥ : ٧١ - ٧٥ . والبيت بتمامه :

والمؤمن العائذات الطير يسحبها ركبان مكة بين الغيل والسند

(٢) المجمع ٢ : ٤٢ ، والأشباه والنظائر ٤ : ٢٠٥ .

(٣) الخزانة ٣ : ٢ - ٢٠ .

وقوله: «فيدخله عوامل المبتدأ» يشمل باب كان، وظن، وإن وأخواتها. والأولان جائزان، والثالث لا يجوز، فإنه لا يقال: نعم الرجل إن زيدا، فكان ينبغي أن يقول كما قال ابن مالك (في التسهيل^(١)) في صورة تأخير المخصوص: «أو أول معموئي فعل ناسخ» ليحترز عن إن وأخواتها. ومثال الأول قوله:

لعمري لئن أنزفتُم أو صحوتُم لبئس الندامى كنتم آل أبجراً^(٢)

وتعميم النواسخ إنما هو في صورة تقديم المخصوص، كقوله:

إن ابن عبد الله نع م أخو الندى وابن العشيره^(٣)

وقول الآخر^(٤):

إذا أرسلوني عند تعذير حاجة أمارس فيها كنت نعم الممارس^(٥)

ومثال ظن نحو: ظننت زيدا نعم الرجل.

وأشده بعده، وهو الشاهد الثاني والستون بعد السبعمئة^(٦):

(والله ما ليلى بنام صاحبة)

٧٦٢

(١) التسهيل ١٢٧.

(٢) استشهد به في معجم الهوامع ٢: ٨٦.

(٣) لأبي دهيل الجمحي في ديوانه ٩٦. وانظر العيني ٤: ٣٥، والممع ٢: ٨٧، والأشياء والنظائر ٤: ٢٠٥. وابن عبد الله هذا هو المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام، كما في نسب قريش ٢٣٤. وانظر أيضاً العمدة ٢: ١٢٤ في باب السرقات.

(٤) ليزيد بن الطرية في ديوانه ٤٥. وانظر العيني ٤: ٣٤، والممع ٢: ٨٧، والحامسة بشرح المرزوقي ١٧٢٥.

(٥) رواية الديوان والحامسة: «كنت عين الممارس»، فلا شاهد فيه على هذه الرواية.

(٦) الخصائص ٢: ٣٦٦ وابن الشجرى ٢: ١٤٨، والإنصاف ١١٢ وابن عيميش

٣: ٦٢، والعيني ٤: ٣، والممع ١: ٢/٦: ١٢٠ والأشعري ٣: ٢٧ واللسان (نوم ٧٦).

على أنَّ حرف الجر داخلٌ على محذوف ، أى بمقول فيه : نام صاحبه ، فحذف القول وبقى المحكيُّ به .

وذهب صاحبُ اللباب إلى أنه من باب حذف الموصوف غير القول ، قال : تقديره : بليلٍ نام صاحبه فيه ، فالجرُّ دخل في الحقيقة على الموصوف المقدر لا على الصفة .

وأقول : لا فرق بينهما ، فإنَّ كلاً منهما ضرورةٌ يختصُّ بالشعر . إلاَّ أنَّ ما ذهب إليه الشارح المحقق أقرب إلى القياس ، وهو قول أبي علي (في التذكرة) ، قال فيها : ومن زعم أنَّ نعم اسمٌ لدخول حرف الجرِّ عليه في قول حسن :

أَلَسْتَ بِنَعْمِ الْجَارِ يُؤَلَّفُ بَيْتَهُ أَخَا نِلَّةٍ أَوْ مُعَدِّمِ الْمَالِ مُضْرِمًا^(١)

فلا حجة له فيه ، لأنَّه يقدر فيه الحكاية ، ويلزمه على هذا أن يكون نام اسماً ، كقوله :

وَاللَّهِ مَا زِيدُ بِنَامِ صَاحِبِهِ وَلَا مَخَالِطِ اللَّيَّانِ جَانِبِهِ . ا هـ

وكذا قال ابن الأنباري وابن الشجري ، إلاَّ أنَّ روايتهما : « ما ليلى بنام صاحبه » .

ونقل العيني عن ابن سيده (في المحكم) أنَّ روايته كرواية أبي علي . وقال إنَّه قال : قيل إنَّ نام صاحبه علمٌ رجل . وإذا كان كذلك جرى مجرى شاب قرناها . ثم قال : فإن قلت : إنَّ قوله ولا مخالط الليان جانبُه ليس علماً وإنَّما هو صفة ، وهو معطوف على نام صاحبه : فيجب أن

(١) ديوان حسن ٣٦٩ برواية : « لذى العرف ذا مال كثير ومعدما » . وانظر معجم الشواهد .

يكون قوله : « نام صاحبه » أيضاً صفة . قيل : قد يكون في الجُمْلِ إذا سمى بها معاني الأفعال . ألا ترى أن شاب قرناها اسمٌ علمٌ ، وفيه مع ذلك معنى الذم . وإذا كان كذلك جاز أن يكون قوله « ولا مخالط اللبان جانبه » معطوفاً على ما في قوله نام صاحبه من معنى الفعل . هذا كلامه .

قال شارح اللباب : اللبان بالكسر : الملاينة . وبالفتح : مصدر لان بمعنى اللين . يقال هو في لِيَانٍ من العيش ، أى في نعمٍ وخفض . ١٥٧ . وروى صدره : (عَمْرُكُ ما ليلي) إلخ فيكون عمرك مبتدأً خبره محذوف ، أى قسى . وجملة ما ليلي إلخ جواب القسم ، وزيدت الباء في خبر ما . والبيت مع كثرة دورانه في كتب النحو غير معلوم قائله . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتَمَا
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ)
تقدّم شرحه قريباً^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد السبعمائة^(٢) :

٧٦٣ (أبو موسى فجدُّك نِعَمَ جَدًّا
وشَيْخُ الحَيِّ خَالِكُ نِعَمٍ خَالًا)
على أنه قد يكون فاعل نعم ضميراً مفسراً بنكرة ، مع تقدّم المخصوص بالمدح ، كما هنا . فإن «أبو موسى» هو المخصوص ، وفاعل نعم ضمير

(١) هو الشاهد ٧٦١ في هذا الجزء .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٤٣ .

فسرّه بقوله جدًّا . وكذا المصراعُ الثاني، فإنَّ قوله «شيخ الحَيِّ» هو المخصوص وخالك بدلٌ منه ، وفاعل نعم ضمير مفسرٌ بقوله خلا .

وأما قوله : «فجدُّك» ، تحريفٌ^(١) وقع في نسخ هذا الشرح ، ولم يتنبَّه له أحدٌ ، ولا فتش ديوان قائله حتَّى يؤخذ الماء من مجاربه .

وقد تمحل لإعرابه المولى حسنُ الفنارَى (في حاشية المطوّل) ، وهو معذور . قال : قوله فجدك بدلٌ من أبو موسى ، والأقرب أنَّ أبو موسى مبتدأ فجدُّك خبره . والفاء زائدةٌ في الخبر على ما جوزه الأَخفش . أمَّا زيادتها في البديل فلم أظفر به ، والمخصوص بالمدح محذوفٌ على قياس : نعم العبد . وهذا أولى لشبوعه .

هذا غاية ما تكلف به ، وصوابه : (فحسبك) ، كما هو مسطورٌ في عدَّة نسخ^(٢) ديوانِ ذى الرمة .

والبيت من قصيدةٍ طويلةٍ عدَّتْها مائة بيت : مدح بها بلالُ بن أبي بردة صاحب الشاهد ابن أبي موسى الأشعري .

وليس البيتُ للأخطل كما زعم الشَّارح ، فإنَّ الأخطلَ هلك قبلَ ظهور بلال ، فإنَّ الأخطلَ كان من شعراء معاويةَ بين أبي سفيان ، وبلال كان في زمن عمرَ بن عبد العزيز .

والبيت موجودٌ في قصيدةٍ من شعر ذى الرمة . وغالب شعرِ ذى الرمة في مدح بلال . وقبله :

(١) كذا بإهمال فاء الجواب في النسختين .

(٢) كذا في النسختين بالإضافة .

آيات الشاهد (بني لك أهل بيتك يا ابن قيسٍ
مكارمَ ليس يُحصيهُنَّ مدحُ
أبو موسى فحسبُك نِعْمَ جَدًّا
كَأَنَّ النَّاسَ حِينَ تَمُرُّ حَتَّى
قياماً ينظرون إلى بلالٍ
فقد رفع الإلهُ بكلِّ أفقٍ
كضوءِ الشمسِ ليس به خفاءُ
وأنت تزيدهمُ شرفاً جُلّالاً
ولا كذباً أقولُ ولا انتحالا
وشيخُ الركبِ خالك نِعْمَ خالا
عواتقَ لم تكن تَدَعُ الحِجْلالا
رِفاقُ الحجِّ أبصرتِ الهلالا
لضوئِكَ يا بلالُ سَنَّا طُوالا
وأعطيتِ المهابةَ والجمالاً)

والجُلّال ، بضم الجيم : الجليل . ومكارمَ مفعول بَنَى لك .

وقوله : (أبو موسى فحسبُك) إلخ هو أبو موسى الأشعريُّ الصحابي .
وقوله : (فحسبك) الفاء في فحسب زائدة لازمة . وحسب : اسمٌ بمعنى
ليُكفِّ ، كما قال الشارح المحقق في باب الإضافة ، مرفوعٌ بالابتداء :
وخبره محذوفٌ تقديره : هذا النسب ، أو هذا المدح . والجملة اعتراضيةٌ
بين المبتدأ والخبر . وقوله (وشيخُ الركب) أي القافلة . وروى بدله :
(وزاد الركب) ، ومعناه أنه لا يدعُ أحداً من الركب يحمل زادَ السُّفرة ^(١) ،
بل هو يُجري النَّفقاتِ على جميع مَنْ صَحِبَهُ في السُّفَر .

١٠٨

ومدحه في هذا البيت بشرفِ النَّسَبينِ : نسبِ الأبِ ونسبِ الأمِّ .

وقوله : « كَأَنَّ النَّاسَ » إلخ خبر كأنَّ قوله : « رفاقُ الحجِّ » في البيت
بعده . وحتى حرف جرٌّ غاية للنَّاسِ ، وما بعدها داخل في المغيَّأ . وعواتقَ
مجرور بالفتحة ، جمع عاتق ، وهي البنت التي أدركت في بيت أبويها

(١) كذا في النسختين ، والسفرة ، بالضم : طعام المسافر ، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير ،
فتقل اسم الطعام إلى هذا الجلد الذي يبسط ويؤكل عليه .

ولم تكن متزوَّجة . والحِجَال : جمع حجلة بالتحريك ، وهو بيتها الذى تلازمه ولا تخرجُ منه . وقياماً منصوب على الحال . أراد : كأنَّ الناسَ فى حالِ قيامهم حين يمرُّ بلال ، رفاقُ الحج إذا نظروا إلى الهلال . والسَّنا ، بالقصر : الضوء . والطُّوال : مبالغة الطَّويل .

وفى هذه القصيدة أبياتٌ آخر شواهدُ : منها :

(وميَّةٌ أحسنُ الثَّقَلينِ جيداً وسالفةٌ وأحسنهم قَدالاً)

والقَدال : ما بين الأذن والنُّقرة ، وهما قذالان . ومنها :

(سمعتُ النَّاسُ ينتجعون غَيْثاً فقلتُ لصَيْدَحِ انتجِجى بلالاً)

وتقدَّم شرحه فى أفعال القلوب ^(١) .

وقد تقدمت ترجمةُ بلال هذا فى الشاهد الستين بعد المائة ^(٢) .

وترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن من أول الكتاب ^(٣) .

* * *

وأنشده بعده :

(وَيُلْمُهَا رَوْحَةٌ ^(٤))

هو قطعة من بيت ، وهو :

(وَيُلْمُهَا رَوْحَةٌ وَالرَّيْحُ مُعْصِفَةٌ وَالغَيْثُ مُرْتَجِزٌ وَاللَّيْلُ مُقْتَرَبٌ ^(٥))

(١) فى الشاهد ٧١٩ من هذا الجزء التاسع .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٥ .

(٣) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٤) ط : « دوحه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٥) ط : « ويلمها دوحه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وتقدّم شرحه في الشاهد الحادى عشر بعد المائتين (١)

* * *

وأنشد بعده :

(فيالك من ليل)

هذا أيضاً قطعة من بيت ، وهو :

(فيالك من ليل كأن نجومه

بكل مغارِ الفتل شدت بيذبل)

وتقدم أيضاً شرحه في الشاهد العاشر بعد المائتين (٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد السبعمئة (٣) :

٧٦٤ (تزوّد مثل زاد أبك فينا فنعم الزادُ زادُ أبيك زاداً)

على أنّه قد يجىء بعد الفاعل الظاهر تمييزاً للتوكيد .

قال ابن يعيش : اختلف الأئمة في هذه المسألة ، فمنع سيويه
والسيرافى وابن السراج ذلك ، وأجازه المبرّد وأبو على . واحتج سيويه
بأنّ المقصود من المرفوع والمنصوب الدلالة على الجنس ، وأحدّهما
كافٍ عن الآخر . وأيضاً فإنّ ذلك ربّما أوهم أنّ الفعل الواحد له فاعلان ،
وذلك إنّ رفعت اسم الجنس بأنّه فاعل . وإذا نصبت النكرة بعد ذلك
أذنت بأنّ الفعل فيه ضمير فاعل ، لأنّ النكرة المنصوبة لاتأتى إلّا كذلك .

(١) الخزانة ٣ : ٢٧٣ - ٢٧٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٦٩ - ٢٧٣ .

(٣) المقتضب ٢ : ١٥٠ والخصائص ١ : ٨٣ ، وابن يعيش ٧ : ١٣٢ والمقرب

١ : ٦٩ والتسهيل ١٠٩ والمغنى ٤٦٣ والمعنى ٤ : ٣٠ والأشرفى ٢ : ٢٠٣ / ٢ : ٣٤٠ :

وديوان جرير ١٣٥ .

وحجّة المبرّد في الجواز الغلوّ في البيان والتأكيد ، والأوّل أظهر . وأمّا بيت جرير ، وهو :

تزوّد مثل زاد أبيك إلخ

فإنّ المبرّد أنشده شاهداً على ما ادّعى من جواز ذلك . فإنّ رفع الزاد المعرف باللام بأنّه فاعل نعم ، وزاد أبيك هو المخصوص بالمدح ، وزاداً تمييزاً وتفسير ، فالقول عليه أنّا لا نسلّم أنّ زاداً منصوب بنعم ، وإنّما هو مفعول به بتزوّد . والتقدير : تزود زاداً مثل زاد أبيك فينا ، فلمّا قدّم صفتّه عليه نصبها على الحال . ويجوز أن يكون مصدرأ مؤكّداً محذوف الزوائد ، والتقدير : تزوّد مثل زاد أبيك فينا تزوّدأ . ويجوز أن يكون تمييزاً لمثل ، كما يقال ما رأيت مثله رجلاً . وعلى تقدير أن يكون العامل فيه نعم فإنّ ذلك من ضرورة الشعر ، ولا يُجعل قياساً . ومثله قول الآخر^(١) :

ذريني أصطيح يا بكر إنني رأيت الموت نقب عن هشام^(٢)

تخيّره ولم يعدل سيّواه ونعم المرء من رجلٍ تهامى

فقوله : « من رجل » كقوله رجلاً ، لأنّ من تدخل على التمييز .

وذلك كلّه من ضرورة الشعر .

وقال ابن جنّي (في الخصائص) : إنّ الرجل من [نحو] قولهم :

نعم الرجل زيد ، غير المضمّر في نعم إذا قلت نعم رجلاً زيد^(٣) لأنّ المضمّر

(١) هو بجير بن عبد الله التشيرى ، كما في الاشتقاق ١٠١ . وانظر معجم شواهد العربية .

(٢) في الدرر اللوامع ٢ : ١١٣ : « فدعى أصطيح يا بكر » ، وفي الكامل ٣١٤ : « ذريني

أصطيح يا سلم » .

(٣) كلمة : « نحو » السابقة ساقطة من ط ، وإثباتها من ش والخصائص ١ : ٣٩٥ .

كما أنّ كلمة « زيد » هذه ساقطة من ش ، وإثباتها من ط والخصائص .

على شريطة التفسير لا يظهر ولا يُستعمل ملفوظاً به . ولذلك قال سيبويه
 هنا باب ما لا يعمل في المعروف^(١) إلا مضمراً ، أى إذا فسّر بالنكرة ،
 نحو : نعم رجلاً زيد ، فإنه لا يظهر أبداً . وإذا كان كذلك علمت زيادة
 الزاد في قول جرير :

تزود مثل زاد أبيك فينا البيت

وذلك أن فاعل نعم مظهر فلا حاجة به إلى أن يفسر . فهذا يُسقط
 اعتراض المبرد على صاحب الكتاب في هذا الموضع . ٥١ .
 وهذا جوابٌ خامس .

وقال المرادى (في شرح التسهيل^(٢)) : منع سيبويه الجمع بين
 التمييز والفاعل الظاهر ، وأجاز ذلك المبرد والفارسي . قال المصنف :
 وهو الصحيح . ٥١ . وبالجواز قال ابن السراج . وفصل بعضهم فقال : إن
 أفاد التمييز معنى لا يفيدُه الفاعل جاز ، نحو : نعم الرجل رجلاً فارساً
 زيد ، وإلا فلا . قال المصنف : والحامل لسيبويه على المنع كون التمييز
 في الأصل مسوقاً لدفع الإبهام ، والإبهام إذا ظهر الفاعل زائلاً ، فلا حاجة
 إلى التمييز . وهذا الاعتبار يلزم منه منع التمييز في كل ما لا إبهام فيه
 كقولك : عندي من الدراهم عشرون درهماً . ومثل هذا جائز بلا خلاف . ٥١ .

وما ذكره من أن الحامل لسيبويه ما ذكر ليس هو في كتابه . وفرق
 بين نعم رجل رجلاً زيد ، وبين : له من الدراهم عشرون درهماً ونحوه ،
 بأنَّ عشرين وأمثالها محتاجة إلى التمييز في الأصل ، بخلاف نعم الرجل

(١) في النسختين : « المعروف » ، وأثبت ما في الخصائص وسيبويه ١ : ٣٠٠ .

(٢) الملحوظ أن هذا النقل نقل طويل يستمر إلى س ١٦ من ص ٣٩٨ .

زيد . والتمييز مبناهُ على التبيين ، ثم يعرض له في بعض المواضع أن يقتصرن بالكلام ما يُغنى عنه ، فيصير مؤكداً . وقد تأول الفارسيُّ كلامَ سيبويه على أن معناه لا يكون الفاعل ظاهراً حيث يلزم التمييز ، بل الفاعل في حال لزوم التمييز مضمراً لا غير ، وأما مع الظاهر فلا يكون لازماً . وفيه بُعد . واستدلَّ المصنّف على الجواز بالقياس والسمع . أمّا القياس فقال بعد التمثيل بـ « لهُ من الدراهم عشرون درهما » وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ^(١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ^(٢) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ^(٣) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فِيهَا كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ^(٤) ﴾ . فكما حكم بالجواز في مثل هذا ، وجعل سببَ الجواز التوكيدَ ، لا رفع الإبهام ، فكذلك يفعل في نحو : نعم الرجلُ رجلاً . ولا يُمنع ، لأنَّ تخصيصه بالمنع كحكمٍ بلا دليل . هذا لو لم تستعمله العربُ ، فكيف وقد استعملته . اهـ .

١١٠

وقد تقدّم ما فرّق به بين ما ذكرته من التمثيل ، وبين نعم الرجل .

قال : ومن ورود التمييز للتوكيد لا لرفع الإبهام قولُ أبي طالب :

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ
من خيرِ أديانِ البريةِ دينا ^(٥)

وقول الآخر :

فأمّا التي خيبرُها يرتجى
فأجودُ جوداً من اللأفظة ^(٦) اهـ

(١) الآية ٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٥) التسهيل ١٠٩ والعين ٤ : ٨ والتصريح ٢ : ٩٦ وديوان أبي طالب الورقة ٤ .

(٦) البيت لطرفة كما في العين ١ : ٥٧٢ . وانظر الأشباه والنظائر ٣ : ٢٨٠ . ولم يرد

البيت في ديوانه .

ولا يتأتى ذلك الفرقُ هنا . وأما السَّماعُ فقول جرير :

والتغليبيون بثس الفحلُ فحلهم فحلاً وأمهمُ زلاًءُ مِنْطيقٌ^(١)

وقول جرير أيضاً :

نزودُ مثلَ زادِ أبيك البيت

وأنشد غيرُ المصنّف :

نعم الفتاةُ فتاةٌ هندُ لو بذلتُ ردَّ التَّحيّةِ نطقاً أو بإيماءٍ^(٢)

وحكى من كلام العرب : « نِعَم القَتيلُ قَتيلاً أصْلح بين بكر وتغلب^(٣) » . وهذا واردٌ في الاختيار .

وقد تأوَّل المانعون السَّماع . أمّا فحلاً وفتاةً فعلى الحال المؤكِّدة . وأمّا زاداً فعلى أنَّه مصدرٌ محذوف الزوائد منصوبٌ بتزودُ . وقد حكى الفراءُ استعماله مصدرًا . أو على أنَّه مفعول به ، ومثله منصوب على الحال ، لأنَّه لو تأخَّر لكان صفة . وقال أبو حيَّان : وعندى تأويلٌ غير ما ذكرُوه ، وهو أقرب . وذلك أنَّ يدعى أنَّ في نعم وبئس ضميراً ، وفحلاً وفتاةً وزاداً تمييزاً لذلك الضمير ، وتأخَّر عن المخصوص على جهة النُدور . فالفحل والفتاة والزاد هي المخصوصة ، وفحلهم وزاد أبيك أبدالٌ من المرفوع قبلها .

هذا ما أورده المرادى ، ولفوائده سُقناه برُمَّته .

(١) ديوان جرير ٣٩٥ . وهو من شواهد التصريح ٢ : ٩٦ والمجم ٢ : ٨٦ والأشئوفى ٣ : ٣٤ . وفى ش : « نعم الفحل فحلهم » . وفى حواشيا : « كذا بخط المؤلف ، والصواب بثس » .

(٢) العيى ٤ : ٣٢ والمجم ٢ : ٨٦ والتصريح ٢ : ٩٥ والأشئوفى ٣ : ٤/٣٤ :

٢٠٣ .

(٣) هو من قول الحارث بن عباد ، يوم قُتِعت ، حين قتل ابنه بجير ، وقيل إن بجير ابن أخيه . انظر أمالي القائل ٣ : ٢٦ والأغانى ٤ : ١٤٤ . ويروى : « نعم الغلام غلام » .

صاحب الشاهد : والبيت من قصيدة لجريير مدح بها عمر بن عبد العزيز ، منها :

أبيات الشاهد

(وسادت الناس قبل سنين عشر
كذلك أبوك قبل العشر سادا
وثبتت الفروع فهن خضر
ولو لم تحي أصلهم لبادا^(١)
تزوّد مثل زاد أبيك فينا البيت
فما كعب بن مامة وابن سعدى
بأجوّد منك يا عمر الجوادا
وتبني المجد يا عمر بن ليلي
وتكفي الممحل السنة الجمادا^(٢)
يعود الحلم منك على قريش
وتفرج عنهم الكرب الشادا
وتدعو الله مجتهداً ليرضى
وتذكر في رعيتك المعادا)

وباد : هلك . وأتبع الجواد لموضع عمر ، وهو من شواهد المنادى .
وكعب هو ابن مامة الإيادي ، أحد أجواد العرب . قال الواحدي (في

كعب بن مامة

(١) هذا البيت وسابقه لم ير في ديوان جرير من قصيدته ١٣٤ - ١٣٧ .

(٢) نسبه إلى أم أبيه عبد العزيز بن مروان . وفي ليلي هذه يقول ابن قيس الرقيات (ديوانه

١٥٢ ، والطبري ٦ : ١٤٥) :

أعنى ابن ليل عبد العزيز ببابل سيون تغدر جفانه رذما

أما والده عمر بن عبد العزيز فهي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . الطبري ٦ : ٥٦٦
والجمهرة ١٠٥ والتنبية والإشراف ٢٧٦ .

أمثاله) : كان كعبٌ فيما يقال ، أجودَ من حاتم الطائي . حُكِيَ أَنَّهُ
خرج في رَكْبٍ وفيهم رجلٌ من النَّمْرِ بن قاسطٍ ، في القَيْظِ ، فضلُّوا
فتصافنوا الماءَ بالمَقْلَةِ ، ففعد أصحابُ كعبٍ لِشُرْبِ الماءِ ^(١) ، فلما دار
القَعْبُ إلى كعبٍ أبصر النَّمْرِيُّ يحدِّدُ ^(٢) النظرَ إليه ، فآثره كعبٌ بمائه
وقال للساقى : « اسقِ أَخَاكَ النَّمْرِيَّ يَصْطَبِخُ » فذهبت مثلاً . فشرَبَ النَّمْرِيُّ
نصيبَ كعبٍ ذلك اليومَ ، ثم نزلوا من الغَدِ منزلاً آخرَ فتصافنوا بقيَّةِ
مائهم ، فنظر النمرىُّ إلى كعبٍ كنظره بالأمس ، ففعل كعبٌ فعلته
بالأمس ، وارتحل القوم وقالوا : يا كعبُ ارتحل . فلم يكن به قُوَّةُ
النُّهُوضِ ، وكانوا قد قَرُبوا من الماءِ ، فقيل : ردِّ كعبُ إِنَّكَ ورَّادٌ .
فعجز عن الإِصابة ، فلمَّا يثسوا منه خَيَّلوا عليه بثوبٍ يمنعه من
السَّيِّعِ ، وتركوه فمات ، فقال أبوه يبكيه :

١١١

أوفى على الماءِ كعبٌ ثم قيل له ردِّ كعبُ إِنَّكَ ورَّادٌ فما ورَّادًا

قال : وكان من جوده أَنَّهُ إذا مات جارٌ أَدَّى دَيْتَهُ إلى أهله . وإن
هلك لجاره بعيرٌ أو شاةٌ أخلفه عليه ^(٣) ، فجاوره أبو دُوَادِ الإِيَادِيُّ
فعامله بذلك ، فصارت العرب إذا حَمِدَتْ مستجاراً به لِحُسْنِ جِوارِهِ
قالوا : « كجارِ أَبِي دُوَادِ » . ومنه قول قيس بن زهير :

سأفعلُ ما بدا لي ثم آوى إلى جارٍ كجارِ أَبِي دُوَادِ اه

قال المبرد (في الكامل) : والتصافنُ : أن يُطرح في الإناءِ حَجَرٌ ثم
يُصبُّ فيه من الماءِ ما يغمُرُه لئلاً يتغابنوا ^(٤) . والمَقْلَةُ : اسمُ ذلك الحَجَرِ .

(١) ط : « ليشرب الماء » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « يحدد النظر » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « أخلفهما عليه » .

(٤) من الغبن ، وأصله في البيع أن يقلبه وينقصه ، والمراد أن يظلم بعضهم بعضاً في القسم .

وابن سُعدى هو (كما فى كامل المبرد) : أَوْسُ بن حارثةَ بن أوس بن حارثةَ
لأم الطائى . وكان سيِّداً مقدِّماً ، فوفد هو وحاتمُ بن عبد الله الطائىُّ
على عمرو بن هند ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوساً
فقال : أنتَ أفضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ اللعن لو ملكنى حاتمٌ وولدى
ولُحمتى لو هبنا فى غداة واحدة . ثم دعا حاتماً فقال : أنتَ أفضلُ أم
أوس ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، إنَّما ذُكرتَ بأويس ، ولأحدُ ولده أفضلُ
منى . وكان النُّعمانُ بن المنذر دعا بِحُلَّةٍ وعنده وفودُ العرب من كلِّ
حى ، فقال : احضروا فى غدٍ فإنى مُلبسٌ هذه الحُلَّةَ أكرمكم . فحضر
القومُ جميعاً إلا أوساً ، فقيل له : لم تتخلَّف^(١) ؟ فقال : إن كان المراد
غيرى فأجملُ الأشياءِ أن لا أكون حاضراً ، وإن كنت المراد فسأطلبُ
ويُعرف مكانى . فلمَّا جلس النُّعمان لم ير أوساً فقال : اذهبوا إلى أوس
فقولوا له : احضُر آمناً ممَّا خِفت . فحضرَ فألبسه الحُلَّةَ ، فحسده قومٌ
من أهله فقالوا للحطيئة : اهجُه ولك ثلثائة ناقة . فقال الحطيئة : كيف
أهجو رجلاً لا أرى فى بيتى أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده ؟ ! ثم قال :

كيفَ الهجاءُ وما تنفكُ سالحةُ

من آلِ لأمٍ بظهر الغيبِ تَأْتينى

فقال لهم بشرُ بن أبى خازم ، أحد بنى أسد بن خزيمه : أنا أهجوهُ
لكم . فأخذ الإبلَ وفعل ، فأغار أوسٌ عليها فاكسحها ، فجعل لا يستجير
حياً إلا قال : قد أجرتك إلا من أوس . وكان فى هجائه قد ذكر أمه ،
فأتى به فدخل أوسٌ على أمه فقال : قد أتينا ببشر الهاجى لكِ ولى .

(١) الذى فى الكامل ١٣٣ : « لم تخلت » .

قالت : أو تُطيعني ؟ قال : نعم . قالت : أرى أن تردَّ عليه مالهَ وتعفُوَ عنه وتحبُّوه ، وأفعلُ مثلَ ذلك ، فإنَّه لا يغسلُ هجاءه إلاَّ مَدْحُه . فخرج فقال : إنَّ أمِّي سُعدى التى كنت تهجُّوها قد أمرتُ فيك بكذا وكذا ! فقال : لا جرمَ ، والله لا مَدَحْتُ حتَّى أموتَ أحدًا غيرَكَ . ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ ليقضى حاجتى فيمن قضاها
فما وطئ الثرى مثلُ ابنِ سُعدى ولا لیس النعال ولا احتذاها

وأنشد بعده :

١١٢

(أنا ابنُ جَلَا وطلَّعُ الثنايا)

على أن الموصوف محذوف وصفته جملة فعلية ، وهى (جلا) على أنه فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه ، والتقدير : أنا ابن رجل جلا الأمور وكشفها .

وهذا أحد التخريجين فى البيت ، وقد ذكرناهما مشروحين فيما لا ينصرف^(١) ، وفى النعت^(٢) .

• • •

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد السبعمائة^(٣) :

٧٦٥ (نعم الفتى فجعت به إخوانه يوم البقيع حواذئ الأيام)
على أن المخصوص بالمدح محذوف ، وهو موصوف بجملة أقيمت مقامه ، تقديره : نعم الفتى فتى فجعت به إلخ .

(١) الخزانة ١ : ٢٥٨ - ٢٦٠ .

(٢) الخزانة ٥ : ٦٤ - ٦٥ .

(٣) المقدم ٢ : ٣١٥ ومعجم الرزبانى ٢٤٥ والحامسة ٨٠٨ بشرح المرزوق .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة ^(١)) : الهاء فى به عائدة على موصوف محذوف ، أى نعم الفتى فتى فجعت به حوادث الأيام . (يوم البقيع) ظرف ، ويجوز أن تنصبه على أنه فى المعنى مفعول به ، لأنَّ الفعل فى هذا النحو يُسند إلى ظرف الزمان ، نحو قولك : شفىَّ يوم كذا ، وسرَّنى وقت كذا ، فتنسب الفعل إلى ذلك اليوم والوقت . ا هـ .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : جملة فجعت به إلخ صفة فتى محذوف ، وهو المخصوص بالمدح خصَّضته حتى صار كالعرفه . والحذف فى مثل هذا إنَّما يصلح إذا كان المدوح مشهورَ البيان . ويوم البقيع ظرف منصوب . وحوادث الأيام فاعل فجعت . والفجعة ^(٢) : الرزية . وفجعه فجعا من باب نفع ، فهو مفعول ، فى ماله وأهله .

والبیت أول أبيات ثلاثة لمحمد بن بشير الخارجى ، أوردها صاحب الشاهد أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وبعده :

(سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَّتْ بِيَابِهِ طَلَّقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ
وإذا رأيتَ صديقهَ وشقيقه لم تدر أيُّهما أخو الأرحامِ ^(٣))

وقال الطبرسى : سهل الفناء : خبر مبتدأ محذوف ، وجعل فناءهُ سهلاً للزُّورِ والعُفاةِ ، وذلك مثل ^(٤) ، لكثرة إحسانه إليهم . وقوله « مؤدَّب الخدام » تنبيه على اقتدائهم بمولاهم فى تفقد الزُّراد وإكرامهم ، والسعى

(١) إعراب الحماسة الورقة ١١٥ .

(٢) ط : « والفجة » ، صوابه فى ش .

(٣) فى الحماسة : « شقيقه وصديقه » .

(٤) ط : « ميل » ، صوابه فى ش .

في أمورهم . والشقيق من إخوان الولادة . والصديق من إخوان المودة .
يقول : لا يتميز صديقه عن شقيقه في شمول تفقده لهما وتساويهما في
المجد عنده . وهذا هو الغاية في الكرم .

ومحمد بن بشير الخارجي : شاعرٌ إسلاميٌّ تقدّمت ترجمته في
الشاهد الثلاثين بعد السبعمئة^(١) ، وهو من خارجة عدوان : قبيلة . وليس
من الخوارج .

ونقل ابنُ خَلْكَان في ترجمة يزيد بن مَزِيد الشيباني أَنَّ المرزباني ذكر
(في كتاب معجم الشعراء) أَنَّ هذه الأبيات لَعُمير بن عامر^(٢) ، مولى
يزيد بن مَزِيد الشيباني ، رثى بها سيده .

ورأيت أَنَا (في العقد الفريد لابن عبد ربه) هذه الأبيات منسوبةً
لإبراهيم بن هرمة^(٣) . والله أعلم .

* * *

وأتشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد السبعمئة^(٤) :

٧٦٦ (نِعْمَ الْفَتَى الْمُرِيُّ أَنْتَ)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(نِعْمَ الْفَتَى الْمُرِيُّ أَنْتَ إِذَا هُمُ

حَضَرُوا لَدَى الْحُجُرَاتِ نَارَ الْمُوقِدِ)

(١) الخزانة ٩ : ٢١٦ . وفي ط : « الشاهد السابع والعشرين بعد السبعمئة » ، صوابه في ش .

(٢) كنيته أبو البله ، كما في معجم المرزباني .

(٣) انظر ديوان ابن هرمة ٢٧٩ .

(٤) الأصول لابن السراج ١ : ١٤٢ والمغنى ٥٨٧ والمغنى ٤ : ٢١ والأشعري ٣ : ٣١

١١٣

على أنه يجوز وصف فاعل نعم ، فإن المرئى صفة الفتى لا بدل منه ،
خلافاً لابن السراج ، كما بيّنه الشارح المحقق .

وهذه عبارة أبي بكر بن السراج (فى الأصول) : ولا يجوز توكيد
المرفوع بنعم . قالوا : وقد جاء فى الشعر منعوتاً . وأنشدوا :

نعم الفتى المرئى أنت البيت

وهذا يجوز أن يكون بدلاً غير نعت ، فكأنه قال : نعم المرئى

أنت . ٥١ .

وقد نقله أبو على عنه (فى تذكيرته) وأقرّه ، قال : قرئ على
أبي بكر من الأصول : « نعم الفتى المرئى أنت » البيت ، قال أبو بكر :
حمله قوم على الصفة ، وهو عندنا على البدل ، لأن وصفه قبيح . قال
أبو على : لأن فاعل نعم إذا كان ظاهراً فالمقصود به الجنس ، وليس بعد
الجنس شيء يلبس فيفصل بينهما . هذا كلامه .

وردّ عليهما الشارح المحقق بأنّ هذا المنع ليس بشيء ، لأن الإبهام
مع مثل هذا التخصيص باقٍ . وهو فى مثل هذا الردّ والتوجيه تابع لابن
جنى ، فإنه قال فى بيت الحماسة ، ليزيد بن قنافة :

لعمري وما عمرى على بهين لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم^(١)

قال أصحابنا فى قول الشاعر : « نعم الفتى المرئى أنت » إن المرئى
بدل من الفتى ، قالوا : وذلك أن فاعل نعم وبئس لا يجوز وصفه ، من
حيث كان واقعاً على الجنس ، والجنس أبعد شيء عن الوصف ؛ لفساد

(١) الحماسة ١٤٦٤ بشرح المرزوق .

معناه ، فلمَّا كان كذلك عدلوا به عن الوصف إلى البديل . فقياس هذا أن يكون المدعوُّ بدلاً من الفتى . وأمَّا أنا فأجيزه^(١) . وذلك أن يكون المدح والتفضيلُ إنما وقع على أن يُفضَّلَ حاتمٌ على الفتیان المدعوَّين بالليل^(٢) ، أى فاق حاتمٌ جميع الفتیان المدعوَّين بالليل ، ولم يرد أن يفضَّله على جميع الفتیان عموماً^(٣) . ولو أراد ذلك لما جازت الصفة ، ولكنه وصفَ الفتى وفضل حاتمًا على جميع الفتیان المدعوَّين بالليل . وكذلك تقول : نعم الرجل الطويل زيد ، أى فاق زيدٌ في الرجال الطوال خاصَّة . وهذا معنى مع أوَّلِ تأملٍ يصحُّ^(٤) . انتهى كلامه .

ولا بأس بإيراد كلام المرادى (فى شرح التسهيل) ، فإنَّ فيه فوائد .

قال بعد قول التسهيل : « ولا يؤكِّد فاعلها توكيداً معنوياً باتفاق » ما نصَّه : لأنَّ القصدَ بالتوكيد المعنوى رفعُ توهمٍ إرادة المخصوص ممَّا ظاهره العموم ، أو رفعُ توهمٍ المجاز ممَّا ظاهره الحقيقة ، وفاعل نعم وبئس فى الغالب بخلاف ذلك ، لأنَّه قائمٌ مقام الجنس إن كان ذا جنس ، أو مؤوَّلٌ بالجامع لأكمل خصال المدح اللائقة بسمَّاه إن كان فاعل نعم ، وبالجامع^(٥) لأكمل خصال الذمِّ إن كان فاعل بئس ، والتوكيد المعنوى منافعٍ للقاصدين فاتَّفَقَ على منعه . وعلى القول بأنَّ آل عهديَّةٌ فقد يمكن

(١) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٠٧ : « فأجيز جوازاً حسناً أن يكون المدعو وصفاً للمعنى » .
 (٢) الذى فى إعراب الحماسة : « وذلك أن يكون الذم إنما وقع على أن يحط حاتم عن الفتیان المدعوين بالليل » . وبعده : « أى انحط حاتم عن جميع الفتیان عموماً » . وهذا هو الوجه فى تخريج بيت يزيد بن قنافة .

(٣) انظر الحاشية السابقة . ولعل نسخة البغدادى من إعراب الحماسة ناقصة الجودة .

(٤) فى إعراب الحماسة : « يصح ويصح » ، ولعل صوابه « يضح ويصح » الأولى من الوضوح ، والثانية من الصحة .

(٥) ش : « والجامع » .

أن يجوز توكيده توكيداً معنوياً لانتفاء المانع. قال في الشرح : وأمّا التوكيد اللفظي فلا يمتنع لك أن تقول نعم الرجل الرجل زيد . ٥١ . قيل : وينبغي أن لا يُقدّم على جواز ذلك إلاّ بسماع ، لأنّ باب نعم وبئس له أحكامٌ مغايرة ، وأمّا النعت فلا ينبغي أن يمتنع على الإطلاق ، بل يمنع إذا قصد به التخصيص مع إقامة الفاعل مقام الجنس ، لأنّ تخصيصه حينئذٍ منافٍ لذلك القصد . وإذا تُؤوّل بالجامع لأكمل الخصال فلا مانع من نعته حينئذٍ ، لإمكان أن ينوي في النعت ما يُنوي في المنعوت . وعلى هذا يُحمل قولُ الشاعر :

نعم الفتى المرئى أنت البيت

١١٤ وحمل ابن السّراج وأبو عليّ مثل هذا على البدل ، وأبيّنا النعت . ولا حجة لهما . ٥١ .

قيل : أمّا منع وصفه فهو قولُ الجمهور . وقال بعضهم : لا يجوز عند البصريّين . ٥١ .

وأجاز أبو الفتح في بيت الحماسة :

* لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم *

أن يكون المدعو وصفاً للفتى . ومقتضى سكوت المصنّف عن البدل والعطف جوازهما . قيل : وينبغي أن لا يجوز منهما إلاّ ما يباشره نعم وبئس . انتهى كلام المرادى .

والبيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى عدتها سبعة وعشرون بيتاً ، صاحب الشاهد مدح بها سنان بن أبي حارثة المرئى ، بدأ بذكر حبيبتة سلمى ، ثم انتقل إلى وصف ناقته إلى أن قال :

آيات الشاهد

(وَتِيَمَّمَتْ عُرْضَ الْفَلَاةِ كَأَنَّهَا
وإلى سنانٍ سيرُها ووشيجُها
نعم الفتى المرئى أنت إذا هم
خَلِطُ أَلُوفٍ لِلْجَمِيعِ بَيْتِهِ
يَسِطُ الْبُيُوتَ لَكِي يَكُونَ مَظَنَّةً
من حيثُ توضعُ جَفَنَةُ الْمُسْتَرْفِدِ
غَرَاءَ مِنْ قِطْعِ السَّحَابِ الْأَقْهَدِ
حَتَّى تَلَاقِيَهُ بَطَلَقِ الْأَسْعَدِ
حَضَرُوا لَدَى الْحُجُرَاتِ نَارَ الْمُوقِدِ
إِذْ لَا يَحُلُّ بِحَيَازَةِ الْمُتَوَحِّدِ

قوله : « وَتِيَمَّمَتْ عُرْضَ الْفَلَاةِ » الخ تِيَمَّمَتْ : قصدت ، وفاعلها ضمير الناقه . وَالْعُرْضُ بالضم : الجانب . وَالغَرَاءُ : البيضاء . وَالْأَقْهَدُ : الأبيض من كلِّ شيء . أَى كَأَنَّ الناقهَ سحابةً بيضاءً فى سُرْعَتِهَا . وَالسَّحَابَةُ البيضاءُ أَخْفُ وَأَسْرَعُ ذَهَابًا ، لِقَلَّةِ مَائِهَا .

وقوله : « إِلَى سِنَانٍ سَيْرُهَا » هو سنان بن أبى حارثة بن مرة بن نُشْبَةَ بن غَيْظِ بن مُرَّةِ بن عوف بن سعد بن ذبيان . وكان زهيرًا مادحًا لسنان هذا ولابنه هرم بن سنان المرئى الذبياني ، وغالب مدحه فى ابنه هرم . ووشيجها بالسين المعجمة والجيم ، قال شارح ديوانه صَعُودًا : الْوَشِيجُ : سيرٌ خفيفٌ ، هو أَلِينُ سَيْرِ الْإِبِلِ ^(١) ، وسير النجائب . وَطَلَقَ : سليم من كلِّ سوءٍ ومكروه ، يقال يومٌ طَلَقَ وَلَيْلَةٌ طَلَقَتْ : ليس فيها حرٌّ ولا بردٌ ولا مكروه . وَالْأَسْعَدُ : جمع سَعَدِ النجوم .

وقوله : « نَعَمْ الْفَتَى الْمُرْيَى » ، منسوبٌ إلى مرةٍ أحدِ أجداده القريب أو البعيد . وَأَنْتَ هو المخصوص بالمدح . وَإِذَا ظَرْفِيَّةٌ ، وهم فاعلٌ لفعل محذوف يفسره ما بعده ، كقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ^(٢) ﴾ . وهم

(١) رواية الديوان : « ووشيجها » بالسين المهملة ، وفى شرحه : « الوسيج : ضرب من السير » . وهذا هو الصواب إن شاء الله ، فليس فى المعجم المتداول أن « الوسيج » بالسين المعجمة ضرب من السير .

(٢) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ضمير الوفود والضيوف . ولدى ظرف متعلق بحضروا . والحجرات
بضميتين قال شارحه : هي حجرات الأضياف . يريد البيوت التي تنزل
فيها الضيوف . ونارَ : مفعول حضروا . والمؤقد : اسم فاعل ، قال شارحه :
هو الذي يُوقد ليستدلَّ الغرباء والعفاة بناره فيأتونه . يريد أنه أشدُّ
الناس إكراماً لضيوفه إذا حضروا دارَ ضيافته واستدلُّوا عليها بالنار
التي يُوقدها خادمه ليُقبل عليها من رآها . وقال العيني : إذا للمفاجأة ،
وهم مبتدأ وحضروا خبره . والحجرات : جمع حجرة ، وهي شدة الشتاء .
هذا كلامه ، وكأنه لم يفهم معنى البيت . والحجرات بالمعنى الذي ذكره
بفتحتين .

وقوله : « خَلِطُ أَلُوفٍ » إلخ خَلِطَ بِكسر اللام ، بمعنى مخالطٍ للناس
ومعاشرهم وله ألفةٌ بهم في بيته . والمتوحد : المنفرد عن الحي ينزل بعيداً
منهم حتى لا يقصده ضيفٌ . والحيزة ، بفتح الحاء المهملة ، قال شارحه :
هو الموضع الذي انحاز إليه لثلاً يعرف العفاة والضيوف موضعاً ، وهذا
أشدُّ شيءٍ تُسبُّ العربُ به الرجل . يقول : سنان يألف الحي وينزل بينهم :

وقوله : « يَسِطُ الْبُيُوتِ » إلخ هو مضارع وَسَطَ وَسَطًا . قال الأصمعي :

يسط البيوت : ينزل وسطها . والمظنة ، قال شارحه : هو الموضع الذي
لا يُشكُّ فيه . والعرب تقول : اطلب الأمر في مظانه ، أى في الموضع
الذي لا يُشكُّ^(١) . والظنُّ يكون يقيناً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَأَى
الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا^(٢) ﴾ فأى ظنَّ يكون بعد المعاينة

(١) أى لا يشك فيه ، وفي ش : « تشك » . والمظنة بكسر الظاء ، قال ابن الأثير : « وكان
القياس فتح الظاء ، وإنما كسرت لأجل الهاء » . يريد أنه ليس موضعاً عاماً فيجرب على القياس .
وانظر شرح الشافية ١ : ١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) الآية ٥٢ من سورة الكهف .

وقد أيقنوا ؟ ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ^(١) ﴾ ، أى أيقن بما فتناه وخرَّ عند اليقين . وهذا كثيرٌ فى كلامهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يظنون أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ^(٢) ﴾ ، أى موقنون . والمسترفد : الذى يطلب الرِّفد ، وهو النَّيل والعطاء . والجفنة : القصة التى يُطعم فيها الطعام .

وترجمة زهير تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة ^(٣) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد السبعمئة ^(٤) :

٧٦٧ (فَنِعْمَ مَزْكَاً مَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ

وَنِعْمَ مَنْ هُوَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ)

على أنّ (مَنْ) الثانية موصولة بمعنى الذى ، وقعت فاعلاً لنعم عند أبى على والمبرد ، وهو مبتدأ وخبره محذوفٌ تقديره مثله ، والجملة صلة مَنْ ، والمخصوص بالمدح محذوف ، تقديره : بِشْرٌ .

وأما قوله : فى سر وإعلان ، فهو متعلق بنعم ، ولا يجوز أن يتعلّق بمحذوف على أنه خبر هو ، الواقع صلة الموصول ، لما بيّنه أبو على .

وقد بسط الكلام على هذا المصراع فى احتمال وجوه ثلاثة لمن ، فلا بأس بنقل كلامه ، قال (فى كتاب الشعر) : قال الشاعر :

(١) الآية ٢٤ من سورة ص .

(٢) الآية ٤٦ من سورة البقرة .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٣٢ .

(٤) المغنى ٣٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، والعينى ١ : ٤٨٧ ، والمصع ١ : ٢/٩٢ : ٧٦ والأشعري

١ : ١٥٥ ، واللسان (زكاً ٨٤) .

(وكيف أَرَهَبُ أَمْرًا أَوْ أَرَاغُ لَهُ
 وَقَدْ زَكَاتُ إِلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ
 فَنِعْمَ مَزْكَاً مَنْ ضَاقتْ مَذَاهِبُهُ
 وَنِعْمَ مَنْ هُوَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ)

القول في الظرف أَنَّهُ يتعلّق بِنِعْمَ ، وذلك لِأَنَّهُ لا يخلو من أن يكون خبر هو في الصلّة ، أو يكون متعلّقاً بنعم . فلا يجوز أن يكون متعلّقاً بمحذوف على أن يكون في موضع خبر هو التي في الصلّة ، لِأَنَّ التقدير قبل كون الكلام صلة يكون: هو في سر وإعلان، وهذا لا معنى له . فَإِذْنُ المعنى كَرَمَ هذا الإنسانُ في سرّه وعلانيته ، أي ليس ما يفعله من الخير لتصنّع^(١) ، فيفعلُ الخير في السرِّ كما يفعله في العلانية . وإذا كان كذلك احتاج « هو » إلى جزءٍ آخر حتّى تستقلّ الصلّة ، وذلك الجزء ينبغي أن يكون الذي هو مثله ، ولا يكون الذي هو هو ، لتكون الصلّة شائعة فلا تكون مَنْ مخصوصة ، لِأَنَّها فاعل نعم . فإن قَدَرْتَ الذي هو هو وأنت تريد الذي هو مثله فتحذف المضاعف فيصير الذي هو هو معناه مثله جاز أيضاً . وقد يجوز في القياس أن تجعل مَنْ نكرة . فإذا جُعِلَتْ نكرة احتاجت إلى صفة ، فتكون الجملة التي قَدَرْتها صلة لها مقدّرة صفة ، ويكون المقصود بالمدح مضمراً ، لِأَنَّ ذكره قد جرى كما جرى ذكر أيّوب قبل قوله تعالى: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾^(٢) فاستغنى عن ذكر ما يخصّه بالمدح وإظهاره . ويجوز في القياس أن تجعل مَنْ نكرة ولا تجعل له صفة كما فعل ذلك بما ، في قوله تعالى: ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾^(٣) . فإذا جعلتها كذلك

(١) لتصنع ، أي بسببه . وكذا وردت باللام في النسختين .

(٢) الآية ٣٠ من سورة ص .

(٣) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

كان كأنه قال : فنعم رجلاً ، فيكون موضع مَنْ نصباً ويكون هو كناية عن المقصود بالمدح . ووجه القياس في الحكم على مَنْ أنها نكرة غير موصوفة أنهم جعلوا ما بمنزلة شيء ، وهو أشدُّ إشاعةً وإبهاماً مِنْ مَنْ . فإذا جازَ أن لا توصف مع أنها أشدُّ إبهاماً من مَنْ كان أن لا توصف مَنْ أجوز ، لأنها أخصُّ منها ، فيصير كأنه قال : نعم رجلاً هو ، لأنها تخصُّ الناسَ وَمَنْ أشبههم ، كما كانت ما تعمُّ الأشياءَ . إلا أننا لم نعلمهم في الاستعمال تركوا مَنْ بغير صفة كما تركوا ما غير موصوفة في الخبر ، نحو التعجب والآية التي تلونها . انتهى كلام أبي علي .

١١٦

وقد نسب ابن هشام (في المغني) هذا التخريج الأخير إلى أبي علي ، ونسب الأول إلى غيره . قال في بحث مَنْ ، وفي الباب الثالث : إن مَنْ تأتي نكرة تامّة عند أبي علي ، قاله في قوله :

* ونعم من هو في سرٍّ وإعلانٍ *

فزعم أن الفاعل مستتر ومَنْ تمييز ، وقوله هو مخصوص بالمدح ، فهو مبتدأ وخبره ما قبله ، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف . وقال غيره : مَنْ موصولٌ فاعل ، وقوله هو مبتدأ خبره هو آخر محذوف ، على حدِّ قوله :

* وشعري شعري^(١) *

والظرف متعلّق بالمحذوف لأنَّ فيه معنى الفعل ، أي ونعم مَنْ هو الثابت في حالتَي السرِّ والعلانية . قلت : ويحتاج إلى تقدير « هو » ثالث يكون مخصوصاً بالمدح . انتهى .

(١) لأبي النجم العجلي ، وهو الشاهد ٧١ في الخزانة ١ : ٤٣٩ . وتمام الشطر :

* أنا أبو النجم وشعري شعري *

وصاحب هذا القول هو ابنُ مالك ، قال (في شرح الكافية) : هو مبتدأٌ خبره هو آخرُ محذوف ، والتقدير : ونعم من هو هو في سرِّ وإعلان . وفي متعلقة بهو المحذوف لأنَّ فيه معنى الفعل . ٥١ .

وعُرف ضعف تقديره « هو هو » من كلام أبي علي .

وقد ردَّ ابن مالك (في شرح التسهيل) الوجهَ الثالث ، قال : لا يصحُّ لوجهين : أحدهما أنَّ التمييز لا يقع في الكلام بالاستقراء إلا نكرةً صالحةً للألف واللام ، ومنَّ بخلاف ذلك ، فلا يجوز كونها تمييزاً . الثاني : أنَّ الحكم عليها بالتمييز عند القائل به مرتَّب على كون مَنْ نكرة غير موصوفة ، وذلك منتفٍ بإجماعٍ في غير محلِّ النزاع ، فلا يُصار إليه بلا دليلٍ عليه . فصحَّ القول بأنَّ مَنْ في موضعٍ رفع بنعم إذ لا قائلَ بقولٍ ثالث . ٥١ .

ورفعها بنعم عنده إنَّما يكون على جعلها موصولةً بمعنى الذي ، لأنَّه الذي ذكره . وأما جعلها نكرة موصوفة بالجملة التي بعدها ، كما هو الوجه الثاني في كلام أبي علي ، فلا . وهو واردٌ على قوله : « إذ لا قائلَ بقولٍ ثالثٍ » فتأمَّل . ويكون هذا من لغة مَنْ يرفع بنعم النكرة كما يأتي بعد هذا .

وأجاب التبريزي (في شرح الكافية) بأنَّ نحو نعم غلام رجل زيد بنصب الغلام ، تمييزٌ . ولم يقبل اللام . وأيضاً كونه فاعلاً لا يصحُّ إلا إذا كان معرفاً باللام ، أو مضافاً إلى المعرف باللام . ومنَّ ليس شيئاً من ذلك .

وأما الثاني فمعارضٌ بمثله في هذه الصُّورة فيما تقدَّم . أمَّا في هذه

الصورة إنمّا^(١) يجوز أن يقع فاعلاً إذا كان معرفاً باللام أو مضافاً إليه ،
وليس كذلك . وأما في غير هذه الصورة إنمّا تقع ما فاعلاً معرفةً إذا
كان في غير صورة : ﴿ نَيْمًا هِيَ ﴾ ثبت كونها معرفةً غير موصولة ،
ولا يصار إليه من غير دليل . وأما المصراع الذي قبل هذا وهو :

* وَنَيْمٌ مَزَكًا مِّنْ ضَاقَاتِ مَذَاهِبِهِ *

فقد قال ابنُ مالك : إنَّ مَنْ فِيهِ مَوْصُولَةٌ أَيْضًا ، قَالَ (فِي شَرْحِ تَسْهِيلِهِ) :
وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَاعِلٌ نَعَمْ قَدْ يَكُونُ مَوْصُولًا وَمُضَافًا إِلَى مَوْصُولٍ قَوْلُ
الشاعر :

وَنَعَمْ مَزَكًا مِّنْ ضَاقَاتِ مَذَاهِبِهِ البيت

قال : فلو لم يكن في هذا إلا إسنادُ نعم إلى المضاف إلى مَنْ لكان فيه
حُجَّةٌ عَلَى صِحَّةِ إِسْنَادِ نَعَمْ إِلَى مَنْ ، لِأَنَّ فَاعِلَ نَعَمْ لَا يُضَافُ فِي غَيْرِ نُدُورٍ
إِلَى مَا يَصْلُحُ إِسْنَادَ نَعَمْ إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ وَفِيهِ نَعَمْ مِنْ هُوَ . ٥١ .

١١٧

قال المرادى : وَلَا حُجَّةٌ فِي الْبَيْتِ ، لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ مَنْ فِي قَوْلِهِ :
« مَزَكًا مِّنْ » نَكْرَةً مَوْصُوفَةً ، وَتَكُونَ نَعَمْ قَدْ رَفَعْتَ الْمُضَافَ إِلَى النُّكْرَةِ
عَلَى مَا تَقَدَّمَ نَقْلُهُ عَنِ الْأَخْفَشِ . ٥١ .

وقوله : « وَكَيْفَ أَرْهَبُ » إِخْ ، الرَّهْبُ مَحْرَكَةٌ : الْخَوْفُ . وَأُرَاعِ
بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، مِنَ الرَّوْعِ وَهُوَ الْفَرْعُ . وَزَكَأَ بِالزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ وَالْهَمْزُ فِي
آخِرِهِ ، أَيْ لَجَأًا . يُقَالُ زَكَأْتُ إِلَيْهِ : لَجَأْتُ إِلَيْهِ . وَالْمَزَكَا مَفْعَلٌ ، اسْمُ
مَكَانٍ مِنْهُ ، بِمَعْنَى الْمَلْجَأِ .

(١) كذا بسقوط الفاء في النسختين في هذا الموضع والموضع التالي أيضاً .

وبشر هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي بشر بن مروان العَبْشَمِيُّ الأَمْوِيُّ . كان سمحاً جواداً . ولِي إمرةَ العراقيين لأخيه عبد الملك وهو أوَّل أميرٍ مات بالبصرة ، وذلك سنة خمس وسبعين ، عن نَيْفٍ وأربعين سنة .

والبيتان لم أقف على قائلهما . والله أعلم .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد السبعائة^(١) :

٧٦٨ (فَنِعْمَ صَاحِبُ قَوْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُمْ)

على أن مجيء فاعل نعم نكرة مضافة إلى مثلها قليل .

قال المرادى (في شرح التسهيل) بعد قول ابن مالك : « وقد ينكر مفرداً أو مضافاً^(٢) » : حكى الأَخْفَشُ أَنَّ نَاساً مِنَ الْعَرَبِ يَرْفَعُونَ بِنِعْمِ النِّكَرَةِ مَفْرَدَةً وَمُضَافَةً ، فَيُقَالُ عَلَى هَذَا : نِعْمَ أَمْرٌ زَيْدٌ ، وَنِعْمَ صَاحِبُ قَوْمٍ عَمْرُو . وَوَأَفَقَ الْأَخْفَشُ فِي كَوْنِ الْفَاعِلِ نِكْرَةً مُضَافَةً . وَإِلَى هَذَا وَنَحْوِهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ « وَفَاعِلٌ فِي الْغَالِبِ^(٣) » . وَنُقِلَ إِجَازَةً كَوْنُهُ مُضَافاً إِلَى نِكْرَةٍ عَنِ الْكُوفِيِّينَ وَابْنِ السَّرَّاجِ . وَمَنَعَ ذَلِكَ عَامَّةُ النُّحَوِيِّينَ إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ ، كَقَوْلِهِ :

فَنِعْمَ صَاحِبُ قَوْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُمْ

وصاحب الركب عثمان بن عفان

(١) ابن يعيش ٧ : ١٣١ والمقرب ١ : ٦٦ والعينى ٤ : ١٧ والممع ٢ : ٨٦ والأشعوني

٢٨ : ٣

(٢) التسهيل ١٢٧ .

(٣) نص التسهيل ١٢٦ : « فاعل نعم وينس في الغالب ظاهر معرف بالألف واللام ، أو مضاف إلى المعرف بهما مباشراً أو بواسطة .. الخ . ثم قال : « وقد ينكر مفرداً أو مضافاً » .

وقد كان يمكن تأويل هذا البيت على حذف التمييز لولا أن الأخصش
حكى أن ذلك لغة للعرب . وزعم صاحب البسيط^(١) أنه لم يرد نكرة غير
مضافة . وليس كما زعم ، بل ورد ولكنّه أقلُّ من المضاف . ومنه
قوله^(٢) :

وسلمى أكمل الثقلين حسناً وفي أثوابها قمرٌ وريمٌ
نيافُ القُرطِ غرَاءُ الثنايا وريد للنساء ونعم نيم^(٣)

والنيم : الضجيج والضجيجة^(٤) . وأجاز بعض النحويين أن يكون
فاعل نعم وبتس مضافاً إلى ضمير ما فيه الألف واللام ، فأجاز : القومُ
نعم صاحبهم أنت . وأنشد :

* فنعم أخو الهيجا ونعم شهابها^(٥) *

قال بعضهم : والصحيح المنع . وهذا مما يُحفظ ولا يقاس عليه . اهـ .
وبقى في القسمة النكرة الموصوفة كما تقدّم في الشاهد قبل هذا .

وقال أبو علي (في المسائل البصرية) : اعلم أن العرب تجعل
ما أضيف^(٦) إلى ما ليس فيه ألف ولا ميم بمنزلة ما فيه الألف واللام فترفعه ،

(١) هو ركن الدين حسن بن محمد الإستراباذي الحسني المتوفى سنة ٧١٧ . وفي كشف الظنون
أن له ثلاثة شروح على كافية ابن الحاجب : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط وهو المسمى
بالواقية ، وصغير .

(٢) هو تأبط شرأ ، كما في اللسان (نوم ٧٩) . والريم : الرئم ، وهو الظبي الخالص
البياض .

(٣) في النسختين : « تيم » بالتاء . وفي حواشي ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب نيم
بالتون » . أما الريد فهي مسهلة الرئد بالهمز ، وهي الترب بكسر التاء . ورئد الرجل كذلك : تر به .

(٤) في النسختين هنا أيضاً : « التيم » بالتاء تحريف . وفي اللسان : « قيل عن بالنيم القليفة ،
وقيل عن به الضجيج » .

(٥) لم يوقف له على قائل ولا على تنمة .

(٦) عبارة : « ما أضيف » ساقطة من ش .

كما ترفع ذلك ، فتقول : نعم أخو قوم زيد . قال :

* فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم *

١١٨ هو بمنزلة صاحب القوم . فإن قلت : لعله ينشد بالنصب « صاحب قوم » ؟ قلت : لا يكون ذلك لأنك لاتعطف معرفة مرفوعة على نكرة منصوبة . وهذا ضعيف . ولو قلت : نعم رجلاً في الدار وزيد ، لم يجز لأنه ليس قبل زيد شيء يعطف عليه ، لأن في الدار ليس باسم ، ورجلاً نكرة منصوبة . ا هـ .

وقال ابن برى (في [شرح ^(١)] أبيات الإيضاح لأبي علي) : زعم الأَخْفَشُ أَنَّ قوماً من العرب يرفعون النكرة المضافة إلى ما ليس فيه الألف واللام بنعم . قال أبو علي : ولا يجوز ذلك على مذهب سيبويه ، لأن المرفوع بنعم لا يكون إلا على الجنس . ولو قلت : أهلك الناس شاة وبعير ، لم يدل على الجنس كما دلّت عليه الشاة والبعير . ولا يجوز صاحب قوم بالنصب ، لقوله « وصاحب الركب » ، ولا يعطف مرفوع على منصوب . ولا يكون معطوفاً على مضمّر في نعم ، لأنه مضمّر يحتاج إلى التفسير ، فكأنه لم يتم ، فلا يجوز إظهاره ولا تأكيده ولا العطف عليه . وإذا قبح العطف على المضمّر المرفوع بالفعل دون تأكيده فإن لا يجوز هذا أولى ، لما بيّناه . انتهى كلامه .

قال ابن يعيش : ولو نصبت صاحب قوم في غير هذا البيت على التفسير لجاز ، كما تنصب النكرة المفردة في نحو : نعم رجلاً ، لكنه ضعيف ههنا ، لعطفك في قولك : « وصاحب الركب عثمان » ، والمرفوع

(١) التكملة من ش .

لا يعطف على المنصوب . وكأنَّ الذي حَسَنَ ذلك في البيت قوله : « وصاحب
الركب » لَمَّا عطف عليه ما فيه الألف واللام دَلَّ على أَنَّها في المعطوف
عليه مُرادَة ، لأنَّ المعنى واحد فاعرفه . والبيت لكثير بن عبد الله النهشلي
المعروف بابن الغريرة . وقيل لحسان بن ثابت . ٥١ .

وقد راجعتُ ديوان حسان فلم أجده .

وقال العيني : عزاه ابن السِّيرافي (في شرح أبيات الإيضاح) لكثير
ابن عبد الله المذكور .

وقد راجعته أيضاً فلم أجده فيه .

وقال أيضاً : ونسبه صاحب (الموعَب في اللغة ^(١)) وأبو حاتم (في
كتاب إصلاح المُفسد) إلى أوس بن مَغرَاء . وقبله :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ

يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقَرَأْنَا

وأقول : ذكر الذهبي (في تاريخه) أنَّ هذا البيت من أبيات لحسان
ابن ثابت .

وقد راجعتُ ديوانه فرأيت أبياتاً على هذا الوزن ، وما فيها هذا
البيت . والله أعلم .

وكثير بن عبد الله المذكور أورده ابن حجر (في قسم المخضرمين كثير النهشلي

(١) هو ابن التياتي ، كما في إقليد الخزانة ١٢٢ . وقال الميمى : « عثروا عليه ووصفوه
في مجلة لغة العرب سنة ١٣٣٢ هـ . وذكروا أن نسخته في ١٢٤ ورقة » . وانظر لترجمة ابن التياتي
إنباه الرواة بتحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم ١ : ٢٥٩ حيث تكفل بذكر مراجع ترجمته ،
وأصف إليها جنوة المقتبس ص ١٧٢ . وقد سبق ذكر هذا الكتاب في الخزانة ٣ : ٣٠١ .

من الإصابة) قال : هو كثير بن عبد الله بن مالك بن هبيرة بن صخر
ابن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، يعرف بابن الغريرة النهشلي^(١) ،
ذكره المرزباني (في معجم الشعراء) وقال : شاعر مخضرم بقي إلى إمرة
الحجاج . وهو الذي يقول في قصيدة رثى بها عثمان بن عفان :

لعمرُ أبيكَ فلا تجزَعَنَّ لقد ذهب الخيرُ إلا قليلاً
وقد فتنَ الناسَ عن دينهم وخَلَّى ابنُ عفانَ شراً طويلاً^(٢)

وقال أبو الفرج الأصبهاني : كان شاعراً مخضرمًا ، أدرك الجاهلية
والإسلام ، وغزا الطالقان في عهد عمر مع العباس بن مرادس وأخيه .
وأنشد له في ذلك أبياتًا منها^(٣) :

سَقَى مُزْنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَهَلَّتْ مَصَارِعَ فِتْيَةٍ بِالْجُوزِجَانِ

وقوله : « ضَمَحُوا » إلخ أي ذبحوه كالأضحية . في المصباح : وضحتي ١١٩
تضحية ، إذا ذبح الأضحية وقت الضحى . هذا أصله ثم كثر حتى
قيل ضحتي في أي وقت كان من أيام التشريق . ويتعدى ، أي بالحرف .
فيقال ضحيت بشاة . قال ابن بري : قوله ضَمَحُوا أي جعلوه بدل الأضحية
كأنهم قتلوه في أيام لحوم الأضاحي ، وذلك يوم الجمعة ثمان عشرة
ليلة خلَّت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . انتهى .

والشَّمَطُ بالتحريك : بياض الشعر من الرأس يخالط سواده ، والرجل
أشمطُ ، والمرأة شمطاء . وشَمِطَ يَشْمِطُ من باب فرح . وعنوان مبتدأ بمعنى

(١) الغريرة أمه ، وقيل جدته ، وكانت سبية من بني تغلب . معجم المرزباني ٣٤٩ .

(٢) ط : « فتر » ، صوابه في ش . وفي معجم المرزباني : « فتي » ، تحريف .

(٣) رثى بها من قتل من أصحابه بالطالقان والجوزجان . والقصيدة في عشرين بيتا عند

علامة ، وبه خبره ، والجملة صفة أشمط . وقال العيني : عنوان السُّجود حال من ضمير يقطع ، ويجوز جرُّه على النعت لأشمط ، كأنه قال : بأشمط ظاهر الخير . قال أبو الحجاج : وقد يكون حالا من أشمط وإن كان نكرة ، لأنها مفهومٌ من يراد بها ^(١) . هذا كلامه .

وأقول : الحالّية لا تجوز لا لفظاً ولا معنى على الأوّل ، ولا لفظاً على الثاني للتعريف .

وقوله : (فنعم صاحب قوم) إلخ قال العيني : إشارة إلى فضلِ عثمان رضى الله تعالى عنه ، وأنه يَغْنَى يومَ القيامة بالشفاعة غنى من دافع في الدنيا بسلاحه عن عزّل الجماعة . وقد يكون السلاح أيضاً عبارة عن بذله لماله وتوسّيته لصحبته ، فيكون ذلك أجدى من السلاح لحامله .

هذا كلامه ، وليس معنى الشعر ، إنما معناه إشارة إلى قوله يوم الدّار : « من رمى سلاحه كان حُرّاً » .

وقوله (صاحب الرّكب) ، أى ركب الحجّ .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد السبعمئة ^(٢) :

٧٦٩ (أو حرّة عيطلُ ثبجاءُ مُجفّرةُ

دعائم الزّورِ نِعَمَتُ زورقِ البلدِ)

على أنه قد يؤنث (نعم) لكون المخصوص بالمدح مؤنثاً وإن كان الفاعل مذكراً ، فإنه أنث نعم مع أنه مسندٌ إلى مذكّر ، وهو زورقُ البلد .

(١) كلبة « بها » ساقطة من ش .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٣٦ والمقرب ١ : ٦٨ وديوان ذى الرمة ١٤٦ .

لأنه يريد الناقة ، فأنث على المعنى كما أنث مع البلد في قولهم : هذه الدار نعمت البلد ، حين أراد به الدار . وكقول الراجز :

نعمتُ جزاءَ المتقينَ الجَنَّةَ دارُ الأمانى والمُنَى والمِنه^(١)

و (الحُرّة) : الكريمة ، وأراد بها الناقة . و (العيطل) : الطويلة العنق . و (ثَبْجَاء) بفتح المثناة وسكون الموحدة بعدها جيم : الضخمة الثَّبَجِ ، وهو الصدر . كذا جاء في تفسير هذا الشعر . والثَّبَجُ ، بفتحيتين : ما بين الكاهل إلى الظهر . أى إنَّ هذا منها عظيم . وقال ابن يعيش : ثَبْجَاء : عظيمة السنام . و (المُجْفَرَة) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الفاء : العظيمة الجنب الواسعة الجوف . والجُفْرَة بالضم : الوسط ، يقال فرس مُجْفَرٌ وناقة مُجْفَرَة ، إذا كانت عريضة الجرم . وصفها بأنَّها عظيمة القوائم ، وكنتى عن ذلك بدعائم الزور . و (الدَّعَائِم) : القوائم . و (الزور) بفتح الزاى : أعلى الصدر . وقال ابن المستوفى : دعائم الزور : الضلوع ، وكلُّ ضِلَعٍ دِعَامَةٌ . وانتصب دعائم الزور على التشبيه بالمفعول به ، فهو من باب الحسن الوجهة . وقيل انتصابه على التمييز^(٢) وهو ضعيف ، لأنَّه معرفة . واخطأ من وجهين صاحب^(٣) (التخمير) و (الموشح) في قولهما : إنَّه منصوب على التمييز للمخصوص بالمدح المحذوف وناصبه نعمت . و (زورق) فاعل نعم ، والمخصوص بالمدح محذوف ، وهو ضمير الحرّة ، أى هى . و (الزورق) : السفينة . و (البَلَد) : الأرض والمفاضة . وهذا كقولهم : الإبلُ سُفْنُ البرِّ ؛ فإنَّ

(١) شذور الذهب ٢١ .

(٢) ش : « وقيل على التمييز » بإسقاط « انتصابه » .

(٣) كذا في النسختين ، وهو وجه جائز في العربية على حذف المضاف من الثانى لدلالة

الأول عليه .

الإبل تشبّه بالسفن ، والمفاوزُ بالبحار . وهذا التشبيه شائع . قال أبو عبيدٍ
(في الغريب المصنف) : البوصىُّ : الزورق . وتعقبه عليُّ بن حمزة
البصرى بأنَّ البوصىَّ إنما هو من سفن البحر ، وهو بالفارسية : بوزى ،
والزورق بالنبطية ، وقد تكلمت به العرب ، وجمعه الزوارق . والزورق
مما يجرى في الماء العذب بدجلة والفرات . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذي الرُّمة ، مدح بها بلال بن أبي بردة . وقبله :

أبيات الشاهد

(وَمَنْهَلٍ آجِنٍ قَفْرِ مَحَاضِرُهُ
خَضِرٍ كَوَاكِبُهُ ذِي عَرْمَضٍ لَبِيدِ
فَرَجَّتْ عَنْ خَوْفِهِ الظُّلْمَاءُ يَحْمِلُنِي
عَوَجٌ مِنَ الْعِيدِ وَالْأَسْرَابُ لَمْ تَرِدِ^(١)
بَاقٍ عَلَى الْآيِنِ يُعْطَى إِنْ رَفَقَتْ بِهِ
مَعْجَا رُقَاقًا وَإِنْ تَخَرَّقَ بِهِ يَخِيدِ^(٢)
أَوْحُرَّةً عَيْطَلُ ثَبِجَاءُ مُجْفَرَةٌ
البيت

لانت عريكتها من طول ما سمعت
بين المفاوز تنام الصدى الفرد
حنت إلى نعم الدهنا فقلت لها
أُمِّي بلالاً على التوفيق والرشد

المنهل : المورد ، والواو : واو رب . والآجن : الماء المتغير الطعم واللون .

(١) ط : « العبد » في هذا البيت وفي تفسيره التالي ، صوابه في ش والديوان .

(٢) ط : « إن رفعت » ، صوابه في ش والديوان .

وَأَجْنَ المَاءَ يَأْجُنُ من باب ضرب ونصر ، أَجْنًا وَأَجُونًا . وَحُكِي أَجِنَ من باب فرح . والمحاضر : جمع محضر كجعفر ، وهو المرجع إلى المياه . وكوكب الشيء : معظّمه . والعَرْمَضُ ، كجعفر ، بإهمال الأوّل وإعجام الآخر : الطُّحلب ، وهو الأخضر الذي يعلو الماء . واللّبْدُ بكسر الموحدة : المتلبّد المتراكبُ بعضه على بعض .

والظَّلْمَاءُ مفعول فَرَّجْتُ . وجملة يَحْمَلْنِي حالٌ من تاء فَرَّجْتُ . والفُجج ، بفتح المعجمة وسكون الواو بعدها جيم : اللَّيْنُ المعاطف من الإبل والخيل . والعِيد ، بكسر المهملة : فحلٌّ منجِبٌ من الإبل^(١) . والأسراب : جمع سرب بالكسر ، وهو القطيع من القطا ، والظباء ، والوحش ، والنساء . وترُدُّ ، من ورود الماء .

والأَيْن : التعب . والمعج ، بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها جيم : سُرعَة السَّير . والرُّقَاق بضم الراء : الرقيق . وتَخَرَّقَ بفتح الراء : مضارع خَرَّقَ بكسرها خَرَقًا بفتحتين ، إذا عمل شيئاً فلم يرفُقْ به ، والاسم الخُرْقُ بالضم ، وهو العُنْف . وَيَخِذُ من الوَحْد ، وهو ضربٌ من سير الإبل ، وهو أن يَرِمِي بقوائمه كمشى النعام .

والعريكة : الخلق . والتَّنَام : تفعالٌ من النَّئِم ، وهو صوتٌ فيه

(١) في اللسان (عود) : « كأنه ضرب في الإبل مرات » . وهذا تعليل لتسمية هذا الفعل . وهو أحد أقوال في نسبة العيدية ، وقيل العيدية منسوبة إلى عاد بن عاد ، أو عادى بن عاد ، على النسبة الشاذة فيما . وقيل منسوبة إلى نبي العيد قبيلة . وتجذ هذه الأقوال جيمها في اللسان . وفي شرح ديوان ذي الرمة : « العيد قبيلة من مهرة إبلهم نجائب » .

وفي الاشتقاق ٥٥٢ عند الكلام على مهرة بن حيدان : « ومنهم بنو عيدي ، تنسب إليهم الإبل العيدية . وفي نهاية الأرب للقلقشندي ٦٩ : « بنو العيدي بكسر العين وسكون المثناة : بطن من مهرة من قضاة ، وهم بنو العيدي بن فدعي بن مهرة » .

ضَعَف كالأثْنينِ . وَالصَّدَى : ذِكْرُ البُومِ . وَالغَرْدَ بِكسرِ الرَّاءِ : المتطَرَّبُ
 فِي الصَّوْتِ . وَالغَرْدَ بفتحِها : الغِنَاءُ ، يُقالُ غَرِدَ الطائرُ ، من بابِ فرح .
 والنَّعَمُ بفتحِتيْنِ : الإِبِلُ . والدَّهْنُ : موضعُ ببلادِ تميمَ ، يمدُّ ويقصرُ .
 وأُمِّي : اقْصِدِي .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت في الشاهد الثامن من أول الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد السبعمئة (٢) :

٧٧٠ (بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِي)

وهو قطعة من بيت من معلقة امرئ القيس ، وهو :

(قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجِ

وَبَيْنِ العُنَيْبِ بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِي)

على أَنَّ (بُعْدَ) فيه للمدح والتعجُّب ، وأصله بُعْدَ بفتح الباء وضم
 العين أصالةً ، الحَقَّ بِفِعْلِ المدح . ويجوز في بائه وجهان : فتحها وتسكين
 عينها بحذف حركتها ، وضمّها بنقل حركة عينها إليها ، كما يجوز في
 كلِّ فعل المرادُ به المدح أو التعجُّب ، كما قال الشارح المحقِّق في آخر الفصل
 وصوَّره بهذا البيت .

١٢١

وقد روى أيضاً بالوجهين . قال العسكري (في كتاب التصحيف) :
 رواه أبو إسحاق الزيادي عن الأصمعيّ « بُعْدَ » مضمومة الباء ، ومعناه يا بُعْدَ
 ما تَأَمَّلْتِ ، على التعجب ، أي تَثَبَّتْ في النظر أين يَسْقَى (٣) . ورواه
 أبو حاتم : « بُعْدَ » بفتح الباء ، وقال : خَفَّفَ بُعْدَ فأسكن العين وبقيت
 الباء مفتوحة ، مثل كَرَمٌ وكَرَمٌ . انتهى .

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ .

(٢) التصحيف للعسكري ٢٢٥ وشرح شواهد الشافية ٣٩ وروصف المباني للمالقي ٥٢ .

(٣) في التصحيف : « أين تسقى » ، وما هنا صوابه .

وفيه ردُّ على ابن مالك (في التسهيل) في اشتراط نقل ضمِّ العين إلى الفاء بكون الفاء حرفاً حلقياً كحَبَّ وحَسَن . و« ما » بعد « بُعَدَ » إمَّا زائدة ، ومتأملي فاعل بعد وهو مضاف إلى الياء ، والرفع فيه مقدر ، والمخصوص بالمدح محذوف . وإمَّا اسمٌ نكرةٌ منصوبةٌ المحلّ على التمييز للضمير المستتر في بعد ، ومتأملي هو المخصوص بالمدح والتعجب ، فتكون « ما » كما في قوله تعالى : ﴿ فَنِعْمًا هِيَ ﴾^(١) .

أبيات الشاهد

وقبَلَ هذا البيت :

(أَصْحاحُ تَرى بَرَقاً أَرِيكَ وَمِيضُهُ

كَلَمَعَ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبِ

أَهَانَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ

قعدت له وصحبتى البيت

قوله : « أَصْحاحُ تَرى » إلخ ، الهمزة لنداء القريب . وصاح : مرخم صاحب ، وحذف همزة الاستفهام بعده للضرورة . والوميض والإيماض : اللّمعان . يقال وهَضَّ البرقُ وأومَضَ ، إذا لمع وتلألأ . واللّمع : التحرُّك والتحريك جميعاً . والحَبِيُّ بالحاء المهملة وكسر الموحدة ، وهو السحاب^(٢) المتراكم ، سُمِّيَ به لأنَّه حَبَاً بعضٌ إلى بعض^(٣) أي تراكم . وجعله مُكَلَّلًا ، لأنَّه صار كالإكليل لأسفله . ومنه قولهم : كَلَّلْتَ الرجل ، إذا توجَّته . ويروى : « مُكَلَّلٌ » بكسر اللام : اسم فاعل من كَلَّلَ تكليلاً ، إذا تبسَّم .

(١) الآية ٢٧١ من البقرة .

(٢) ش : « هو السحاب » بدون واو .

(٣) كذا في النسختين ، أي بعض منه .

يقول : يا صاحبي هل ترى برقاً أريك لمعانهُ في سحبٍ متراكم صار
أعلاه كالإكليل لأسفله ، أو في سحبٍ متبسّم بالبرق ، يشبهُ برقهُ
تحريكَ اليدين . أراد بتحريك تحرُّكهما . وتقدير البيت : أريك
وميضه في حَبِيٍّ مكلل كلمع اليدين . شبهَ لمعان البرق وتحريكه بتحرك
اليدين .

وقوله : « يضيءُ سنَاهُ » إلخ السنَا بالقصر : الضَّوْءُ ، يقال سَنَا يَسْنُو .
والسَّلِيْطُ : الزَّيْتُ ، وقيل الشَّيْرَجُ ^(١) ، وسمي سليطاً لإضاءةِهِ السَّرَاجِ ،
ومنه السُّلْطَانُ لوضوح أمره . والدُّبَالُ : جمع ذبالة ، وهي الفتيلة .
ومعنى أهان السَّلِيْطُ أَنَّهُ لَمْ يُعْزَهِ وَأَكْثَرَ الإيقاد به . وروى : « أمال
السليط » ، فقيل من المقلوب ، وتقديره أمال الدُّبَالُ بالسَّلِيْطُ ، إذا صبَّه
عليه . وقال بعضهم : تقديره : أمال السَّلِيْطُ مع الدُّبَالُ ، يريد أَنَّهُ يُمِيلُ
المِصْبَاحَ إلى جانب فيكون أشدَّ إضاءةً لتلك الناحية من غيرها . يقول :
هذا البرق يتلألُ ضوءه ، فهو يشبه في تحرُّكه لمعَ اليدين أو مصابيحَ
الرُّهْبَانِ التي أميلت فتائلها بصبِّ الزَّيْتِ عليها في الإضاءة ، يريد أن
تحرُّكه يحكي تحركَ اليدين ، وضوءه يحكي ضوءَ مصابيح الرُّهْبَانِ .
هذا ما نقلته من شرح الزوزني .

ومصابيح بالجر معطوف على لمع .

وقوله : « قعدتُ له » إلخ قال الخطيب التبريزي : صُحْبَةٌ بالضم :

(١) جاء في استدرارك التاج (شرح) : « والشيرج كصيقل وزينب : دهن السمسم ،
وربما قيل للدهن الأبيض ، وللمصير قبل أن يتغير ، تشبيهاً به لصفائه . وهو ملحق بياض فلفل
نحو جعفر ، ولا يجوز كسر الشين ، والهوام ينطقون به بإهمال السين مكسورة ، وهو معرب » .
وقال في (سرج) : « معرب سيره » .

١٢٢

اسم جمع صاحب . وضارج والعُذيب : مكانان . أى قعدت لذلك البرق
أنظر من أين يجىء بالمطر .

ومعنى قوله : (بَعْدَ ما مُتَأَمَّلِي) : ما أبعد ما تَأَمَّلْت . وحقيقته أنه
نداءٌ مضاف . والمعنى : يا بعد ما مُتَأَمَّلِي ، أى يا بعد ما تَأَمَّلْت . وروى
الرياشيُّ بفتح الباء وهى تحتمل معنيين : أحدهما أَنَّ المعنى بَعْدُ ، ثُمَّ
حذف الضمة . ويجوز أن يكون المعنى بَعْدَ ما تَأَمَّلْت . هذا كلامه .

وقال الزوزنى : يقول قعدت للنظر إلى السحاب وأصحابي بين هذين
الموضعين وكنت معهن ، فَبَعْدَ مُتَأَمَّلِي^(١) وهو المنظور إليه ، أى بَعْدَ السحاب
الذى كنت أنظر إليه وأرقب مطره وأشيمُ برقه . يريد أنه نظر إلى هذا
السحاب من مكان بعيد فتعجب من بَعْدِ نظره . انتهى .

وحاصله أن بَعْدَ بالفتح فعلٌ ماضٍ مسكَّن العين ، وما زائدة ومتأملي
اسم مفعول واقع على السحاب مضاف إلى ياء المتكلم ، كما سبق من
تقرير كلام الشارح المحقق ، من أنه مصدر مضاف إلى الياء .

ثم قال الزوزنى : وقال بعضهم : إن ما فى البيت بمعنى الذى ، تقديره
بَعْدَ ما هو مُتَأَمَّلِي ، فحذف المبتدأ ، رتقديره على هذا لقول : بعد
السحاب الذى هو مُتَأَمَّلِي . انتهى .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد السبعائة^(٣) :

٧٧١ (وَحُبَّهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ)

(١) ط : « متأمل » ، صوابه فى ش وشرح الزوزنى .

(٢) الخزائن ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٣) الأصول لابن السراج ١ : ١٣٧ ورسر الصناعة ١ : ١٥٩ وابن يعيش ٧ : ١٢٩

١٣٨ ، ٢٤١ وشرح شواهد الشافية ١٤ والعينى ٤ : ٢٦ وديوان الأخطل ٤ .

على أَنَّ حُبَّ فيه للمدح والتعجب ، وأصلها حُبُّ بضم العين للتحويل المذكور . فَإِنْ نقلنا حركةَ العَيْنِ إلى الفاءِ بعد حذف حركتها صار حُبُّ بضم الأوَّل . وَإِنْ حذفنا ضمة العين صار حُبُّ بفتح الأوَّل . والإدغام في الصورتين واجبٌ لاجتماع المثلين والأوَّلُ منهما ساكن . وفاعلها الضمير المؤنث المجرور بالباءِ ، لأنَّ هذه الصيغة تعجيبيَّةٌ لكونها بمعنى أَحِبُّ بها .

قال ابن الحاحب (في أمالي المفصل) : مقتولة نصب على الحال من الضمير في بها ، وبها فاعل حُبُّ ، زيدت فيه الباء على غير قياس كقوله : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ^(١) ﴾ . وقال صاحب التخمير ^(٢) : الباء في بها ههنا للتعجب ، ونظيره قولهم : كفاك بزيد رجلا . وقال ابن السراج ^(٣) : الباء دخلت لأنها دليلُ التعجب ، كما قالوا : إِنَّكَ من رجلٍ عالمٍ ^(٤) ، لم تسقط (من) لأنها دليلُ التعجب . وقيل هي كالباء : في كفى بالله . ومقتولة حال . انتهى .

قال ابن يعيش : حَبُّ من المضاعف الذي عينه ولامه من باب واحد ، وفيه لغتان حَبٌّ وأَحَبٌّ ، وأَحَبُّ أكثرُ في الاستعمال . وَأَمَّا حُبُّ فوزنه فَعَلٌ بفتح العين ، قال الشاعر ^(٥) :

(١) من الآيتين ٨١ ، ١٦٦ من سورة النساء : « وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا » و « الملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا » .

(٢) ش : « التخمير » ، صوابه ما أثبت . وجاء في ترجمة صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي من معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٣ : « وله من التصانيف كتاب المجمرة في شرح المفصل صغير ، وكتاب السبيكة في شرحه أيضا وسيط ، وكتاب التخمير في شرح المفصل أيضا بسيط » ، أي واسع كبير . ولكن صاحب كشف الظنون عند الكلام على (المفصل) ذكر أنه « التخمير » وأن الفخر الأسفيذري وضع له علامة هي « تخ » . والتخمير : التبخير ، وفي اللسان : « فتخمرت أطنابنا ، أي طابت روائح أبداننا بالبخور » .

(٣) انظر لهذا كتاب الأصول ١ : ١٢٨ - ١٢٩ . ونصه : « والباء دخلت دليل التعجب »

(٤) في الأصول : « إنك من رجل لعالم » .

(٥) هو غيلان بن شجاع النهشل ، كما في اللسان (حب) والكامل ١٩٢ .

فوالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق^(١)

فإذا أريد به المدح نقل إلى فعل ، فتقول : حبّ زيد ، أى صار محبوباً ومنه قوله :

* حبّ بها مقتولة حين تقتل *

وكذلك قول الآخر^(٢) :

* دجرت غضوبٌ وحبّ من يتجنب^(٣) *

وذهب الفراء إلى أنّ حبّ أصله حبّب مضموم العين ، واستدلّ بقولهم : حبيب ، وفعلٌ بابُه فعلٌ ، كظريف وكريم من ظرف وكرم . والصواب ما ذكرناه ، لأنّه قد جاء متعدّياً وفعل لا يكون متعدّياً . فأما قولهم حبيب فلا دليل فيه ، لأنّه مفعول ، فحبيب ومحبوبٌ واحد ، فهو كجريح وقتيل . وحبّيبٌ من حبّ إن أريد به المدح فاعل كظريف . وحبّ فعل متصرف ، تقول منه : حبه يحبه بالكسر ، وهو من الشاذّ لأنّ فعل إذا كان مضاعفاً متعدّياً فمضارعه يفعل بالضم نحو ردّه يرُدّه ، وشدّه يشدّه . وقالوا فى المفعول محبوبٌ ، وقَلَّ مُحَبَّبٌ . وجاء مُحَبَّبٌ فى اسم الفاعل ، وقَلَّ حابٌ . انتهى .

١٢٣

(١) فى النسختين : « ومسرق » بالسین المهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى الكامل واللسان والخصائص ٢ : ٢٢٠ والمغنى ٣٦١ . وفى الكامل : « وكان عياض منه أدنى ومشرق » بدون إقواء ، لأن قبله :

أحبّ أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الجمار بالجار أرفق

(٢) هو ساعدة بن جوية الهذلي . ديوان الهذليين ١ : ١٦٧ ، واللسان (حبب ٢٨٣) .

(٣) مجزه : * وعدت عواد دون وليك تشعب *

هذا والرواية في البيت :

(وَأَطِيبُ بِهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ)

بصيغة التعجب من الطيب . وقبله :

(فقلت اقتلوا عنكم بمزاجها)

وقتل الخمر : مزجها وكسرت قوتها بالماء . جعل مزجها بالماء قتلاً لها .
ورواه أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) :

فَلَذْتُ لِمِرْتَاكِحٍ وَطَابَتْ لِشَارِبٍ

وَأَحْبِبُ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ^(١)

وقال : إذا كانت الخمر طيبة فهي لذة ، نعت لها . وقد لذت لشاربها
تلذذ لذة ، ولذها شاربها يلذها لذاً ولذاذة . انتهى .

وهذا مركب من بيتين كما يأتي .

والبیت من قصيدة للأخطل النصراني ، مدح بها خالد بن عبد الله
ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، وكان أحد أجواد العرب في الإسلام .

وهذه القصيدة أول ديوانه ، وقبله :

(وَجَاءُوا بِبَيْسَانِيَّةٍ هِيَ بَعْدَمَا
فَتَوَقَّفُ أَحْيَانًا فِي فِصْلِ بَيْنِنَا
يَعْلُ بِهَا السَّاقِ أَلْدُ وَأَسْهَلُ
غِنَاءٌ مَغْنٌ أَوْ شِوَاءٌ مُرْعَبَلُ
فَلَذْتُ لِمِرْتَاكِحٍ وَطَابَتْ لِشَارِبٍ
وَرَاجَعِي مِنْهَا مِرَاحٌ وَأَخِيلُ
فَمَا لَبِثْنَا نَشْوَةً لِحَقَّتْ بِنَا
تَوَابِعُهَا مِمَّا نَعَلُ وَنُنْهَلُ)

أبيات الشاهد

صاحب الشاهد

(١) ط : « وأحب لها » ، صوابه في ش والديوان .

تَدِبُّ دَبِيْباً فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ دَبِيْبُ نِمَالٍ فِي نَقَا يَتَهَيَّلُ
 فَقَلْتُ اقْتُلُوها عَنْكُمْ بِمِزَاجِها وَأَطِيبُ بِها مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ
 وبيسان، هي بلدة بَغُورِ الشَّامِ تنسب إليها الخمر. والعَلَلُ: الشَّرْبُ الثاني.
 والشَّوَاءُ: الكَبَابُ. والمُرْعَبِلُ: المَقْطَعُ. والمِراحُ^(١) بالكسر: السرور. والأَخْيَلُ:
 الخَيْلَاءُ والعُجْبُ. ونَشَوْتِها: راثِحتِها. والنشوة: السُّكْرُ أيضاً. وتوابعها
 ما لحق من سكرها^(٢). والنَّهْلُ: الشَّرْبُ الأوَّلُ. كذا في شرح ديوانه. ونِمَالُ
 بالكسر: جمع نَمَلٍ. والنقا: الكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ^(٣). ويتَهَيَّلُ:
 يَتَصَبَّبُ.

وترجمة الأخطل تقدّمت في الشاهد الثامن والسبعين^(٤).

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد السبعائة^(٥):

٧٧٢ (لا يَمْنَعُ النَّاسُ مِنِّي ما أَرَدْتُ ولا

أَعْطِيهِمْ ما أَرَادُوا، حُسْنَ ذَا أَدْبَا)

على أَنَّ (حُسْنَ) فيه للمدح والتعجب، ويجوز في مثله أَنْ تنقل ضمة
 العين إلى الفاء كما فعل الشاعر، وَأَنْ تحذف وتبقى الفاء على فتحها.

والبيت أنشده الجوهريُّ قال: وقد حَسَنَ الشَّيْءُ، وإن شئت خففت
 الضم فقيلت حَسَنَ الشَّيْءُ، ولا يجوز أَنْ تنقل الضمَّ إلى الحاء، لأنَّه

(١) كذا. مع أن النصر هنا وفي الديوان أيضاً: « بمزاجها » بالجيم.

(٢) وتوابعها ما لحق من كسرها، ساقط من ش. وفي الأصل هنا، وهو ط: « كسرها »،
 والوجه ما أثبت.

(٣) والنقا الكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ، ساقط من ش.

(٤) الخزانة ١: ٤٥٩.

(٥) الخصائص ٣: ٤٠ وإصلاح المنطق ٤١ والأشياء والنظائر ٣: ١٤٢ والأصمعيات

٥٦ واللسان (حسن ٢٦٩).

خَبَر ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ النُّقْلُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ ، لِأَنَّهُ يَشْبَهُ فِي جَوَازِ النُّقْلِ بِنَعْمٍ وَبِئْسَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْلَ فِيهِمَا نَعِمَ وَبِئْسَ ، فَسُكِنَ ثَانِيهِمَا وَنُقِلَتْ حَرَكَتُهُ إِلَى مَا قَبْلَهُ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُمَا .
قال الشاعر :

لم يمنع الناس مني ما أردتُ البيت

أراد : حَسَنَ هَذَا أَدَبًا ، فَخَفَّفَ وَنَقَلَ . انْتَهَى كَلَامَهُ .

وقال ابن السيرافي : يريد أنه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه مما يريد منهم ، لعزّه وقهره . واستحسن هو هذا وجعله أدباً حسناً . وذا فاعل حَسَنَ ، وأدباً منصوباً على التمييز . انتهى . ١٢٤

وقال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : الأَدَبُ الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهُ هُوَ مَا يَحْسُنُ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَفِعْلُ الْمَكَارِمِ ، مِثْلُ تَرْكِ السَّفَهِّ ، وَبَدَلِ الْمَجْهُودِ ، وَحُسْنِ اللَّقَاءِ . قَالَ الْغَنَوِيُّ :

لم يمنع الناس مني ما أردتُ البيت

كَأَنَّهُ يَنْكُرُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ النَّاسُ وَلَا يُعْطِيَهُمْ . وَاصْطَلَحَ النَّاسُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ عَلَى أَنْ يَسْمُوا الْعَالَمَ بِالنُّحُوِّ وَالشُّعْرِ وَعُلُومِ الْعَرَبِ أَدَبِيًّا ، وَيَسْمُونَ هَذِهِ الْعُلُومَ الْأَدَبَ ، وَذَلِكَ كَلَامٌ مُوَلَّدٌ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ حَدِثَتْ فِي الْإِسْلَامِ . وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ شَيْئَيْنِ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَدَبِ وَهُوَ الْعَجَبُ ، وَمِنَ الْأَدَبِ مُصْدَرُ قَوْلِكَ : أَدَبَ فُلَانٌ الْقَوْمَ بِأَدْبِهِمْ أَدَبًا ، إِذَا دَعَاهُمْ . قَالَ طَرَفَةُ :

نحن في المشتاة ندعو الجفلي لا ترى الأدب فينا ينتقر

فإذا كان من الأدب الذي هو العَجَبُ (١) فكأنه الشيء الذي يُعَجَبُ منه لحُسْنِهِ ، لأنَّ صاحبه الرجل الذي يُعَجَبُ منه لفضله . وإذا كان من الأدب الذي هو الدُّعَاءُ فكأنه الشيء الذي يدعو الناس إلى المحامد والفضلِ ، فينهام عن المقابح والجهل . والفعل منه أَدَبْتُ آدَبُ آدَبًا من باب فرح ، فأنا آديب . والمتأدَّب : الذي قد أخذ من الأدب بحظًّا ، وهو مُتَفَعِّلٌ من الأدب ، يقال منه آدب الرجل يأدب إذا صار أديبًا ، مثل كرم ، إذا صار كريمًا . انتهى .

والبيت من قصيدة لسهم بن حنظلة الغنوي ، أورد بعضها أبو تمام صاحب الشاهد (في كتاب مختار أشعار القبائل) . وهذا ما أورده :

أبيات الشاهد

(إذا افتقرت نأى واشتدَّ جانبه
 وإن رآك غنيًا لأن واقتربا (٢)
 وإن أتاك لمالٍ أو لتنصُّره
 أثني عليك الذي تهوى وإن كذبا
 مدلى القرابة عند النيل يطلبه
 وهو البعيدُ إذا نال الذي طلبنا
 حلو اللسان ، بعيد القلب ، مشتملٌ
 على العداوة لابن العمِّ ما اصطحبا
 الله مُخْلِيفٌ ما أنفقتَ محتسباً
 إذا شكرتَ ومؤتيك الذي كتبنا

(١) شاهده قول منظور بن حبة في اللسان (أدب) :

بشمجى المشى عجول الوئب غلابة للناجيات الغلسب
 حتى أتى أزيها بالأدب

(٢) ش : « وإن رآك غني » ، صوابه في ط .

لَا بَلَّ سَلِّ اللهُ مَا ضُنُّوا عَلَيْكَ بِهِ
 وَلَا يَمُنُّ عَلَيْكَ اللهُ مَا وَهَبَا
 يَا لِلرَّجَالِ لِأَقْوَامِ أَجَاوِرُهُمْ
 مُسْتَقْبِسِينَ وَلَمَّا يُقْبِسُوا لَهَا
 يَصَلُونَ نَارِي وَأَحْمِيهَا لغيرهمُ
 وَلَوْ أَشَاءَ لَقَدْ كَانُوا لَهَا حَطْبَا
 مِنَ الرَّجَالِ رَجَالٌ لَا أَعَاتِبُهُمْ
 وَلَا تَفَزَعُ مِنْهُمْ هَامِي رُغْبَا
 مَنْ لَا يَزِلُّ غَرَضًا أَرَى مَقَاتِلَهُ
 لَا يَتَّقِي وَهُوَ مِنِّي وَاقِفٌ كَتَبَا
 وَلَا أَسْبُ امْرَأً إِلَّا رَفَعْتُ لَهُ
 عَارًا يُسَبُّ بِهِ الْأَقْوَامُ أَوْ لَقَبَا
 قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي مِنْ خِيَارِهِمْ
 فِي الدِّينِ دِينًا وَفِي أَحْسَابِهِمْ حَسْبَا
 لَا يَمْنَعُ النَّاسَ مِنِّي مَا أَرَدْتُ وَلَا
 أُعْطِيهِمْ مَا أَرَادُوا ، حُسْنٌ ذَا أَدْبَا

قال التبريزي (في شرح إصلاح المنطق لابن السكيت) : يريد
 أنه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم ،
 لعزته . وجعله أدبا حسنا . هذا تفسير أبي محمد .

١٢٥

وقال أبو العلاء في معنى هذا البيت : كأنه ينكر على نفسه أن
 يعطيه الناس ولا يعطيهم ويمنعهم . وهو الصواب ، لأن ما قبله يدل
 عليه . وذا فاعل حُسن . وأدبا تمييز . وأراد حُسن فحُفَفَ ونَقَلَ ؛ لأن

هذا مذهب التعجب. وقال الصَّفَّار^(١): إِنَّ الشَّاعِرَ أَنْكَرَ عَلَى نَفْسِهِ بَانَ النَّاسِ^(٢)
يُعْطُونَهُ وَيَمْنَعُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : حَسَنٌ ذَا أَدْبَا ، أَى مَا أَحْسَنَ هَذَا الْأَدْبَ !
عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالتَّهْكُؤْمِ . انْتَهَى .

وسهم بن حنظلة : شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . ذكره سهم بن حنظلة
ابن حجر (في قسم المخضرمين من الإصابة ، عن المرزباني^(٣)) .

وقال الآمدي (في المؤلف والمختلف) : سهم بن حنظلة بن جأوان^(٤)
ابن خويلد ، أحد بني شبيبة^(٥) بن غنيّ بن أعصر ، فارس مشهور ، وشاعر
مُحْسَنٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ رَمَانِي كَاشِحٍ
وَنَجْوَتْ مِنْ أَمْرٍ أَغْرَّ مَشْهُرٍ

وَحَاذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِي
لَمْ يُبَكِّنِي ، وَلَقَيْتُ مَالِمَ أَحْذَرِ

ثم قال : ومنهم سهم ، صاحب القصيدة المختارة الطويلة التي
يقول فيها :

تَدْنِي الْفَتَى فِي الْغَنَى لِلرَّاعِيَيْنِ إِذَا
لَيْلُ النَّهْمِ أَمَّ الْمُقْتَرِ الْعَزْبَا^(٦)

(١) ط : « الصوار » ، صوابه في ش .

(٢) كذا في النسختين .

(٣) في الإصابة ٣٧٠٣ : « قال المرزباني : شاعر شامي مخضرم . وأنشد له بيتاً قاله من

أبيات » . واقتصر في ترجمته على هذا النص .

(٤) في المؤلف ١٣٦ : « حلوان » ، وما هنا صوابه . وانظر أيضاً جهمرة ابن حزم ٢٤٨ .

وقال ابن دريد في اشتقاقه ٥٦٠ : « فعلان من الجؤوة ، وهو لون من ألوان الخيل دون الصداة » .

(٥) وكذا في المؤلف . لكن في الاشتقاق ٢٧٠ : « ضبيبة » .

(٦) في المؤلف : « تدني الفتى في الراغيبين »

حَتَّى تَمَوَّلَ يَوْمًا أَوْ يُقَالَ فَتَى

لَأَقَى التَّى تَشَعَّبُ الْأَقْوَامَ فَانْشَعَبَا

انتهى .

وقد أخطأ في هذا ، فإنَّ صاحب القصيدة هو سهمٌ الذي ذكره
 أولاً ، والبيتان من تلك القصيدة ، وقد نسبها إليه أبو تمام وغيره .
 وقد اشتبه على الأمدى فظنَّ سهماً اثنين ، وأنَّ صاحبَ القصيدة غير
 سهم الغنوى ، والصواب ما ذكرنا . وسهمٌ الذي ذكره ثانياً مجهول ،
 ولهذا لم يرفع نسبه لا إلى أب ولا إلى جدِّ . ولم يذكره غير الأمدى أحدٌ .
 والله أعلم بالصواب .

حروف الجر

أُنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد السبعمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٧٧٣ (باتت تنوش الجوض نوشاً من علا)

على أن (علا) فيه مبنى على الضم كقولهم : من علٌ بحذف المضاف إليه .

وبيانه ما قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) نقلاً عن أبى على : إنَّ الألف فى علا منقلبة عن الواو ، لأنَّه من علوت ، وإنَّ الكلمة فى موضع مبنى على الضم ، نحو قبلُ وبعد ، لأنَّه يريد نوشاً من أعلاه ، فلما اقتطع المضاف من المضاف إليه وجب بناء الكلمة على الضم نحو قبلُ وبعد ، فلما وقعت الواو مضمومة وقبلها فتحة قلبت ألفاً . وهذا مذهبٌ حسنٌ . انتهى .

وقال أبو على (فى التذكرة) : يجوز أن يكون علا مبنياً معرفة ، ويجوز أن يكون معرباً نكرة . فإن كان مبنياً كانت الألف منقلبة عن الواو لتحركها بالضم . وإن كان معرباً كانت منقلبة عن الواو لتحركها بالجر . فإن قيل : لا يكون إلا مبنياً ، لأنَّه معرفة لتقدم الحوض ، والمعنى من علا الحوض . قيل : قد قال الله تعالى : ﴿ اللهُ الأمرُ من قبلُ ومن بعد ﴾^(٢) ، فهما نكرتان ، وإن كان ذكر الغلبة قد تقدم ، وكان معلوماً ١٢٦ أن معنى الكلام من قبل الغلبة ومن بعدها . انتهى .

(١) فى كتابه ٢ : ١٢٣ . وانظر معانى القرآن ٢ : ٣٦٥ والأصول ٢ : ١٤٢ والمنصف ٢ : ١٤٢ وشرح أدب الكاتب للجوالين ٣٤٥ والاقتصاب ٤٢٧ وابن يعيش ٤ : ٧٣ ، ٨٩ ورصف المباني ٣٧١ والأشياء والنظائر ٤ : ١٦١ واللسان (نوش) ، علا (٣١٧) .

(٢) الآية ٤ من سورة الروم .

فعلم من هذا أنه لا يتعين بناؤه على ضمة على الواو المنقلبة ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، لقطعه عن الإضافة ونية معناه ، لجواز أن يكون معرباً بالجر والتنوين^(١) المقدَّرين على الواو المنقلبة ، ولا ينوى المضاف إليه لا لفظه ولا معناه ، ويكون كسائر الأسماء النكرة ، كما في قراءة : ﴿ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ ﴾ بالجر والتنوين .

واستشهد به سيبويه (في باب ما ذهب لأمه من أبواب التحقير) .
قال الأعمى : استدلك به على أن قولهم من علّ محذوف اللام ، وإذا صغرت أسماء ردت لأمه ففيل عُلِيٌّ ، لأن أصله من العلو . انتهى .

وكسيبويه أورده ابن السراج (في الأصول) .
وروى سيبويه : « وهى تنوش الحوض » بدل : « باتت تنوش » .

قال الفراء (في تفسيره) : النوش : تناول . قال الشاعر :
فهى تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به تقطع أجواز الفلا
قال الأعمى : وصف إبلاً وردت الماء في فلاة من الأرض ، فعافته وتناولته من أعلاه ولم تمعن في شربه . انتهى .

وقال الجواليقي (في شرح أبيات أدب الكاتب) : يصف إبلاً تشرب من ماء الحوض وتتناول ما فيه من الماء تناولاً من فوق ، تقطع به أرضاً بعيدة ، وتستغنى به عن المبالغة فيه . والأجواز : جمع جوز بفتح الجيم^(٢) ، وهو الوسط . وقال ابن السيد (في شرح أبياته أيضاً) :

(١) الكلام بعده إلى كلمة : « التنوين » التالية ساقط من ش .
(٢) في النسختين : « بضم الجيم » ، صوابه ما أثبت . على أن النص بهذا الضبط لم يرد في شرح الجواليقي .

لا أعلم هذا الرجز لمن^(١) هو ؟ يصف ناقهً شربت الماء من الحوض . وقد يمكن أن يصف إبلا ويريد بقوله « به تقطع أجواز الفلا » أنهم كانوا إذا حاولوا سفراً سقوا إبلهم الماء على نحو ما يقدرونه من بُعد المسافة وقربها ، وكانوا يجعلون أظماء إبلهم ثلثاً وربعاً وخمساً إلى العشر ، والعشر نهاية الأظماء . وكانوا ربّما احتاجوا في الفلاة إلى الماء ولا ماء عندهم ، فينحرون الإبل ويستخرجون ما في أجوافها من الماء ويشربونه ، وهو معنى قول زيد الخيل الطائي :

نُصُولُ بَكلِّ أبيضَ مشرقٌ على اللائى بَقَى فيهن ماءً^(٢)
عشيّةً نُؤثرُ الغرباءَ فينا فلا همُ هالكونَ ولا رِواءَ
انتهى

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعلم قائلها، والله أعلم. وأنشده صاحب الصحاح (في نوش) و (في علا) . وقال ابن برى (في حاشيته عليه) : هذا الرجز لغيلان بن حريث الربيعي . ولم أقف على خبر لغيلان . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد السبعائة^(٣) :

٧٧٤ (لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجرِ أقوينَ من حِجَجٍ ومن دَهْرٍ)
على أن الكوفيّين أجازوا استعمال (من الابتدائية) في الزمان أيضاً

(١) في الاقتصاب : « لا أعلم لمن هذا الرجز » .

(٢) جاءت « بقى » هنا بفتح القاف على لغة طي ، يقولون في بقى : بقى ، وفي رضى : رضى . وكذلك لغتهم في كل ياء انكسر ما قبلها ، يجعلونها ألفا . اللسان (بقى ٨٦) .

(٣) الجمل ١٥٠ والأزهية ٢٩٣ وابن يعيش ٤ : ٨ / ٩٣ : ١١ ووصف المباني ٢٣٠ والمغنى ٣٣٥ والمعنى ٣ : ٣١٢ والتصريح ٢ : ١٧ والمجموع ١ : ٢١٧ والأشوفى ٢ : ٢٢٩ وديوان زهير ٨٦ .

كما في البيت . وسلّم الشارح المحقق هذه الدعوى منهم ، وطعن في الدليل ، قال : الإقواء لم يُبتدأ من الحجج ، بل المعنى من أجل مرور حجج وشهر . فمن فيه تعليلية^(١) لا ابتدائية .

اعلم أنّ محلّ النزاع بين أهل البلدين إنّما هو في ورود من لا ابتداء الغاية في الزمان ، فأهل الكوفة يثبتونه ، وأهل البصرة يمنعونه . وأمّا ورودها لا ابتداء الغاية في المكان والأحداث والأشخاص فلا خلاف فيها عندهما . واستدلّ أهل الكوفة لورود من في ابتداء الغاية في الزمان^(٢) بقوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾^(٣) . وأول يوم من الزمان . وقوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾^(٤) . وبالبيت المذكور . وأجاب البصريون عن الآية الأولى بأنّ فيها مضافاً محذوفاً ، والتقدير : من تأسيس أول يوم . فمجرور من حدث لا زمان . وضعفه أبو البقاء بأنّ التأسيس ليس بمكان . وردّ عليه السمين بأنهم إنّما منعوا من كون من لا ابتداء الغاية في الزمان ، وليس في كلامهم أنّها لا تكون إلّا في ابتداء الغاية في المكان . وهذا ردٌّ جيدٌ حقٌّ كما ذكرنا .

وردّ الشارح المحقق دليل الكوفيّين بأنّه ليس التأسيس حدثاً ممتداً ولا أصلاً للمعنى الممتدّ ، وإنّما هو حدثٌ واقع فيما بعد من ، فتكون ظرفية كما في الآية الثانية .

فهو يوافقهم في مجيء من لا ابتداء الغاية في الزمان تبعاً للمبرد وابن

(١) ط : « تعليله » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « للزمان » ، وأثبت ما في ش .

(٣) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٤) الآية ٩ من سورة الجمعة .

دُرستويه ، ولهذا لم يؤوّل كما أوّل البصريُّون في الآية . وأجابوا عن الآية الثانية بأنَّ من فيه ظرفية ، وإليه ذهب الشارح أيضاً .

وأجابوا عن البيت بما أجابوا به في الآية الأولى بأنَّ فيه مصدراً محذوفاً ، أى من مرَّ حججٍ ، فيكون مجروراً حدثاً لا زماناً .

وأجاب الشارح المحقق بأنَّ من فيه تعليلية مع تقدير المضاف ، لا ابتدائية . وهو الحقُّ ، فإنَّ علة إقواء الديار مرورُ الدهور عليها ، لا ابتداء مرورها .

وأجاب بعضهم بأنَّ من هنا على مذهب الأخص زائدة ، والأصل أقوين حججاً ودهراً . نقله ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) . فيكون منصوباً على الظرفية . وأهونُ من هذا ادعاءُ منْ ظرفيةً كما في الآيتين . ولم أر من قاله . وأجاب بعضهم بأنَّ الرواية «مُد حجج ومُد دهر» وأنكر الأولى^(١) . وهذا ليس بشيء^(٢) . فإنَّ البيت الواحد يأتي على روايات شتى وكلُّها صحيحة ، إذا كان روائها ثقات . قال العسكري (في كتاب التصحيف) : قوله :

* أقوين من حججٍ ومن دهرٍ *

قال الأصمعي : أقوين مُد حججٍ ومُد دهر . ومن روى : «من حجج» قال : معناه من مرَّ حججٍ ومن مرَّ دهر . قال الزجاج : قوله تعالى : ﴿ من أول يوم ﴾ دخلت [من^(٣)] في الزمان ، والأصل مذ ومنذ . هذا أكثرُ الاستعمال في الزمان . ومن جازئ دخولها لأنَّها أصل في ابتداء الغاية ، وفي التبويض . انتهى .

(١) ش : « وأنكر الأولى هنا » ، أى رواية « من حجج » .

(٢) ش : « وليس بشيء » .

(٣) التكلة من ش .

وقوله: (لمن الديار) الظرف خبر مقدم، والديار مبتدأ مؤخر. وهذا الاستفهام تعجبٌ من شدة خرابها حتى كأنها لا تُعرف ولا يُعرف سُكَّانُها وأصحابُها. وبعض المصنِّفين حرَّفه ففتح اللام وكسر الميم، وقال إنَّ مِنَّ في البيت شاهدٌ لدخولِ من الجارة على المكان. وهذا مما يُتَعَجَّبُ منه. و(القنَّة) بضم القاف وتشديد النون: أعلى الجبل. والقنَّة باللام موضع النون مثله. و(الحِجْر) بكسر الحاء المهملة: منازلُ ثمودٍ بناحية الشَّامِ عند وادي القُرى. قال صَعُوداءُ (في شرح ديوان زهير): قال أبو عمرو: لا أعرف إلاَّ حِجْرَ ثمود، ولا أدري أَرادَه بعينه أم لا؟ وأما حَجْرٌ بفتح المهملة فهي قِصبة اليمامة، ولكن لا يدخلها الألف واللام، فلذلك أنكرها أبو عمرو. انتهى.

وكذا قال غيره. قال ابن السِّيد: هذا هو المروىُّ هنا، وقد أوَّله جماعةٌ على زيادة أَل.

قال اللخميُّ (في شرح أبيات الجمل): قد يصنعون ذلك في الأعلام
قال الشاعر:

* ياليت أمَّ العَمْرِ كانت صاحبي ^(١) *

أراد: أمَّ عمرو. وقال الآخر:

* وجدت الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركاً ^(٢) *

(١) مجهول القائل. وانظر المنصف ٣: ١٣٤ وابن الشجري ١: ١٥٤ والإنصاف ٣١٦ وابن يعيش ١: ٤٤ ووصف المباني ٧٧. وبعده:

* مكان من أشقى على الركائب *

(٢) لابن ميادة. وهو الشاهد ١١٥ من الخزانة ٢: ٢٢٦. وعجزه:

* شديداً بأحناء الخلافة كاهله *

أراد الوليد بن يزيد . هذا ما قالوا . والصواب دخول الألف واللام عليه . قال عاصم : الحَجْر بالفتح : مدينة اليمامة ، والحَجْر بالكسر : حَجْر ثمود . وقال الجوهري : الحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ، يذكَر ويؤنَّث ، ويؤيِّدهما البيتُ المتقدِّمُ وبيتُ النابغة :

وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحَجْرِ عَنوَةً أَخَا جَابِرٍ وَاسْتَنكَحُوا أُمَّ جَابِرٍ^(١)

والباءُ في قوله : (بَقْنَةٌ) ظرفية متعلِّقة بمحذوف على أَنَّهُ حالٌ من الضمير المستتر في الجار والمجرور ، والعامل فيه الاستقرار المحذوف ، والتقدير : لمن الديار كائنةً بَقْنَةُ الحَجْرِ . و (أَقْوِينِ) : أَفْقَرَنَ ؛ يقال أَقوت الدار ، إذا خَلَّتْ من سُكَّانِهَا وَأَقْفَرَتْ . والنون ضمير الديار ، وجملة أَقوين حالٌ من ذلك الضمير أيضاً . (والحجج) بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم : جمع حِجَّة بكسرها أيضاً ، وهى السَّنَّة . والدَّهْر : الأبد الممدود . وروى بدله : (وَمِنْ شَهْرٍ) وأراد مِنْ شهور ، فوضَعَ الواحد موضعَ الجمع اكتفاءً به . ونظائره كثيرة . قال اللّخمي : ومن رواه مُذْ حِجِجٍ كَانَتْ مُذْ حَرْفِ جَرٍّ ، والعامل فيها أَقوين ، وهى بمنزلة في ، لأنَّ المعنى أَقوين في حجج .

والبيت مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى ، مدح بها هرم بن سنانِ صاحب الشاهد ابن أبي حارثة المُرِّي ، عدَّتْهَا تسعة عشرَ بيتاً ، وبعده :

(لِعِبَ الرِّيَّاحُ بِهَا وَغَيْرَهَا بَعْدِي سَوَافِي المُورِ والقَطْرِ
قَفْرٌ بِمَنْدَعِ النَّحَائِثِ مِنْ ضَفْوَى أُولَاتِ الصَّالِ والسَّدْرِ
دَعُ ذَا وَعَدُّ القَوْلِ فِي هَرَمِ خَيْرِ الكُهُولِ وَسَيِّدِ الحَضْرِ^(٢))

(١) ديوان النابغة ٤٧ برواية « فاستنكحوا » . واستنكحوا بمعنى نكحوا .

(٢) في رواية الأعلم : « خير البداية » ، وهو الأوفق . وهو جمع باد لساكن البادية .

والسَّوافي : جمع سَاف ، اسم فاعل من سفت الريح الترابَ نَسْفِيهِ سَفِيًّا ، إذا ذَرَّتْهُ . والمُور ، بالضم : الغبار بالريِّح . والقَطْرُ : المطر . قال صَعُوداءُ (في شرحه) : قال أبو عبيدة : ليس للقطر سوافٍ ، ولكنه أشركه في الجرِّ . انتهى .

وليس هذا من الجرِّ على الجوار ، لأنَّه لا يكون في النَّسَقِ . ووجهه أَنَّ الرِّياحَ السَّوافي تُدري التُّرابَ من الأرض ، وتُنزل المطرَ من السحاب . وقوله : « قَفْرٌ » أي تلك الديار قفر . والمندفع بفتح الفاء . والنَّحائتُ (١) ، بفتح النون بعدها حاءٌ مهملة وآخره مثناة فوقية ، قال صَعُوداءُ : هي آبارٌ . ومُنْدَفَعُها : مُنْدَفَعُ مياهاها ، ولعلَّها أودية . والآبارُ تفسيرُ أبي عمرو . قال : ويقال موضعٌ فيه آبار . والضَّفوان ، بالضاد المعجمة بعدها فاءٌ : الجانبان ، الواحد ضَفًّا كَفَأً . و « أولاتِ الضَّالِّ والسُّدرِ » : مواضع فيها سِدر . والضَّالُّ ، هو السُّدرُ البَرِّيُّ .

وقوله : « دَعُ ذَا وَعَدُّ » إلخ ، قال صعُوداءُ : عَدُّ القولِ : اصرْفُه إليه . والحَضْرُ ، جمعٌ واحدُه حاضر ، مثل صَحْبٍ وصاحب . انتهى . والحاضرُ : الحىُّ العظيم . والحاضرُ : خلافُ البادى .

والأبيات الثلاثة الأولى قد نسبها نُقَّادُ الشُّعرِ إلى حمادِ الرَّأوية ، وقالوا : أوَّلُ القصيدة إنما هو : دَعُ ذَا وَعَدُّ القولِ البيت .

صاحب الشاهد

روى الأصبهانيُّ بسنده (في الأغاني) عن جماعةٍ أنَّهم كانوا في دارِ أمير المؤمنين المهديِّ ببغيساباد ، وقد اجتمع فيها العلماءُ بأيَّامِ العرب

١٢٩

وآدابها وأشعارها ولُغاتها ، إذ خرج بعضُ أصحابِ الحاجبِ فدعا بالمفضلِ الضبيِّ الراوية ، فدخلَ فمكثَ ملياً . ثم خرج ذلك الرجلُ بعينه فدعا بحمّادِ الراوية ، فمكثَ ملياً ثم خرج ومعه حمّادٌ والمفضلُ جميعاً ، وقد بان في وجهِ حمّادِ الانكسارُ والغمُّ ، وفي وجهِ المفضلِ السُرور والنشاط ، ثم خرج الخادمُ^(١) معهما فقال : يا معشرَ مَنْ حَصَرَ من أهلِ العلم ، إنَّ أميرَ المؤمنين يُعلمكم أَنَّهُ قد وصلَ حمّادُ الشاعرَ بعشرين ألفَ درهمٍ لجودة شعره ، وأبطلَ روايته ، لزيادته في أشعارِ النَّاسِ ما ليس منها ، ووصلَ المفضلُ بخمسين ألفَ درهمٍ لصدقِهِ وصحَّةِ روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً مُحدثاً فليسمعَ من حمّاد ، ومن أراد روايةً صحيحةً فليأخذها عن المفضلِ . فسألنا عن السَّببِ فأخبرنا أنَّ المهديَّ قال للمفضلِ لما دعا به وحده : إنِّي رأيتُ زهيرَ بنَ أبي سلمى افتتح قصيدته بأنَّ قال :

* دع ذا وعدَّ القولَ في هرمٍ *

ولم يتقدّم قبل ذلك قولٌ ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ في هذا شيئاً إلا أنّي توهمتهُ كان [يفكّر^(٢)] في قولِ يقوله ، أو يروى في أن يقول شعراً ، قال : عدَّ إلى مدحِ هرم ، دَع^(٣) ذا ، أو كان مفكراً في شيءٍ من شأنه فتركه وقال : دَعْ ذا ، أي دَعْ ما أنت فيه من الفكرِ وعدَّ القولَ في هرم . ثم دعا بحمّاد^(٤) فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضلُ فقال : ليس هكذا قال زهيرٌ ، يا أميرَ المؤمنين . قال : كيف قال ؟ فأنشده :

(١) في الأغاني ٥ : ١٦٤ : « ثم خرج حسين الخادم » .

(٢) التكلة من الأغاني .

(٣) في الأغاني : « فعدل عنه إلى مدحِ هرم وقال : دَعْ ذا » .

(٤) الأغاني : « فأمسك عنه تم دعا بحمّاد » .

* لمن الديار بقنة الحجر *

الأبيات الثلاثة :

دع ذا وعدَّ القول في هرم البيت

قال : فأطرقَ المهدي ساعة ثم أقبلَ على حمّاد فقال : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من استحلافك عليه . ثمَّ استحلفه بأيمان البيعة ليصدقنَّه عما يُسأل عنه . فحلف له ، فلمَّا توثق منه قال له : اصدقني عن حال هذه الأبيات ، ومن أضافها إلى زهير . فأقرَّ له حينئذ أنه قالها . فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهر أمرهما وكشفه . انتهى .

وحمّاد قد ترجمه صاحبُ الأغاني^(١) ، فلا بأس بإيراد شيء من أخباره ، فإنَّه كان من أعاجيب الدنيا ، ولكونه صاحبَ البيت الشاهد استحقَّ أن نُترجمه . وهو ممن يصحُّ الاستشهاد بكلامه .

حماد الراوية

قال : هو حمّاد بن ميسرة ، فيما ذكره الهيثم بن عدى . وكان صاحبه وراويته وأعلم الناس به . وزعم أنه مولى بني شيبان . وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وكانت ملوك بني أمية تقدّمه وتؤثره وتسنّى برّه^(٢) . وقال له الوليد بن يزيد : بما استحققت هذا اللقب^(٣) فقيل لك : حمادُ الراوية ؟ قال : لأنني أروي لكل شاعر يعرفه أمير المؤمنين أو سمع به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن لا تعرف^(٤) بأنك لا تعرفهم ولا سمعت بهم^(٥) ، ثم لا أنشد شعراً قديماً

(١) الأغاني ٥ : ١٥٦ - ١٦٥ .

(٢) في الأغاني : « وتسنّى برّه » أي تطلب زيارته .

(٣) وكذا في الأغاني ، وهي لغة جائزة قرئ بها : « عما يتساءلون » .

(٤) ط : « ممن لا تعرف » ، صوابه في ش والأغاني .

(٥) الأغاني : « أنك لم تعرفه ولم تسمع به » .

أو محدث إلا ميّزتُ القديم منه من المحدث . قال : إن هذا لعلمٌ وأبيك كثيرٌ فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على أيِّ حرفٍ شئتَ من حروف المعجم مائة قصيدةٍ كبيرة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية . قال : سأمتحنك . وأمره الوليدُ بالإنشاد . فأنشده حتى ضجر الوليد ، ثم وكّل به مَنْ استحلفه أن يصدّقه عنه ويستوفى عليه . فأنشده ألفي قصيدةٍ وتسعمائة قصيدةٍ للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

وروى أحمد بن عبيد ، عن حمادٍ أنه قال : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشامٌ يجفوني لذلك ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافةُ إلى هشامٍ جفاني^(١) ومكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلا لمن اتق به من إخواني سراً ، فلما لم أسمع أحداً يذكرني أمّنت وخرجتُ فصلّيت الجمعة ، ثم جلستُ عند باب الفيل ، فإذا شُرطيّانٍ قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حماد ، أجب الأميرَ يوسفَ بنَ عمر . فقلت في نفسي : هذا ما كنت أخذر : فصرتُ إليه فرمى كتاباً إليّ فيه : من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حمادٍ الراوية من يأتيك به غير مروّع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق . فأخذتها وركبته وسيرت حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار مفروشة بالرخام ، وبين كل رُخامتين قضيبٌ ذهب ، وحيطانها كذلك ، وهشام جالس على طنفسةٍ حمراء وعليه ثيابٌ خزٌ حمر ، وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسكٌ مبشوث في أواني الذهب ،

(١) بدله في الأغاني : « خفته » .

يقلِّبه بيده فتفوح روائحه . فسَلِّمت عليه فردَّ عليَّ السلام ، واستدناني فدنوتُ حتى قَبَلتُ رجله ، فإذا جاريتان لم أرَ مثلهما ، في أُذُن كلِّ واحدةٍ منهما حلقتان^(١) فيهما لؤلؤتان توقَّدان ، فقال لي : كيف أنت يا حمَّاد ، وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدرى فيما بعثتُ إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتٍ خطرَ ببالي لم أدرِ مَنْ قاله ؟ قلتُ : وما هو ؟ قال :

فدَعَتُ بالصُّبوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إِبْرِيْقُ^(٢)

قلت : هذا يقوله عدىُّ بن زيد في قصيدةٍ له . قال : أنشدنيها . فأنشدتها :

بَكَرَ العاذلون في فلق الصُّبِّ ح يقولون لي : ألا تَسْتَفِيْقُ^(٣)

ويكلمون فيك يا ابنة عبدِ اللِّه والقَلْبُ عندكم موهوقُ^(٤)

لستُ أدرى إذْ أَكثَرُوا العذَلَ عندي

أَعْلُوْهُ يَلومُنِي أم صَديقُ^(٥)

زانها حُسْنُها وفرعُ عَمِيمٍ وَأَثِيْتُ صَلْتُ الجَبِينِ أَنِيْقُ

وثنايَا مُفْلَجَاتُ عِذابُ لا قِصاراً تَرى ولا هُنَّ رُوْقُ

فدَعَتُ بالصُّبوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إِبْرِيْقُ^(٦)

(١) في الأغاني : « حلقتان من ذهب » .

(٢) الأغاني : « فدعوا » . وفي الديوان ٧٨ : « ثم نادوا على الصبوح » .

(٣) الأغاني : « في وضع الصبح » ، وهي رواية الديوان .

(٤) وكذا في الديوان ٧٦ . والموهوق من الوهق ، وهو جبل مغار فيه أنشوطه ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٥) الأغاني : « أو صديق » .

(٦) الأغاني : « فدعوا بالصبوح » .

قَدَّمْتَهُ عَلَى عَقَارِ كَعِينِ الْ دُبَيْكَ صَفَى سُلَافِهَا الرَّاوُوقُ
ثُمَّ كَانَ الْمَزَاجُ مَاءً غَمَامٍ غَيْرَ مَا آجِنٍ وَلَا مَطْرُوقٍ^(١)

قال : فطربَ وقال : أحسنتَ والله يا حماد ، سلتني حوائجك . فقلت :

كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : لإحدى الجاريتين . قال : هما
جميعاً بما عليهما وما لهما لك . فوهبهما له ، وأنزله في داره ، ثم نقله
من غدٍ إلى منزلي أعدّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لهما
وكل ما يحتاج إليه . فأقام عنده مدة ، فوصل إليه منه مائة ألف درهم .

وروى أيضاً بسنده أن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، والمعروف بابن
الكرديّة ، كان يستخفُّ مطيع بن أبياس ويحبُّه ، وكان منقطعاً إليه ،
وله منه منزلة حسنة . فذكر مطيع حماداً وكان صديقه ، وكان مطرّحاً
مجنّواً في أيّامهم ، فقال له : انتننا به لنراه . فأبى مطيع حماداً فأعلمه
بذلك ، وأمره بالمصير إليه ومعه ، فقال له حماد : دغني فإن دولتي
كانت مع بني أمية ، ومالي مع هؤلاء خير . فأبى مطيع إلاّ الذهاب به ، فاستعار
حماداً سواداً وسيفاً^(٢) ، ثم أتاه فمضى به إلى جعفر ، فلمّا دخل سلم عليه
وأثنى عليه ، فردّ عليه السلام وأمره بالجلوس ، ثم قال له جعفر : أنشدني
لجرير . قال حماد : فوالله لقد سلخ شعراً جرير كلّه من قلبي ، إلا قوله :

١٣١

بَانَ الْخَلِيْطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعَا

أَوْ كَلَّمَا اعْتَرَضُوا لِبَيْنِ تَجَزَعُ

(١) الأغانى : « ماء سماء » . وفي الديوان : « ماء سحاب لا صرى آجن » .

(٢) أى ثياباً سوداً . وكان السواد شعار العباسيين .

فاندفع ينشده إياها حتى قال :

ونقول بوزعٌ قد دببتَ على العصا

هَلَّا هَزَيْتِ بغيرنا يا بوزعُ

قال حمادُ : فقال لي جعفرُ : أعد هذا البيت . فأعدته . فقال :
بوزعُ أيش هو ؟ قلت : اسم امرأة . فقال : هو برىء من الله ورسوله
ونفياً من العباس إن كانت بوزعُ إلا غولاً من الغيلان ! تركتني والله
يا هذا لا أنام الليلَ من فزع بوزعُ ! يا غلمان ، قفاه ! قال : فصُفِعتُ
حتى لم أدر أين أنا . ثم قال : جرؤا برجله . فجرؤوا برجلي حتى أخرجتُ
من بين يديه مسحوباً ، فتخرق السواد ، وانكسر جفنُ السيف ، ولقيتُ
شراً عظيماً . وكان أشراً من ذلك غرامتي ثمن السواد وجفنُ السيف .

وكتب حمادُ إلى بعض الرؤساء الأشراف :

إن لي حاجة فرأيتك فيها لك نفسى فدى من الأوصابِ
وهى ليست ممّا يبلغها غيب رى ولا يستطيعها فى كتاب^(١)
غير إنى أقولها حين ألقا لك رويداً أسرها فى حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتب لى بحاجتك ولا تشهرنى فى شعرك .

فكتب إليه حماد :

إننى عاشقٌ لجبتك الدكن اءِ عشقاً قد حال دونَ الشرابِ
فاكسنيها فدتك نفسى وأهلى أتباهى بها على الأصحابِ
ولك الله والأمانة أن أج علها عمرها أميرَ ثيابى

(١) الأغانى ٥ : ١٦١ : « مما يبلغه غيرى » ..

فبعث بها إليه .

قال ابن النطّاح : كان حمادُ في أول أمره يتشطرَّ ، ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقّب ليلةً على رجلٍ وأخذ ماله ، فكان فيه جزءٌ من أشعار الأنصار ، فقرأه حمادُ فاستحلاه وحفظه ، ثم نأطلب الأدبَ والشعرَ وأيامَ العرب ولغاتها بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ .

وروى بسنده أيضاً عن ابن الأعرابي أنه قال : سمعت المفضل الضبي يقول : قد سلط على الشعر حمادُ الراوية فأفسده . فقلت له ؟ وكيف ، أخطى في روايته أم يلحن ؟ فقال : ليته كان ذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالمٌ بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيها ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الافاق ، فيختلط بأشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذاك .

وروى أيضاً بسنده أن الطرمّاح قال : أنشدت حماداً الراوية ، في مسجد الكوفة ، وكان أذكي الناس^(١) وأحفظهم ، قولي :

* بان الخليطُ بسُحرة فتبدّوا *

وهي ستون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل عليّ فقال : هذه لك ؟ قلت : نعم . قال : ليس الأمر كذلك . ثم ردّها عليّ كلّها وزيادة عشرين بيتاً زاد فيها في وقته ، فقلت له : ويحك ، إن هذا شعراً قلته منذ أيام ما اطّلع عليه أحدٌ . فقال : قد والله قلتُ هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعلىّ وعلىّ . فقلت : لله على حجة أحجّها حافياً راجلاً إن

جالستك بعدها أبدا ؟ فأخذ قبضة من حصى المسجد ثم قال : علىَّ لله بكلِّ حصاةٍ مائة حجةٍ إن كنتُ أبالي . فقلت له : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت .

وروى بسنده [أيضاً^(١)] أنه كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبيرقان ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشرون معاشرَةً جميلة ، وكانوا كأنهم نفسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَوْنَ بالزندقة جميعاً^(٢) .
وقد هجاه أبو الغول الطهويُّ بقوله^(٣) :

نِعْمَ الفَتَى لو كان يَعْرِف رَبَّهُ

أو حينَ وقتِ صَلَاتِهِ حَمَّادُ^(٤)

ضَمَّتْ مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَانْفُسُهُ

مثلُ القَلُومِ يَسْتَهَا الحَدَّادُ^(٥)

وابيضَّ من شَرِبِ المُدَّامَةِ وجْهُهُ

فببِياضِهِ يومَ الحِسابِ سَواؤُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد السبعمئة^(٦) :

(١) التكلة من ش .

(٢) الأغاني ٥ : ١٥٧ . وانظر الحيوان ٤ : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) نسب هذا الهجاه في الحيوان ٤ : ٤٤٥ إلى حماد بن الزبيرقان . ولعل الأوفق نسبته إلى أبي الغول كما في الأغاني ٥ : ١٦٢ وأمالى المرتضى ١ : ١٣٣ مع ما تقوله الرواية ، أن الحمادين كانوا كأنهم نفس واحدة .

(٤) في الحيوان والأغاني وأمالى المرتضى :

* ويقم وقت صلاته حماد *

(٥) الأغاني والحيوان : « هدلت مشافره الدنان » . وفي أمالى المرتضى : « بسطت مشافره

الشمول » .

(٦) الأغاني ١٩ : ١١٢ ومعجم البلدان (طهيان) .

٧٧٥ (فليت لنا من ماء زمزم شربةً

مُبرِّدةً باتت على طهَيانِ)

على أن (من) قد تأتي للبدل . أى فليت لنا شربةً بدل ماء زمزم .
(وطهَيان) بفتح الطاء المهملة والماء والمثناة التحتية : جبل . ورواه
الصاغاني في العباب : « باتت على الهَمَيان » ، وقال : هكذا الرواية : والنُحاة
يروونه : « على طهَيان » . والهَمَيانُ : قوائم من صخرٍ شاخصة في بلاد
غطفان . وأنشده (في مادة برد) قال : وبردت الماء تبريداً ، ولا يقال
أبردته إلا في لغة رديئة . ونسب البيت ^(١) إلى الأَحْوَلِ الكِنْدِيِّ .
وهذا خلاف ما عليه الرواة فإنهم قالوا : إنَّ البيت آخر قصيدة ليعلى
الأزدى ، تقدّمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد الثلاثمائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد السبعمائة ^(٣) :

٧٧٦ (لا تنتهونَ ولن ينهَى ذوى شَطَطٍ

كالطَّعنِ يَهْلِكُ فيه الزَّيْتُ والقُتْلُ)

على أنه لو صحَّ قول المصنف في توجيه كلام العرب : « قد كانَ
من مَطَرٍ » بأنَّ أصله : قد كان شيئاً من مطر ، فحذف الفاعلُ الموصوف
بالظرف ، لجاز أن تكون الكاف في هذا البيت حرف جرٍّ ، ويكون الفاعل

(١) ش : « وينسب البيت » .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٠٤ .

(٣) المقتضب ٤ : ١٤١ والأصول ١ : ٥٣٥ والخصائص ٢ : ٣٦٨ وسرالصناعة

١ : ٢٨٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦ وابن يعيش ٨ : ٤٣ ووصف المباني ١٩٥

والعيني ٣ : ٣٩٩ والهمع ٢ : ٣١ والأشباه والنظائر ٤ : ١١٥ ويس على التصريح ٢ : ١٨

واللسان (حطط ١٤٤ عثل ٤٥٠ غيل ٢٥ ، ٢٧) وديوان الأعشى ٤٨ .

محنوفاً ، وقد أُقيم الظرفُ مقامه ، فلا يصح الاستدلال بالبيت على أن الكاف اسمٌ مع أنها اسمٌ وجوباً في البيت .

وقدرد ابنُ السراج (في الأصول) ما ذكره المصنّف قال : في الكلام والأشعار ما يُوجب للكاف أنها اسمٌ . قال الأعشى :

أتنتهون ولا ينهَى ذوى شَطَطٍ البيت

فالكاف هي الفاعلة . فإن قال القائل : إنما هي نعتٌ لمحنوف ، أراد شيئاً كالطعن ، وهي حرف . قيل له : إنما يخلف الاسم ويقوم مقامه ما كان اسماً مثله ، نحو جاءني عاقلٌ ومررت بظريف . وليس بالحسن إلا فيما يشكّل من النعوت ، ولو كان غير الاسم يخلفها لصلح أن تقول جاءني يقوم ، وكلمت يضرب ، تريد إنساناً ورجلاً ونحو ذلك . وكذلك يلزمك أن تقول : جاءني في الدار ، تريد : رجلٌ في الدار . انتهى .

وسأني إن شاء الله تعالى بقيّة الكلام عليه في الكاف .

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، تقدّم بعضها في الشاهد التاسع والثلاثين بعد الستائة^(١) . وقبله :

(إني لعمرُ الذي حطتُ مناسمها ١٣٣
لئن قتلتُ عميداً لم يكن صدداً
وإن مُنيبتُ بنا عن غيبٍ معركةٍ
لا تنتهون ولن ينهَى ذوى شَطَطٍ
حتى يظلَّ عميدُ القوم مُرتفقاً
أصابه هُنْدُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ
تَخْدِي وَسِيْقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْغَيْلُ
لِنَقْتَلُنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَلُ
لَا تُلْفِنَا عَنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَفِلُ
كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفَتْلُ
يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عَجَلُ
أَوْ ذَابِلُ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مَعْتَدَلُ)

قوله : « إننى لعمر الذى » إلخ اللام للتوكيد ، وعمر بالفتح مبتدأ خبره محذوف يقدر بعد تمام البيت ، تقليره قسمى . وعمر مضاف إلى الذى بتقدير موصوف ، أى لعمر الله الذى . ومعنى لعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه . والبيت الذى بعده جواب القسم ، والقسم وجوابه خبر إننى . وحطت ، بالحاء المهملة ، بمعنى اعتمدت . ومناسمها فاعله ، والمناسم : جمع منسِم كـمجلس ، وهو طرف خف الإبل . والضمير المؤنث ضمير الإبل وإن لم يجر لها ذكر ، لأن المناسم تدلُّ عليها ^(١) . والعائد إلى الذى محذوف تقليره إليه ، أى إلى بيته ؛ ويدلُّ عليه ما بعده . وتخذى بالخاء المعجمة والـدال المهملة ، أى تسير سيراً شديداً ، وفاعله ضمير المناسم فيه ، والجملة حالٌ من المناسم . وإسناد الخدى إلى المناسم مجازٌ عقلى ، وفى الحقيقة إنما هو للإبل . وروى أبو عبيدة : « له » بدل تخدى ، فالعائد حيثئذ المذكور . وقوله : « وسيق » عطف على حطت ، أى وعمر الذى سيق إليه . والباقر نائب فاعل سيق ، وهو اسم جمع ^(٢) معناه جماعة البقر . والغيل بضمين : جمع غيل ، بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ، بمعنى الكثير . يريد : إننى أقسم بالله الذى تُسرِع الإبل إلى بيته ويُساقُّ إليه الهدى . والخطيب التبريزى لم يأت فى شرح هذا البيت بشيء ، مع أنه اختلفت الرواة فيه ، وخطأ العلماء بعضهم بعضاً فيه .

وقد روى أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فى أول كتابه : التنبيهات على أغلاط الرواة) . ما وقع للأئمة الأعلام من الردود وتخطئة بعضهم بعضاً ، فلا بأس بإيراده ، قال :

(١) ط : « يدل عليها » .

(٢) ط : « وهو اسم موضع » ، صوابه فى ش .

ونَقِيلُ إلينا من غير وجهٍ أن أبا عمرو الشَّيبَانِيَّ قال : روى أبو عبيدة بيت الأَعشى : « وسيق إليه الباقر العُثْلُ » أى بعين مهملة وثاءٌ مثلثة مفتوحتين ، فأرسلت إليه : صَحَّفْتَ ، إنما هو الغُيْلُ : أى الكثير ، يقال : ماءٌ غيْلٌ ، إذا كان كثيراً . وروى عنه أيضاً أنه قال : الغُيْلُ : السَّمانُ ، من قولهم : ساعدٌ غَيْلٌ . وكان أبو عبيدة يروى هذا البيت

إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي حَطَّطْتُ مَناسِمُهَا تَعَدِي وَسِيْقُ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْعُثْلُ

وحكى ابن قتيبة أن أبا حاتم قال : سألت الأصمعي عنه فقال : لم أسمع بالعثل إلا في هذا البيت . ولم يفسره . قال : وسألت أبا عبيدة عنه فقال : العُثْلُ : الكثير . قال ابن قتيبة : وخبرنا غيره أن الأصمعي كان يروى .

• وَجَدَّ عَلَيْهَا النَّافِرَ الْعَجَلُ •

يريد النَّافِرُ من مِنَى . والنَّافِرُ لفظُهُ لفظٌ واحد وهو معنى جمع . وقد اختلف عنه في « العجل » فقال بعض : « العُجْلُ » بضم العين ، وقال بعض : « الْعَجِلُ » أى بفتح فكسر ، وجعله وصفاً ليواحد . قال : ورواه أبو عبيدة : « حَطَّطْتُ مَناسِمُهَا » بالحاء غير معجمة ، وقال : يعنى حِطاطها في السَّير^(١) ، وهو الاعتماد . ورواه الأصمعي : « حَطَّطْتُ مَناسِمُهَا » بالحاء المعجمة ، أى شَقَّتْ التراب . وأنشد للنابغة :

١٣٤

• فَمَا خَطَطْتَ غِبَارِي^(٢) •

أى شققته . وقال الأصمعي : حَطَّطْتُ خطأً .

(١) الحطاط ووردت في القاموس ولم ترد في اللسان .

(٢) البيت بتمامه كما في التنبهات ٨١ ، وديوان النابغة ٣٤ وما سياتى في ص ٤٥٨ :
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت العجاج فما خططت غباري

فانظر إلى اختلافهم في هذا البيت . وردُّ بعضهم على بعض ، ومُرارة
أبي عمرو أبا عبيدة فيه .

وقد أصاب أبو عمرو في الغُيْل ، وصحَّف أبو عبيدة ، لأنَّ لتفسيرى
أبي عمرو وجهين صحيحين معروفين ، وتفسير أبي عبيدة غير مسموع
من غيره ولا معروف ^(١) .

ولا تلتفتنَّ إلى قول ابن دريد : نَعَمْ عَثَلٌ وَعَثِلٌ : كثير ^(٢) ولا إلى
قوله ^(٣) : العَثَلُ : الغلظ والفخامة ، عَثِلٌ يَعَثَلُ عَثَلًا . وكلُّ كثيرٍ عَثَلٌ ^(٤) .
فكل هذا عن أبي عبيدة .

وأصاب أبو عبيدة في حَطَّتْ ، لأنه وجه صحيح ، وأخطأ الأصمعيُّ في
قوله : حَطَّتْ بالمهملة خطأً . ولأنَّ تكونَ معتمِدةً في سيرها بمناسمها خيرٌ
من أن تكونَ خاطئةً . والحَطُّ بالمهملة : الاعتماد ، يقال حَطَّ يَحُطُّ حَطًّا ،
إذا اعتمد . ولما لم يعرفه الأصمعيُّ ردَّه . قال عمرو بنُ الأَهم :
لصالح أخلاقِ الرجالِ سَرُوقٌ ^(٥)
ذريني وحُطِّي في هَوَايَ فَإِنِّي ^(٦)
على الحَسْبِ الزاكِي الرَفِيعِ شَفِيقٌ

ومن هذا أخذ : حَطُّ الأديم ، وهو صقله ودلُّكه ، وذلك لأنَّ صاقله

(١) جهرة ابن دريد ٢ : ٤٥ .

(٢) ما بعده إلى : « أبي عبيدة » ساقط من التنبيهات .

(٣) ط : « وإلى قوله » .

(٤) ش : « وكل شيء عثل » ، صوابه في ط .

(٥) الفضليات ١٢٥ والجماسة ١٦٥٢ بشرح المروزوق و ٤ : ١٩٢ بشرح التبريزي .

(٦) ما بعد هذا البيت إلى نهاية النص لم يرد في نسخة التنبيهات .

يعتمد عليه . يقال حَطَّه يحطُّه حَطًّا ، فهو أديمٌ محطوط . والخشبة التي يُصَقَّل عليها يقال لها المِحَطُّ . قال النمر بن تولب :

كَانَ مِحَطًّا فِي يَدَيْ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي بِهِ الْجِلْدَ مِنْ عَلٍ^(١)

شبهه بَرَقَانٌ بدنَه لَمَاءَ الشَّبَابِ وَتَرَارِيَه ، بِالْأَدِيمِ المِصْقُولِ . انتهى ما أورده أبو القاسم .

وقال العسكري (في كتاب التصحيف) : وقد رووا بيتاً من شعر الأعشى على عشرة أوجه ، وهو :

إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمَهَا البيت

وذكرت الأوجه ليُعلم قدرُ عنايتهم بالعلم ، وصرف اهتمامهم إليه . رواه الأصمعي : « إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي حَطَّتْ » بالخاء المعجمة . ورواية عسل^(٢) عنه بالخاء غير المعجمة . وقال الأصمعي : حَطَّتْ ، يعني أَنَّهَا تشقُّ التراب . قال : ومثله قول النابغة :

أَعْلِمْتَ يَوْمَ عُكَاظَ حِينَ لَقِيْتَنِي

تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا حَطَّطْتَ غُبَارِي^(٣)

أى قصرت عنه أن تدركه . قال : ولا يكون حَطَّتْ ، لأنَّ الحِطَّاط

(١) ديوان النمر ٨٥ والحيوان ٥ : ٤٨ ، واللسان (حطط) ، وهو من قصيدة أولها :

تَأْبَسُ مِنْ أَطْلَالِ بَجْرَةَ مَأْسَلٍ وَقَدْ أَقْسَرَتْ مِنْهَا سِرَاهُ فَيَذِبُلُ

(٢) التصحيف ٢١٤ - ٢١٧ .

(٣) هو عسل بن ذكوان العسكري النحوي . روى عن المازني وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وروى أيضاً عن الرياشي ، وكان في أيام المبرد . وله : أقسام العربية ، والجواب المسكت . انظر إنباه الرواة ٢ : ٢٨٣ وفيه مراجع ترجمته .

(٤) سبق الكلام عليه قريباً .

الاعتماد في الزمام . ورواها أبو عمرو : « حَطَّتْ » بالحاء وقال : هو أن يعتمد في أحد شقيه . ورواه : « تَخَلَّى » بالخاء المعجمة ، وقال : « الباقر العيل » بعين غير معجمة بعدها ياءٌ تحتها نقطتان . وفي رواية الزيادي عن الأصمعي : « الباقر العئل » بعين وثاء فوقها ثلاث نقط ، وفسره فقال : العئل والعشج واحد ، وهو الجماعة . وفي رواية عسل : « حَطَّتْ » بالحاء غير المعجمة ، وقال : معناه أسرعت . قال : والعئل الكبير الثقيل : يقال انكسرت يده ثم عئلت تعئل ، أي ثقلت عليه . هذه رواية الأصمعي . ورواه أبو عبيدة : « حَطَّتْ » بالحاء ، وهو الاعتماد في أحد شقيه إذا سارت . وروى : « العئل » وقال : هي القطيع والجماعات ، يقال ذلك في الناس والإبل . وكذلك العشج ، ولم يعرف الغئل . ورواه أبو عمرو الشيباني : « الغئل » بعين معجمة وتحت الياء نقطتان ، وفسره بالكثير وقال : يقال ماء غئل إذا كان كثيراً . والغئل أيضاً السمان . يقال ساعد غئل ، إذا كان ممتلئاً رياً . قال : وروى أبو عبيدة : « العئل » بالثاء منقوطة بثلاث ، فأرسلت إليه : أن قد صحفت ، إنما هو الغئل .

١٣٥

وروى بعضهم عن الأصمعي أنه قال : الرواية : « وجدَّ عليها النافر العُجلُ » بالجيم . والنافر بالنون والفاء . أي حَطَّتْ مناسمها تخلي ذاهبة ثم جدت عليها النفار من منى حيث نفرُوا .

وقال أبو الحباب : قلت له : إنما قال النافر ، وهو واحد ، ثم قال العُجلُ ؟ فقال : كقولك : يأيُّها الرجل وكلُّكم ذلك الرجل . وكثيراً ما يجيء الواحد في معنى الجميع ^(١) .

(١) ط : « الجمع » ، وأثبت ما في ش وكتاب التصحيف ٢١٦ .

ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن أصحابه « خَطَّتْ » بالخاء المعجمة ، وقال : يعنى أنها تشقُّ التراب . قال : وكذلك قول النابغة^(١) :

• فما خططت غبارى •

يعنى ما شققته ، أى قصّرت عنه ولم تدركه . وروى بعضهم : « حَطَّتْ مناسمها تُحَدَى » بحاء مهملة بدلا من تحدى .

فانظر إلى هذا البيت ، وكم أتعب من الرواة والعلماء واحتملوه ، لطلب الفائدة فيه . انتهى كلام العسكرى .

وقوله : « لئن قتلتم » إلخ اللام هى الموطئة للقسم . وقوله لنقتلن جواب القسم ، وجواب الشرط محذوفٌ دلَّ عليه جواب القسم .

وقوله : « وإن مُنيتَ بنا » إلخ يأتى إن شاء الله شرحه فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد التسعمائة ، فى حروف الشرط . والخطاب ليزيد بن مُسهر الشيبانى ، فإنه كان أغوى بنى سيار فى أن يقتلوا سيِّداً من رهط الأعشى ، على ما تقدّم سببه هناك .

والعميد : السيِّد الذى يُعمد ، أى يُقصّد . والصّدّد ، بفتحيتين : المقارب . وقوله : « فتمثّل » أى نقتل الأمثل . وأمائل القوم : خيارهم . يقول : والله إن قتلتم منا دون السيِّد لنقتل أمثلكم .

وقوله : (لا تنتهون) إلخ أى لا تنزجرون . وقوله : (ولن ينهى) إلخ البيت : جملة معترضة بين لا تنتهون وبين متعلّقه وهو حتّى يظللّ ، البيت الآتى . وزعم العيني أنّ الجملة حالية . وعُذره أنه لم ينشد البيت الذى

(١) كلمة « النابغة » ساقطة من ش ، وفيها : « وكذلك قوله » .

بعده . ويروى : (أتتهون) بالاستفهام الإنكارى (ولن ينهى) بفتح الهاء ، وذوى مفعول مقدم . يقال ينهأ ، أى يزجره ويمنعه . و (الشَطَط) بفتحيتين : الجور والظلم . فى (المصباح) : شَطَّ فلانٌ فى حكمه شطوطاً وشططاً : جارٍ وظلم . وشط فى القول شَطَطاً وشطوطاً : أغلظ فيه . وشطَّ فى السَّوم : أفرط . والجميع من بابى ضرب وقتل^(١) . والكاف من قوله (كالطعن) اسمٌ فاعلٌ ينهى ، والطعن مضاف إليه ، وهو مصدر طعنه بالرمح طعناً ، من باب قتل . ويهلك بكسر اللام من باب ضرب . وجملة (يهلك) إلخ صفة للطعن ، لأنَّ اللام فيه للجنس . (والقُتل) بضميتين : جمع فتيلة ، أراد فتيلة الجراحة . والمعنى : لا ينهى أصحاب الجور مثل طعن جائف ، أى نافذ إلى الجوف ، يَغيب فيه الزيت والقُتل . يريد أنه لا يمنع الجائرين من الجور إلاَّ القُتل .

وقوله : « حتى يظلَّ »^(٢) ، إلخ حتى جارة بمعنى إلى متعلقة بقوله لاتتهون . ويظلَّ بمعنى يستمر ، منصوب بأن مضمرة بعد حتى . وعميد القوم ، أى سيّد القوم منكم . والمرتفق : الطالب الرفق والإعانة . والراحُ : جمع راحة اليد . والمُعجل بضميتين جمع عَجول وهى الشكلى^(٣) . يقول : حتى يظل سيّد الحى تدفع عنه النساء بأكفهنَّ لثلا يُقتل ، لأنَّ من يدفع عنه من الرجال قُتل . وقيل المعنى : يدفعن لثلا يوطأ بعد القتل . وهو المناسب لقوله : « أصابه هندوانى » أى سيفٌ منسوب إلى الهند . وأقصده : قتله مكانه . وذابل ، هو الرُمح . والخطُّ بالفتح : موضعُ باليامة تُنسب إليه الرماح ، وهى لا تنبت بالخطِّ ، إنّما هو ساحلٌ للسفن التى تحمِل القنا إليه وتُعملُ به^(٤) .

١٣٦

(١) الكلام بعده إلى « من باب ضرب » ساقط من ش .

(٢) الكلام بعده إلى « حتى يظل » التالية ، ساقط من ش .

(٣) فى الأصل هنا ، وفى ط فقط : « الشكلاء » صوابه ما أثبت . يقال امرأةٌ تاكل وتكول

وتكل . وقد يقال تكلائة أيضاً فى قلة . (٤) فى اللسان : « فتقوم به » .

وترجمة الأعشى تقدّمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب^(١) .

• • •

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ^(٢) :

۷۷۷ (وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتِ شَغْبًا إِلَى بَدَأَ إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادٌ سِوَاهُمَا^(٣))

على أن (إلى) الأولى فيه للانتهاء ، أى مضافاً إلى بدأ . وذكر المتعلق لإفادة أن إلى مع مجرورها واقعةٌ موقعَ الحال من شَغْبَ ، وإفادة أن الغاية داخلٌ في المَعْنَى .

وزعم الكوفيون أنها هنا بمعنى مع ، وهو خلاف الأصل من غير ضرورة تلجئ إليه .

ومن الغريب قولُ ابن هشام (في المعنى) : إنها بمعنى الفاء . قال : إذ المعنى شغباً فبدأ ، وهما موضعان .. ويدلُّ على إرادة الترتيب قوله بَعْدَهُ :

حَلَلْتِ بِهَذَا حَلَّةً ثُمَّ حَلَّةً بِهَذَا ، فَطَابَ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا

وهذا المعنى غريب لأننى لم أر من ذكره . ٥١ .

وقد ردَّ عليه شارحه الدماميني بأنَّ من حقِّ النُّحَاةِ أَنْ لَا يَذْكُرُوهُ مُسْتَنْدِينَ إِلَى هَذَا الدَّلِيلِ ، فَإِنَّا لَا نَسَلِّمُ إِرَادَةَ التَّرْتِيبِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ إِلَى فِيهِ لِلْمَعْنَى ، كَمَا قَالَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَتَعَلِّقَةٌ بِمَحْنُوفٍ إِنْ لَمْ نَقُلْ بِذَلِكَ ، أَيْ مَعَ بَدَأَ أَوْ مَضْمُومًا إِلَى بَدَأَ . وَالْبَيْتُ الثَّانِي

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) ط : « وَأَنْتِ الَّتِي » ، صوابه في ط ومراجع التخرُّج التالية .

(٣) المعنى ١٦٢ والمجع ٢ : ١٣١ واللسان (بدأ ٧٣) والحامزة ١٢٨٨ بشرح المرزوق

ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ وديوان كثير عزة ٣٦٣ .

لا يدلُّ على إرادة الترتيب في الأوَّل ، إذ حلولها بأحد المكانين بَعْدَ حلولها بالآخر لا يقتضى أنَّ المكانَ الأوَّلَ حُبِّبَ إليه أوَّلاً بسبب حلولها فيه ، وأنَّ الثاني حُبِّبَ إليه بعد ذلك لحلولها به ، إذ من الجائز أن يكون حُبُّ المكانين حَصَلَ له في آنٍ واحد بعد حلولها فيهما على الترتيب . ثُمَّ ولو سُلِّمَ دلالة البيت الثاني على الترتيب في الأوَّل لم يدلُّ على دعواه ، لأنَّ الترتيب الواقع في الثاني إِنَّمَا هو بِثَمَّ لا بالفاء . وفي بعض النسخ : « حَلَّةٌ بعد حَلَّةٍ » . ٥١ .

وأما (إلى) الثانية فقد شرحها الشارح المحقق بعد أسطر .

والبيتان في الحماسة ، ونسبهما لكثير عزة . والرواية فيها كذا : صاحب الشاهد

وحَلَّتْ بهذا حَلَّةٌ ثم أصبحت بهذا فطاب إلخ

قال المرزوقي : خاطبها في البيت ^(١) معتداً عليها ، بأنَّه كما آثرها على أهله وعشيرته ، آثر بلادها على بلاده ، فذكر طرفي محالها فقال : أحبُّ لك وفيك شغباً إلى بدا ، وبلادى بلاد غيرهما . ثم أخبر عنها في البيت الثاني فقال : نزلت بهذا ، يشير إلى شغب ، نَزَلَتْ ^(٢) ثم أصبحت ببداً ، ففاح الواديان وتضوعاً برياًها . ومثله قول الآخر :

استودعت نشرها الرياض فما

تزداد طيباً إلا على القِدم

وفي بعض نسخ الحماسة بيتٌ بينهما ، وهو :

إذا ذرقت عيناي أعتلُّ بالقذى

وعزة لو يدري الطبيبُ قناهما

(١) في شرح المرزوقي : « في البيت الأول » .

(٢) في النسختين : « نزلت » ، صوابهما في شرح المرزوقي .

أى عزة سبب قذاهما . (وشغب) بفتح الشين وسكون الغين المعجمتين .
و (بدأ) بفتح الموحدة بعدها دال مهملة فألف مقصورة . قال العسكري
(في كتاب التصحيف) : هما من بلاد عُذرة ، يريد أنهما من بلاد اليمن .

ويناسبه ما نقله أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) بعد قوله :
شغب : قرية الزهري الفقيه : عن ابن أبي أويس قال : خرج عبد الله بن
السائب المخزومي نحو اليمن ومعه ابنه ، فنزلا على غداتهما ، فقال عبد الله
ابن السائب :

فلما علوا شغباً تبيئت أنه تقطع من أهل الحجاز علايتي
فقال ابنه :

فلا زلن حسرى ظلماً لِمَ حَمَلْنَا

إلى بلدِ ناءٍ قليل الأصادق^(١)

فقال أبوه : أمك طالق إن تغدينا أو تعشينا إلا على هذين البيتين .
ولكنه قال : شغب قد تقدم ذكره وتحديده في رسم بدا . والذي
قاله في بدا : أنه موضع بين طريق مصر والشام . قال كثير :

وأنت التي حببت شغباً إلى بدا البيت

وشغب : منهل بين طريق مصر والشام أيضاً . قال جميل :

ألا قد أرى أن لا بُشينة تُرتجى

بِواديِ بَدَا ، ولا بِحِصْمَى ولا شَغْبِ^(٢)

(١) ش : « لو حملتنا » ط : « لم حملتنا » ، صوابه ما أثبت من معجم ما استعجم .
وفى إحدى روايات المعجم : « إذ حملتنا » .

(٢) ديوان جميل ٣٣ ومعجم ياقوت ، ومعجم ما استعجم ، والأغاني ٧ : ٨٧ . وعند ياقوت :
« بواديِ بَدَا لا بحِصْمَى » ، وعند البكري : « بواديِ بَدَا ولا بحِصْمَى » ، وفى الديوان :
« بواديِ بَدَا فلا بحِصْمَى » .

وقد ورد «بدا» في شعر زيادة بن زيد ممدوداً، فلا أدري أمده ضرورة أم فيه لغتان . قال :

وَهُمْ أَطْلَقُوا أَسْرَى بَدَاءً وَأَدْرَكُوا

نساء ابنِ هندٍ حين تُهْدَى لقيصراً

هذا ما ذكره . وهو لا يناسب شعر ابن السائب ولا شعر جميل ، فإنه عُذْرِيٌّ .

ولم يزد ابن ولأد والقالى (فى المقصور والممدود لهما) على قولهما :
بدا : اسم موضع ، مقصور ، يكتب بالألف . يقال بين شَغْبٍ وَبَدَاً . وأنشد
البيت الشاهد . والله أعلم .

وترجمة كثير عزة تقدمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد
الثمائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد السبعائة^(٢) :

٧٧٨ (فلا تتركنى بالوعيدِ كأننى

إلى الناس مَطْلِيٌّ به القارُّ أجْرَبُ)

على أنه قيل (إلى) فيه بمعنى فى ، والوجه أن تكون على أصلها للانتهاء ؛
لأن قوله مَطْلِيٌّ به القارُّ معناه مَكْرَهُ مَبْغُضٌ . وهو يتعدى بلى .

وهذا توجيه ابن عصفور ، قال (فى كتاب الضرائر) : إنما وقعت
فيه إلى موقع فى ، لأنه إذا كان بمنزلة البعير الأجرب المطلق الذى يخافُ

(١) الخزانة ٥ : ٢٢١ - ٢٢٤ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ و ضرائر ابن عصفور ٢٣٥ و رصف المبانى ٨٣ والمغنى ٧٥

والمعجم ٢ : ٢٠ والأشمونى ٢ : ٢١٤ وديوان النابغة ١٣ .

عَدَّوَاهُ فَيَطْرُدُ عَنِ الْإِبِلِ إِذَا أَرَادَ الدَّخُولَ بَيْنَهَا ، كَانَ مَبْغُضًا إِلَى النَّاسِ ،
فَعَوْمَلٌ مَطْلَىٌ كَذَلِكَ مُعَامَلَةٌ مَبْغُضٌ .

وقال في موضع آخر : هو على تضمين مَطْلَىٌ معنى مَبْغُضٌ . ولو صحَّ
مَجِيءُ إِلَى بِمعنى في لجاز زيد إلى الكوفة . ٥١ .

وقال بعضهم : إلى متعلِّقة بمحذوف ، أي مَطْلَىٌ بالقار مضافاً إلى
الناس ، فحذف^(١) وقلب الكلام . ولا يخفى سماجته .

و (الوعيد) : التهديد . و (القار) هنا : القَطْران . وإنما شبه نفسه
بالبغير الأجرِب المَطْلَى بالقَطْران ، لأنَّ الناس يطردونه إذا أرادَ الدخولَ
بينَ إبلهم ، لثلا يَعُرُّهَا بالقَطْران وَيُعَدِّيْهَا بدائه . والقار نائب فاعل
مَطْلَىٌ ، وبه متعلِّقٌ بِمَطْلَىٌ . والأصل مَطْلَىٌ بالقار ، فمرفوع مَطْلَىٌ هو المستتر ،
لكنه قلب . وقيل : روى « القارِ » بالجرِّ على أَنَّهُ بَدَلٌ من ضمير به ،
فلا قلب .

والبيت من قصيدة للنابعة الذبباني يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر
اللخمي في شيء أتهم به عنده ، فهرب منه إلى ملوك الشام بنى جفنة الغسانيين
كما تقدم بيانه في ترجمته ، واعتذر إليه بعدة قصائد في انضمامه إلى
بنى جفنة ، والتبري مما رمى به ، أولها :

صاحب الشاهد

(أتاني آبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أتهم منها وأنصب)

آيات الشاهد

إلى أن قال :

(حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب)

١٣٨

(١) ط : « فحذفت » ، وأثبت ما في ش .

لئن كنتَ قد بلغتَ عنيَ جنايةً
ولكنني كنتُ امرأً لى جانبُ
ملوكٍ وإخوانٍ إذا ما أتيتهم
كفعلك في قومٍ أراكِ اصطنعتهمُ
فلا تتركني بالوعيدِ كأنني
ألم تر أن اللهَ أعطاك سورةً
فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبُ
فلمستَ بمستبقي أخاً لا تلمه
فإن أك مظلوماً فعبداً ظلمته

لمبلُغك الواسي أغشُ وأكذبُ
من الأرضِ فيه مُسترادٌ ومذهبُ
أحكّم في أموالمِ وأقربُ
فلم ترهم في شكرٍ ذلك أذنبوا
إلى الناسِ مطلىً به القارُ أجربُ
تري كُلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ^(١)
على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ^(٢)
وإن تكُ غضباناً فمثلك يعتبُ

وقوله: أبيت اللعن، جملة دعائية، اعترض بها بين الفعل وفاعله، يعاظيئون الملوك بها تحيةً. ومعناه أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به^(٣). قال ابن الأنباري (في شرح المفضليات): أي أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تلعن به^(٤). وكانت هذه تحية ملوك لخمٍ وجذام، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها. وتحية ملوك غسان: يا خير الفتيان. وكانت منازلهم الشام. و«تلك» إشارة إلى الملامة المفهومة من لمتني، إذ المعنى أتتني ملامتك إيتي. وأهتّم: أصيرُ ذا همّ. وأنصبُ: مضارع نصب كفرح، أي أتعبُ وأعيا.

وقوله: «حلفت» قسمٌ، وجوابه: لئن كنت، وما بينهما اعتراضٌ. والرّيبة: الشكّ، وجملة «وليس وراء الله» إلخ جملة مؤكدة لمضمون

(١) في الديوان ١٣: «لأنك شمس».

(٢) في الديوان: «ولست».

(٣) ش: «تلعن عليه».

(٤) ش: «ما تلعن عليه».

ما قبلها ؛ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَرَاءَ اللَّهِ مُطْلَبٌ لِأَحَدٍ لَمْ يَحْلِفْ بِأَعْظَمِ مِنْهُ فَكَيْفَ يَحْلِفُ بِهِ كَاذِبًا .

وهذا البيتُ وما بعده من الأبيات الأربعة استشهد به أهلُ البديع على النوعِ المسمَّى عندهم بِالْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ . وهو إيرادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ على طريقة أهلِ الكلام^(١) .

والجناية : الذَّنْبُ . والواشى : النَّمَامُ . وغشّه : لم يُخْلِصْ له النَّصِيحُ . و « لى جانب من الأرض » صفة امرأ . وفيه إعادة الضمير الرابط ضمير تكلم . وأراد بالجانب أرض الشام . والمُستراد : موضع يُتردّد فيه لطلب الرزق . وملوك وإخوان بدل من مُستراد ومذهب ، أو بتقدير : فيه ملوك وإخوان . ومعنى أحكم : أنصرفت في أموالي كيف أشاء .

وقوله : « كفعلك » إلخ ، قال الأصمعيّ : يريد كما فعلت أنت بقوم قرّبتهم وأكرمتهم ، فتركوا الملوك ولزموك ، فلم ترَ ذلك ذنباً عليهم . وقوله : « في مثل ذلك^(٢) » أى في زيارتك والوفادة إليك .

والسورة بالضم : المنزلة الرّفيعة والشرف . وبالبيت استشهد البيضاوى لمعنى السورة . وملك بسكون اللام : لغة في كسرهما . ويتذبذب : يضطرب .

وقوله : « فَإِنَّكَ شمسٌ » قال المبرّد : هذا من أعجب التشبيه .

وأراد بهذا البيت والذى قبله ، تسليّة النعمان عما حصلَ عنده من

(١) انظر تحرير التحيير ١١٩ - ١٢١ .

(٢) هذه رواية أخرى في البيت الخامس من هذه المقطوعة . وفي تحرير التحيير : « في مدحهم لك أذنبوا » . وفي الديوان ١٣ : « في شكر ذلك أذنبوا » كما في الخزانة في الرواية الأولى .

مدحه لآل جفنة ، ثم كرم معتذراً عن زلته فقال : و « لست بمستبق أخاً »
إلخ ، يقول : أيُّ الرجال يكون مبرراً من العيوب ؟ فإن قطعتم إخوانك
بذنب لم يبق لك أخ . وتلمه : تصدحه وتصلح ما تشعث من أمره وفسد .

١٣٩

والبيت استشهد به علماء البيان للتذييل ، وهو تعقيب الكلام
بجملة تشتمل على معناه ، للتوكيد ^(١) .

وقوله : « فإن أكُ مظلوماً » أي باستمرار غضبك علي . جعل غضبه
ظلماً له ، لأنه عن غير موجب . فأنت إنما ظلمت عبداً من عبيدك ،
وليس لأحد اعتراض فيه . وقوله : « وإن تكُ غضباناً إلخ » روى أيضاً :
« وإن تكُ ذا عتبي فمثلك يُعتب » بالبناء للمفعول ، أي يرجع له إلى
ما يُحب . ويقال : لك العتبي ، أي الرجوع إلى ما تحب . وقيل يُعتب
بالبناء للفاعل ، أي يعطى العتبي ، يقال أعتبه إذا أعطاه الرضا ، وهو
العتبي .

وترجمة التابغة تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد السبعائة ^(٣) :
٧٧٩ (وإن يلتق الحى الجميغُ تلاقينى إلى ذروة البيتِ الكريمِ المصمدي)
على أن (إلى) فيه على أصلها ، وهى مع مجرورها حال من الياء في
تلاقينى ، متعلقة بمحذوف تقديره : تلاقينى منتسباً إلى ذروة البيت إلخ .
وليست هنا بمعنى فى كما قيل ، حكاه ابن السراج ، قال (فى
الأصول) : وقالوا فى قول طرفة :

(١) تحرير التحبير ٣٨٧ - ٣٨٨ . وفى النسختين هنا : « على معناها » .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٥ .

(٣) الأصول ١ : ٥٠٦ والأزهية ٢٨٤ والاقتضاب ٤٣٢ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٨ ورصف

* وأن يلتقِ الحىُّ الجميعُ تلاقى * إلخ .

إنَّ إلى بمعنى في .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو قول الزوزنى شارح المعلقات في شرح هذا البيت ، يقول : وإن اجتمع الحىُّ للافتخار تلاقى أنتهى إلى ذروة البيت الشريف ، أى إلى أعلى الشرف . يريد أنه أوفاهم حظاً من الحسب ، وأعلامهم سَهْماً من النسب . وقوله تلاقى ، يريد : أعتزى إلى ذروة ، فحذف الفعل للدلالة الحرف عليه . ا هـ .

وكذا (في شرح أدب الكاتب) لابن السِّيد البطلَيْسوسى ، قال : « قيل معناه في ذروة^(١) » . وهذا لا يلزم ، لأنه يمكن أن يريد آوياً إلى ذروة كما قال تعالى : ﴿سَاوَى إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ^(٢)﴾ ، فلا حُجَّة فيه .

وقال الأعم الشُّتمرى (في شرح المعلقة) : يقول : إذا التقى الحىُّ الجميعُ بعد افتراقهم وجدتنى في موضع الشرفِ منهم وعلوَّ المنزلة . وقوله : إلى ذروة ، أى في ذروة البيت . وذروة كلِّ شىء : أعلاه . والمصمِّد : الذى يصمِّدُ إليه الناس لشرفه ، ويلجئون إليه في حوائجهم . والصمِّد : القصد . ا هـ .

وقال ابن السكيت (في شرح ديوان طرفة) : أى إذا التقى الحىُّ الجميع الذين كانوا متفرِّقين وجدتنى في الشرف .

وقال أبو جعفر النحَّاس ، والخطيب التبريزى : يريد : وإن يلتقى

(١) الذى فى الاقتضاب : « وذروة كل شىء : أعلاه » ، فلمله استنباط من البغدادى .

(٢) الآية ٤٣ من سورة هود .

الحى للمفاخرة وذكرِ المعالى تجدنى معهم . قال أبو الحسن : معنى إلى ذروة مع ذروة ، وهو تمثيلٌ . وإنما يريد بالبيت ههنا الأشراف الذين يُقصدون ، فشبَّههم ههنا بالبيت الرفيع . ٥١ .

فهذا معنى ثالثٌ لآلى فى البيت .

صاحب الشاهد

وهو من معلقة طرفة بن العبد . وقبله :

آيات الشاهد

(ولستُ بحلالِ التلاعِ مخافةً

ولكنْ متى يَسْتَرَفِدِ القومُ أَرَفِدِ

فإنْ تَبَغْنى فى حلقةِ القومِ تَلَقْنى

وإنْ تَقْتَنِصْنى فى الحوانيتِ تَصْطِدِ

مَتى تَأْتى أَصْبَحُكَ كَأَسَأَ رَوِيَّةً

وإنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنَى فَاغْنِ وَازِدِ

وإنْ يَلْتَقِ الحى الجَمِيعُ تَلَاقِى

البيت

ندامى بيضٌ كالنجومِ وقيننةٌ

تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجَسَّدِ

رَحِيبٌ قِطَابُ الجِيبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ

بِجَسِّ النَّدَامَى بَضَّةُ المَتَجَرِّدِ)

١٤٠ قوله : « ولست بحلال التلاع » إلخ تقدم شرحه مع الذى بعده فى

الشاهد السادس والتسعين بعد الستمائة^(١) . وكذلك تقدم شرح قوله : « ندامى

ببعض مع البيت الذي بعده في الشاهد الواحد بعد الثلاثئة ، وفي الشاهد الذي بعد الثاني عشر والستائة .

وقوله : « متى تَأْتِنِي أَصْبَحُكَ » إلخ في الصباح : الصبوح : الشرب بالغداة ، وهو خلاف الغبوق . تقول : صَبَحْتُهُ صَبْحاً . ا هـ . يقول : أَسْقِكَ صَبُوحاً . والروية : المرؤية . والكأس : الخمر في الإناء ، [وهي الإناء ^(١)] أيضاً إذا كان فيه خمر . ومعنى «فاغنَ وازدد» : فاغنَ بما عندك ، أى استغنِ به وازدد غِنَى .

وترجمة طرفة تقدمت في الشاهد الثاني والخمسين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده

(أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا ^(٣))

تقدم شرحه مستوفى في الشاهد السابع والخمسين بعد المائة من باب الاشتغال ^(٤)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد السبعائة ^(٥) :

٧٨٠ (وَأَكْفِيهِ مَا يَخْشَى وَأَعْطِيهِ سُؤْلَهُ

وَأَلْحِقْهُ بِالْقَوْمِ حَتَّى لَا حَقُّ)

على أن المبرد زعم أن (حتى) هنا جرت الضمير . وليس كذلك ،

(١) التكلة من ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٤١٩ .

(٣) في النسختين : « حتى رحله » ، والصواب ما أثبت .

(٤) الخزانة ٣ : ٢١ - ٢٥ .

(٥) الضرائر لابن عصفور ١٢٦ .

وإنما حتى هنا ابتدائية، والضمير أصله هو ، فحذف الواو ضرورة كما تقدم بيانه في شرح قوله :

* فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائلٌ *

أى بينا هو يَشْرِي رَحْلَهُ ، في الشاهد الثمانين بعد الثلاثمائة^(١) فحتى حرف ابتداء داخله على الجملة ، وهو الضمير المحذوف وأوه ضرورة ، في محل رفع على الابتداء ، ولاحق خبره . ولو كانت حرف جر لم يكن لذكر لاحق بالرفع وجه .

ولم يتنبه لهذا صاحب اللب ، وإنما قال : واختصت بالظاهر خلافاً للمبرد . و :

* ألحقه بالقوم حَتَّاه لاحقٌ *

لا يعتد به . قال شارحه السيّد : لندوره وشنوذه ، ولو أورد البيت الثاني لكان مناسباً .

وما ذهب إليه الشارح المحقق هو قول ابن عصفور (في الضرائر) ، قال : ومنه حذف الياء من هي ، والواو من هو ، نحو :

* دارٌ لسعدى إذهِ من هواكا *

أى : إذ هي . وقول الآخر :

* وألحقهُ بالقوم حَتَّاهُ لاحقٌ *

وقول العجّير :

* فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائلٌ *

أى حتى هو، وبيننا هو. وحذفهما يؤدي إلى بقاء الضمير المنفصل على حرف واحد، وذلك قبيح، لأنه عرضةً للابتداء، فلا أقل من أن يكون على حرفين: حرفٌ يبتدأ به، وحرفٌ يوقف عليه. ٥١.

و (أكفيه): مضارع كفاه الشيء، متعداً إلى مفعولين، بمعنى منَعته الشيء. وما المفعول الثاني، موصولةً أو نكرة موصوفة. والسؤال: ما يُسأل، مفعول ثانٍ لأعطى. (وألحقه): مضارع ألحقه بكذا، أى أتبعه به فلحق هو به. وأما ثلاثيته فيقال لحقته ولحقت به، من باب تعب لحاقاً بالفتح: أدر كته، يتعدى تارة بنفسه، وتارة بالباء. كذا في المصباح. وصلة لاحق في البيت محذوف، تقديره: حتى هو لاحق بهم.

والبيت لم أقف على خبر له. والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد السبعمئة^(١):

٧٨١ (فلا والله لا يلقاه ناسٌ فتى حتاك يا ابن أبي يزيد)

على أن المبرد تمسك به على أن (حتى) تجر الضمير.

١٤١

وأجاب الشارح المحقق بأنه شاذ. والأحسن أن يقول ضرورة،

فإنه لم يرد في كلام منشور.

ولم يظهر لي معنى الغاية في حتى هنا. و(فتى) حال من الهاء أو بدل منه. وروى: (لا يلقى أناسٌ) ففتى مفعول يلقى. وروى العينى: «لا يلقى أناسٌ» بكسر الفاء، فأناسٌ فاعله، ويُنظر أين مفعولاً ألقى،

(١) المقرب: ١: ١٩٤ ووصف المباني ١٨٥. وانظر العينى ٣: ٢٦٥ والممع ٢٣: ٢ والأشونى ٢: ٢١٠.

فإن ألقى من نواسخ المبتدأ والخبر . وروى أيضاً آخره : (يا ابن أبي زياد) .
ولم أقف له على خبر ، والله أعلم .

والغاية في هذا البيت ^(١) ظاهرة :

أَتَتْ حَتَّاكَ تَقْصِدُ كُلَّ فَجٍّ تُرَجِّيْ مِنْكَ أَنَّهَا لَا تَخِيْبُ ^(٢)

وهو من أبيات معنى اللبيب .

ثم رأيت (في شرح التسهيل لأبي حيان) وقد أنشد بيت :

* فَتَى حَتَّاكَ يَا ابْنَ أَبِي يَزِيدِ *

أنه قال : وانتهاء الغاية في حَتَّاكَ لا أفهمه ، ولا أدري ما عني بِحَتَّاكَ
فلعل هذا البيت مصنوع . ا هـ .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد السبعائة ، وهو من
شواهد س ^(٣) :

٧٨٢ (فوا عَجَبًا حَتَّى كَلِيبُ تَسْبِيئِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلُ أَوْ مُجَاشِعُ)

على أن (حَتَّى) فيه ابتدائية ، وفائدتها هنا التحقير .

أنشده سيويوه وقال : فحَتَّى هنا بمنزلة إذا ، وإنما هي ههنا كحرف
من حروف الابتداء .

وقال الأندلسي ^(٤) (في شرح المفصل) : يقع بعدها الجملة الفعلية

(١) يعني البيت التالي لا السابق .

(٢) المغنى ١٢٣ والتصریح ٢ : ٣ والجمع ٢ : ٢٣ والأشعورف ٢ : ٢١٠ . وفي البيت
شاهد آخر ، وهو أن « أن » في « أنها » مخففة من الثقيلة ومعها ضمير مذكور لا محذوف .

(٣) سيويوه ١ : ٤١٣ . وانظر المقتضب ٤ : ٤٠٦ والأصول ١ : ٥١٨ والجمل ٧٨
وابن يعيش ٨ : ١٨ ، ٦٢ ووصف المبانى ١٨١ والمغنى ١٢٩ والجمع ٢ : ٢٤ وديوان
الفرزدق ٥١٨ .

(٤) هو علم الدين قاسم بن أحمد اللورقي الأندلسي المتوفى سنة ٦٦١ كما في كشف الظنون .
وسمى كتابه « الموصل » ، في شرح المفصل . وانظر الأشباه والنظائر ٢ : ٧٦ .

والاسمية . وتسمى ^(١) حرف ابتداء ، وتفيدُ معناها الذي هو الغاية ، إمَّا في التحقير أو في التعظيم . كما في بيت الفرزدق :

* فواعجبا حتى كليبٌ تسبني *

أى تعجبوا لسبِّ النَّاسِ إِيَّايَ حَتَّى كَلِيبٌ ، كأنه يقول : كلُّ الناسِ تسبني ^(٢) حَتَّى كَلِيبٌ على حقارتها . ولو خَفِضَ هنا كَلِيبٌ لجاز ، ويكون تسبني إمَّا حالٌ من كَلِيبٍ ، أو مستأنفٌ ، وحَتَّى كَلِيبٌ متعلقٌ به .

قال ابن المستوفى بعد أن نقله : قوله أى تعجبوا في تفسير (واعجبا) ، غير صحيحٍ لأنه ينادى العجب ^(٣) على ما ذكره العلماء تأدباً لا يأمُرُ أحداً به . وقوله : « ولو خَفِضَ كَلِيبٌ هنا لجاز » محال ، لأنَّ الخفض بعد حَتَّى إمَّا أن يكون بالعطف على المجرور قبلها ، أو يكون بمعنى إلى ، ولا مجرورَ قبلها فتعطفَ عليه . وليست بمعنى الغاية إذ ليس ما قبلها مفرداً من جنس ما بعدها . فبقِيَ الرفعُ لا غير . وذكر قسميها ^(٤) في التعظيم والتحقير . ولم يأت إلا بالتحقير . وقوله : و « يكون تسبني إما حال من كَلِيبٍ أو مستأنف بالرفع فيهما » ، وصوابه « النَّصْبُ فيهما » . ولا أعلم ما أراد بقوله : « وحَتَّى كَلِيبٌ متعلقٌ به » . ٥١ .

أقول : إمَّا فواعجبا فقد روى أيضاً : (فيا عَجَباً) بتنوينٍ وبلونه . إمَّا الأوَّلُ فيحتمل أن يكون عجباً منادى منكراً ، ويحتمل أن يكون

(١) ط : « تسمى » بسقوط الواو .

(٢) ط : « يسبني » .

(٣) هذا الصواب من ش . وفي ط : « لأنه العجب » وقد كتبت « ينادى » في ش بخط أحد

المصححين للنسخة .

(٤) ش : « قسمها » . والمراد أن الأندلسي لم يستشهد للتعظيم ، واقتصر على شاهد التحقير .

يا حرف تنبيه وعجباً مصدر منصوب بفعل محذوف، أى تعجبوا عجباً. ويحتمل أن تكون يا حرف نداء والمنادى محذوف، أى يا قوم، وعجباً كذلك. فكلام الأندلسي جارٍ على كل من هذين الوجهين. وأما الثاني فإنه أراد: فياعجبي. فقلب ياء المتكلم ألفاً. وهى لغة.

وأما قوله: «خفض كليب محال» إلخ فنقول: هى جارة والمغياً غير مذكور، والتقدير: فواعجباً الناس تسبني حتى كليب. وهذا المذكور لابد منه فى الابتدائية أيضاً.

وقوله: «ولم يأت إلا بالتحقير» نقول: لا يضر ذلك. ومثال التعظيم:

* حتى ماء دجلة أشكل * البيت الآتى .

وقوله: «صوابه النصب فيهما» يعنى أنه يجب أن يقول: ويكون يسبني إما حالا من كليب، أو مُستأنفاً بنصبهما، لأنه خير كان: وكأنه ١٤٢ رفع على تقدير يكون، إما تامة أو زائدة.

وقوله: «لا أعلم ما أراد بقوله وحتى كليب متعلق به» أقول: إنه يريد أن حتى الجارة تكون متعلقة بيسبني، إذ كل جار لا بد له من متعلق. وهذا ظاهر. قال ابن هشام (فى المغنى): ولا بد من تقدير محذوف قبل حتى من هذا البيت، بكون ما بعد حتى غاية له، أى فواعجباً يسبني الناس حتى كليب تسبني.

والبيت من قصيدة للفرزدق هجاها جريراً، تقدم بعض منها فى صاحب الشاهد السادس بعد السبعائة^(١).

وقوله: (فواعجباً) هو من قبيل النَّدْبَةِ للتوجُّع ، كأنَّه يقول : أنا أتوجَّعُ لعدم حضورك يا عجبى . فاحضُرْ لهذا الأمر الذى يتعجَّب منه .

وكليب : جدُّ رهطِ جرير ، وهو جرير بن عطية بن الخطفى بن بدر بن سلمة بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . ويجتمع مع الفرزدق فى حنظلة بن مالك .

ونهل ومجاشع أخوان ، ابنا دارم بن مالك بن حنظلة . ومجاشعُ قبيلة الفرزدق ، وهى أشرف من كليب . وأمَّا نهل فهم أعمام الفرزدق لا آباؤُه ، وإن كانت العرب ^(١) تسمّى العمَّ أباً . جعلهم فى الصِّفة ^(٢) بحيث لا يسبُّون مثله لشرفه ^(٣) . يقول : يا عجباً لسبِّ الناس إيتاى حتى كليب على ضعفها فى القبائل ، وبعدها من الفضائل ، كأنَّ لها أباً كريماً ، وحسباً صمياً ، كما لنهل ومجاشع .

والسَّبُّ : الشَّم . والسَّبُّ ، بالكسر : الذى يسأُبُّك وتساَّبُه . قال حسان بن ثابت :

لا تَسْبِنِنِي فَلَسْتَ بِسِبِّي إِنَّ سِبِّيَ مِنَ الرَّجَالِ الْكَرِيمِ ^(٤)

قال ابن طلحة الإشبيلي (فى شرح جُمَلِ الزَّجَاجِي) : كأنَّ للتشبيه ، وقد يجيء فى ضمنها الظنُّ والتوهمُّ كما قال الشاعر :

* كأنَّ أباهَا نَهْلٌ أَوْ مَجَاشِعُ *

المعنى : توهمتُ أباهَا نهلاً أو مجاشعاً . ولو بقيتُ على معنى التشبيه

(١) ط : « كان العرب » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) كذا فى النسختين ولعلها « الصفة » .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « ومجاشع » ساقط من ش .

(٤) السيرة ٦٢٥ . والبيت لم يرد فى قصيدته بالديوان ٣٧٦-٣٨٠ . وقد نسب البيت

فى اللسان (سبب ٤٣٩) إلى ولده عبد الرحمن بن حسان . وكثيراً ما يتداخل شعراهما .

من غير أن تُضْمَنَ^(١) معنى الظن لا نقلب الهجُوَ على الهاجى . ا هـ .
وترجمة الفرزدق تقدّمت في الشاهد الثلاثين^(٢) .

* * *

وأُشْدَ بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد السبعائة^(٣) :

٧٨٣ (فما زالتِ القَتلى تُمَجُّ دِماءها
بِدِجَلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجَلَةٍ أَشْكَلُ)

على أنَّ فائدة (حَتَّى الابتدائية) هنا التعظيم والمبالغة ، وهو
تغيُّر ماء دِجَلَةٍ من كثرة دماء القَتلى حَتَّى صار أَشْكَلُ ، وهو حمرةٌ
مختلطةٌ ببياض . والشكْلة كالحمرة وزناً ومعنى ، لكن يخالطها
بياض . وهو مأخوذ من أَشْكَلُ الأمرُ ، أى التيس .

فإن قلت : أين ما اشترط الشارح المحقق من كون خبر المبتدأ بعد
حتى^(٤) من جنس الفعل المقدم عليها ؛ قلت : ما قبل حَتَّى في قوة قوله فما
زالت القَتلى تغيُّر ماء دِجَلَةٍ بالدماء .

و (القَتلى) : جمع قتيل . و (تمجُّ) : تقذِفُ ، يتعدى إلى مفعول واحد
يقالُ مَجَّ الرجلُ الماءَ من فيه مجًّا ، من باب قتل : رمى به . ويروى بدله :
(يمورُ دِماؤها) مضارع مارَ الدمُ : سال . ومار الشيءُ : تحركَ بسرعة .
ومار : تردَّد في عَرَض . ومار البحر : اضطرب ، فهو فعلٌ لازم ، ودماؤها
فاعله . قال صاحب المصباح : ويعدَّى بنفسه وبالهزمة أيضاً فيقال :
ماره ، وأمارة ، إذا أساله . فعلى هذا يجوز نصب دِماءها به على أنه

(١) ط : « يضمن » . (٢) الخزائة ١ : ٢١٧ .

(٣) الأزهية ٢٢٥ وابن عيش ٨ : ١٨ والمغنى ١٢٨ ٣٨٦ والممع ١ : ٢٤٨ : ٢/٢٤٨
والأشئوني ٣ : ٣٠ وديوان جرير ٤٥٧ .

(٤) أى في الجملة الاسمية الواقعة بعد حتى . انظر الرضى ٢ : ٣٠٤ .

متعد . و (دَجَلَةٌ) بفتح الدال وكسرهما : النهر الذي يمرُّ ببغداد ، لا ينصرف
للعلمية والتأنيث . والباء بمعنى في .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لجرير هجا بها الأخطل ، وذكر ما أوقعه الجحَّافُ
ببني تغلب . قال بعد أبيات :

١٤٣

(بكى دَوْبِلٌ لا يُرْقِي اللهُ دمعَه

أبيات الشاهد

أَلَا إِنَّمَا يَبْكِي مِنَ الذُّلِّ دَوْبِلُ

جزعت ابنَ ذاتِ القلَسِ لما تداركتُ

من الحرب أنيابُ عليك وكلكلُ^(١)

فإنك والجحَّافُ يومَ تحضُّه

أردتَ بذاك المُكثَ والوردُ أعجلُ

سَمَّا لَكُمْ لَيْلًا كَانَ نَجْوَمَه

قناديلُ فيهن الذُّبَالُ المفتلُ^(٢)

فما ذرَّ قرنُ الشمسِ حتَّى تبيَّنوا

كراديسَ يَهْلِينَنَّ وَرْدُ مُحَجَّلُ^(٣)

فقد قذفتُ من حربِ قيسِ نساؤهم

بأولادها ، منها تمامٌ ومُعْجَلُ^(٤)

ومقتولةٌ صبراً ترى عندَ رجلها

بَقِيرًا ، وأخرى ذاتُ بَعْلِ تُولُو

وقد قتلَ الجحَّافُ أزواجَ نِسوةٍ

يَسوقُ ابنُ خَلَّاسٍ بهنَ وعَزَمَلُ

(١) في الديوان ٤٥٦ : « ذات الفلَس » ، صوابه بالقلب كما سيأتي في الشرح .

(٢) الديوان : « سري نحوكم ليل » .

(٣) في الديوان : « حتى تعرفوا » .

(٤) في الديوان : « نساؤكم » .

تقول لك التكلّى المصاب حليلها
أبا مالك ، ما في الضعائن مَعزَلُ
حَضَضْتَ عن القوم الذين تركتهم
تَعِلُّ الرُدَيْنِيَّاتِ فيهم وتنهلُ
عُقَابِ المنايا تستديرُ عليهمُ
وشُعْتُ النَّوَاصِي لُجْمُهُنَّ تَصَلِّصُ
بِدِجْلَةٍ إِذْ كَرُّوا وَقَيْسٌ وِرَاءَهُمْ
صُفُوفًا وَإِنْ رَامُوا المَخَاضَةَ أَوْحَلُّوا
فَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمِجُّ دِمَاءَهَا
بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ أَشْكَلُ (١)
فَإِنْ لَا تَعَلَّقُ مِنْ قَرِيشٍ بِذِمَّةٍ
فَلَيْسَ عَلَى أَسْيَافِ قَيْسٍ مُعْوَلُ
لَنَا الفَضْلُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
وَنَحْنُ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَفْضَلُ
وَقَدْ شَقَّقْتَ يَوْمَ الحُرُوبِ سِيوفُنَا
عَوَاتِقَ لَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهِنَّ مِحْمَلُ
أَجَارَ بَنُو مَرْوَانَ مِنْهُمْ دِمَاءَكُمْ
فَمَنْ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ أَعْلَى وَأَفْضَلُ
وَيَنْبَغِي أَنْ نَقَدِّمَ أَوَّلًا سَبَبَ مَا أَوْقَعَهُ الجَحَافُ بَيْنِي تَغْلِبَ ، ثُمَّ
نُشْرِحُ الأَبْيَاتَ ، فَنَقُولُ :

إِنَّ عَمِيرَ بَنِ الجُبَابِ السُّلَمِيَّ خَرَجَ عَلَى عَبْدِ المَلِكِ فِي أَوَّلِ خِلاَفَتِهِ (٢)

(١) الديوان : « نمر دماؤها » .

(٢) في الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس في أيام عبد الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان قد امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه » . وجعل اشتقاقه من الجباب ، بالضم ، وهو ضرب من الحيات .

فاجتمعت إليه قيسٌ وعامر ، وكان نازلاً في القرب من بني تغلبَ قبيلةَ الأخطل ، وكانت منازلهم بين الخابور والفرات ودجلة ، فأساء المجاورة مع تغلب ، فوقع بينهم شرٌّ ، فما زال الحربُ بينهم سجالاتاً إلى أن قتل بنو تغلبَ عميراً وأرسلوا برأسه إلى عبد الملك ، في سنة سبعين من الهجرة ، فأنعم عبد الملك على الوَفِدِ وكساهم . ثم إنَّ الأخطلَ وفَدَّ على عبد الملك فدخلَ عليه الجَحَافُ بن حَكِيم السُّلَمِيُّ فقال عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ؟ قال : ومن هو ؟ قال : الجَحَافُ . فقال الأخطل :

ألا سائلَ الجَحَافَ هل هو نائرٌ بقتلى أُصِيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ
حتَّى فرغ من القصيدة ، وكان الجَحَافُ يأكلُ رُطْباً فجعل النوى يتساقطُ من يده غيظاً ثم أجابه فقال :

بَلَى سوفَ نَبكيهم بكلِّ مَهْنِدٍ ونبكي عميراً بالرِّمَاحِ الشَّواجِرِ

ثم قال : يا ابنَ النَّصرانية ، ما ظننتك تجترئُ عليَّ بمثل هذا ، ولو كنتُ مأسوراً لك . فحَمَّ الأخطلُ خوفاً . فقال عبد الملك : أنا جارُك منه . فقال : يا أمير المؤمنين ، هَبْكَ أجزتني منه في اليَقْظَةِ فَمَنْ يُجيرُني منه في النَّومِ ؟ ثم قام الجَحَافُ ومشى يجرُّ ثوبه وهو لا يعقل حتَّى دخل بيتاً من بيوت الديوان ، فقال للكاتب : أعطني طوماراً من طوامير العهود . فأتاه بطومار وليس فيه كتاب ، فخرج إلى أصحابه من القيسية فقال : إنَّ أمير المؤمنين ولأني صدقاتِ بكر وتغلب . فلحقه زهاء ألف فارس ، فسار حتى أتى الرُّصافة ، ثم قال لمن معه : إنَّ الأخطلَ قد أسمعني ما علمتم ، ولستُ بوال ، فمن كان يحبُّ أن يَغْشَلَ عنه العارَ فليصحبني فإنني قد آليت أن لا أَعْغَلَ رأسي حتَّى أوقع بيني تغلب . فرجعوا غيرَ ثلثمائة ، فسارَ ليلته فصَبَحَ الرَّحوب ، وهو ماءٌ لبني جُشمِ بنِ بكر رهطٍ

الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة من تغلب ، فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأخذ الأخطلُ وعليه عباءةٌ وسيخةٌ ، فظنَّوه عبداً ، وسئل فقال : أنا عبدٌ ! فخلَّوا سبيله فخشى أن يراه من يعرفه ، فرمى بنفسه في جُبٍ فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسيةُ فنجا ، وقتل أبوه غوث ، وأسرف الجحَّافُ في القتل ، وشقَّ البطون عن الأجنَّة ، وفعل أمراً عظيماً . فلماً عاد عنهم قدِم الأخطلُ على عبد الملك فأنشده :

لقد أوقع الجحَّافُ بالبشرِ وقعةً إلى الله منها المُشككى والمعولُ

والبشر ، يكسر الموحدة وسكون المعجمة : اسم ماء^(١) . فطلب عبدُ الملك الجحَّافَ فهرب إلى الروم ، فكان يتردَّد فيها ، ثم بعث إلى بطانة عبد الملك من قيس ، فطلبوا له الأمانَ فأمنه ، فلما جاء أَلزَمه دياتٍ من قُتِل ، وأخذ منه الكفلاء ، فسعى فيها حتى جمعها وأعطها . ثم تنسك الجحَّافُ وصلح ، ومضى حاجاً فتعلَّق بأستار الكعبة وجعل يقول : اللهم اغفر لي وما أظنُّك تفعل ! فسمعه محمد بن الحنفيةُ فقال : يا شيخُ ، قنوطك شرٌّ من ذنِّبك !

ومن هنا نرجع إلى شرح الأبيات . فقوله : « بكى دَوْبِل » هو اسم الأخطل . قال شارحه : كان الأخطل يلقَّب به صغيراً . وبكاؤه لقوله :

لقد أوقع الجحَّافُ بالبشرِ وقعة البيت

و« ابن » منادى . و« القلس » بفتح القاف : جبلٌ ضخْم من ليف أو خوص ، أراد به زُنارَ النصراني . والجحَّاف بفتح الجيم وتشديد

(١) في معجم ياقوت أنه جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية . لكن في اللسان أنه اسم ماء لبني تغلب ، وقال أيضاً : « والبشر : اسم جبل ، وقيل جبل بالجزيرة » .

الحاء المهملة . وتحضه : تحثه . يقال حَضَّه على الأمر ، أى حمّله عليه .
والمكث : البطء . والورد ، بالكسر : الورد .

وذر قرن الشمس : طلعت . والكردوس بالضم : القطعة من الخيل
العظيمة ، والكراويس : الفيرق منهم . يقال كَرَدَسَ القائد خيله ، أى
جعلها كتيبةً كتيبة . ويَهْدِينُ : يَدْلُهِنَّ ويقودهن . والورد : الأسد ،
عنى به الجحاف .

وأتمتِ الحُبلى فهى متمٌ ، إذا تَمَّتْ أيامُ حَمْلِها ، وولدت لِتِمَامٍ ، بفتح
التاء وكسرهما ، وولد المولود لتِمَامٍ كذلك . ومُعْجَلٌ : خلاف التام .

والصَّبر : القتلُ أُسْرًا . والبقيير : المبقر ، وهو الذى شق بطنه .
وتولول : تصوّت وتصيح .

وخلاس وعزّهل : رجلان من قيس . والحليل : الزوج . وأبو مالك :
كنية الأخطل . والظعائن : جمع ظعينة ، وهى الهودج . والمغزّل كجعفر
قال شارحه : من الغزّل ، وهو محادثةُ النساء واللعبُ . وإنما هُزِيْ به .
يقول : قد شغلك ما صنعتَ عن التغزّل^(١) . ٥١ .

والرُدِينيات : الرِّمّاح . والنَّهْلُ : الشرب الأوّل . والعَلَلُ : الشرب
الثانى . وعُقَاب المنايا : الراية ، شَبَّهها بالعُقَاب . واللَّجْمُ : جمع لجام .
وتصليل : تصوّت . وأراد بِشَعَثِ النواصي الخيل . وأَوْحَلُوا ، بالبناء للفاعل ،
أى وقعوا فى الوحل .

وقوله : « فإن لا تعلقٌ » استهزاءً فى مَعْرِضِ النصيحة ، أى إن لم تتعلّقْ
بذمة قريش فلا طاقة لكم بسيوف قيس .

وقوله : « لنا الفضلُ في الدُّنيا » البيت أورده ابن هشام (في المغنى)
على أن اللام تأتي بمعنى مِنْ ، أى ونحن أفضل منكم . وشَقَّقَتْ : قطَّعت .
وعَوَاتق : جمع عاتق ، وهو ما بين المنكب والعنق . والمِحْمَل بكسر
الميم الأولى : سُيُور السيف .

والمصراع الأخير تقديره : فَمَنْ أَعلى وَأفضل من بنى مروان .
وترجمة جرير تقدّمت في الشاهد الرابع من أول الكتاب ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد السبعمئة ^(٢) :

(بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ)

٧٨٤

على أَنَّ (في) بمعنى على فيه ، لَأَنَّهُ معلوم أَنَّ ثِيَابَهُ ليست في جوف
سَرْحَةٍ ، وهى الشجرة العالية ، وإنّما هى على بدنه .

قال الشارح المحقق : والأولى أَنَّ تكون على باها ، لَأَنَّ ثِيَابَهُ إذا
كانت عليها فقد صارت السَرْحَةُ موضعاً لها .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(يُحْذَى نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ)

والبيت من معلقة عَنْتَرَةَ العبسى ، وقبله :

(وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكَتُ فَرُوجَهَا)

بالسيفِ عن حَامِي الحَقِيقَةِ مُعَلِّمٍ

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(١) الخزانة ١ : ٧٥ .

(٢) الحصانص ٢ : ٣١٢ والنصف ٣ : ١٧ والأزهية ٢٧٧ وابن يميث ٨ : ٢١ ورسف
المباني ٣٨٩ والمغنى ١٦٩ والأشئوقى ٢ : ٢١٩ والمعلقات وشروحا .

رَبِيذٍ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا
هَتَاكَ غَايَاتِ التُّجَارِ مَلُومٍ
بَطْلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ
يُحَذَى نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
فَطَعْنَتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عُلُوتُهُ
بِمَهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مِخْنَمٍ
لَمَّا رَأَى قَدْ نَزَلَتْ أُرَيْدُهُ
أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لَغَيْرِ تَبَسُّمٍ
عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا
خُضِبَ الْبِنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْمِ

قوله: « و مِشْكٌ سَابِغَةٌ » بكسر الميم وفتح الشين المعجمة ، قال الأعمى :
أراد رَبَّ مِشْكٍ دَرَعٍ سَابِغَةٍ . وَالْمِشْكُ : التي شُكَّ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ .
وَالْمِشْكُ : مسامير الدروع . وَالسَّابِغَةُ : الكاملة . وقال الخطيب التبريزي :
مِشْكُ الدَّرَعِ : حيث يُجْمَعُ جَيْبُهَا بِسِيرٍ . وكانت العرب تجعل سَيْرًا فِي
جَيْبِ الدَّرَعِ يَجْمَعُ جَيْبَهَا ، فإذا أراد أحدُ الفرار جذب السَّيرَ فَقَطَعَهُ
وَاتَّسَعَ الْجَيْبَ فَأَلْقَاهَا عَنْهُ وَهُوَ يَرْكُضُ . وقيل : الدَّرَعُ التي شُكَّ بَعْضُهَا
إِلَى بَعْضٍ . وقيل الْمِشْكُ : المسامير التي تكون فِي حَلَاقِ الدَّرَعِ . ومن جعل
الْمِشْكُ الدَّرَعُ يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وتأويله عند البصريين :
ومِشْكٌ حَدِيدَةٌ سَابِغَةٌ . وهتكت : جوابُ رَبِّ . وكذلك على قول من
جعلهُ بِمَعْنَى السَّيرِ وَالْمَسَامِيرِ ، لِأَنَّهُمَا مِنَ الدَّرَعِ ، فيصير الإخبار عن
الدَّرَعِ . وهتكتُ فَرُوجَهَا ، أي شققتهَا وَخَرَّقْتَهَا . وفروجها : جَيْبُهَا
وَكُمَاهَا ، واحدها فَرْجٌ بفتح الفاء . وحامى الحقيقة ، أي يَحْمِي
مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِيَهُ . وَالْمُعْلَمُ : ام فاعل من أعلم نفسه بعلامة ، وهو

الذى شَهَرَ نَفْسَهُ بِعَلَامَةٍ إِدْلَالاً بِشَجَاعَتِهِ ، وَإِعْلَاماً بِمَكَانِهِ . وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ :
 هُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ ، وَكَذَلِكَ الْمَسْوْمُ ، يُقَالُ انْزَلْنَا بِالْفَتْحِ . وَالسُّومَةُ بِالضَّمِّ : الْعَلَامَةُ .
 وَقَالَ الزُّوزَنِيُّ : الْمَعْلَمُ بِكَسْرِ اللَّامِ : الَّذِي أَعْلَمَ نَفْسَهُ بِعَلَامَةٍ يُعْرَفُ بِهَا فِي
 الْحَرْبِ حَتَّى تَبْرُزَ لَهُ الْأَبْطَالُ . وَالْمُعْلَمُ بِفَتْحِ اللَّامِ : الَّذِي يَشَارُ إِلَيْهِ وَيُدَلَّ
 عَلَيْهِ بِأَنَّهُ فَارِسُ الْكُتَيْبَةِ . يَقُولُ : رَبُّ مَوْضِعِ انْتِظَامِ دَرَعٍ وَاسِعَةٍ
 شَقَقْتُ أَوْسَاطَهُ بِالسَّيْفِ عَنْ رَجُلٍ حَامٍ لَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُهُ ، شَاهِرٍ
 نَفْسَهُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ أَوْ مَشَارٍ إِلَيْهِ فِيهَا . يَرِيدُ أَنَّهُ هَتَكَ مِثْلَ هَذِهِ
 الدَّرَعِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الشَّجَاعِ ، فَمَا الظَّنُّ بغيره ؟ !

١٤٦

وقوله : « رِبْدٌ يَدَاهُ » هُوَ بِالْجَرِّ صِفَةٌ لِحَامِي الْحَقِيقَةِ . وَكَذَا هَتَاكَ .
 وَالرَّبْدُ ، بِفَتْحِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَكَسْرِ الْمَوْحِدَةِ : السَّرِيعُ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ
 وَالخَطِيبُ : لَمْ يَقُلْ رِبْدَةً يَدَاهُ لِأَنَّ الْيَدَ مَوْثِقَةً ، وَوَجْهَهُ أَنَّ قَوْلَهُ يَدَاهُ
 بَدَلَ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي رِبْدِ الْعَائِدِ إِلَى حَامِي الْحَقِيقَةِ ، كَمَا تَقُولُ :
 ضَرَبْتُ زَيْدًا يَدَهُ . وَمَنْزَهَبُ الْفَرَاءِ فِي هَذَا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَذْكَرَ الْمَوْثِقُ فِي
 الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمَةٌ التَّانِيثِ . وَالْقِدَاحُ ، هِيَ سِهَامُ الْمَيْسِرِ ، جَمْعُ
 قِدْحٍ بِالْكَسْرِ . أَيْ هُوَ حَاقِظٌ بِالْقِمَارِ وَالْمَيْسِرِ ، خَفِيفُ الْيَدِ بِضَرْبِ الْقِدَاحِ .
 وَهَذَا كَانَ مَدْحًا عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَوْلُهُ : « إِذَا شَتَا » يَرِيدُ أَنَّهُ إِذَا
 اشْتَدَّ الزَّمَانُ ، وَكَانَ أَشَدُّ الزَّمَانِ عِنْدَهُمْ زَمَنَ الشِّتَاءِ ، وَكَانَ لَا يَبْسُرُ فِيهِ
 إِلَّا أَهْلَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ . وَقَوْلُهُ : « هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ » هُوَ جَمْعُ تَجَرٍّ ،
 وَهُوَ جَمْعُ تَاجِرٍ كَمَا يَجْمَعُ صَاحِبٌ عَلَى صَحْبٍ ، وَصَحْبٌ عَلَى صَحَابٍ .
 وَأَرَادَ بِهِمْ تَجَارَ الْخَمْرِ ^(١) . وَالغَايَاتُ : عِلَامَاتٌ تَكُونُ لِلخَمَّارِينَ . يَقُولُ :
 فَهُوَ يَهْتِكُ رَايَاتِ تَجَارِ الْخَمْرِ ، لِأَنَّهُ لَا يَتْرِكُ شَيْئًا مِنَ الْخَمْرِ إِلَّا اشْتَرَاهُ

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الخمر » التالية ساقط من ش .

وإذا فَنِيَ ما عندهم رَفَعُوا علاماتهم . وقيل المعنى أَنَّهُ يعطيهم ما يطلبون في السَّوْمِ بها . والمَلُومُ : الذي يكثر اللوم عليه في تبذير ماله .

وقوله : (بطلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ) إلخ بطل بالجر صفة حامى الحقيقة ، ويجوز رفعه على تقدير هو بطلٌ ، وهو الشُّجَاعُ الذي تبطلُ عنده شجاعةٌ غيره . (والسَّرْحَةُ) ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين فحاء مهملة : واحدة السَّرْحِ ، وهو الشجر العظيم العالى . يريد أَنَّهُ طويلُ القامة كاملُ الجسم ، فكأنَّ ثِيَابَهُ على شجرةٍ عالية . والعرب تمدح بالطول وتذمُّ بالقصر . قال أثال بن عَبْدَةَ بن الطَّيِّبِ ^(١) :

ولمَّا التقى الصَّفَّانِ واختلَفَ القنَا نِهَالًا وأسبابُ المنايا نِهَالُهَا ^(٢)
تبيِّنَ لى أَن القماعةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أعزَاءَ الرِّجَالِ طوَالُهَا ^(٣)

يريد أَنَّ القنَا وردت الدم ولم تُثَنَّ ، وذلك أَنَّ الناهل الذى يشرب أوَّلَ شربة ، فإذا شرب ثانية فهو عََلَلٌ . وقوله : نِهَالُهَا ، أى أوَّل ما يقع منها يكون سبباً لما بعده .

وقال بعض بنى العنبر :

فجاءت به عبلَ العظام كأنما عمامته بينَ الرجالِ لواءٌ ^(٤)

(١) البيتان بدون تسمية فى الكامل ٥٤ ، ٥١٣ . واقتصر المبرد على قوله إنه أعرابي من بنى سعد ، وإن الخنوت ، وهو توبة بن مضر قد تمثل بهذا الشعر . ونسب إلى أنيف بن زيان النشلى فى الحماسة البصرية ١ : ٣٥ .

(٢) الحماسة البصرية : « واشتجر القنا » .

(٣) الكامل : « وأن أشدها الرجال طوالها » .

(٤) البيت مع سابقين له فى الحماسة ٢٧٠ بشرح المرزوق ، وروايته : « سبط العظام » . وقوله :

لا تعذلى فى حنجدج إن حنجدجاً وليث عفارين لى سواه
حيث على المهار أطهار أمه وبعض الرجال المدعين جفاء

[وَقَالَ آخَرَ ^(١)] :

أثم طویل السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا تُنَاطُ إِلَى جَذَعٍ طَوِيلٍ حَمَائِلُهُ
وَلَيْسَلْمُ الْخَاسِرُ :

يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدِينِيِّ قَائِمًا
وَيَقْضُرُ عَنْهُ طَوْلُ كُلِّ نِجَادٍ

وقوله: (يَحْدَى نِعَالَ السَّبْتِ) يَحْدَى بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، وَنَائِبُ الْفَاعِلِ ضَمِيرُ الْبِطْلِ . وَنِعَالَ مَفْعُولٌ ثَانٍ لَهُ ، أَيْ تُجْعَلُ لَهُ النَّعَالُ السَّبْتِيَّةُ حِذَاءً بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ . فِي الصَّحَاحِ : الْحِذَاءُ : النَّعْلُ . وَاحْتَذَى : انْتَعَلَ . وَأَحْدَيْتَهُ نَعْلًا ، إِذَا أَعْطَيْتَهُ نَعْلًا . وَالسَّبْتُ بِكَسْرِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ : الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ بِالْقَرْظِ وَلَمْ يَنْجِرْذُ مِنْ شَعْرِهِ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينُورِيُّ (فِي النَّبَاتِ) : الْجِلْدُ مَا لَمْ يُدْبِغْ فَهُوَ مُحَرَّمٌ ، وَكَذَلِكَ إِذَا دُبِغَ فَلَمْ يَبَالِغْ فِيهِ الدَّبَاغُ فَفِيهِ تَحْرِيمٌ . وَالْفَطِيرُ مِثْلُهُ ، وَهُوَ الْخَامُ . وَأَجُودٌ مَا يَدْبِغُ بِهِ الْإِهَابُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ الْقَرْظُ ، وَهُوَ يُدْبِغُ بَوْرَقَهُ . وَيُقَالُ لِلَّذِي يَأْخُذُهُ مِنْ شَجَرِهِ : الْقَارِظُ ، وَالَّذِي يَبِيعُهُ : الْقَرْظَاظُ . فَمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ جُلُودِ الْبَقْرِ خَاصَّةً فَإِنَّ الْأَصْمَعِيَّ زَعَمَ أَنَّهُ السَّبْتُ . وَأَمَّا أَبُو عَمْرٍو فَزَعَمَ أَنَّ كُلَّ جِلْدٍ مَدْبُوعٍ سَبْتٌ ، بِالْقَرْظِ أَوْ بغيرِهِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ ، فَرَوَى مَا حَكَيْنَاهُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنِ الْأَصْمَعِيِّ . وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ : السَّبْتُ : جُلُودُ الْبَقْرِ . قَالَ : وَلَا تَقُولُ لِلْجِلْدِ السَّبْتُ حَتَّى

١٤٧

(١) بِمِثْلِهَا يَلْتَمُ الْكَلَامُ . وَقَدْ تَنَبَّهَ لِذَلِكَ نَاسِخُ شِ فَكَتَبَ : « كَذَا بَخَطِ الْمَوْلَفِ ، وَالْقَافِيَةُ مُخْتَلَفَةٌ ، فَهِنَا سَقَطَ بِلَا شَكِّ » . وَقَالَ نَاشِرُ ط : « قَافِيَةٌ هَذَا غَيْرُ قَافِيَةٍ مَا قَبْلَهُ . فَيُظْهِرُ أَنَّهُ سَقَطَ قَبْلَهُ وَقَالَ فُلَانٌ » .

يصير حِذاءً^(١) ، فذاك حين تنسبه إلى السبت فتقول نعلٌ سبتٍ ونعالٌ سبت . وأنشد قول عنتره :

* يُحْدَى نِعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(٢) *

وقال أبو زيد : نعل سبت، وهي من جلود البقر خاصة، وقال : السَّبْتُ جلود البقر خاصّة مدبوغة ، ولا يقال لغير جلود البقر سبت ، والجميع سُبوتٌ وأسبات . فأما ما كان من جلود الضأن خاصّة فهو السَّلْفُ ، والواحدة سَلْفَةٌ ، وهي أضعفُ من الماعزِ وألين . وقال أبو زياد : خيرها ما دُبِغَ بالقرظ ، ثمّ الأَرطَى ، ثمّ السَّلَمُ . وشرها ما دُبِغَ بالألاء . وقال : الألاء شديدة المرارة ، شديدة الخضرة ، طيب الريح . انتهى ما أردنا منه .

وقول عنتره : « يُحْدَى نِعَالِ السَّبْتِ » يريد أنه من الملوك الذين يلبسون النعال السبتيّة الرقيقة الطيبة الريح . وهم يتمدحون بجودة النعال ، كما يتمدحون بجودة الملابس . قال النابغة :

رَقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

أراد أنهم ملوكٌ لا يَخْصِفون نعالهم ، إنّما يَخْصِفها مَنْ يَمْشِي . والحُجْرَةُ : الوَسَطُ . أراد أنهم يشدّون أزرهم^(٣) على عِفَّةٍ . والسَّبَاسِبِ : يوم الشّعانيين . وأراد برقة النعال أنّ نعالهم ليست بمطبقة . وقال النجاشي :

(١) ط : « حلا » ش : « حلاء » ، وفي حواشي ش : « كذا بخط المؤلف حلاء ، والصواب حذاء بالذال المعجمة » . فهو الصواب إن شاء الله .

(٢) صدره في معلقته :

* بطل كأن ثيابه في سرحه *

(٣) ط : « إزارهم » .

• لا يأكل الكلبُ السَّرُوقُ نعالنا^(١) •

إِنَّمَا يَأْكُلُ الْكَلْبُ الْفَطِيرَ مِنَ النَّعَالِ . وَأَمَّا السَّبْتُ فَلَا . وَقَالَ كَثِيرٌ
وَذَكَرَ نَعْلًا :

إِذَا طُرِحَتْ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا

وَإِنْ طُرِحَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شُمَّتِ^(٢)

أى هى طيبة الريح ليست بفطير ، لأنَّ النعل إذا كانت غير
مدبوغة وظفير بها الكلبُ أكلها . وقوله : « ليس بتوأم » يريد أنه لم يزاحمه
أخ في بطن أمه فيكون ضعيف الخلقه . والتوأم : الذى يكون مع آخر
في بطن أمه . فنفى عنه ذلك ووصفه بكمال الخلق وتمام الشدة والقوة .
يقول . هو بطلٌ مديد القامة ، كأنَّ ثيابه ألبست شجرة عظيمة ، من
طول قامته واستواء خلقه ، ويتخذ النعال من جلود البقر المدبوغة ، ولم
تحمله أمه مع غيره . وقد بالغ في وصفه بالشدة والقوة بامتداد قامته ،
وعظم أعضائه ، وتمام غذائه عند إرضاعه ؛ إذ كان غير توأم .

وقوله : « بمهند » هو السيف الهندى . وقوله : « صافى الحديد » أى
مجلو صقيل . والميخدم ، بكسر الميم والمعجمتين : القاطع ، من خذمه
أى قطعه .

(١) ورد البيت محرفاً في اللسان (نقا ٢١٤) ، وهو على الصواب في البيان ٣ : ١٠٩ ،
وانظر تحقيقه في كتابي « تحقيقات وتنبهات في معجم لسان العرب » ص ٣٧١ . ورواية البيان :
ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ولا تنتق المخ الذى في الجاجم
وفي المعاني الكبير ٤٨٣ :

لا يأكل الكلب السروق نعالنا ولا تنتق المخ الذى في الجاجم

(٢) الحيوان ١ : ٢٦٦ والبيان ٣ : ١٠٩ والمعاني الكبير ٤٨٧ . وهو من قصيدة

فرثاء عبد العزيز بن مروان ، في ديوان كثير ٣٢٤ .

وقوله: « لَمَّا رَأَى قَد نَزَلَتْ » إلخ . النواجذ: آخر الأضراس . ومعنى أبدى نواجذه ، أى كَلَّحَ غِيظاً عَلَى . ويقال بل كَلَّحَ كِرَاهَةً لِلطَّعْنِ . وقيل : المعنى لَمَّا رَأَى قَاصِداً لَهُ كَلَّحَ وَكَشَّرَ أَسْنَانَهُ ، فَصَارَ كَأَنَّهُ مَتَبَسِّمٌ . وقيل : المعنى لَمَّا قَتَلْتَهُ تَقَلَّصْتَ شَفْتَاهُ عَنْ أَسْنَانِهِ (٣) فَصَرْتُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَبَسَّمُ . يقول: لَمَّا نَزَلْتُ عَنْ فَرَسِي أُرِيدُ قَتْلَهُ كَشَّرَ عَنْ أَسْنَانِهِ غَيْرَ مَتَبَسِّمٌ . أى لَفَرَطَ كُلُّوَجِهِ مِنْ كِرَاهِيَةِ الْمَوْتِ تَقَلَّصْتَ شَفْتَاهُ عَنْ أَسْنَانِهِ .

١٤٨

وقوله: « عَهْدِي بِهِ » أى مشاهدتى له وقد تخضّب بدمه ، فكأنه قد خضّب بالعظم ، كزبرج ، وهو شجرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْوَسْمَةُ . يقال إنّه الكَتَمَ . وَإِنَّمَا شَبَّهَ الدَّمُ بِهِ لَمَّا انْعَقَدَ وَضُرِبَ إِلَى السَّوَادِ . ويقال عَهْدَتَهُ أَعْهَدَهُ عَهْداً ، إِذَا لَقِيْتَهُ . قال الخطيب : عَهْدِي بِهِ مَبْتَدَأٌ ، وَالْخَبْرُ فِي الْاسْتِقْرَارِ . وقوله : « مَدَّ النَّهَارَ » بدلٌ من الاستقرار ، كما تقول : القتال اليوم ، وكما تقول : عَهْدِي قَرِيباً ، أى وقتاً قريباً . إِلَّا أَنَّهُ يَجُوزُ فِي هَذَا أَنْ تَقُولَ قَرِيبٌ ، عَلَى أَنْ تَجْعَلَ الْقَرِيبَ الْعَهْدَ . وَمَدَّ النَّهَارَ : ارْتِفَاعُهُ . وروى : « شَدَّ النَّهَارَ » بمعناه . ويريد بالبنان الأصابع . وروى بدله : « اللَّبَّانُ » بفتح اللام ، وهو الصُّدْرُ . يقول : رَأَيْتَهُ طَوَّلَ النَّهَارَ وَامْتَدَّاهُ بَعْدَ قَتْلِي إِيَّاهُ وَجُفُوفِ الدَّمِ عَلَيْهِ ، كَأَنَّ بِنَانَهُ أَوْ صَدْرَهُ وَرَأْسَهُ مَخْضُوبَةٌ (٢) . هذا النَّبْتُ .

وترجمة عنتره تقدمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب (٣) .

* * *

(١) الكلام بعده إلى آخر هذه الفقرة ساقط من ش .

(٢) في النسختين : « مخضوباً » .

(٣) الخزانة ١ : ١٤٨ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد السبعمائة^(١) :

٧٨٥ (ويركبُ يومَ الرُّوعِ فيها فوارسُ

بَصِيرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكُلَى)

على أَنَّهُ قِيلَ إِنَّ (فِي) بِمَعْنَى الْبَاءِ ، أَي بَصِيرُونَ بِطَعْنِ الْأَبَاهِرِ. وَالْأَوَّلَى
أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَاهَا ، أَي لَمْ بَصَارَةٌ وَحَدَقُ فِي هَذَا الشَّأْنِ .

قال ابن عصفور (في الضرائر) : إِنَّمَا عَدَّى بِصِيرٌ بَنِي ، لِأَنَّ

قَوْلِكَ : هُوَ بِصِيرٌ بِكَذَا ، يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى هُوَ حَكِيمٌ فِيهِ ، مُتَصَرِّفٌ
فِي وَجْهِهِ .

والببيت من أبيات تسعة لزيد الخليل الطائي ، رواها أبو زيد (في صاحب الشاهد
نواده) ، وأبو العباس الأحول (في شرح ديوان كعب بن زهير) ،
وأبو علي القالي (في ذيل الأمالي) ، وهي :

أبيات الشاهد

(أَي كَلَّ عَامٍ مَاتَمُ تَبْعَثُونَهُ

عَلَى مِخْمَرٍ عَوْدٍ أَثِيبَ وَمَا رُضَا

تُجِدُّونَ خَمْشاً بَعْدَ خَمْشٍ كَأَنَّهُ

عَلَى فَاجِعٍ مِنْ خَيْرِ قَوْمِكُمْ نَعَا

تَحْضُضُ جَبَّاراً عَلَيَّ وَرَهْطَهُ

وَمَا صِرْمَتِي مِنْهُمْ لِأَوَّلِ مَنْ سَعَى

(١) نوادر أبي زيد ٨٠ والقالي ٣ : ٢٤ وأدب الكاتب ٤٠٠ والجواليقي ٣٥٧ ،

والاقتضاب ٤٣٧ والأزهية ٢٨١ والمخصص ١٤ : ٦١ والضرائر ٢١٨ وابن الشجري ٢ : ٢٦٨
والمغني ١٦٩ والتصريح ٢ : ١٤ والممع ٢ : ٣٠ والأشئوني ٢ : ٢١٩ وشرح ديوان كعب

تَرَعَى بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَدُونَهَا
 رَجَالٌ يَرُدُّونَ الظُّلُومَ عَنِ الهَوَىٰ (١)
 وَيَرْكَبُ يَوْمَ الرُّوعِ فِيهَا فَوَارِسُ
 بِصِيرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكُلَىٰ (٢)
 فَلَوْلَا زَهِيرٌ أَنْ أَكْدَرَ نِعْمَةً
 لِقَادَعْتُ كَعْباً مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقَا (٣)
 قَدْ انْبَعَثَ عِرْسِي بَلِيلٍ تَلَوْنِي
 وَأَقْرَبُ بِأَحْلَامِ النِّسَاءِ مِنَ السَّرْدَى
 تَقُولُ : أَرَى زَيْدًا وَقَدْ كَانَ مُقْتِرًا .
 أَرَاهُ لَعَمْرِي قَدْ تَمَوَّلَ وَاقْتَنَى (٤)
 وَذَلِكَ عَطَاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ غَارَةٍ
 مَشْمُورَةٌ يَوْمًا إِذَا قَلَّصَ الْخُصَىٰ

وقوله : « أفي كل عام » إلخ استفهامٌ توبيخي . والمأتم ، مهموز ، وهو الجماعة من النساء يجتمعن لحزن أو فرح ، والمراد هنا الحزن ، ولهذا عاد الضمير إليه من تبعثونه مذكراً . وقال شراح أبيات الكتاب : الضمير عائدة على محذوف ، أي أفي كل عام اجتمع مأتم ، فيكون المأتم بالمعنى الأول . ولهذا قال أبو زيد : أراد : أفي كل عام (٥) ، حدوث مأتم ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ١٠ هـ .

- (١) في شرح الديوان وأمال القالي والجواليقي والاقنصاب : « يصنون الظلوم » .
 (٢) في شرح الديوان : « يردون طعناً في الأباهر والكل » .
 (٣) في شرح الديوان وأمال القالي : « لقادعت كعباً » .
 (٤) عند القالي : « وقد كان مصرماً » ، وفي رواية ثانية لشرح الديوان :
 تقول أرى زيداً وقد بان مقتراً تمول من بصد التصمك واقتنى
 (٥) ط : « في كل عام » ، وأثبت ما في ش . ولم أجد هذا النص في نوادر أبي زيد .

وإنما قال كذا لثلاً يقع ظرف الزمان خبراً عن الجثة . وتبعثونه :
 ١٤٩ تهيجونه وتحركونه . وروى بدله : « تجمعونه » . والمِخْمَرُ بكسر الميم
 الأولى وسكون الحاء المهملة ، قال أبو زيد : هو الفرس الذي يُشبه
 الحمار ، وهو أيضاً اللثيم من الرجال . أراد هنا أنه فرس هجين ،
 أخلاقه كأخلاق الحمير ، بطيء الحركة . وعلى هنا تعليلية . والعود ،
 بفتح العين المهملة ، قال أبو زيد : المُسِنَّ . وأثيب : جُعل لنا ثوابا .
 والثواب : الجزاء . ورَوَى الجرمي : « على مِخْمَرٍ ثوبتموه وما رُضاً » يقال أثابه
 وثوبه ، أى أعطاه الثواب . ورُضاً بضم الراء بمعنى رُضِيَ ، فعلٌ مجهول ،
 وهو لغة طي ، يكرهون مجيء الباء المتحركة بعد الكسرة ، فيفتحون
 ما قبلها لتنقلب إلى الألف لخفتها . يقولون في بقى : بقأ ، وفي نُعى
 نعا كما هنا .

وهذا البيت استشهد به سيبويه على أن تبعثونه صفة لما تم ، ولهذا
 لم يعمل فيه . يقول : إنكم تجمعون نساءً ليبيكين على فقد هذا الفرس
 الذى جعلتموه جزاءً لنا على جميل فعلناه بكم ، والحال أننا لم نرض
 بهذا الفرس الذى يشبه الحمار .

وقوله : « تُجْدُونَ خَمْشاً » إلخ : يقال أجد فلان الشيء واستجدّه ،
 إذا أحدثه ، فتجدد . والخمش : مصدر خمشت المرأة وجهها بظفرها ،
 من باب ضرب ، أى جرحت ظاهر البشرة . وفاجع : الذى فجعهم بنفسه .
 يقال فجعت المصيبة ، أى أوجعت . وروى بدله : « على سيد » . ونعا أصله
 نُعى ، يقال نعت الميت نعيًا من باب نفع ، إذا أخبرت بموته . يقول :
 إنكم تخمسون وجوهكم مرةً بعد مرةً ، على هذا البرذون ، كأنكم فقدتم
 خبر قومكم .

وقوله : « تحَضُّضٌ جَبَّاراً » إلخ . هذا خطابٌ لكعب بن زهير . قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : يقال حَضَّضْتُ الرجل ، إذا حَشَّته على الخير والشَّرِّ جميعاً ، وحَضَّضْتَهُ بالتخفيف ، إذا حَشَّته على الخير . وحَشَّته ، إذا حَرَّضْتَهُ على سَوَقٍ أو سِير . ولا يكون الحَضُّضُ في السَّير والسوق .

وجَبَّار ، بفتح الجيم والموحدة المشددة : اسم رجل . وقال أبو العباس الأحول : هو رجلٌ من فزارة . والصَّرْمَةُ ، بكسر الصاد المهملة : القطعة من الإبل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . والرَّهْطُ : النَّفْرُ ، وهم مادون العشرة من الرجال . يقول : تُغْرِي هذا الرجلَ لِيُغَيِّرَ على إِبْلِي ، وليست إِبْلِي لِأَوَّلِ جماعةٍ تغزوني ، لِأَنِّي أَقاتِلُ عنها وأدافع .

وقوله : « تَرَعَّى بِأَذْنَابٍ » إلخ أصله تَرَعَّى فهو مضارع . وقال الجواليقي : أي ترعَّى ، يريد أنه مبالغة ترعَّى بالتخفيف . والأذْناَبُ : جمع ذَنَبٍ بفتح الحين . وروى بدله : « بأطراف » . قال الجواليقي : والشَّعَابُ : جمع شِعْبٍ ، وهو الموضع المنفرج بين جبلين ، وهو جمعٌ نادر كقِدْحٍ وقِداح . ودونها ، أي دون هذه الصَّرْمَةِ رجالٌ يردُّون الظَّالم عن هواه .

وقوله : (ويركبُ يومَ الرَّوعِ) بفتح الراء هو الفزع . و (فيها) أي من أجل الصَّرْمَةِ . قال الأحول : الأَبَاهِرُ والكلبي مَقْتَلان . والأبهر : عِرْقٌ في المتن . وقال الجواليقي : أي هم بُصْرَاءُ عالمون بمواضع الطَّعن . والأبَاهِرُ : جمع أَبْهَر ، وهو عِرْقٌ مستبطن الصُّلب . والكلبي : جمع كَلْبِيَّة . وللإنسان والحيوان ^(١) كلبتان ، وهما لحمتان حمراوان مُشْتَبِرَتان ^(٢) لازقتان بعظم

(١) الجواليقي : « وكل الحيوان » .

(٢) ط : « مشبيران » ، صوابه في ش . والانتبار : الارتقاء والبروز .

الصُّلب . اهـ . وكذا قال ابن السِّيد . وَصَفَهُم بِالْحَذَقِ فِي الطَّعْنِ ، فَهَم
يَتَعَمَّدُونَ الْمُقَاتِلَ . وَالْأَبْرُ : عَرَقٌ مُسْتَبْطِنُ الْمَتْنِ مُتَّصِلٌ بِالْقَلْبِ .

وقوله : « فلولا زهيرٌ أن أكَدَّرَ نعمةً » إلخ هذا البيت في رواية
الأحول وفي رواية القالي آخرُ الأبيات . والملاصق لقوله : ويركب يوم
الرَّوع ، عندهما : تقول أرى زيدا ، البيت . وليس عندهما « قد انبعثت
عرسى بليل تلومني » البيت .

وهذا هو المناسب لسياق الكلام . وبيت « قد انبعثت عرسى »
إنما هو من شعر كعب كما سيأتي ، لكن كتبنا الأبيات كما وجدناها
ثابتةً في نسختين صحيحتين (من نوادر أبي زيد) .

وقوله : « فلولا زهير » هو والدكعب . وقوله : « أن أكَدَّرَ نعمةً » هو
بدل اشتهال من زهير بتقدير الرابط ، والتقدير : فلولا تكديرُ نعمة
لزهير . وقوله : « لقاذعتُ » جواب لولا . والقَذَعُ بالذال المعجمة :
الفُحْشُ وَالْحَنَى . يقال قذعته ، إذا رميته بالفحش وشتمته .

وقوله : « قد انبعثت عرسى » إلخ ، هذا البيت أول أبيات كعب بن
زهير الآتية ، ولا مناسبة له هنا . والمِصْرَاعُ الأوَّلُ في رواية الأحول :

* أَلَا بَكَرْتَ عِرْسِي تُوَاتِمُ مَنْ لِحَا *

قال الأحول : تواتم : تعارض وتفعل ما يفعلون^(١) . وأصل الموائمة
المباراة في الطعام . وقوله : « وأقربُ بأحلام » إلخ ، هو صيغة تعجب .

(١) ط : « وتفعل ما يفعلون » .

والأحلام : العقول . قال الأحول : هو من مثل تضربه العرب « لُبُّ النساءِ إلى حُمقٍ »^(١) .

وقوله : « تقول أرى زيداً » : إلخ هذا خطاب لكعب لا حكاية قول عرسه وإن كان ظاهراً . والمُقْتَر اسم : فاعل من أقتَر الرجلُ ، إذا افتقر . وروى بدله : « مُصْرِمًا » من أصرَمَ الرجلُ ، إذا صار ذا صِرمة . وتموَل : صار ذا مال . والمال عند العرب : الإبل والماشية . واقتنى ، هو من قَنَيْت الشيء ، إذا اتخذته لنفسك لا للتجارة . ويروى بدله : « واقتلَى » أى صار ذا فُلُوٍ ، وهو المَهْر . والفُلُو كفعول ، ويقال فُلُو بكسر الفاء وسكون اللام . ويقال اقتلى بمعنى رَبَّى أيضاً ، وبمعنى فطم الصغير عن اللبن .

وقوله : « وذاك عطاء الله » إلخ ، الإشارة للتموَل والافتناء . والغارة : الغزاة . ومشمرة ، من شمر إزاره تشميراً ، إذا رفعه . ويروى : « قَلَصَ الخصى » بتخفيف اللام وتشديدها ، بمعنى انضمت وانزوت . وتقُلصُ الخصى يكون عند الرعب والفزع .

وسبب هذه الأبيات ما رواه القالى (فى ذيل الأمالى) قال : حدثنا أبو بكر قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال :

خرج بجير بن زهير بن أبي سلمى فى غلمة يجتنون جنى الأرض ، فانطلق الغلمة وتركوا ابن زهير ، فمرَّ به زيد الخيل الطائى فأخذه - ودار طيى متاخمة لدور بنى عبد الله بن عطفان - فسأل الغلام : من أنت ؟ فقال : أنا بجير بن زهير . فحملة على ناقة ثم أرسل به إلى أبيه

(١) عند الميدانى : « لب المرأة إلى حمق » .

فلما أتى الغلامُ أخيره أنَّ زيداً أخذَه ثمَّ خلَّاهُ وحمله ، وكان لكعب بن زهيرٍ فرسٌ من جيادِ خيلِ العرب . وكان كعبٌ جسيماً ، وكان زيد الخيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دابةً إلاَّ أصابت إبهامه الأرضُ ، فقال زهيرٌ : ما أدري ما أئيبُ به زيداً إلاَّ فرسَ كعب . فأرسل به إليه وكعبٌ غائب ، فجاء كعبٌ فسأل عن الفرس فقيل له : قد أرسل به أبوك إلى زيد . فقال كعبٌ لأبيه : كأذك أردت أن تقوى زيداً على قتال غطفان . فقال زهيرٌ له : هذه إبلى فخذ ثمنَ فرسك ^(١) . وكان بين بنى زهير وبين بنى ملقطِ الطائيين إخاءٌ ، وكان عمرو بن ملقط وفاداً إلى الملوك ، وهو الذى أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أواراة ^(٢) ، فقال كعبٌ شعراً يريد أن يُلقبَ به بين بنى ملقط وبين رهط زيد الخيل شراً ، فعرف زهيرٌ حين سمع الشعرَ ما أراد به ، وعرف ذلك زيدُ الخيلِ وبنو ملقط ، فأرسلت إليه بنو ملقط بفرسٍ نحو فرسه ، وكانت عند كعبٍ امرأةٌ من غطفان لها حسبٌ فقالت له : أما استحييت من أبيك لشرفه وسنَّه أن تؤبسه ^(٣) في هبته عن أخيك . ولامته . وكان قد نزل بكعبٍ قبل ذلك ضيفانٌ فنحَرَ لهم بكرًا كان لامرأته ، فقال : ما تلومينى ^(٤) إلاَّ لمكان بكرِك الذى نحرتُ ، فلك به بكرانٍ . وكان زهيرٌ كثيرَ المال ، وكان كعبٌ مجدوداً ^(٥) . فقال كعب :

ألا بكرتِ عِرسى لبليلِ تلومنى وأقربُ بأحلامِ النساءِ إلى الردى ^(٦)

(١) في الأماي : « فخذ منها عن فرسك ما شئت » .

(٢) بده عند القالى : « فسأله فيهم فأطلقهم له » .

(٣) أبسه يأبسه أبساً ، وأبسه تأبيساً : صغر به وحقره .

(٤) عند القالى : « تلومينى » بإثبات النونين . وكلاهما وجه جائز في العربية حين تجتمع

نون الرفع مع نون الوقاية ، يجوز فيهما الفك والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن

في السبعة في قوله تعالى : « تأمرونى » . انظر المعنى ٣٤٤ .

(٥) مجدودا ، أى ذا جد وحظ .

(٦) في ذيل الأماي ٢٤ : « وأكثر أحلام النساء » .

وذكر فيها زيدا ، فقال زهير لابنه : هجوت رجلاً غير مُفحَم ، وإنه
لخليق أن يظهرَ عليك . فأجابه زيد فقال :

• أفي كلِّ عامٍ ماتمُّ تجمُّونه • إلى آخر الأبيات . ١ هـ

وهذه أبياتُ كعبٍ (من ديوانه) برواية أبي العباس الأحول :

(ألا بكرتُ عِرسى تُوائمُ من لحا
وأقربُ بأحلامِ النساءِ من الردى)

وتقدّم شرحه .

(أمن أجمل بكرٍ قطعني ملامةً

لعمرى لقد كانت ملامتها نثاً^(١))

البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . قال الأحول : أمن أجل بكرٍ نحرتُ
وأطعمته أصحابي بكرتُ على باللومِ مع مَنْ يلوم . وقوله نثاً ، بفتح
النون بعدها مثلثة ، أى مرّة بعد مرة :

(ألا لا تلومى وئيبَ غيركِ عارياً

رأى ثوبه يوماً من الدهر فاكتسى^(٢))

يقول : لا تلومى فى أن نحرتُ بكراً وكسوتُ رجلاً عارياً فاكتسى .
وئيبٌ يُذهبُ به مذهبٌ ويَنح .

(فأقسيمُ لولا أن أُسِرَّ ندامةً

وأعلنَ أخرى إن تراختِ فى النوى^(٣))

(١) كذا فى متن البيت وشرحه ، وهو خطأ من البغدادى ، والصواب : « نثى » بتقديم
الثاء المكسورة على النون كما فى الديوان واللسان (نثى ١٣١) .

(٢) فى شرح الديوان : « وىروى نثاً ثوبه ، أى ساخه ولبس غيره » .

(٣) فى الديوان : « بك النوى » .

وقِيلُ رجال لا يُبالون شأننا :

غوى أمرُ كعبٍ ، ما أرادَ وما رتأى ^(١)

قال الأحول : يقول لولا قولُ رجال لا يبالون ما ذكروا من أمرى وأمرِك ، وَيَنْثُون ^(٢) علىَّ وعليكِ أمراً لم أرتئِه ولم أفعله .

(لقد سَكنت بيني وبينك حِقْبَةً

بأطلانها العَيْنُ الملمَّعةُ الشَّوى)

قال الأحول : ويروى : « لقد رتعت بيني وبينك » . والعين : الوحش . والشَّوى : القوائم . يقول : يكون بيني وبينك تفرُّقٌ دهرٌ لانجتماع ، على بُعد منزل ، وتثنائي محلٌّ هذه صفتُه . تسكنه الوحش . والمعنى لفارقتك مفارقةً لا نجتمعُ معها .

(فياراكباً إما عرضتَ فبلَّغنُ

بنى ملقطٍ عنى إذا قيل : من عنى

فما خلتكم يا قوم كنتم أذلةً

وما خلتكم كنتم لمختلين جنى

لقد كنتم بالسهل والحزن حيةً

إذا نهشت لم يشف نهشتها الرقى ^(٣)

وإن تغضبوا أو تدركوا لى بدمّة

لعمركم أو مثل سعيكم كفى ^(٤)

(١) ط : « عوى » ، صوابه فى ش والديوان .

(٢) فى النسخين : « أو ينثون » ، صوابه ما أثبت . وفى شرح الديوان : « فينثون » ، يقال نثى الخير ينثيه نثياً : حدث به وأشاعه .

(٣) الديوان : « إذا لدغت لم تشف لدغتها » .

(٤) فى الديوان : « لمثل سعيكم » .

لقد نال زيدُ الخيلَ مالَ أخيكُم
فأصبحَ زيدٌ قد تمولَّ واقتنى^(١)
وإنَّ الكميتَ عندَ زيدٍ ذمَامَةٌ

وما بالكميت من خفاء لمن رأى)

قال أبو عمرو : إذا أتى ما لا يشتهد صاحبه فقد أذمَّ به^(٢) . وقال
غيره : يقول : إنَّ فرسى ذمامٌ عندَ زيدٍ وما به خفاء لمن رآه .

(يَبِينُ لِأَفِيَالِ الرَّجَالِ . ومثلهُ يبين إذا ما قيد بالخيل أو جرى^(٣))

أفِيال الرجال : الذين لا رأى لهم ولا فهم . يقول : إذا رآه الذي
لا علم له بالخيل ولا بصَرَ ، يُقاد أو يجرى ، علم كرمه وعتقه ، ولم
يحتج إلى أن يسأل عن نسبه . ثم وصفه ببيتين آخرين .

١٥٣

قال أبو العباس الأحول : وإنما قال كعب هذه الأبيات وأجابه زيد
الخيل ، وذلك أن بجير بن زهير والحطيئة ورجلاً من بني بدر خرجوا يقتنصون
الوحشَ ولا سلاحَ معهم ، ومع زيد الخيل عدَّةٌ من أصحابه ، فقال :
استأسرُوا ، فقالوا : لا إلا على الطاقة^(٤) . فأخذهم . فأما الحطيئة فخلَّى
سبيله لخبث لسانه وفقره ، وأنه لم يكن عنده ما يفدى به نفسه .
وأما بجيرٌ ففدى نفسه بفرسٍ كان يقال له الكميت . وأما أخو بني بدر
فأفتدى نفسه بمائة من الإبل . فقال كعب بن زهير وبلغه حديثُ القوم ،
وكان نازلاً في بني مَلْقَطٍ من طيء ، فقال يحرضهم على زيد الخيل ،

(١) الديوان : « وأصبح زيد بعد فقر قد اغتنى » .

(٢) ش : « فقد أذم » ، فقط .

(٣) الديوان : « إذا ما قيد في الخيل » .

(٤) ط : « فقالوا : إلا على الطاقة » ، وأثبت ما في ش . وفي شرح الديوان : « فقالوا :

لا نتأسر إلا على الطاقة » .

ليأخذ الكميت . وزعم أنَّ الكميت كان له دون بُجير ، فقال في ذلك قصيدة : «ألا بكرت عرسى» ، وأجابه زيد الخيل : «أفى كل عام [ماتم^(١)]» ، فزعموا أنَّ زهيراً قال لكعب : هجوت امرأ غير مفحم ، وإنَّه لخليقٌ أن يَظْهَرَ عليك .

ثم نقل أبو العباس أربعة أبياتٍ للحطيثة مدح بها زيد الخيل^(٢) .
والله أعلم أى ذلك قد كان .

وزيد الخيل وكعب صحابيَّانِ تقدَّمتِ ترجمتهما .

وأُتشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد السبعمئة^(٣) :

٧٨٦ (نُحايي بها أكفاءنا ونُهينها

ونشرب في أثمانها ونُقايِرُ)

على أن (في) قيل إنَّها بمعنى الباء في البيت ، أى ونشرب بأثمانها .
والأولى أيضاً أن تكون على معناها بجعل أثمانها ظرفاً للشُّراب والقمار مجازاً .

والبيت آخر أبياتٍ أربعةٍ لسبيرة بن عمرو الفقعسى ، أوردها صاحب الشاهد أبو تمام (في الحماسة) ، وهى :

أبتنسى دفاعى عنك إذ أنتَ مُسلمٌ

وقد سالَ من نصر عليك قُراقِرُ

ونسوتُكم في الرَّوعِ بادٍ وجوهها

يُخلنَ إماءَ والإماءَ حرائرُ

(١) التكلة من ش .

(٢) شرح الديوان ١٣٥ ، وديوان الحطيثة ٨٢ . وأول الأبيات :

إلا يكن مال يشاب فإنه سيأتى ثنائى زيدا ابن مهلهـ

(٣) أمال ابن الشجرى ١ : ٢١٩ والحماسة بشرح المرزوقى ٢٣٩ ، وبشرح التبريزى

أَعْيَرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلِحَوْمَهَا

وذلك عارٌ يا ابنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ

نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا البيت)

قوله: « أتُنسى دفاعي » إلخ استفهامٌ توبيخيٌّ ، يخاطب ضمرة^(١)

ابنِ ضمرة النهشلي . واذ ظرفٌ لدفاعي ، أي لم تنس مُدافعتي عنك^(٢)

حين كنتَ مخذولاً لا ناصر معك . ومُسَلَّم : اسم مفعول من أسامته بمعنى

خذلته ، وهو أن تخلَّى بينه وبين من يريد النكايَةَ فيه . قوله : « وقد

سالَ من نصر » إلخ رواه شراح الحماسة : « وقد سال من ذلَّ » ، قال

المرزوقي وغيره : قُرَاقِر بضم القاف الأولى : اسم وادٍ ، ويكون ذكره

مثلاً . ومن كلامهم : « سال عليه الذلُّ ، كما يسيل السَّيْل » . ولا يمتنع

أن يكون لحقه ما لحقه من الذلِّ من ناحية قراقر ، فلذلك خصَّه ،

والجملة حال . انتهى .

وأول من حرَّفه أولُ شارحٍ للحماسة ، وهو أبو عبد الله النَمْرِيّ :

قال : يقول : سال هذا الوادي عليك فلم تستطع الانتقالَ عنه ذُلًّا وضعفًا .

وردَّ عليه أبو محمد الأسود الأعرابي (فيما كتبه على شرح النمرى) ،

وقال : الصواب : « وقد سال من نصر » ، يعني نصر بن قُعين بن

الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمَة . يقول : دافعتُهم

عنك حين سال الوادي بهم عليك . كما قال الآخر :

ونحن أسلنا مُصْعِدًا بطنَ حائلٍ ولم يُرَ وادٍ قبله سالَ مُصْعِدًا

يعني أنهم أسألوه بالرجال . ولبيت سبيرة قصَّة طويلة الذيل ذكرتها

(في كتاب السَّلَّة والسَّرقة) . انتهى .

(١) ط : « ضمير » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « مدافعتي » بإسقاط « عنك » .

أقول : قد ذكرها (في ضالّة الأديب) أيضاً ونحن نذكرها . إن شاء الله بعد الأبيات .

وقوله : « ونِسوتكم في الروع » إلخ . هذه الجملة معطوفة على جملة الحال السابقة . قال المرزوقي : وصف الحال التي مُنِيَ بها حين نصره مخاطبُهُ . والمراد : نساؤكم تشبّهن^(١) بالإماء مخافة السبّي ، حتّى تبرّجن وبرزن مكشوفاتٍ ناسياتٍ للحياء . وإن كُنَّ حرائر . وإنّما قالَ هذا لأنّهم كانوا يَقمِصِدون بسبّي مَنْ يسبون من النساءِ إلحاق العار . لا اغتنام الفداء والمال^(٢) . ولمّا كان الأمر على هذا فالحرّة كانت في مثل ذلك الوقت تتشبه بالأمّة لكي يُزهد في سبّيها . ومعنى « والإماء حرائر » : واللاتي يُحسبن إماء حرائر . ولو قال يُخلن إماءً وهُنَّ حرائر^(٣) لكان مأخذ الكلام أقرب ، لكنّه عدل إلى : والإماء حرائر ، ليكون الذكر أفخم .

وقوله : « أعيرتنا ألبانها » ، إلخ استفهامٌ للإنكار والتقريع ، أي لمَ عيرتنا ألبان الإبل ولحومها ، واقتناء الإبل مباحٌ ، والانتفاعُ بأحمها وألبانها جائزٌ ديناً وعقلاً . وقوله : « وذلك عارٌ ظاهرٌ » أي زائل . قال أبو ذؤيب :

وعيرها الواشون أنى أحبها

وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها^(٤)

ويقال عيرته كذا ، وهو الأفصح ، وعيرته بكذا . قال عدى :

(١) في النسختين : « فشبهن » ، صوابه من المرزوقي ٢٣٨ .

(٢) ط : « لاغتنام الفداء والمال » ، صوابه في ش والمرزوقي .

(٣) في النسختين : « يخلن إماءهن حرائر » ، صوابه من المرزوقي .

(٤) ديوان المهذلين ١ : ٢١ .

• أَيُّهَا الشَّامِتُ المَعِيرُ بالدَّهْرِ (١) •

والواو للحال ، أى أتعيرنا ذلك والحالُ ذلك .

وقوله : (نحابى بها) إلخ قال المرزوقى : بيّن وجوه تصرفهم فيما عيرهم (٢) به فقال : نجعلها حياءً لنُظَرَّائنا فنتهادى بها ، ونسهّل تمكّن الزُّوَارِ والعُفَاة منها ، بابتذالها وإهانتها - وحذف ذكر مَنْ أهينت له لأنّ المراد مفهوم - ونبيعها فنصرف أثمانها إلى الخمر والإنفاق ، ونضرب بالقداح عليها فى الميسر (٣) عند اشتداد الزمان ، فنصرّفها فى الضّعفاء والمحتاجين . وفى تعداد هذه الوجوه إبطال لكلِّ ما أوهم أن يلحق (٤) من العار فى اقتنائها وأدخارها . انتهى .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : حَابَى : بارى ، يقال حابيت فلاناً أى باريته فى الحياء ، مثل باهيته فى العطاء ، كما يقال كارمته أى باريته فى الكرم . فقوله : نحابى بها أكفاءنا ، لا يكون إلا بمعنى نباريهم فى الحياء . وقد ورد أحابى فى شعر زهيرٍ بمعنى أخص ، وذلك فى قوله :

أحابى به ميتاً بنخلى وأبتغى

إخاءك بالقبيل الذى أنا قائل (٥)

قالوا : أراد أحابى بهذا الشعر ميتاً بنخلى ، يعنى بالميت أبا المدوح ، أى أخصه به . ونخلى : أرض بها قبره . وذهب ابن جنى فى قول المتنبي :

(١) البيت بتمامه كما فى ديوان عدى بن زيد ٨٧ وعيون الأخبار ٣ : ١١٥ :

أبها الشامت المعير بالدهر — سر أأنت المبرأ الوفور

(٢) كذا فى المرزوقى . وفى ش : « عير به » .

(٣) ط فقط : « والميسر » .

(٤) كلمة « أن » ساقطة من ش . وفى حواشيا مع ذلك : « كذا بخط المؤلف ، وفيه

نقص . والظاهر : إبطال لكل ما أوهم ما يلحق » . والذى فى المرزوق : « إبطال لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار فى اقتنائها » .

(٥) فى ديوان زهير ٢٩٩ : « بالقول » موضع « بالقبيل » ، وهما بمعنى ،

وإنَّ الذى حابى جديلةً طيئى به الله يُعطى من يشاء ويمنع^(١) إلى أن حابى بمعنى حَبَا ، مأخوذ من الحَبَاءِ وهو العطيّة ، واسم الله مرتفع به . أى إنَّ الذى حَبَا الله به جديلةً يعطى ، فالجملة التى هى يعطى وفاعله خبر إنَّ . وخولف فى هذا القول ؛ على أن عليه أكثر مفسرى شعر التنبئى . والذى ردَّ عليه قال : إنَّ حابيته بكذا بمعنى حَبَوْتُهُ به ليس بمعروف . فعلى هذا القول يكون فاعل حبا مضمراً فيه يعود على الذى ، واسم الله مرفوعاً بالابتداء ، وخبره الجملة التى هى يعطى وفاعله ومفعوله . أى إنَّ الذى بارى جديلةً فى الحَبَاءِ اللهُ يعطى به من يشاء . ومفعول يمنع محذوفٌ دلَّ عليه مفعول يعطى ، ومفعول يشاء المذكور ويشاء المحذوفِ محذوفان . فالتقدير : يعطى اللهُ به من يشاء أن يعطيه . ويمنع به من يشاء أن يمنعه . على أن المضميرين فى يعطيه ويمنعه يعودان على المملوح . والمعنى أَنَّهُ مَلِكٌ قد فَوَّضَ اللهُ إليه أمرَ الخلق فى الإِطاءِ والمنع . فالمدح على هذا يتوجَّه إليه وإلى عشيرته : لأنَّ المباراة فى العطاء أَنَّهُمْ يُعْطُونَ فيُعْطَى مباحياً لهم بعطائه . والمعنى فى قول ابن جنى أَنَّ الذى حبا الله به جديلة بأن جعله منهم يُعطى من يشاء إعطائه ، ويمنع من يشاء منعه ؛ لأنَّه يُعطى تكراً لا قهراً ، ويمنع عِزَّةً لا بخلا .

وأقول^(٢) : إنَّ أصل فاعلته أن يكون من اثنين فصاعداً ، وإنَّ فاعله مفعولٌ فى المعنى ومفعوله فاعلٌ فى المعنى ، كخاصمته وسابقتها . ولم يأت

(١) ديوان المتنبي ١ : ٣٨٧ . وقال ابن الشجرى فى أماليه : « وإنَّما قال جديلة طيئى فخص لأن الجداول ثلاثة : جديلة طيئى فى قحطان : وهو جديلة بن خارجة بن سعد العشيرة بن مذحج . وفى مضر : جديلة ، قال أبو عبيدة : هم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن زار . وفى ربيعة : جديلة بن أسد بن ربيعة بن زار .

(٢) القائل هو ابن الشجرى فى أماليه . وقد فات البغدادي أن ينبه على استمرار النقل من الأمال إلى نهاية النص بعد البيتين التاليين ، إذ لم يعقب عليه بقوله « انتهى » كما هو عادته .

من واحدٍ إِلَّا في أحرفٍ نواذر كطارقتُ النعل . وعاقبتُ اللص ، وعافاك الله ، وقاتلهم الله .

فابنُ جنِّي ذهب بقولهم : حابيت زيدا مذهب هذه الألفاظِ الخارجة عن القياس . وقد جاء حابي بمعنى حبا في قول أشجع بن عمرو السلمي ، يمدح جعفر بن يحيى البرمكي ، حين ولأه الرشيدُ خراسان :
 إِنَّ خُرَاسَانَ وَإِنْ أَصْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهَمَّةِ الشَّانَا
 لَمْ يَحْبُ هَارُونُ بِهَا جَعْفَرًا لَكِنَّهُ حَابِي خُرَاسَانَا
 أَي لَمْ يَحْبُ جَعْفَرًا بِخُرَاسَانَ وَلَكِنْ حَابِي خُرَاسَانَ بِجَعْفَرَ . فهذا يَعْضُدُ قَوْلَ ابْنِ جُنِّي (١) .

وهذه قصة سبرة الفقعسي مع ضمرة بن ضمرة (من ضالة الأديب لأبي محمد الأعرابي) قال : إِنَّ ضَمْرَةَ بْنَ ضَمْرَةَ بْنَ جَابِرِ بْنِ قَطَانَ ابْنَ نَهْشَلٍ ، كَانَ جَارًا لِنَوْفَلِ بْنِ جَابِرِ بْنِ شِجْنَةَ (٢) بْنِ حَبِيبِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ نَصْرٍ ، وَأُمُّ نَوْفَلٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ الْأَشْثَرِ بْنِ جَحْوَانَ بْنِ فُقْعَسِ بْنِ طَرِيفِ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ قُعَيْنٍ . وَكَانَ ضَمْرَةَ كَثِيرَ الْمَقَامَرَةِ ، فَنَحَرَ نَوْفَلٌ جُزُورًا فَدَعَا الْحَيَّ فَأَكَلُوا ، فَدَعَا ضَمْرَةَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ بَنِي قُعَيْنِ هَذَا جَارُكُمْ وَأَنَا مِنْهُ خِلْوٌ . ثُمَّ إِنَّ ضَمْرَةَ قَامَرَ (٣) ، فَقُمِرَ مَالَهُ كُلَّهُ ، وَانْتَجَعَتْ أَسَدٌ نَحْوَ أَرْضِ بَنِي تَمِيمٍ وَهُمْ مُقْحَمُونَ مُضْعِفُونَ ، فَأَرْسَلَ ضَمْرَةَ إِلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَنْ مِيلُوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ لِأَوَّلِ مَنْ آتَاهُمْ . فَأَتَى بَنِي نَصْرِ الْخَبِرُ فَانْصَرَفُوا وَأَتَمَرُوا بِضَمْرَةَ أَنْ يَأْكُلُوهُ حِينَ يَنْزِلُونَ ، فَأَمَرَ نِسْوَتَهُ سَرًّا

(١) هذه هي نهاية نص ابن الشجري الذي بدأ في ص ٥٠٦ وإن لم ينهه البنداوي عليه .

(٢) ضبط في اللسان والاشتقاق ٢٥٧ بالكسر ، وفي القاموس بالفتح .

(٣) ط : « قام » ، صوابه في ش .

أَنْ يَتَأَخَّرْنَ وَيَلْحَقْنَ بَطُغْنِ بْنِ فِقْعَسٍ ، وَسَارَ هُوَ فِي سَلْفِ بَنِي نَصْرِ
وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ آكَلُوهُ إِذَا نَزَلُوا ، فَلَمَّا نَزَلُوا رَكِضَ نَحْوَ بَنِي فِقْعَسِ فَقَالَ :
أَنَا جَارٌ لَكُمْ : فَقَالُوا : إِنَّكَ لَسْتَ بِجَارٍ ، وَلَكِ أَمَانُ الْعَائِذِ الْغَادِرِ ،
وَمَنْعُوهُ مِنْ بَنِي نَصْرِ ، وَإِذَا مَالُهُ فِي بَنِي نَصْرِ قَدْ أَحْرَزُوهُ ، فَلَمَّا جَاءَتْ
ظُهُنَ بَنِي فِقْعَسِ إِذَا نَسُوهُ فِيهِنَّ ، فَعَدَلَ لَهُ بَنُو فِقْعَسِ خَمْسِينَ شَائِلَةً^(١)
وَنَحَرُوا الْجَزُورَ ، وَكَانَ فِيهِمْ زَمَانًا ، ثُمَّ لَحِقَ بِقَوْمِهِ . فَنَافَرَ مَعْبِدَ بْنَ
نَضْلَةَ بْنَ الْأَشْتَرِ بْنِ حَجَّوَانَ ، خَالِدَ بْنَ وَهْبِ الصَّيْدَاوِيِّ ، وَجَمَعَهُمَا وَصَمَّرَهُ
مَجْلِسُ النُّعْمَانِ ، فَأَرْسَلَ صَمَّرَةَ إِلَى خَالِدٍ : نَافِرُهُ وَاجْعَلْنِي الْكَفِيلَ وَهُوَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ نِصْفَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخَافُنِي ، وَاجْعَلْهُمَا مِائَةً فِي مِائَةٍ فِي خُضْرَةَ
النُّعْمَانِ^(٢) وَاجْعَلْ بَيْنَكُمَا بِهَا رَهْنًا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدُّ مِنْ أَدَائِهَا إِذَا كُنْتُ أَنَا
الْكَفِيلُ . فَلَمَّا رَاحُوا إِلَى النُّعْمَانِ سَبَّ خَالِدٌ مَعْبِدًا فَقَالَ : أَتَسَابُنِي وَلَمْ
تُنَافِرْنِي . قَالَ : أَنَا فِرْكٌ . قَالَ : مَا بَدَا لَكَ . قَالَ خَالِدٌ : إِنِّي أَجْعَلُ
الْكَفِيلَ مَنْ شِئْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ وَلِيَّ نِعْمَتِكُمْ هَذَا . قَالَ مَعْبِدٌ : فَإِنِّي
قَدْ فَعَلْتُ . وَاعْتَقَدَ عَلَيْهِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ صَمَّرَةَ ، ثُمَّ تَغَادَا^(٣) عَلَى صَمَّرَةَ
فَقَالَ صَمَّرَةَ : وَاللَّهِ إِنَّ بَنِي طَرِيفٍ لَمِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ ، وَمَا رَأَيْنَا قَطُّ أَكْرَمَ
مِنْ خَالِدٍ . فَتَنَفَّرَهُ عَلَى مَعْبِدٍ فِي مَجْلِسِهِ ، فَحَبِسَ قَيْسُ بْنُ مَعْبِدٍ عِنْدَ
النُّعْمَانِ رَهِينَةً بِمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَالَ مَعْبِدُ لِبَنِي جَابِرِ بْنِ شِجْنَةَ :
اكَفُلُونِي يَا بَنِي عَمِّي فَإِنِّي لَمْ يَشْنِيْ غَدْرُ صَمَّرَةَ وَلَا كَذْبُهُ . قَالَ بَنُو
جَابِرٍ : تُرَى بَنِي فِقْعَسِ مَقْرِيْنٌ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَرُونَ أَنَّهَا خِيَانَةٌ ،

(١) الشائلة من الإبل : التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخفت لبنها .

(٢) الخفرة ، بالضم : الأمان والضمان ، ومثلها « الخفارة » وهذه مثلثة الخاء . ش
« خضرة » ، تحريف .

(٣) تغاديا من الغدو . وفي ش : « تغاديا » بالمهمله .

ولا تضرهم . فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبد بنى فقعس قال
بنو دثار وبنو نوفل بن فقعس : والله ما نرضى بهذا أبداً ما بقي منا إنسان .
فنهضت بنو فقعس إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة ، فقال سبرة بن
عمرو بن الحارث بن دثار بن فقعس بن طريف :

إني لمن أنكرو وجهي سبرة الرجل الأشم فيه الزعرة^(١)
كالميسم الحامى عليه الغبرة

إلى أن قال :

والله ما نَعَمِلُ منها بَكَرِهٍ أو يَأْمُرُ النُّعْمَانُ فيها أَمْرَهُ
فَأَمَرَهُمُ النُّعْمَانُ أَنْ يَتَقَاضُوا إِلَى العُزَّى : صنم كان بنخلة . فعندها
قال سبرة :

أضمرَ بَنَ ضَمِيرِ أبلقِ الإِسْتِ والقِفا
وهل مثلنا في مثلها لك غافرُ
أَتَمَى دِفَاعِي عَنكَ إِذْ أَنْتَ مُسَلِّمٌ
وَإِذْ سَأَلَ مِنْ نَصْرِ عَليكَ قُرَاقِرُ
وَنِسَوْتِكُمْ فِي الرُّوعِ بِأِدِّ وَجُوهِهَا
يُخَلِنَ إِمَاءَ وَالْإِمَاءِ حَرَائِرُ
يُسَلِّخُنَ بِاللَّيْلِ الشَّوِيَّ بِأَذْرَعِ
كَأَيْدِي السَّبَاعِ ، والرُّؤُوسُ حَوَاسِرُ
وَعَيْرَتَنَا ألبَانَهَا وَلُحُومَهَا
وذلك عاراً يابنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ
وَإِنَّا لَتَغْشَانَا حَقُوقٌ وَلَمْ تَكُنْ
تَقْرِبُنَا لِلْمَخْزِيَاتِ الأَبَاعِرُ

(١) المروف « الزعارة » بمعنى الشراسة .

نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهَيْنَهَا
 وَنَشْرَبُ فِي أَمْنَانَا وَنَقَامرُ
 وَتَكْسِبُهَا فِي غَيْرِ غَدْرِ أَكْفُنَا
 إِذَا عَقَدْتَ يَوْمَ الحِفَاطِ التَّوَابِرُ
 وَإِنَّا لَنَقْرَى الضَّيْفَ فِي لَيْلَةِ الشَّنَا
 عَظِيمَ الجَفَانِ فَوْقَهُنَّ الحَوَائِرُ
 جمع الحَوِير ، وهو الشحم الأبيض . وبعد هذا ثلاثة أبيات آخر .
 ثم أورد لِسْبَرَةَ الفَقْعَسِيَّ أشعاراً كثيرة يُخاطب بها ضَمْرَةَ ويهجوها بها .
 وفي سياقه هذا نقص ^(١) فإنه لم يذكر فيه وجه تعيينه بالإبل ، ولا
 إلى أى شىء تمَّ حالهما . والله أعلم .
 وسبرة : شاعرٌ جاهلٌ . وذُكِرَ نسبه فيما سقناه .
 وترجمة ضمرة تقدّمت في الشاهد الثامن والثمانين ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد السبعائة ^(٣) :

٧٨٧ (ما بكاء الكبيرِ بالأطلالِ)

على أَنَّ (الباء) فيه للظرفية ، أى فى الأطلال . وهذا صدرٌ ، وعجزه :

(وسؤالى وما يردُّ سؤالى)

وهذا مطلع قصيدة للأعشى ميمون ، مدح بها الأسود بن المنذر اللخمي ، صاحب الشاهد

١٥٦

أخا النعمان بن المنذر ، وسيأتى بعضٌ منها (فى رَبِّ) . وبعدده :

أبيات الشاهد (دمنةٌ قفرةٌ تعاورَها الصَّيْدُ فُ بَرِيحِينَ مِنْ صَبَاً وَشَمَالِ)

لَاتَ هُنَا ذِكْرَى جُبَيْرَةَ أَوْ مَنْ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الأَهْوَالِ)

(١) ط : « نقص » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٨ .

(٣) أدب الكاتب ٤٠٨ والجواليقي ٣٦٩ والاقطصاب ٤٤٨ وديوان الأعشى ٣ .

أراد بالكبير نفسه ، وعذَّلها بالوقوف على الأطلال وسؤاله إياها ، ثم رجع وقال : وما تردُّ سؤالي ؟ يقول : ما بكاءُ شيخ كبير مثلي في ظللٍ والظُّلل : ما شخص من بقايا المنزل . والدِّمنة : ما اجتمع من التُّراب والأبعار وغير ذلك . فتعاوَرَه الصَّيفُ بريحين مختلفين ، وهما الصِّبا ومهبُّها من ناحية المشرق ، والشَّمَالُ ومهبُّها من القطب الشمالي إلى الجنوب . والجنوب من رياح اليمن .

قال أبو علي (في كتاب الشعر) : اعلم أنَّ قوله سؤالي بعد قوله ما بكاءُ الكبير حملٌ للكلام على المعنى ، وذلك أنَّ الكبير لَمَّا كان المتكلمَ في المعنى حمل سؤالي عليه . ألا ترى أنَّ ما بكاءُ الكبير إنما هو ما بكائي وأنا كبير ، وبكاءُ الكبير بالأطلال ممَّا لا يليق به ، لأنَّه احتياجٌ لصِّباً أو تصابٍ ، وذلك ممَّا لا يليقُ بالكبير . ومن ثمَّ قال الآخر :

أتجرعُ إن دارُ تحمَّل أهلها وأنت امرؤُ قد حمَلتكَ العشائرُ

فحمل سؤالي على المعنى . فأما قوله : « وما يرُدُّ سؤالي دِمنةُ قفرة » فإنَّ

(ما) تحتمل ضربين :

أحدهما : أن تكون استفهاماً في موضع نصب ، كأنه قال : أيَّ شيء يرجع عليك سؤالك من النفع ؟ وقد يقول : عاد على نفع من كذا ، وردَّ على كذا نفعاً ، ورجعَ على منه نفع .

ويكون « دمنة » منتصباً بالمصدر الذي هو سؤالي . والبيت على هذا مضمَّن .

والآخر : أن يكون نفيّاً كأنه قال : ما يرُدُّ سؤالي ، أيَّ جواب سؤالي

دمنة . فالدمنة فاعل قوله : « تردُّ » . ومثُلُ هذا قوله :

• وقمنا فسلمنا فردَّت تحيةً •

إنما هو جواب تحية . وكذلك قوله سبحانه : ﴿ فحيثوا بأحسن منها أو ردوها ﴾^(١) ، أى ردوا جوابها^(٢) .

وقد قيل فى قوله : (فردت تحية) قولان : أحدهما : ردت التحية ، أى لم تقبلها . والآخر : ردت تحية أى جوابها ، كما تقدم . وذلك لما رأينا فى وجهها من البشاشة وإن لم تتكلم . فالتقدير : وما يرد جواب سؤالى دمنة . والبيت على هذا مضمّن أيضاً ، لأنّ الفاعل الذى هو « دمنة » فعله فى البيت الذى هو قبل البيت الثانى . فيجوز أن يقول : وما تردّ ، فيؤنث على لفظ الدمنة ، ويذكر على المعنى . انتهى .

وقال ابن السيد البطليوسى (فى شرح أدب الكاتب) : وسؤالى فهل تردّ سؤالى ، ويروى : « فما تردّ » و « لا تردّ » . ويروى : بالتاء والياء . فمن روى (فهل تردّ) على لفظ التانيث رفع الدمنة^(٣) وجعلها فاعلا ، وجعل سؤالى مفعولا بتقدير مضاف ، أى فهل تردّ جواب سؤالى^(٤) دمنة . ومن روى : (فهل يردّ) بلفظ التذكير نصب دمنة مفعولا ، وجعل سؤالى فاعلا^(٥) ومعناه : إن سؤالى لا يردّ الدمنة إلى ما كانت عليه . ومن روى : « وما » ، واعتقد أنّها نقيّ جاز أن يقول تردّ بلفظ التانيث ويرفع الدمنة لا غير ، وجاز أن يقول يردّ بلفظ التذكير وينصب الدمنة إن شاء ، ويرفعها إن شاء . وإن اعتقد أنّ ما استفهام قال : يردّ ، على لفظ التذكير ، وجعل ما فى موضع نصب ببيردّ ، وسؤالى فى موضع رفع ، ونصب دمنة بسؤالى لا غير . ومن روى : « ولا يردّ سؤالى » على لفظ التذكير نصب

١٥٧

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء .

(٢) الكلام بعده إلى « جوابها » التالية ، ساقط من ش .

(٣) ش : « رفع الدمنة لا غير » ، مع إسقاط سائر الكلام فى هذه الفقرة .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ط فقط : « سؤال » ، صوابه فى الاقتضاب ٤٤٧ .

(٥) الذى فى الاقتضاب : « وجعل سؤالى فى موضع رفع » .

الدمنة ، وإن شاء رفعها . ومن روى « ولا تردُّ » على لفظ التانيث رفع
الدمنة لا غير ^(١) .

ثم قال ابن السَّيد : ورُويت في هذا البيت حكايةٌ مستطرفة ^(٢) رأيت
إثباتها في هذا الموضع .

روى نَقْلَةُ الأَخْبَار أَنَّ طَلِيحَةَ الأَسَدِيِّ كان شريفاً ، وكان يَفد على
كسرى فيكرمه ويُدني مجلسه . قال طليحة : فوفدتُ عليه مرّةً فوافقت
عيداً من أعياد الفُرس ، فحضرتُ عند كسرى في جُملة مَنْ حضر من
أصحابه ، فلما طعمنا وُضِع الشَّرابُ فطفِقنا نشرب ، فغنّى المغنّى :
* لا يتأرَى لما في القدر يطلُّه ^(٣) *

فقال كسرى لترجمانه : ما يقول ؟ ففسّره له فقال كسرى : هذا
قبيح . ثم غناه المغنى :

* أتتك العيسُ تنفخُ في بُراها ^(٤) *

فقال كسرى لترجمانه : ما يقول ؟ فقال : لا أدري . فقال بعض
جلسائه : « شاهانشاه ^(٥) ، أشرُّ أف أف » معناه : يا ملك الملوك هذا
جملٌ ينفخ . وأشرُّ بلغتهم : الجمل ، وأف : حكاية النّفخ . قال طليحة :
فأضحكني تفسيره العربيَّة بالفارسية . قال : ثمَّ غناه المغنّى بشعرٍ فارسيٍّ
لم أفهمه ، فطرب كسرى ومثلت له كأس ، وقام فشربها قائماً ، ودارت

(١) انظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٢) كذا بالطاء المعجمة في ط والاقضاب ٤٤٨ ، وفي ش : « مستطرفة » بالمهمله .

(٣) لأعشى باهلة في رثاء المنتشر بن وهب . الأصمعيات ٩٠ وجمهرة القرشي ١٣٧ . ومجزه :

* ولا يعض على شرسوفه الصفر *

(٤) لعبدالرحمن بن الحكم ، أو زياد الأعمم ، كما ينسب للأعشى . اللسان (قطع ١٥٦) . ومجزه :

* تكشف عن مناكبها القطوع *

(٥) في الاقضاب ٤٤٨ : « شاه شاه » .

الكأس على جميع الجلساء . قال طليحة : وكان التَّرجُمان إلى جانبي فقلت له : ما هذا الشَّعْرُ الذي أطرب الملكَ هذا الطَّربَ ؟ فقال : خرج يوماً متنزِّهاً فلقى غلاماً حسنَ الصُّورةِ وفي يمينه وَرْدٌ ، فاستحسنه وأمر أن يُصنَعَ له فيه شعر ، فإذا غنَّاه المغنِّي ذلك الشَّعْرَ طَرِبَ وفعلَ ما رأيتَ . فقلت : ما في هذا ممَّا يُطربُ حتَّى يبلغ فيه هذا المبلغ ؟ فسأل كسرى التَّرجُمانَ عمَّا حاورني فيه ، فأخبره ، فقال : قل له : إذا كان هذا لا يُطرب فما الذي يطربُك أنت ؟ فأدَّى إلى التَّرجُمانِ قولَه فقلت : قولُ الأعشى :

* ما بكاء الكبير بالأطلال * . . . البيت

فأخبره التَّرجُمانُ بذلك فقال كسرى : وما معنى هذا ؟ فقلت : هذا شيخٌ مرَّ بمنزل محبوبته فوجدَه خالياً قد عفا وتغيَّر ، وجعل يبكي^(١) . فضحك كسرى وقال : وما الذي يطربُك من شيخٍ واقفٍ في خربة وهو يبكي ، أو ليس الذي أطربنا نحنُ أولى بأن يُطربَ له ؟ قال طليحة :

فثقل عليه جانبي^(٢) بعد ذلك .

وقوله : « لات هَنا ذِكرى جُبيرة » ، بضم الجيم : اسم امرأة ، وهو من شواهد النحويين ، وتقدَّم توجيهه في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين^(٣) .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد السبعمئة^(٤) :

(غُلِبَ تَشَدُّرٌ بِالذُّحُولِ)

٧٨٨

(١) في الاقتضاب ٤٤٩ : « فوقف فيه وجعل يبكي » .

(٢) في الاقتضاب : « فنقل عليه بابي » ، يعنى الإذن لى .

(٣) الخزانة ٤ : ١٩٦ - ١٩٨ .

(٤) الأزهية ٢٩٧ ، والإنصاف ٧٧٢ والأشياء والنظائر ٣ : ١٠٨ . وانظر البيان والتبيين

وهو قطعةٌ من بيت ، وهو :
 (غَلَبٍ تَشَدَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَيْدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا)
 على أَنَّ الْبَاءَ فِيهِ لِلْسَّبَبِيَّةِ .

قال الزوزنى (في شرح معلقة لبيد) : يقول : هم رجالٌ غلاظُ الأعناق ،
 كالأسود ، أى خلقوا خِلقةَ الأسود ، ويهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي
 بينهم . ثم شبههم بجنِّ هذا الموضعِ في ثباتهم في الخصام والجدال . يمدح
 خصومه ؛ وكلِّما كان الخصم أقوى وأشدَّ كان غالبه أقوى وأشدَّ .

والبيت من معلقة لبيد الصَّحَابِيِّ وقبله :

ساحب الشاهد

(وكثيرةٌ غرباؤها مجهولةٌ تُرَجَّى نوافلُها ويُخشَى ذامُها)
 وبعده :

١٥٨

(أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَى كِرَامِهَا)
 قوله : « وكثيرةٌ » الواو واو ربِّ ، وجوابها : « أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا » ، قال
 ابن السَّيِّد (في شرح أدب الكاتب) : يريد قُبَّةَ مَلِكٍ فِيهَا قَوْمٌ غَرَبَاءُ
 مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَاخْرُوه بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ ، فغلبهم وظهر عليهم . وقوله :
 « مجهولةٌ » أراد مجهولٌ مَنْ فِيهَا ^(١) ولم يرد أَنَّ الْقُبَّةَ نَفْسَهَا مَجْهُولَةٌ .
 والنافلة : الْفَضْلُ . وَالذَّامُ : الْعَيْبُ وَالْعَارُ . يريد أَنَّ مَنْ حَضَرَهَا يَرِجُو أَنَّ
 يَكُونُ لَهُ الظُّهُورُ وَالشَّرْفُ ، وَيَرْهَبُ أَنَّ يُغْلَبَ وَيُظْهَرَ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ
 عَارًا يَبْقَى فِي عَقْبِهِ ، فَهُوَ لِذَلِكَ يَذْبُ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يَدْعُ غَايَةَ مِنَ الْمَفَاخِرَةِ
 إِلَّا قَصْدَهَا . وَشَبَّهَهُمْ بِجِمَالِ غُلَبٍ تَشَدَّرُ بِأَذْنَابِهَا إِذَا تَصَاوَلَتْ وَهَاجَتْ .
 يقال : تَشَدَّرَ الْبَعِيرُ بِذَنْبِهِ ، إِذَا اسْتَشْفَرَ بِهِ ^(٢) وَتَشَدَّرَ الرَّجُلُ بِثُوبِهِ عِنْدَ
 الْقِتَالِ ، إِذَا تَحَزَّمَ وَتَهَيَّأَ لِلْحَرْبِ .

(١) ش : « مجهول منها » ، صوابه في ط .

(٢) استشفر به : أدخله بين فخذه حتى يلزقه ببطنه ، كأنه يسد ثفره به . والشفر ،
 بالفتح والقم : فرج الحيوان . وفي ط : « استشفر به » بالسين ، صوابه في ش .

و(الغُلب) الغِلاظ الأعناق ، الواحد أَعْلَب . و(البَدِيُّ) : وإدِّ تسكنه الجنُّ فيما يزعمون . و (الرِّوَايِي) : الثابتة التي لا تَبْرَح ، والأصل : مجهولة غرباؤها ، فحذف المضاف وأقام الضمير المضاف إليه مقامه فاستتر في الصفة . انتهى .

وما ذهب إليه من أنَّ المراد بكثيرة قُبَّة الملك هو الراجح الصَّحيح ، وهو قول الزَّوزني ، قال : المعنى ربَّ قبةٍ أو دارٍ كُثرت غرباؤها وغاشيتها وجُهلَّت ، لا يَعرف بعضُ الغرباء بعضاً . افتخَرَ بالمنظرة التي جرت بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ في مجلس النُّعمان بن الأسود ملكِ العرب ، ولها قصَّةٌ طويلة .

أقول : قد ذكرتها أنا في ترجمة النُّعمان بن المنذر في الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة ^(١) ، وستأتي ^(٢) في ربَّ أيضاً .

وكذا ذهب إلى هذا أبو الحسن الطُّوسِي (في شرح ديوان لبيد) قال : يعني قُبَّة كانت تُضرب على بابِ الملك يَقعد فيها النَّاسُ حتَّى يُؤذَن لهم . ونوافلها : فضولٌ من شرفٍ وجوائزٍ ومنازلٍ . يُخشَى سِقَاطُ من كلامٍ أو فعلٍ ، يلحقه منه ذامٌ ، أى عيب . أو أنَّهم يرجعون بغير جائزة فيكون ذلك عيباً عليهم .

وفيهما أقوال أُخر :

أحدها : أنَّ المعنى وجماعةٍ كثيرة غرباؤها . وإليه ذهب الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) ، قال : أى ربَّ جماعةٍ كثيرة غرباؤها . ثم حذف الموصوف وأقام الصَّفة مقامه . هذا أصحُّ ما قيل فيه .

(١) صوابه : « الثامن والأربعين بعد المائة » . وانظر الخزانة ٤ : ١١ - ١٢ .

(٢) ط : « وسيأتي » .

ثانيها: أَنَّ المعنى رَبَّ خُطَّةٍ وشَأْنٌ قد جُهِلَ الْقَضَاءُ^(١) فيها وَجْهَاتٌ جِهَاتُهَا .

ثالثها: أَنَّ المعنى رَبَّ حَرْبٍ كثيرة غرباؤها^(٢) ، لِأَنَّ الحَرْبَ مؤنثة . وجعلها كثيرة الغرباء لما يحضرها من أَلْفَابِ النَّاسِ وغيرهم . وجعلها مجهولة لِأَنَّ العَالِمَ بها والجاهل يجهلان عاقبتها . وقوله : « ترجى نوافلها » أى الغنيمة والظفر . و « يُخْشَى ذَامَهَا » أى خلافها .

رابعها: أَنَّ المعنى رَبَّ أَرْضٍ كثيرة غرباؤها ، يريد أَرْضاً يضلُّ بها مَنْ سَلَكَهَا إِذَا جَهِلَ طُرُقَهَا . قال أبو جعفر ، والجواليقي ، والخطيب : وَإِنَّمَا وَقَعَ الاختلاف في ذلك أَنَّهُ أَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَ الموصوف ، فاحتمل هذه المعاني ، إِلَّا أَنَّ الأشبه بما يريد الجماعةُ ، لِأَنَّ بعده :

* أَنْكَرْتُ بِاطْلَافِهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا *

وإقامة الصِّفَةِ مَقَامَ الموصوف في مثل هذا قبيح ، لما يقع به من الإشكال . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قَلْتَ مَرَرْتُ بِجَالِسٍ كَانَ قَبِيحاً ، وَلَوْ قَلْتَ بِظَرِيفٍ كَانَ حَسَناً . وغرباؤها مرفوع بكثيرة^(٣) أى كثرت غرباؤها .

١٥٩

وقوله : (غُلِبَ تَشَدُّرٌ) إلخ هو خبر لمبتدأ محذوف هو ضمير الغرباء ، أى هُمُ غَلِبُ : جمع أَغْلَبَ ، والأُنثَى غَلْبَاءُ . قال الطُّوسِي : غُلِبَ : أُسِدَ غِلَافُ الرِّقَابِ . وقال ابن السِّيد : شَبَّهَهُم بِالْإِبِلِ . وعليهما فهو استعارة تصريحية . وتشَدَّرَ ، أصله تَشَدَّرَ بِالذَّالِ المعجمة . وفيه أقوال : أحدها أَنَّ التَشَدُّرَ رَفْعُ اليَدِ وَوَضْعُهَا ، أى إِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِذَا تَفَاخَرُوا

(١) ش : « الفضا » بالفاء ، تحريف ، والمراد الحكم .

(٢) الكلام بعده إلى « غرباؤها » التالية ساقط من ش .

(٣) في النسختين : « بكثير » ، ووجهه ما أثبت كما هو النص .

وتثالبوا . وإليه ذهب الجاحظ (في كتاب البيان والتبيين) قال : كانت العرب تُخطب بالمخاصر : وتعتمد على الأرض بالقيسي . وتشير بالعصي والقنبي^(١) . وقال لبيد في الإشارة :

غُلب تشدُّرٌ بالدُّحول البيت

وقيل : التشدُّر : الإيعاد ، أي يُوعِد بعضهم بعضاً . وحكى ابن السكيت : تشدَّرت الناقة . إذا شالت بذنبها . وقال الطوسي : التشدُّر من الفحل بالذنب تغضب^(٢) وإيعاد . ومن هنا قال ابن السكيت : شبَّههم بالإبل . وروى : « غلب تشاذر^(٣) » بتقديم المعجمة . وتشاذرهم^(٤) : نظر بعضهم إلى بعض بمؤخر عينه . والدُّحول : جمع دحل ، بفتح الدال المعجمة وسكون الحاء المهملة . وهو الحقد^(٥) . وجملة (كأنها جن) حال من ضمير غلب في تشدُّر . و (البدي) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء من غير همز ، قال أبو عبيد : البادية ، حكاه عنه الطوسي . وكذا قال أبو جعفر : والخطيب . وقال ابن السيد : وادٍ تسكنه الجن . وقال ابن الأنباري : هو وادٍ لبني عامر ، وقيل موضع . وقال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : وادٍ لبني عامر . وقال أبو حاتم عن الأصمعي : وادٍ لبني سعد . وذكره أبو عبيد أحمد بن محمد بن الهروي مهموزاً ، وذلك أنه ذكر حديث ابن المسيب في حريم البئر فقال : البديء البئر التي ابتدئت فحُفرت وليست عادية . قال : والبديء في غير هذا الموضع : بلدٌ تسكنه الجن . فإن كان هذا الذي ذكره الهروي صحيحاً

(١) القنابة : الرمح . والجمع قنوات وقنا وقني على فعول ، وأقناء . والذي في البيان : « القنا » .

(٢) ط : « تقصب » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « تشاذر » ، صوابه في ش وشرح ديوان لبيد ٣١٧ .

(٤) ط : « وتشاذرهم » ، صوابه في ش .

(٥) ط : « هو الحقد » بإسقاط الواو .

فهو موضع آخر ، والله أعلم ، لأنَّ البدئَ المذكور في الشواهد آهلٌ يسكنه الناس ويرعونهُ^(١)

أقول : قول الهروى: والبدئ^(٢) في غير هذا الموضع : بلدٌ ، يريد غير مهموز ، بدليل أنَّ كلامه في المهموز ، وقولُ البكري « آهل يسكنه الناس » يردُّ عليه بيتُ هذه المعلقة .

و (رواسياً) حال من اسم كان ، لأنَّه في المعنى مفعول لأشبهه ، وصرفه للضرورة . و (أقدامها) فاعل رواسي ، جمع قدم .

وقوله : « أنكرتُ باطلها » إلخ هذا جواب رب . قال الزوزنى : باء بكذا : أقربُّ به ، ومنه قولهم في الدعاء : « أبوءُ لك بالنعمة » . يقول : أنكرت باطلَ دعاوى تلك الرجال الغلب ، وأقررت بما كان حقاً منها عندي ، أى في اعتقادي ، ولم تفخرْ على كرامها ، أى ولم يغلبني بالفخر كرامها ، من قولهم : فاخرته ففخرته ، أى غلبته بالفخر . وكان ينبغي أن يقول : ولم تفخرني^(٣) كرامها ، ولكنه ألحق [على^(٤)] حملاً على معنى : ولم تتعال على ولم تتكبر على . قاله الزوزنى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد السبعمئة^(٥) :

٧٨٩ (نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجِ)

(١) بعده في معجم ما استمع : « على ما نطقت به أشعارهم التي أنشدناها » .

(٢) والبدئ ، ساقطة من ش .

(٣) ش : « يفخرني » . وفخره يفخره بضم الخاء في المضارع ، من باب نصر : كان أفخر منه وأكرم أباً وأماً .

(٤) التكلة من ش والزوزنى .

(٥) أدب الكاتب ٤١٨ والانتصاب ٢٦٥ ، ٤٥٨ والإنصاف ٢٨٤ والضرائر ٦٣

ورصف المباني ١٤٣ والغنى ١٠٨ وشرح شواهد السيوطى ١١٤ ومعجم البلدان (الفلج) وديوان الجعدى ٢١٦ .

على أن (الباء الثانية) زائدة في المفعول به سماعاً .

قال ابن عصفور (في الضرائر) : وزيادة الباء هنا ضرورة . قال ابن السِّيد (في شرح أدب الكاتب) : إنما عدت الرجاء بالباء لأنه بمعنى الطَّمَع ، والطَّمَعُ يتعدى بالباء . كقولك : طَمِعْتُ بكذا . قال الشاعر ^(١) :

١٦٠

طَمِعْتُ بليلى أن تجودَ ، وإنما

تقطع أعناق الرجال المطامع ^(٢) [اه ^(٣)]

وقال (في شرح أبياته) : وزاد يعقوبُ قبله :

• نحنُ بني جَعْدَةَ أربابُ الفلجِ •

ونحن مبتدأ وأربابُ خبره ، وبني جعدة منصوبٌ على الاختصاص . وروى بالرفع أيضاً . والفلجُ . بفتح الفاء واللام . قال أبو عبيد ^(٤) (في معجم ما استعجم) : موضعُ لبني قيس ، وهو في أعلى بلاد قيس . قال الراجز :

نحنُ بنو جَعْدَةَ أربابُ الفلجِ نضربُ بالبيضِ ونرجوُ بالفَرَجِ
وأصله النَّهْرُ الصَّغِيرُ . انتهى .

والبييضُ ، بالكسر : السُّيُوفُ ، أي نقاتلُ بالسيوفِ . وقال ياقوت (في معجم البلدان) : مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير ابني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما أنَّ حَجْرًا مدينة بني ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان . قال الجعدى :

(١) هو البيث ، كما في اللسان (ربيع ٤٩٨) ، ولم ينسب في الاقتضاب .

(٢) في الاقتضاب : « أن تريع » ، وفي اللسان : « أن تريع وإنما تضرب » . وراع ربيع :

عاد ورجع .

(٣) التكلة من ش .

(٤) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ . ط : « أبو عبيدة » ،

صوابه في ش مع أثر تصحيح .

نحن بنو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجِ

نحن منعنا سُبُلَهُ حَتَّى اعْتَلَجَ (١)

والفَلَجِ في اللغة : الماء الجارى ، ويقال عينُ فَلَجٍ وماءُ فَلَجٍ . قال أبو عبيد : الفَلَجُ : النَّهْرُ . انتهى .

وقال ابن السِّيد : الفَلَجُ الجارى من العين . والفَلَجُ البئر الكبيرة ، عن ابن كناسه . وماءُ فَلَجٍ : جارٍ ، قال عبيد :

أَوْ فَلَجٍ ماءٍ ببطن وادٍ للماء من تحته قَسِيبٌ (٢) انتهى

وتوهم الدماميني (في شرح المعنى) أن الفَلَجَ هنا بمعنى الظَّفَرِ . قال : والظاهر أن المراد بالفَلَجِ الظَّفَرُ والفَوْزُ ، لكن لم يحلِّ صاحبُ الصحاح غير سكون اللام ، فيحتمل أن يكون الشاعر فتحها اتباعاً لفتحها الفاء للضرورة . هذا كلامه ، وتبعه الحلبيُّ (في شرحه) ونقل كلامه ، وزاد عليه بأنَّ صنيع صاحبِ القاموس أيضاً يقتضى سكون اللام . وتبعه شيخنا الشهاب الخفاجي أيضاً (في شرح درة الغواص) ، وتعقبه بأن فتح اللام لغة أصلية فيه ، وتوقفه من عدم الاطلاع . ثم نقل (من شرح مقامات الزمخشري له) ما يؤيد كونه بالفتح .

والمشهور : « نحن بنو ضَبَّة » ، وهو من تغيير النَّسَاخ ، والذي فيه « ضَبَّة » قافية لامية ، وهو :

* نحن بنو ضَبَّة أصحابُ الجمَلِ *

وآخره :

* رُدُّوا علينا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلُوا *

(١) ط : « نحن منعناه » ، صوابه في ش ومعجم ما استعجم .

(٢) القسيب : خريز الماء وصوته تحت ورق أو قاش . وفي النسختين : « قشيب » ، صوابه

في معجم ، ما استعجم والديوان ١٢ واللسان (فلاج ، قسب) .

وهذا من أبياتِ المفصَّل ، وهو مما قيل في يومِ الجمل ، وهو مذكورٌ في الحماسة وغيرها ، وقائله معلومٌ مذكورٌ^(١) .

وقوله : « نحن منغنا سُبُلُه » هو جمع سَبِيل ، وهو الطَّرِيق . واعتلجت الأَرْضُ : طال نباتُها .

وهذا الرِّجْز لم ينسبه أحدٌ إلى قائله . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد السبعائة^(٢) :

٧٩٠ (ولكنَّ أجراً لو فعلتِ بهيِّن

وهلَّ يُنكرُ المعروفُ في النَّاسِ والأجرُ^(٣))

على أنَّ الباءَ تُزاد سماعاً بقلَّة في خبرٍ لكنَّ .

قال ابن جنى (في سرِّ الصناعة) : وقد زيدت في خبرٍ لكنَّ لشبهه بالفاعل . وأنشد البيت وقال : أراد ولكنَّ أجراً لو فعلته هيِّنٌ . وقد يجوز فيه أن يكون معناه : ولكنَّ أجراً لو فعلته بشيءٍ هيِّن ، أى أنتِ تصلين إلى الأجر بالشئِ الهيِّن ، كقولك : وجوبُ الشُّكر بالبرِ الهيِّن . فتكون الباءُ على هذا غيرَ زائدة . انتهى .

١٦١

وأفاد في تفسيره^(٤) أنَّ الخطابَ لمؤنَّث . ولم أقف على تتمته ، ولا على قائله . والله أعلم .

(١) ومن عجب ألا يذكره ، وربما كان هذا للخلاف فيه ، فهو الحارث الضبي ، أو الأعرج المعنى ، أو عمرو بن يثرب . وانظر معجم الشواهد .

(٢) سر الصناعة ١ : ١٥٧ ، وابن يعيش ٨ : ١٣٩ والبيهي ٢ : ١٣٤ والتصريح ١ : ٢٠٢ والمص ١ : ١٢٧ والأشمنوني ١ : ٢٥٢ واللسان (كنى ٩١) .

(٣) في اللسان : « وهل يعرف المعروف » .

(٤) ط : « تقريره » ، وأثبت ما في ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الواحد والتسعون بعد السبعِمائة^(١) :

٧٩١ (أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ

بِأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ تَمَلِكٍ بَيَّقَرَا)

على أَنَّ (الباء) قد تزداد بقلة «مع أَنَّ» الواقعة مع معموليها في تأويل مصدرٍ مرفوع على أَنَّهُ فاعل أَتَاهَا .

وقال ابن السيرافي (في شرح أبيات الغريب) : فاعل أَتَاهَا يجوز أن يكون مضمراً دلَّ عليه معنى الكلام ، كأنَّهُ قال : هل أَتَاهَا الخَبِر . ولكثرة استعمال الخبر أضمِر ، ويكون «بِأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ» في موضع نصب . هذا كلامه .

ولا مفهوم لقوله مع أَنَّ ، فكان ينبغي أن يقول وتزداد بقلة في الفاعل في غير ما ذكر قياساً . وهذا عند ابن عُصفور وغيره ضرورة .

ومن زيادتها في الفاعل ضرورة بدون أَنَّ قوله :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنمِي بِمَالَقَتِ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ^(٢)

فالباء في بما زائدة ، وما فاعل يَأْتِيكَ . وقال ابن الضائع : الباء متعلِّقة بتَنمِي ، وإنَّ فاعل يَأْتِي مضمِر ، والمسألة من التنازع . ومن ذلك :

مَهْمَا لِي اللَّيْلَةَ مَهْمَا لِيَّهْ أَوْدَى بِنَعْلِيَّ وَسِرْبَالِيَّهْ^(٣)

(١) شرح القصائد السبع ٥٩٤ والأغاني ٨ : ٦١ والخصائص ١ : ٢٣٥ والمنصف ١ : ٨٤ والإنصاف ١٧١ وابن يعيش ٨ : ٢٣ ، ٢٤ والضرائر ٦٣ ، واللسان (بقر) وديوان امرئ القيس ٣٩٢ .

(٢) لقيس بن زهير ، وهو من شواهد الخزائن ٨ : ٣٦١ .

(٣) لعمرو بن ماقط ، وهو من شواهد الخزائن ٩ : ١٨ .

التقدير : أودى نعلای . وقال ابن الحاجب : الباء للتعدية .
وتقدّم شرحهما مفصلاً .

ومن ذلك قول النمر بن تولب :

ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ وَهَانَ بِسُخْطِهِ

شيئاً على مربوعها وعذارها^(١)

التقدير : هان سُخْطُهُ . قال ابن عصفور : وبالجملة لا تنقاس
زيادة الباء في سعة الكلام إلا في خبر ما ، وخبر ليس ، وفاعل كنى
ومفعوله ، وفاعل أَفْعَلُ بمعنى ما أَفْعَلَهُ . وما عدا هذه المواضع لا تُزاد
فيه الباء إلا في ضرورة شعرٍ أو شاذٌّ من الكلام يُحْفَظُ ولا يُقاس عليه .
انتهى .

ولقد أجاد ابن هشام (في المغنى) في تحرير زيادة الباء .

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، قالها بعد أن ذهب إلى
الرُّوم مستنجداً بقيصر للأخذ بشار أبيه . وأولها :

(سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيِي فَعَرَعَرَا)

إلى أن قال :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ البيت

قوله : « سَمَا لَكَ » إلخ سما : علا وارتفع . وأقصر : كَفَّ . وَحَلَّتْ :

نزلت . وبطن ظبى : موضع ، ويقال ماء من مياه كلب . وعَرَعَرَ : وادٍ .

(١) ديوان النمر بن تولب ٦٤ والميسر والقذاح لابن قتيبة ٥٧ ، ١١٨ والضرائر ٦٣ ،

والمربوع والذمار : قدحان من ذوات الحظوظ .

وقوله : (أَلَا هَلْ أَتَاهَا) الضمير لحبيبتة . وقوله (والحوادثُ جَمَّةٌ) أى كثيرة، جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله . وأوردهُ الزمخشريُّ عند قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ^(١) ﴾ على أنها جملة اعتراضية كقول امرئ القيس : « والحوادثُ جَمَّةٌ » . وفائدة الاعتراض الإخبارُ بأنَّ هجرته عن بلاده حادثةٌ من الحوادث . والعرب تتمدَّح بالإقامة في البَدْوِ ، قال أبو العلاء :

وَيُوقِلُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ لَا يَخْضُرُونَ وَفَقْدُ الْعَزِّ فِي الْحَضَرِ ^(٢)

قال أبو عبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) : بيقر الرجل بيقرة ، إذا هاجر من أرض إلى أرض . وأنشد هذا البيت .

١٦٢

وقال الجوهري : بيقر الرجل : أقام بالحضر وترك قومه بالبادية . وأنشد هذا البيت .

وقال ابن دريد : بيقر الرجل ، إذا خرج من الشام إلى العراق . ولم يذكر ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) غير هذا . وأنشد له البيت ، والواقع يخالفه .

(وتملك) بفتح المثناة الفوقية : اسم امرأة ، لا ينصرف . قال شارحُ ديوانه : تملك : بعضُ أمهاته . قال صاحب الأغانى : أمُّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة ، أخت كليبٍ ومهللِ ابْنَيْ ربيعة . وأمُّ امرئ القيس ابن السُّمَطِ اسمها تملك [بنت عمرو بن ربيعة بن زبيد بن مدحج ، رهط عمرو بن معد يكرب . وقد ذكر ذلك امرؤ القيس فقال :

تملك والدة
امرئ القيس

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء .

(٢) شروح سقط الزند ١٤٢ .

* بَأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ تَمَلِّكَ^(١) [بَيْقَرًا *] انتهى .

ومثله (في مختصر الجهمرة) لياقوت وغيره قالوا : ومن بنى امرئ القيس بن عمرو بن معاوية السَّمَط ، وأُمُّه تملك بنت عمرو ، من مذحج ، هم التَّمَلِّكِيُّونَ ، بها يعرفون . وامرؤ القيس بن السَّمَط بن امرئ القيس بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الأكبر الذي يقول فيه امرؤ القيس بن حجر :

* بَأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ تَمَلِّكَ بَيْقَرًا *

نسبه إلى جدته تملك . انتهى .

وكذا قال العسكري (في كتاب التصحيف) عند ما ذكر المسمين بامرئ القيس . وهذا خلاف ما ذكره شُرَّاحُ شعره^(٢) من أَنَّهُ أَرَادَ نَفْسَهُ . وهو الأَغْلَبُ عَلَى الظَّنِّ .

فمنهم من قال : أُمُّه تملك ، ومنهم من قال : جدته . ويحتمل أن تكون جدته من قبل أُمِّه أو أُمِّهَاتِهَا . والله أعلم .

وقد ذكرنا أبياتاً كثيرةً من هذه القصيدة ، وذكرنا أيضاً طرفاً من حال امرئ القيس في الشاهد السابع والستين بعد السبعمائة^(٣) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد السبعمائة^(٤) :

٧٩٢ (فَأَصْبَحْنَا لَا يَسْأَلُنَهُ عَنْ بِمَا بِهِ أَصَعَدَ فِي عُلُوِّ الْهَوَىٰ أَمْ تَصَوَّبًا)
على أَنَّهُ^(٥) من الغريبِ زيادة الباء في المجرور ، فإنها زيدت مع ما المجرورة بَعْنُ .

(١) التكلة من ش .

(٢) ط : « شارح شعره » ، صوابه في ش .

(٣) الخزانة ٨ : ٥٤٥ - ٥٥١ .

(٤) معاني القرآن ٣ : ٢٢١ وسر الصناعة ١ : ١٥٣ والضرائر ٧٠ ، ٣٠٣ والمغني ٣٥٤

والتصريح ٢ : ١٣٠ والأشونى ٣ : ٨٣ .

(٥) ط : « أن » .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وأما قول الشاعر :

* فأصبحنَ لا يسألنَه عن بما به *

فإنه أراد الباء ، وفصلَ بها بين عن وما جرته . وهذا من غريب مواضعها . انتهى .

وقال الفراء (فى آخر تفسير سورة الإنسان) : قرأ عبد الله : ﴿ وللظالمين أعدّ لهم ^(١) ﴾ فكرر اللام فى الظالمين وفى لهم . وربما فعلت العربُ ذلك . أنشدنى بعضهم :

فأصبحنَ لا يسألنَه عن بما به أصعد فى علو الهوى أم تصوبا
فكرر الباء مرتين . ولو قال : لا يسألنَه عما به لكان أبين وأجود ،
ولكن الشاعر ربما زاد أو نقص ليكمل الشعر . انتهى .

وعده ابن عصفور كالفراء من ضرائر الشعر ، قال : ومنها إدخال الحرف على جهة التأكيد ، لاتفاقهما فى اللفظ والمعنى ، أو فى المعنى لا فى اللفظ ، نحو قول بعض بني أسد :

فلا والله لا يلقى لما بى ولا ليما بهم أبدا دواء ^(٢)

فزاد على لام الجر لآما أخرى للتأكيد . ونحوه قول الآخر ، وأنشده الفراء :

فلئن قوم أصابوا عزة وأصبننا من زمان رنقا ^(٣)
للقذ كنا لدى أزماننا لصنيعين لبأس وتقى

(١) الآية ٣١ من سورة الإنسان .

(٢) لمسلم بن معبد الوالى . وانظر معجم شواهد العربية .

(٣) معالى الفراء ٢ : ٦٧ والصاحبى ٢٦ والضرائر ٧٠ والممع ١ : ١٤٠ .

فزاد على لام لقد لأمًا أخرى للتأكيد . ونحوه قول الآخر :
فأصبحن لا يسألنه عن بما به البيت

١٦٣ فأدخل عن على الباء تأكيداً ، لأنهم يقولون : سألت عنه ، وسألت به . والمعنى واحد . انتهى .

وصعد في الجبل بالثقل ، إذا علاه . وصعد في الجبل ، من باب تعب ، لغة قليلة . وصعد في الوادي تصعيداً ، إذا انحدر . والهواء^(١) : ما بين السماء والأرض . والتصوب : النزول . كذا في المصباح .
وهذا البيت لم أقف على قائله ولا تتمته . والله أعلم .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد السبعائة^(٢) :

(لِدُوا لِمَوْتِ وَاِبْنُوا لِلخَرَابِ)

٧٩٣

على أن اللام في قوله (للموت) تسمى لام العاقبة ، وهي فرع لام الاختصاص .

أقول : تسميتها بلام العاقبة وبلاد الصيرورة هو قول الكوفييين ، ومثله بقوله تعالى : ﴿ فَالتَّقَطُّهٗ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾^(٣) ،
وبقول الشاعر :

فللموت تغزو الوالداتُ سِخَالَهَا

كما لخرابِ الدُّورِ تُبْنِي المَسَاكِنَ^(٤)

(١) ش : « والهوى » .

(٢) الحيوان ٣ : ٥١ والأغاني ٣ : ١٥٥ والمهم ٢ : ٣٢ والتصريح ٢ : ١٢ ومحاضرات

الراغب ٢ : ٢٢٤ وديوان أبي نواس ٢٠٠ وأبي العتاهية ٣٣ .

(٣) الآية ٨ من سورة القصص .

(٤) لسابق البربري كما سيأتي ، وانظر المقدم ٢ : ٦٩ .

وبقول الآخر :

فإن يكن الموتُ أفنَاهُمُ فـللموت ما تـلـدُ الوالـده^(١)

وقال ابن هشام (في المغنى) : وأنكر البصريون ومن تبعهم لامَ العاقبة . قال الزمخشري : والتحقيق أنها لام العلة ، وأنَّ التعليل فيها وارِدٌ على طريق المجاز دون الحقيقة . وبيانه : أنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ، بل المحبة والتبني . غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ، شبه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله ، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل ، كما استعير الأسد لمن يشبه الأسد . انتهى .

وفهم منه أن اللام في هذه الأبيات للتعليل . وجعلها من فروع الاختصاص أولى ، لأنَّ التعليل أيضاً من فروع الاختصاص .

وهذا المصراعُ من أبياتِ (في الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، وهي :

صاحب الشاهد

(عَجِبْتُ لـجـازِ عِـبـابِ مِصـابِ
شـقِيقِ الجِيبِ دَاعِيِ الوَيْلِ جِهـلاً
بِأهـلِ أَوْ حَبِيبِ ذِي اكْتِسابِ
كأنَّ الموتَ كَالشَيْءِ العُجـابِ^(٢)
وَسِوَى اللَّهِ فِيهِ الخَلْقَ حَتَّى
نَبِيَّ اللَّهِ عَنهُ لَمْ يُحَـابِ
لَهُ مَلِكٌ ينادي كُلَّ يَوْمٍ :
لِدُوا لـلـموتِ وابـنوا للخـرابِ

أبيات الشاهد

(١) سياتى الكلام على نسبه . وقد تمثل بعجزه زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب ابن أبي بكر بن كلاب ، عند يزيد بن معاوية ، كما جاء في عجز بيت لعبيد بن الأبرص في أمالي القالي ٣ : ١٩٥ . وعجز بيت آخر لملك بن عمرو العامل في اللسان (لوم ٣٨) . وانظر العقد ٢ : ٦٩ وجمهرة ابن حزم ٢٨٣ وما سياتى .

(٢) شقيق الجيب : مشقوقة ، حزناً على من فجع به . وجيب القميص ونحوه : ما يدخل فيه الرأس عند لبسه .

قال شارح ديوانه حسين الميبدى^(١): المصاب : مَنْ أصابته مُصيبة .
والاكتئاب : الحزن . فَإِنَّ قَلت : الكاف مغنية عن كَأَنَّ ؟ قلت :
قال التفتازانى (فى المطول) : إِنَّ كَأَنَّ تُستعمل فى مقام يَظُنُّ بثبوت
الخير دون التَّشبيه . ولام « للموت » لام العاقبة ، وهى فرع لام الاختصاص .
انتهى .

وحتى ابتدائية ، ونبيَّ الله مفعول مقدَّم ليحباب^(٢) بمعنى يَخَصُّ ،
كما تقدَّم مجيئه بهذا المعنى فى شعر زهير^(٣) .

ورأيت (فى الفصول القصار من نهج البلاغة) لسيدنا على رضى الله
عنه : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا ينادى فى كلِّ يوم : لُدُّو للموت ، واجمعوا للفناء ،
وابنوا للخراب » .

ورأيت أيضاً (فى جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب) :
قد رُوى أَنَّ بعض الملائكة قال :

لُدُّو للموت وابنوا للخرابِ فكلُّكم يصير إلى ذهابِ

١٦٤

والبيت الثانى هو من أبيات معنى اللبيب ، ولم يعرفه شراحه ، وهو
لسابق البربرى .

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : وفد عبد العزيز بن زُرارة
سيدُّ أهل الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيد بن معاوية إلى الصَّائفة
فهلك هناك ، فكتب به يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية لأبيه زُرارة : أتانى

(١) فى النسختين : « الميبدى » . وانظر ما سبق من تحقيق اسمه ونسبه فى الخزانة ٦ : ٦٤ .

(٢) جاء هنا بلفظ المجزوم على الحكاية لما فى البيت الثالث .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٥٠٦ من الشاهد ٧٨٦ .

اليوم نَعَى سَيِّدُ شَبَابِ الْعَرَبِ ! فقال زرارَة : يا سَيِّدِي هو ابْنِي أو ابْنُكَ؟
قال : بل ابْنُكَ . قال : «للموت ما تلد الوالدة» . أَخَذَهُ سَابِقُ الْبَرْبَرِيِّ فقال :
* وَلِلْمَوْتِ تَغْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا * البيت

و(تغذو) بمجمعتين ، من الغِذاء بالكسر والمدّ : مابِه نَمَاءُ الْجِسْمِ وَقِوَامُهُ .
وغذوت الصبى بالطعام واللبن فاغذى به . وأما الغِذاء بالفتح وإهمال
الدال فطعام العُدوة ، وهو خلاف العِشاء . والسِّخَال بالكسر : جمع سَخْلَة ،
وهي وَلَدُ الشاة من الضَّانِّ والمعز ، ذَكَرًا كان أو أنثى . وفيه إقامة
الظاهر مقام الضمير ، إِلَّا أَنَّهُ بِالْفِظِ الْمُرَادِفِ ، إِذْ أَصْلُ الْكَلَامِ كَمَا
تَبَنَّى الْمَسَاكِنُ لِحَرَابِهَا .

وكذا نسبه إلى سابق البربري (صاحب كتاب التفسُّح في اللغة^(١)) ،
وقال بعد أن أورده : إِنَّمَا ابْتَنَوْا دُورَهُمَ لِلْعُمَرَانِ ، وَغَذَوْا أَوْلَادَهُمَ لِلْبِقَاءِ
لَا لِلْفَنَاءِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْمَصِيرَ إِلَى الْمَوْتِ وَالْحَرَابِ تَرَكَوا الشَّيْءَ الَّذِي
غَذَوْا لَهُ أَوْلَادَهُمْ وَابْتَنَوْا دُورَهُمْ ، وَأَخْبَرُوا بِمَصِيرِهِمْ لِذَلِكَ ، اعْتِبَارًا كَمَا
قال تعالى : ﴿ فَالتَّقْطِئَةُ آئُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾^(٢) ، وَإِنَّمَا
التَّقْطِئَةُ لِيَكُونَ لَهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ أَمْرَهُ بِتَصْيِيرِهِ
إِلَى ذَلِكَ^(٣) . فهذا على الإخبار بالصيرورة . انتهى .

وسابق البربري هو أبو سعيد سابق بن عبد الله . له أشعارٌ حسنة في
الزُّهد . وهو من موالى بني أمية . سكن الرِّقَّةَ ، ووفد على عمر بن

سابق البربري

(١) لأبي الحسين النحوى ، كما سبق في الخزانة ١ : ٢٦ . ويبدو أنه من كتب المجاز اللغوى ،
كما يبدو من نصوصه المقتبسة .

(٢) الآية ٨ من سورة القصص .

(٣) هو مطاوع صيره تصيرا .

عبد العزيز ، وله معه حكايات لطيفة . روى عنه مكحول ، وموسى ابن أعين ، والمعافى بن عمران وغيرهم .

والبربري : نسبة إلى البربر ، وهي بلاد كثيرة في المغرب . قال ابن الأثير (في الأنساب) : ليس سابق منسوباً إلى البربر ، وإنما هو لقب له . والبيت الثالث هو من أبيات مغنى اللبيب أيضاً . ولم يعرفه شراحه أيضاً .

وهو من أبيات أوردها ابن الأعرابي (في نوادره) لنهيكه بن الحارث صاحب الشاهد المازني ، من مازن فزارة ، وهي :

أبيات الشاهد	(لا يُبْعِدُ اللهُ رَبُّ الْعِبَادِ هَمُّ الْمُطْعَمِ الضَّيْفِ شَحْمَ السَّنَا هُمْ يَكْسِرُونَ صُدُورَ الرِّمَاهِ يَذَكِّرُنِي حُسْنُ آلَانِهِمْ فَإِنْ يَكُنِ الْقَتْلُ أَفْنَاهُمْ	والملح ما ولدت خالده ^(١) م والقاتلو الليلة الباردة ح في الخيل تطرد أو طارده تفجع ثكلانة فاقده فللموت ما تلد الوالده
--------------	--	--

انتهى :

ونسبه المفضل بن سلمة (في كتاب الفاخر) لشتيم بن خويلد الفزاري . قال : والملح هنا : البركة . يقال : اللهم لا تُبارِكْ فيه ولا تَمْلَحْه . وكلاهما جاهليان .

(١) ونسب الشعر في الحيوان ٤ : ٤٧٢ إلى شتيم بن خويلد الفزاري ، وكذا في اللسان (لوم ٣٨) والفاخر للمفضل ١٠١ . ونسبه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ إلى ابن الزبير . ونسب في مقطعات مراث ص ١٠٦ إلى الحارث بن عمرو الفزاري . والأبيات بدون نسبة في الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ . والأول منها في الكامل ٢٨٤ بدون نسبة أيضاً . وكلمة « الملح » في البيت تضبط بالرفع عطفاً على لفظ الجلالة ، وبالجر عطفاً على الجاد أو يجعل الواو واو القسم .

قال أبو الوليد الوقشي (فيما كتبه على كامل المبرد على هذا البيت) :
خالدة هي بنت أرقم ، أم كَرْدَم وكُرَيْدِم ابني شُعْبَةَ الفزاريين . وكَرْدَم
هو الذي طعن دريد بن الصمة يوم قُتِل أخوه عبد الله . وهذا المصراع
وقع في شعر عبيد بن الأبرص الجاهلي أيضاً ، لما قتله المنذر بن ماء
السماء ، قال له بعض الحاضرين ما أشدَّ جزعك للموت ! فقال :

١٦٥

وهل غير ما ميتةٍ واحده	(لا غَرَوَ من عيشةٍ نافده
بأنَّ النايَا هي الرَّاصِده	فأبْلَغُ بنىِّ وأعمامهمُ
إليها ، وإن كَرِهت ، قاصده	لها مُدَّةٌ فنفوسُ العبادِ
فللموت ما تلدُ الوالده)	فلا تَجْزَعُوا لِحمامِ دنا

ووقع في شعر سهاك بن عمرو الباهلي أيضاً ، وهو أول من قال :
« لا أطلب أثراً بعدَ عَيْنِ » ، وهو جاهليٌّ أيضاً . قال لما خيّر بين
أن يُقتل هو أو أخوه مالك ، فقتلوه دون أخيه ، من أبيات :

لكنتُ لهم حيةً راصده	فأقسم لو قتَلُوا مالِكًا
ويوماً على طُرُقٍ وارده	برأسِ سبيلٍ على مَرَقِبِ
فللموت ما تلدُ الوالده	فأمَّ سهاك فلا تجزعي

وأنشد بعده :

(فَلَا واللهِ لا يُلْفَى لما بي ولا لي لما بهم أبداً دواءً)

وتقدّم شرحه في الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة في باب المنادى ^(١) .

* * *

وأُشَدُّ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الرَّابِعُ وَالتَّسْعُونَ بَعْدَ السَّبْعِمِائَةِ ^(١) :

٧٩٤ (رُبَّ هَيْضَلٍ لَجِبَ لِفَتْهُ بِهَيْضَلٍ)

عَلَى أَنَّ (رُبَّ) فِيهِ لِلتَّكْثِيرِ . أَيْ كَثِيرًا مَا لِفَتْهُ هَيْضَلًا بِهَيْضَلٍ .

وَرُبَّ عَلَى اخْتِيَارِ الشَّارِحِ اسْمٌ وَمَحَلُّهَا رَفْعٌ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَالْمَوْجِبُ لِبِنَائِهَا تَضَمُّنُهَا مَعْنَى الْإِنِّشَاءِ الَّذِي حَقُّهُ أَنْ يُؤَدَّى بِالْحَرْفِ ، كَالِاسْتِفْهَامِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ . وَرُبَّ هُنَا مَخْفَفَةٌ مَفْتُوحَةٌ الْبَاءِ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ (فِي كِتَابِ الشُّعْرِ) : الْحُرُوفُ عَلَى ضَرْبَيْنِ : حَرْفٌ فِيهِ تَضْعِيفٌ ، وَحَرْفٌ لَا تَضْعِيفَ فِيهِ . فَالْأَوَّلُ قَدْ يَخْفَفُ بِالْحَذْفِ مِنْهُ كَمَا فُعِلَ ذَلِكَ فِي الْاسْمِ وَالْفِعْلِ بِالْحَذْفِ وَالْقَلْبِ ، وَذَلِكَ نَحْوُ : إِنْ ، وَأَنْ ، وَلَكِنْ ، وَرُبَّ . وَالْقِيَاسُ إِذَا حُذِفَ الْمَدَّغَمُ فِيهِ أَنْ يَبْقَى الْمَدَّغَمُ عَلَى السُّكُونِ . وَقَدْ جَاءَ :

(أَزْهَيْرُ إِنْ يَشِبُّ الْقِدَالُ فَإِنَّهُ رُبَّ هَيْضَلٍ لَجِبَ لِفَتْهُ بِهَيْضَلٍ)

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْآخِرُ مِنْهُ حَرَكٌ لَمَّا لَحِقَهُ الْحَذْفُ وَالتَّأْنِيثُ ، فَأَشْبَهَ بِهِمَا الْأَسْمَاءُ ، كَمَا حَرَكَ الْآخِرُ مِنْ ضَرَبَ ^(٢) . انْتَهَى الْمُرَادُ مِنْهُ .

وَرَوَاهُ ابْنُ جَنِيٍّ (فِي الْمَحْتَسَبِ) بِسُكُونِ الْبَاءِ . أَنْشَدَ الْبَيْتَ وَقَالَ :
أَرَادَ رَبَّ فَحُذِفَ إِحْدَى الْبَاءَيْنِ وَبَقِيَ ^(٣) الثَّانِيَةُ مَجْزُومَةٌ ، كَمَا كَانَتْ قَبْلَ الْحَذْفِ .

وَرَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ (فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ) بِالْوَجْهِينِ . أَنْشَدَ الْبَيْتَ

(١) المحتسب ٢ : ٣٤٣ والتصنيف ٣٦٤ والأزهية ٢٧٤ وابن السجري ٢ : ٤٤ ، ٣٠٢ والإنصاف ٢٨٥ وابن يعيش ٥ : ١١٩ / ٨ : ٣١ والمقرب ١ : ٢٠٠ وروصف المبانى ٥٢ ، ١٩٢ وديوان المهذليين ٢ : ٨٩ وشرح السكري ١٠٧٠

(٢) يعني الأفعال الماضية المنبئية على الفتح .

(٣) ش : « وأبى » ، وما أثبت من ط يوافق ما في المحتسب . والمراد بالجزم إسكان الباء .

وقال : رَبٌّ فيه خفيفة . ورواه بعضهم : « رَبٌّ هِيضِلٌ » بتسكين الباء ، وأنشد :

أَلَا رَبُّ ناصِرٍ لك من لؤيٍّ كسريمٍ لو تنساديه أجابا

وتقول العرب : رَبٌّ بالتشديد ، وَرُبٌّ بالتخفيف ، وَرُبٌّ رجلٍ فيسكنون الباء ، ثم يقولون : رَبَّيتَ رجلٍ وَرُبَّيتَ رجلٍ ، وَرَبٌّ رجلٍ فيفتحون الراء ويشددون ، وَرَبِّمًا رجلٍ مشدد ومخفف ، وَرَبِّتَمًا فيفتحون . حكي ذلك قطرب . انتهى .

١٦٦

وبهذا النقل يُردُّ على أبي عليٍّ وعلي ابن يعيش في قوله تبعاً له : إنَّهم قالوا رَبٌّ بضم الراء وفتح الباء خفيفة ، ويحتمل ذلك وجوهاً :

أحدها : أنَّهم حذفوا إحدى الباءين تخفيفاً ، كراهيةً للتضعيف ، وكان القياس أن يسكن آخرها ، لأنَّه لم يلتق فيها ساكنان ، كما فعلوا بإنَّ ونظائرها حين خففوها ، إلا أنَّ المسموع رَبٌّ بالفتح ، نحو قوله :

* رَبٌّ هِيضِلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهِيْضِلٍ *

كأنَّهم أبقوا الفتح مع التخفيف دلالةً على أنَّها كانت مثقلة مفتوحة .

ويمكن أن يكون إنَّما فتح باء رَبٍّ لأنَّه لَمَّا لحقه الحذف وتاء التانيث أشبهت الأفعال الماضية ففتحت .

وقيل إنَّهم لما استثقلوا التضعيف حذفوا الحرف الساكن .

وقد قالوا رَبٌّ بالتخفيف وسكون الباء على القياس ، حذفوا المتحرِّك ، لأنَّه أبلغ في التخفيف . انتهى .

وقد نقض أوَّلَ كلامه بآخِره .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لأبي كبير الهذلي ، وأولها :

أبيات الشاهد

(أزْهَيْرَ هل عن شَيْبَةٍ من مَعْدِلٍ أم لا سبيلَ إلى الشَّبَابِ الأوَّلِ
 أم لا سبيلَ إلى الشَّبَابِ وذِكرُهُ أشهى إلى من الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
 ذهبَ الشَّبَابُ وفاتَ منِّي ما مضى ونصًّا ، زُهَيْرَ ، كَرِهَتِي وتَبَطُّلِي^(١)
 وصحوتُ عن ذكرِ الغواني وانتهى عُمُرِي وأنكرني الغداةَ تَقْتُلِي
 أَزْهَيْرَ إنَّ يَشِبَ القَدَالُ فَإِنَّهُ رَبَّ هِيضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهِيْضَلِ
 فلففتُ بينهمُ لغيرِ هَوَادَةٍ إِلَّا لِسْفِكِ للدماءِ محلِّلِ)

وقوله: « أزهير » إلخ الهمزة للنداء . وزهير: مرخم زهيرة ، وهي ابنته . قال السكري ، وكذا قال أبو سعيد: ومنهم من يقول امرأة ، ومنهم من يقول: رجل . أقول : يردُّ الأخيرين قوله في الرائية كما يأتي . والمَعْدِلُ : العُدول . والرَّحِيقُ : الخمر . والسَّلْسَلُ : العذب يتسلسلُ في الحلق تسلسلاً . ونصًّا ، بالنون والضاد المعجمة ، بمعنى انسلخَ ومضى . وزُهَيْرٌ منادى مرخم . وكريهته : شدته على الكريهة والحرب . وتبطله : أخذه في الباطل .

والغواني : جمع غانية ، وهي المرأة التي غنيت بحُسنها عن الزينة . والتَقَتُّلُ بالقاف : التلئين والتكسر والتثنى .

وقوله : (أزهير إنَّ يَشِبُ) إلخ هذا أيضاً منادى مرخم . (والقَدَالُ) : ما بين النقرة وأعلى الأذن ، وهو أبطأ الرأس شيئاً . و (الهيضل) ، بفتح الهاء والضاد المعجمة : الجماعة . وقوله : (لفتت بهيضل) يريد : جمعت بينهم في القتال . و (اللّجِب) بفتح اللام وكسر الجيم ، في

(١) رسمت « نصاً » هنا وفي الشرح التالي بالياء ، ووجهه ما أثبت ، فإِن الفعل واوى .

الصحاح : وجيشٌ لجب : عرمرم ، أى ذو جَلْبَةٍ وكثرة . واللَّجَبُ ، بفتح الجيم : الصَّوْتُ والجَلْبَةُ . وروى بدله : (مَرِيْسُ) بكسر الراء ، أى شديد .

وقوله : « فلففت بينهم » إلخ قال السكرى : يقول : إنما لفتُ بينهم ليقمتلوا ، لا لهوادة ولا لصداقة ، وهو قوله « إِلَّا لَسَفَكٍ لِلدَّمَاءِ مُحَلَّلٌ » أى محلَّلُ النَّذْرِ إذا بَلَغَهُ . ومحلَّلٌ : ممَّا يُسْتَحَلَّ . (والهوَادة) : الصُّلْحُ ، وأصله من اللَّيْنِ . يقال : هَوَّدَ فى السَّيْرِ ، إذا لَيَّنَ .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : أبو كبير هو عامر بن حِلْسٍ ، وله أربع قصائد أوَّلها كُلُّها شيءٌ واحد . ولا يُعرف أحدٌ من الشعراء فعلَ ذلك ^(١) . انتهى .

أقول : ثانيها :

أزْهَيْرُ هَلْ عَن شَيْبَةٍ مِّنْ مَّقْصِرٍ أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشُّبَابِ الْمُدْبِرِ
فَقَدَّ الشُّبَابَ أَبُوكَ إِلَّا ذِكْرَهُ فَاعْجَبْ لِدَلِكِ فِعْلَ دَهْرٍ وَاهْكَرِ

قال السكرى : الهَكَرُ مِنْ أَشَدِّ الْعَجَبِ ^(٢) . وهذا خطابٌ لنفسه .

وثالثها :

أزْهَيْرُ هَلْ عَن شَيْبَةٍ مِّنْ مَّضْرِفٍ أَمْ لَا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مَّتَكَلِّفِ

ورابعها :

أزْهَيْرُ هَلْ عَن شَيْبَةٍ مِّنْ مَّعْكُمْ . أَمْ لَا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مَّتَكْرَمٍ ^(٣)

قال السكرى : مِّنْ مَّعْكُمْ : مِّنْ مَّرْجِعٍ ، يقال عَمَّكُمْ يعمكم .

(١) انظر كتاب « تحقيقات وتنبهات فى معجم لسان العرب » لمحقق الخزانة ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) عند السكرى : « الهكر أشد العجب » ، بطرح « من » .

(٣) فى النسختين : « لبازر » صوابه باللام فى آخره كما فى ديوان الهذليين وشرح السكرى .

والبازل : الذى يبذل ماله .

وأبو كبيرٍ الهدلِيُّ صحابِيُّ تقدَّمتُ ترجمته مع شرح أبياتٍ من
هذه القصيدة في الشاهد الثامن بعد السبائة^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوىَّ يا رَبِّمَا غَارَةٌ شَعْوَاءُ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ)

وتقدم شرحه قريباً في الشاهد الستين بعد السبعائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد السبعائة^(٣) :

٧٩٥ (فَإِنْ تُمْسِسْ مَهْجُورُ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا

أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ)

على أن (رُبَّمَا) فيه للتكثير . وهو ظاهر .

وأورده الزمخشريُّ عند قوله تعالى : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ
لِوَادًا﴾^(٤) على أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى رُبَّمَا ، فتوافقها
في خروجها إلى معنى التكثير كما في البيت ، فإنَّ المقامَ مقامُ مدحٍ
لا يُناسب التقليل ، وإلَّا لكان ذمًّا . ورُبَّ هنا مكفوفة بما عن عمل
الجرِّ ، ومهيئةٌ للدخول على الجملة الفعلية .

ولا يتأتَّى هنا ما اختار الشارح من أنَّها اسمٌ مبتدأ ، إذ لا مجرور
موصوف بجملة فعلية . ولا يعرف على اختياره ما موقعُ الجملة بعد ربَّ
المكفوفة .

(١) الجزاة ٨ : ٤٠٩

(٢) انظر هذا الجزء التاسع ص ٣٨٤ .

(٣) أدب الكاتب ٢١ وشرح الجواليقي ١٢٤ وابن السيد ٢٩٢ والأشباه والنظائر ٢ : ٨٥

والحماسة بشرح المرزوق ٨٠٠ وبشرح التبريزي ٢ : ٢٩٦

صاحب الشاهد والبيت من أبيات أربعة أوردها أبو تمام (في باب المراثي من الحماسة)
لأبي عطاء السندي ، رثى بها يزيد بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِيَّ ، وهي :

أبيات الشاهد (ألا إنَّ عينا لم تجدُ يومَ واسطِ عليك بجارى دَمِها لجمودُ
عِشْيَةٍ قامَ النائحَاتُ وشُقِّقَتْ جُيوبُ بأيدي ماتمَ وخُودُ
فإنَّ تمسَّ مهجورَ الفِناءِ فربُّما أقامَ به بعدَ الوفودِ وفودُ
فإنَّك لم تبعدَ على متعهَّدِ بلى كلُّ من تحت الترابِ بعيدُ)

وقيل رثاهُ بها معنُ بن زائدة الشَّيباني ، وكان من أتباع ابن هُبَيْرَةَ
ومن أكبرِ أعوانه في الحروبِ وغيرها .

يزيد بن هبيرة وابن هبيرة مولده الشامُ في سنة سبع وثمانين ، وليَ قنسرينَ للوليد
ابن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروانَ بن محمدٍ آخرِ ملوكِ بني أمية ،
يومَ غلبَ على دِمَشقٍ وجُمِعَ له ولايةُ العراقينِ ، فلما أدبرت دولة بني
مروان خرج قحطبةُ بن شبيب في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أحدُ دعاةِ
بني العباسِ ، في جيوشِ خراسانِ ، ثم ولده الحسنُ من بعده فهزموه ،
ولحق ابنُ هبيرة بمدينة واسط ، فحاصره أبو جعفر المنصورُ مع الحسنِ ، ١٦٨
وجرت السُّفراءُ بين أبي جعفر وابن هبيرة حتَّى جعلَ له أماناً وكتبَ به
كتاباً . فمكثَ يُشاوِرُ فيه العلماءُ أربعين ليلةً حتَّى رضِيَ به ابنُ هبيرة ،
ثم أنفذه إلى أبي جعفر ، فأنفذه أبو جعفر إلى أخيه السَّفَّاحِ ، فأمره
بإمضائه له . ولما تم الكتابُ خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألفٍ
وثلاثمائة ، فأراد أن يدخلَ الحجرةَ على دابَّته ، فقام إليه الحاجب فقال :
مرحباً أبا خالد ، انزلْ راشداً ! وقد أطافَ بالحجرةِ عشرة آلافٍ من
أهلِ خراسانِ . فنزل ودعا له بوسادة ، ثم قال له الحاجب : ادخلْ أبا خالد .

فقال له : أنا ومن معي من القُوَاد . فقال له : إِنَّمَا اسْتَأْذَنْتُ لَكَ وَحْدَكَ .
 فدخلَ على أبي جعفر وحادِثَه ساعة ثم انصرف . فقال أبو جعفر [للحاجب^(١)] :
 قل لابن هبيرة يدعُ الجماعة ويأتينا بحاشيته . وجاء بعدُ في نحوٍ من
 ثلاثين ، فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثةٍ من أصحابه يتغذَى ويتعشى
 عنده ، وألح^(٢) أبو العباس على أبي جعفر بِأمره بقتله ، وهو يراجعهُ ،
 فكتب إليه : والله لتقتلنهُ أو لأرسلنَّ إليه من يخرجهُ من حُجرتك ثم
 يقتلُهُ . فعزمَ على قتله ، وأرسل الهيثمَ بنَ شُعبة في نحوٍ من مائة فأرسلوا
 إلى ابن هبيرة : إِنَّا جئنا لناخذ هذا المال . فقال ابن هبيرة لحاجبه :
 انطلقْ فدُلَّهم عليه . فأقاموا عند كل بيتٍ نفرًا ، ثم جعلوا ينظرون في
 نواحي الدار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكتابه وحاجبه ، وعدَّة من
 مواليه ، وبُني له صغير في حِجره ، فأقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجوههم
 فضربه الهيثمُ فقتله ، وقاتل ابنه داودُ فقتل ، وقُتِل مواليه ، ونُحِيَ
 الصبيُّ من حِجره وخرَّ ساجدًا ، فقتل وهو ساجد . وكان قتله بواسطة
 يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلةً بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين
 ومائة .

ولمَّا قُتل كان معنُ بن زائدة غائباً عند السَّفَّاح فسَلِم ، فرثاه أبو عطاء
 السَّنْدِيُّ بهذه الأبيات : وقيل معن بن زائدة .

قال ابن عساكر (في تاريخه الكبير) : كان ابنُ هبيرة إذا أصبحَ
 أتى بِعُمس ، وهو القَدَح الكبير : وفيه لبنٌ قد حُلِبَ على عَسَل ، وأحيانًا على

(١) التكلية من ش .

(٢) ط : « ولح » ، صوابه في ش .

سُكَّرٍ فيشربُه ، فإذا صَلَّى الغدَاةَ جلسَ في مُصلَاةٍ حَتَّى يحرَّكَه اللبنُ ، فيدعو بالغدَاةِ فيأكلُ دجاجتينِ وفرخَيَ حَمَامٍ ، ونِصْفَ جَدِي ، وألواناً من لحمٍ ، ثم يخرجُ فينظرُ في أمورِ النَّاسِ إلى نِصفِ النهارِ ، ثم يدخلُ فيدعو جماعةً من خواصِّه وأعيانِ النَّاسِ ، ويدعو بالغدَاةِ فيتغذَّى ويعظُمُ اللَّقْمَ ويُتابعُ ، فإذا فرغَ من الغدَاةِ دخلَ إلى نِسائه حَتَّى يخرجَ إلى صلاةِ الظُّهرِ ، ثم ينظرُ في أمورِ النَّاسِ ، فإذا صَلَّى العصرَ وُضِعَ له سريرٌ ووُضِعَتِ الكراسيُّ للنَّاسِ ، فإذا أخذوا مجالسَهُم أتوهم بعِساسِ اللَّبنِ والعِسلِ وألوانِ الأشربةِ ، ثم تُوضَعُ السُّفرةُ والطَّعامُ للعامةِ ، ويوضعُ له وإخوانه خِوانٌ مرتفعٌ ، فيأكلُ معه الوجوهُ ثم يتفرَّقون للصلاةِ ، ثم يأتيه سُمَّاره فيحضرون مجلسه فيسامرونه حَتَّى يذهبَ عامَّةُ الليلِ . وكان يُسألُ كلَّ ليلةٍ عَشْرَ حوائجٍ ، فإذا أصبحوا قُضِيَتْ . وكان رزقُه ستمائةَ ألفِ درهمٍ ، فكان يقسيمُ كلَّ شهرٍ في أصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوهِ وأهل البيوتات أكثرَ من نصفها .

رَوَى أَنَّ شَرِيكَ بن عبد الله النَّمري سائِرُه يوماً ، فبرزت بغلةُ شَرِيكَ ، فقال له ابن هبيرة : غُضَّ من لجامها . فقال شريك : إنَّها مكتوبةٌ ، أصلح اللهُ الأمير ! فقال ابنُ هبيرة : ما ذهبتُ حيثُ أردتَ .

وقول ابن هبيرة : « غُضَّ من لجامها » ، يشير إلى قول جرير :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نَميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا
فعرَّضَ له شَرِيكَ بقول ابن دارة :

لا تَأْمَنَنَّ فزارياً خَلَّوتَ به على قَلْوصِكَ واكْتَبْها بِأَسْيارِ
وكان بنو فزاراة في العربِ يرمونَ بإتيانِ الإبلِ .

وأخبار ابن هبيرة ومحاسنه كثيرة .

وقوله: « أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ » إلخ افتتح كلامه بحرف التنبيه ، ثم أخذ يعظم أمرَ الفجيعة ويبينُ موقعها من النفوس ، وتأثيرها في القلوب فقال : إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ بدمعها عليك يومَ واسطٍ لشديدة البُخل بما في شؤونها من الماء .

قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : لَمْ تَجُدْ : لَمْ تَسْمَحْ بالبكاء . وَجَمُودٌ : قَلِيلَةُ الدَّمْعِ ، يُقَالُ عَيْنٌ جَامِدَةٌ [وَجَمُودٌ ^(١)] . وَسَنَةٌ جَمَادٌ : قَلِيلَةُ الْقَطْرِ .

وقوله: « عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتِ » إلخ عشيَّةً بدلً من يومٍ واسط . قال ابن السِّيد (في شرح أدب الكاتب) إِنَّ قِيلَ : كَيْفَ جَازَ أَنْ يَعمَلَ فِيهِ لَمْ تَجُدْ ، وَقَدْ حَالِ الْخَبِرُ وَهُوَ الْجَمُودُ ^(٢) ، بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ . وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّ الضَّارِبَ أَخَوِكَ زَيْدًا ، أَوْ إِنَّ خَارِجًا غَيْرُ مَصِيبِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ^(٣) لَمْ يَجْزُ ، وَإِنَّمَا يَجِبُ فِيهِمَا تَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ عَلَى الْخَبِرِ ؟ قُلْتُ : إِنَّ الْعَشِيَّةَ لَمَّا كَانَتْ بَدَلًا مِنْ يَوْمٍ ، وَالْمَبْدَلُ يَقْدَرُ مِنْ جُمْلَةِ أُخْرَى وَيَقْدَرُ مَعَهُ إِعَادَةُ الْعَامِلِ جَازَ ذَلِكَ . وَقَدْ أَجَازَ النَّحْوِيُّونَ تَأَخُّرَ الصِّفَةِ بَعْدَ الْخَبِرِ فِي نَحْوِ : إِنَّ زَيْدًا خَارِجٌ الْكَرِيمِ ، وَالصِّفَةُ أَشَدُّ اتِّصَالًا بِالْمَوْصُوفِ مِنَ الْبَدَلِ . وَأَجَازُوا ذَلِكَ فِي الْمَعْطُوفِ ، نَحْوِ : إِنَّ زَيْدًا خَارِجٌ وَعَمْرًا وَعَمْرًا : عَلَى الْفِظِ وَعَلَى الْمَوْضِعِ . وَإِذَا جَازَ فِي الصِّفَةِ كَانَ فِي الْبَدَلِ أَجْوزَ .

وقوله: « قَامَ النَّائِحَاتِ ^(٤) » أَيْ تَهَيَّأْنَ لِلنَّوْحِ . وَالْمَأْتَمُ : النَّسَاءُ

(١) التكلية من شرح الجواليقي .

(٢) ش : « جمود » بطرح اللام .

(٣) في الاقتضاب : « وإن خارجاً يوم الجمعة غير مصيب » ، وما هنا صوابه لأنه المقصود .

(٤) في النسختين : « وقام النائحات » ، وهو خلاف نص البيت .

يجتمعن في الخير والشرّ ، قال الخطيب : وأصله من الأثم وهو التقاء
المسلّكين ، ومنه الأثوم في صفة النساء .

وقوله : (فإن تمس مهجور) إلخ الفناء بكسر الفاء والمد : ساحة
الدار . و (الوفود) : الزوّار وطلاب الحاجات . قال المرزوق : الرواية
المختارة : « وربّما أقام » بالواو . وذلك أنّ جواب الشرط في قوله :

* فإنك لم تبعُد على متعهّد *

ويصير « وربّما أقام » بيان الحال فيما تقدّم من رياسته وقت توفّر
الناس على قصده وزيارته . والمعنى : إن مُتّ وصرت مهجور السّاحة ،
وربّما كانت الوفود تزدهم على بابك ، فإنك السّاعة لم تبعُد على من
يتعهّدك ويريد قضاء حقك ، وإقامة الرّسم في زيارتك . ثم قال مستدركاً
على نفسه :

* بلى كلُّ من تحت التراب بعيد *

ويريد بالمتعهّد متبّع العهود بالحفظ لها ، ومنعها من الدروس .
وإذا روّيت « فربّما » وجعلته جواب الشرط يكون « فإنك لم تبعُد »
استثناً ف كلام . والمعنى : إن هجر فناؤك اليوم فربّما كان مألفاً
للفود أيّام حياتك . وتقول العرب : هذا بذاك ، أي عوض من ذلك .

وقال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : ينبغي أن يكون جواب
الشرط مستقبلاً ، وربّما جاءت مكانه جملة ماضية^(١) ، والشرط
لا يصح إلا بالاستقبال ، والمستقبل لا يكون علّة للماضي ؛ لثلاً

(١) يقال في النسبة إلى الماضي « ماضوى » ، و « ماضى » ، والصيغة الأخيرة أرجح . ونص
إعراب الحماسة : « وربّما كما يرى ماضية » .

يتقدم المعلولُ على علته . وإذا كان الأمر كذلك فالكلام محمولٌ على معناه دون لفظه . ألا ترى أنَّ معناه [إن^(١)] أمسيت هكذا فتسلَّ عنه بذكر ما مضى ، أى فليكن هذا بإزاء ذلك . انتهى .

وهذا البيت من الاستدراك ، وهو من محاسن الشعر . والاستدراك : أن يأخذ الشاعر في معنى يرسله ، أو وصفٍ يذكره يستدركه على نفسه^(٢) .

١٧٠
أبو عطاء الندى

وأبو عطاء السندی قيل اسمه مرزوق ، وهو قول ابن قتيبة . وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : هو أفلح بن يسار ، مولى لبني أسد . وكان يسار سدياً أعجمياً لا يفصح ، وأبو عطاء ابنه عبد أسود لا يكاد يفصح أيضاً ، جمع بين لثغة ولكنة ، وهو مع ذلك من أحسن الناس بديهة ، وأشدهم عارضةً وتقدماً .

وهو شاعرٌ فحل في طبقتة ، أدرك الدولتين . وكان من شعراء بني أمية وشيعتهم ، وهجا بني هاشم ، ومات عقب أيام المنصور . ودخل يوماً على المنصور وهو يسحب الوشي والخز ، فقال له المنصور : أننى لك هذا يا أبا عطاء ؟ فقال : كنت ألبس هذا في الزمن الصالح . ثم ولى ذاهباً فاستخفى ، فما ظهر حتى مات المنصور .

فمما قال في بني هاشم :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم فقد قام سعرُ التمر صاعٌ بدرهم
فإن قلتُم رهط النبي صدقتم فهذي النصارى رهط عيسى بن مريم

انتهى .

(١) التكلة من ش .

(٢) انظر تحرير التحبير ٣٣١ - ٣٣٨ والبدیع لابن المعتز ١٠٨ . وسماه ابن المعتز الرجوع .

(م ٣٥ - خزانة الادب - ج ٩)

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : أبو عطاء السُّنْدِيُّ اسمه مرزوق ، وكان جيِّدَ الشُّعْر ، وكانت به لُكْنَةٌ . قال حمادُ الراوية : كنت يوماً وحمادُ عجردٍ وحمادُ بنُ الزُّبَيْرِ قانِ مجتمِعَيْنِ ، فنظَرُ بعضُنَا إلى بعضٍ فقلنا : لو بعثنا إلى أبي عطاء . فبعثنا إليه فقلنا : من يحتالُ حتَّى يقول : جرادة ، وزُجَّ ، وشَيْطان ؟ فقلت : أنا . وجاء فقال : مَنْ ههنا ؟ فقلنا : ادخل . فدخَلَ فقلنا : أتتعثى ؟ فقال : قد تأسَّيت . قلت : أفتشرب ؟ قال : بلى . فشرب حتَّى استرخى . فقال حمادُ الراوية : كيف بَصْرُكَ باللُّغز ؟ قال : هَسَن . قال :

فما صفراءُ تُكَنِّي أُمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ رَجُلَيْتَيْهَا مِنْجَلَانِ^(١)

فقال : زَرَادَةٌ . قال : أصببت . ثم قال :

فما اسمُ حديديةٍ في الرُّمَحِ تُرْسِي دُوَيْنَ الصَّدْرِ لَيْسَتْ بِالسِّنَانِ

قال : زُرَّ . قال : أحسنت . ثم قال :

أتعرفُ مسجداً لبني تميم فُوقَ المَيْلِ دُونَ بني أَبَانِ

قال : بني سَيْتَانِ . فقلنا : أصببت يا أبا عطاء ، وضحكنا . انتهى^(٢) .

وفي رواية غيره أنه أجابه في الأول بيت وهو :

فتلك زَرَادَةٌ وَأُذُنٌ ذَنَّا بَأَنَّكَ قَدْ عَنَيْتَ بِهِ لِسَانِي^(٣)

يريد بالزَرَادَةِ الجرادة . وَأُذُنٌ ذَنَّا ، أَي أَظُنُّ ظَنًّا .

• • •

(١) في المقدم والشريشي ٢ : ١٢٣ : « كأن سويتها » . وانظر الحيوان ٥ : ٥٥٨ .

(٢) تصرف البغدادي سيرا في هذا النقل . والخبر بصورة أخرى في الأغاني ١٦ : ٨٠ .

والمقدم ٦ : ٤٧١ .

(٣) ط : « وأذن ذنا » في هذا الموضع وتاليه ، وأثبت ما في ش وفي الشعراء والأغاني :

« وأذن ذنا » بالزاي فيما . والبيت لم يرد في المقدم .

وأنشد بعده :

(هذا سُرَاةٌ للقرآن يدرُسُه)

على أنَّ الضمير في (يدرُسُه) ضمير المصدر المفهوم من يدرُسُ ،
أى يدرس الدرس .

وقد تقدّم شرحُه في الشاهد الثاني والثمانين ^(١) . وتماهه :

(والمرءُ عند الرُّشَا إن يَلْقَها ذِيبٌ)

* * *

١٧١

وأنشد بعده :

(غيرُ مأسوفٍ على زَمَنِ ينقضى بالهَمِّ والحَزَنِ)

وتقدّم شرحُه في الشاهد الثالث والخمسين من باب المبتدأ ^(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد السبعائة ، وهـ

من شواهد س ^(٣) :

(يا رَبِّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا)

٧٩٦

على أنه يجوز أن تقع الجملة الاسمية نعتاً لمجرورِ رَبِّ ، ف (هِي)
مبتدأ و (خَيْرٌ) خبره . والجملة نعت لِهَيْجَا ، وهى الحرب ، تمدُّ وتقصر ،
وهى هنا مقصورة .

و (الدَّعَا) : الخفض والراحة . والهَاءُ عوضٌ مِنَ الواوِ ، تقول منه :

وَدَعَّ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ فهو وديع ، أى ساكن ، ووَادَعُ أيضاً . والموَادَعَةُ :

(١) الخزانة ٢ : ٣ - ٤ .

(٢) الخزانة ٣٤٥ - ٣٤٨ .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٢٧ . وانظر مجالس ثعلب ٤٤٣ ، ٤٤٩ ، والأغانى ١٤ : ٩٢ وأمال

المرتضى ١ : ١٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والممع ٢ : ٢٥ وديوان ليلى ٣٤٠ .

المصالحة. ويا: حرف تنبيه ، أو حرف نداء ، والمنادى محذوف . ورُبَّ هنا للتكثير ، وهى اسمٌ مبتدأٌ على ما اختاره الشارح المحقق لا خبر لها ، والجملة التى هى نعت مجرورها قد سدّت مسد الخبر ، لا يقدر لها جواب يعمل فى محلّ مجرورها .

صاحب الشاهد وهو من رجزٍ للبيد بن ربيعة العامريّ الصّحابيّ، أورده ثعلبٌ (فى أماليه) ، وهو :

أشطار الشاهد (لا تزجرِ الفتيانَ عن سوءِ الرّعة) يا رُبَّ هيجًا هى خيرٌ من دَعَه
 فى كلّ يومٍ هامسى مقزّعه نحنُ بنو أمّ البنينَ الأربعه
 نحنُ خيارُ عامرِ بنِ صعصعه المُطعمونَ الجفّنةَ المُدعّعه
 والضاربونَ الهامَ تحتَ الخيَضعه يا واهبَ المالِ الجزِيلِ مِنْ سَعَه
 إليكَ جاوَزنا بلاداً مَسْبَعَه إذ الفلاةَ أوحشتُ فى الممعه^(١)
 يخبرك عن هذا خبيرٌ فاسمعه)

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال :

* مهلاً أبيت اللّعن لا تأكلُ معه *

فقال النعمان : ولم ؟ قال :

* إنّ استه من برّص مملّعه *

قال النعمان : وما علىّ ؟ ! قال :

(وإنّه يُدخِلُ فيها إصبَعَه يُدخِلُها حتّى يُوارى أشجَعَه)

كأنّما يطلب شيئاً ضيّعه)

الرّعة : حالة الأحمق التى رَضِيَ بها . وقوله : « مقزّعه » ، يقول : أنا

(١) فى مجالس ثعلب : « إذا الفلاة » . والشطر لم يرد فى الأغاني .

أَقَاتِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَأُقَاتِلُ . والمدعدة : المملوءة . والخَيْضعة : أصوات الحرب . انتهى .

وهذا السياق مبتورٌ لا يُنتَفَعُ به . وأوفى ما رأيته ما رواه السيد المرتضى علم الهدى (في أماليه المسماة بغرر الفرائد ، ودرر القلائد) قال :

إِنَّ عُمارة ، وَأَنسأ ، وقيساً ، والربيع . بنى زيادِ العبيسيين ، وفدوا على النُّعمان بن المنذر . ووفد عليه العامريُّون بنو أمِّ البنين ، وعليهم أبو براءٍ عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب . وهو ملاعب الأسنَّة ، وكان العامريُّون ثلاثين رجلاً ، وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب ، وهو يومئذٍ غلامٌ له ذُوابة . وكان الرَّبيع بن زياد العبيسيُّ ينادم النُّعمان ويكثر عنده ، ويتقدَّم على مَنْ سواه ، وكان يُدعى الكاملَ لشطاطِهِ وبياضِهِ وكمالِهِ ^(١) ، فضرب النُّعمانُ قَبَّةً على أبي براءٍ ، وأجرى عليه وعلى مَنْ كان معه النَّزْلُ ، وكانوا يحضرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فافتخروا يوماً بحضرته ، فكاد العبيسيُّون يغلبون العامريِّين . وكان الربيعُ إذا خلا بالنُّعمان طعنَ فيهم وذَكَرَ معائبَهُمْ ، ففعل ذلك مراراً لِعداوتِهِم لبني جعفر . لأنَّهُم كانوا أَسْرُوهُ ، فصدَّ النُّعمانُ عنهم حتَّى نزع القَبَّةَ عن أبي براءٍ ، وقطع النَّزْلَ ، ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جَفَاءً وقد كان قبل ذلك يُكرمُهُم ويقدمُ مجلسَهُمْ ، فخرجوا من عنده غَضاباً وهمُّوا بالانصراف ، ولبيدٌ في رحالِهِم يحفظُ أمتعتَهُم ويغدو بإبلِهِم فيرعاهما ، فإذا أَمسى انصرفَ بها . فاتَّاهم تلك الليلة ، وهم يتذاكرون أَمْرَ الرَّبيعِ ، فقال لهم : ما لكم تتناجُونَ ؟ فكتُمُوهُ وقالوا له : إِيكَ عَنَّا .

١٧٢

(١) الشطاط ، كسحاب وكتاب أيضاً : الطول واعتدال القامة .

فقال : أخبروني فلعلَّ لكم عندي فرجاً . فزجروه فقال : لا والله لا أحفظ لكم ولا أسرِّح لكم بغيراً أو تخبروني . وكانت أم لبيدٍ عبسيَّة في حجر الربيع ، فقالوا له : إنَّ خالك قد غلبنا على المملِك . وصدَّ عنا وجهه . فقال لهم : هل تقدرُونَ أن تجمَعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك ، فأرجزُ به رجزاً مُحصّصاً مؤلماً . لا يلتفت إليهِ النُعمان بعده أبداً ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم . قالوا : إنَّا نبلُوك بشتمِّ هذه البقلة ، وقُدَّامهم بقلةٌ دقيقةُ القضبان ، قليلةُ الورق ، لاصقةٌ فروعُها بالأرض - تدعى التَّربة - فأقتلَعها من الأرض وأخذها بيده وقال : « هذه البقلة التَّربة الثَّقيلة الرَّذلة ، التي لا تُذكي ناراً ، ولا تسرُّ جاراً^(١) ، عودها ضئيلٌ ، وفرعها ذليل ، وخيرُها قليلٌ . بلدُها شاسع ، ونبتُها خاشع ، وآكلُها جائع ، والمقيمُ عليها قانع . أقصرُّ البقولِ فرعاً ، وأخبثُها مرعى ، وأشدُّها قلعا ، فحرِّباً لجارِها وجدِّعا^(٢) . ألقوا بي أخا عيس ، أرجعه عنكم بتعس ونكس ، وأتركه من أمره في لبس » .

فقالوا : نصبح ونرى فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمرُه بشيء ، إنَّما تكلم بما جرى على لسانه . وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم . فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رَحلاً يكدم واسطته حتى أصبح . فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبُه^(٣) . فحلَّقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حُلَّةً وغدَّوا به معهم ، فدخلوا على النُعمان فوجدوه يتغدَّى ، ومعه الربيعُ ، ليس معه

(١) في أمالي المرتضى : « ولا تؤهل داراً ولا تستر جاراً » و « تستر » بحرفه عن « تسر » كما في الخزانة هنا والأغانى ١٤ : ٩١ .

(٢) الحرب ، بالتحريك : أن ينهب مال المرء ويترك لا شيء له .

(٣) أى صاحب الربيع ، تستطيع مفاصله . أو صاحب هذا الأمر لا يقدر عليه غيرك .

غيره ، والدَّارَ والمجالس مملوءةٌ بالوفد . فلَمَّا فرغ من الغداءِ أَذِنَ للجعفرينِ
فدخلوا عليه ، والرَّبِيعُ إلى جانبه . فذكروا للنُّعمانِ حاجَتَهُمْ ،
فاعترضهم الرَّبِيعُ في كلامهم ، فقال لبيد ، وقد دهنَ أَحَدَ شِقَّتِي
رَأْسِهِ ^(١) وَأَرخَى إِزارَهُ . وانتعل نعلًا واحدةً - وكذلك كانت الشعراءُ
تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء - فمَثَلُ بين يديه ثم قال :

يَارُبُّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَاةٍ إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مَقْرَعَةً
نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِيْنَ الْأَرْبَعَةَ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ^(٢)
الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةَ
مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلُ مَعَهُ إِنَّ اسْتَهَ مِنْ بَرِصٍ مُلْمَعَةَ
وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَةَ
كَأَنَّمَا يُطَلِّبُ شَيْئًا ضَيْعَهُ

١٧٣

فلما فرغ لبيدُ التفتَ النُّعمانُ إلى الرَّبِيعِ يَرْمُقُهُ شَزْرًا . قال : أَكذلك
أنت ؟ قال : كذب والله ابنُ الحَمِقِ اللَّثِيمِ ؟ فقال النُّعمانُ : أوفُّ لهذا
الطعامِ ، لقد خَبِثَ عَلَيَّ طَعَامِي . فقال الرَّبِيعُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، أَمَا إِنِّي قد
فعلتُ بِأُمَّه ! لا يَكْنِي . وكانت في حجره . فقال لبيد : أنت لهذا الكلام
أهل ؟ ! أَمَا إِنَّهَا من نسوةٍ غيرِ فُعلٍ ، وأنت المرءُ قال هذا في يتيمة .
ووجدتُ في روايةٍ أُخرى ^(٣) : « أَمَا إِنَّهَا من نسوةٍ فُعلٍ » . وإنَّما قال ذلك
لأنَّها كانت من قومِ الرَّبِيعِ ، فنسبها إلى القبِيعِ وصدَّقَه عليها ، تهجينًا
له ولقومه .

(١) في النسختين : « إحدى شقِّي رسه » ، صوابه في أمالي المرتضى . وفي الأغاني :
« فعدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته ، وألبسوه حلة » .
(٢) بين هذا الشطر وسابقته في الأغاني :

« سيوف جز وجفان مترعه »

(٣) القائل هو الإمام المرتضى . وفي الأمالي : « قال سيدنا آدم الله علوه » .

فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِهِمْ جَمِيعاً فَأُخْرِجُوا ، وَأَعَادَ عَلِيٌّ أَبِي بَرَاءَ الْقُبَّةَ ،
 وَاِنْصَرَفَ الرَّبِيعُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَبِعَثَ إِلَيْهِ النِّعْمَانَ بَضْعَافٍ مَا كَانَ يُحِبُّهُ بِهِ ،
 وَأَمَرَهُ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ
 قَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَ لِبَيْدٍ ، وَلَسْتُ بِرَائِمٍ حَتَّى تَبْعَثَ مِنْ يُجَرِّدُنِي
 لِيَعْلَمَ مِنْ حَضْرِكَ مِنَ النَّاسِ أَنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ
 لَسْتَ صَانِعاً بِإِنْتِفَائِكَ مِمَّا قَالَ لِبَيْدٍ شَيْئاً ، وَلَا قَادِراً عَلَى رَدِّ مَا زَلَّتْ بِهِ
 الْأَلْسُنُ ، فَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ! ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ فِي جُمْلَةٍ مَا كَتَبَهُ أَبْيَاتاً
 جَوَاباً عَنْ أَبْيَاتٍ كَتَبَهَا إِلَيْهِ الرَّبِيعُ مَشْهُورَةً :

شَمَّرَ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتُ وَلَا

تُكْثِرُ عَلَيَّ وَدَعِ عَنكَ الْأَقَاوِيلَا

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِباً

فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَا

وقد جاءنا هذا الخبر من عدة طرق ، وفي كل زيادة على الآخر .
 ولم نأت بجميع الخبر على وجهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتج إليه . انتهى .
 وقال أبو الحسن الطوسي (في شرح ديوان لبيد) : إِنَّ بَنِي أُمَّ
 الْبَنِينَ وَجَمَاعَةً مِنْهُمْ ، أَتَوْا النَّعْمَانَ أَوَّلَ مَا مَلَكَ ، فِي أَسَارَى مِنْ
 بَنِي عَامِرٍ يَشْتَرُونَهُمْ مِنْهُ . إِلَى آخِرِ مَا أوردناه في الشاهد الثامن والأربعين
 بعد المائتين ^(١) في شرح قوله :

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِباً البيت

وساق هذا الخبر كالطوسي الخطيب التبريزي (في شرح ذيل

المعلقات) ، وأورد الأبيات كثعلبٍ إلا البيت الأول ، وقوله :

* يُخِيرَكَ عن هذا خبيرٌ فاسمعه *

فإنه أسقطهما .

وقوله :

* في كلِّ يومٍ هامتي مقزعة *

قال السيّد المرتضى : القزَع : تساقط بعض الشعر والصُّوف وبقاء بعضه . يقال كبشٌ أقزَع وناقَةٌ قزعاء .

وقوله : « نحن بنو أمّ » إلخ هذا البيت من شواهد سيبويه . أوردته في باب الاختصاص الذي يجرى على ما جرى عليه النداء . قال :
وأما قول لبيد :

* نحن بنو أمّ البنين الأربعة *

فلا ينشدونه إلا رفعا ، لأنه لم يُرد أن يجعلهم إذا افتخروا أن يُعرفوا بأنّ عدتّهم أربعة ، ولكنه جعل الأربعة وصفاً ثم قال : المطعمون الفاعلون ، بعد ما حلاهم ليُعرفوا . انتهى .

وخالفه المبرد وقال : النصب فيه جيّد على وجهين :

أحدهما : أنّ أمّ البنين امرأة شريفة ، وبنوها الأربعة كلّهم سيّد ، فيُنصب (بنى) على الفخر .

والوجه الآخر : على معنى أعنى ، بلا مدح ولا ذم .

قال النحّاس بعد ما نقله : هذا الذي ذهب إليه سيبويه صحيح ، ألا تراه قال : إنّه لم يرد أن يجعلهم إلخ . فهذا قولٌ صحيح . فيجوز أن يكون بنو خبير نحن ، والأربعة نعتٌ كما قال سيبويه ، والمطعمون

خبر^(١) بعد خبر. ويجوز أن يكون بدلا من نحن والمطمعون خبر، والأربعة صفة للبنين . فإذا رفع فإنما أفاد هذا التَّسَبُّب . فإذا نصب فالخبر ما بعده ، ونصبه على الاختصاص . انتهى .

١٧٤

وكذا ذهب ثعلب^(٢) (في أماليه) قال : بعضهم ينصب بنى ، وليس بالوجه ، لأنَّه ليس مدحا يمدح نفسه بأنَّ عددهم أربعة . والعرب تفعل هذا في بنى ، ورهط ، ومَعَشَر ، وآل . قال الفراء : كأنَّهم قالوا : نحنُ جميعاً نقول ذلك^(٣) . انتهى .

وَأُمُّ الْبَنِينَ اسْمُهَا لَيْلَى بِنْتُ عَامِرٍ . قَالَ السُّهَيْلِيُّ (فِي الرُّوْضِ) .

أم البنين

وقال السيد المرتضى : هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، ولدت له عامر بن مالك ملاعب الأسنَّة . وطُفَيْلَ بن مالك فارسَ قُرْزُل ، وهو أبو عامر بن الطفيل ، وقُرْزُل : فرسٌ كانت له . وربيعَةُ بن مالك أبا لبيد ، وهو ربيعُ الْمُقْتَرِينَ . ومعاوية بن مالك مُعوَّد الحكماء . وإنَّما لُقِّبَ بهذا لقوله :

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بَعْدَى إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا

وَوَلَدَتْ عُبَيْدَةَ الْوَضَّاحَ . فَهَوْلَاءُ خَمْسَةٌ . وَقَالَ لَبِيدٌ : أَرْبَعَةٌ ، لِأَنَّ الشُّعْرَ لَا يُمْكِنُهُ غَيْرُ ذَلِكَ^(٣) .

قال السُّهَيْلِيُّ : وَسُمِّيَ مَلَاعِبَ الْأَسْنَةِ فِي يَوْمِ سُوْبَانَ ، وَهُوَ يَوْمٌ كَانَتْ فِيهِ وَقَعَةٌ فِي أَيَّامِ جَبَلَةَ ، وَهِيَ أَيَّامُ حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ قَيْسٍ وَتَمِّمٍ . وَجَبَلَةُ : اسْمٌ لَهْضَبَةٍ عَالِيَةٍ . وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهِ مَلَاعِبَ الْأَسْنَةِ أَنَّ أَخَاهُ

(١) ما بعده إلى « خبر » التالية ساقط من ش

(٢) في مجالس ثعلب ٤٤٣ : « نقول ذلك » .

(٣) في أمال المرتضى ٦ : ١٩٤ : « لم يمكنه من ذلك »

الذى يقال له فارس قُرْزُل ، وهو الطُّفَيْل . كان أسلمه في ذلك اليوم
وَقَرَّ ، فقال شاعر :

فَرَزْتَ وَأَسْلَمْتَ ابْنَ أُمَّكَ عَامراً يُلَاعِبُ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الْمَزْعَرِ
فَسُمِّيَ مَلَاعِبَ الرَّمَاحِ ، وَمُلَاعِبَ الْأَسْنَةِ . قال لبيد :

وَأَبْنَى مَلَاعِبَ الرَّمَاحِ وَمِذْرَةَ الْكَتِيْبَةِ الرَّدَّاحِ ^(١) . انتهى .

وقال مُعَلِّطاً (في الزَّهْرِ الْبَاسِمِ) ^(٢) : يَخْدُشُ فِيهِ مَا ذَكَرَهُ سَابِقاً :
أَنَّ عَامراً بِنَ مَالِكٍ مَلَاعِبَ الرَّمَاحِ ، وَعَامراً بِنَ الطُّفَيْلِ مَلَاعِبَ الْأَسْنَةِ
لَقِبَا بِهِمَا مَبَالِغَةً فِي وَصْفِ شَجَاعَتِهِمَا .

ثم قال السُّهَيْلِيُّ : وَسُمِّيَ مَعَاوِيَةَ مَعُوْدَ الْحِكْمَاءِ بِقَوْلِهِ :

يُعُوْدُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا ^(٣)

وفي هذا الشعر :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

وقول السيد المرتضى : إِنَّ لِبَيْدًا إِنَّمَا قَالَ أَرْبَعَةً وَهِيَ خَمْسَةٌ لِحُضْرُورَةِ

الشعر ، هذا قولُ الْفَرَّاءِ ، وهو قولُ فَاَرِغ . والصواب كما قال ابن
عصفور (في الضرائر) ^(٤) : لم يقل إلا أربعة ، وهم خمسة ، على جهة
الغلط . وإنما قال ذلك لأنَّ أباه كان مات وبقى أعمامه وهم أربعة .

وهو مسبوقة بالسُّهَيْلِيِّ فَإِنَّهُ قَالَ : وَإِنَّمَا قَالَ الْأَرْبَعَةَ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ

(١) المدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وهو أيضا رأس القوم والدافع عنهم .

ط : « مدرة » صوابه في ش والروض الأنف ٢ : ١٧٥ وديوان لبيد ٣٣٣ . ويروى :
« وعامر الكتبية » . والرداح : الضخمة الكثيرة .

(٢) الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم ، وعندى منه مصورة .

(٣) وكذا في الروض . وصوابه « أعود مثلها » كما في القاموس (عود) والمفضليات ٣٥٨ .

(٤) الضرائر ٢٤٩

قدمت قبل ذلك ، لا كما قال بعضُ الناس . وهو قولٌ يعزى إلى الفراء ، أنه قال : إنّما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي . فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن .

وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوّله في قوله سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ^(١) ﴾ وقال : أراد جنّة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتفق رؤوس الآي ، وكلاماً هذا معناه . فصمى صمام ما أشنع هذا الكلام ، وأبعده عن العلم وفهم القرآن ، وأقلّ هيبةً قائله من أن يتبوأ مقعده من النار ، فحذارٍ منه حذار .

ومما يدلُّك أنهم كانوا أربعة حين قال لبيدٌ هذه المقالة أن في الخبر يُتم لبيد^(٢) وصغر سته ، وأن أعمامه الأربعة استصغروه أن يدخلوه معهم إلى النعمان . فبان بهذا أنهم كانوا أربعة . ولو سكت الجاهل لقلّ الخلاف . انتهى .

١٧٦

وقوله :

* المطعمون الجفنة المددعة *

الجفنة ، بفتح الجيم : القضة الكبيرة . قال أبو حنيفة (في كتاب النبات) : ولا آنية أكبر من الجفنة . والمددعة في قول لبيد^(٣) هي الملوّءة ، فهو بالدال المهملة . قال في الصحاح : ددعت الشيء : ملأته .

(١) الآية ٤٦ من سورة الرحمن . ولعله في كتاب آخر للفراء ولم أجد الفراء قد استشهد بالرجز في معاني القرآن ، ولا ذكر تعليقه باتفاق رموس الآي . انظر المعاني ٣ : ١١٨ .
(٢) في الروض : « ذكر يتم لبيد » .
(٣) في النسختين : « والمددعة قال لبيد » ، والوجه ما أثبت .

وجفنةٌ مُدَعْدَعَةٌ أى مملوءة. وقوله: «تحت الخَيْضعة» بالخاء والضاد المعجمتين. قال السيد: ذكر الأصمعيُّ أنَّ لبيداً قال: تحت الخَضعة يعنى الجَلْبَة والأصوات، فغَيَّرته الرُّوَاة. وقيل: إنَّ الخَيْضعة أصواتٌ وَقَعَ السُّيُوف. والخَيْضعة أيضاً: البيضة التي تُلبَس على الرأس. والخَيْضعة: العُبار. والقول يحتمل كُلَّ ذلك^(١). انتهى.

وقال أبو عبيدٍ (في الغريب المصنَّف): الخَيْضعة: البَيْضَة. وأنشد هذا البيت:

وردَّ عليه على بن حمزة (في كتاب التنبيهات) بأنَّ هذا لم يقله أحدٌ قط، وإنَّما اختلاف أهل العلم في رواية الشعر، فرواه قوم: تحت الخَيْضعة كما روى، وفسَّروه بأنَّ قالوا: الخَيْضعة: اختلاط الأصوات في الحرب. ورواه آخرون: «تحت الخَضعة» وقالوا: هي السُّيُوف. وقال أبو حاتم: إنَّما قال لبيدٌ تحت الخَضعة، فزادوا الياء^(٢) فراراً من الزَّحاف. انتهى.

وقوله: «بلاداً مَسْبِعة» البلاد: الأراضى. وأرض مَسْبِعة بالفتح، أى ذات سباع. والمعمة. قال صاحب الصحاح: هي صوتُ الحريق في القَصَبِ ونحوه، وصوتُ الأبطال في الحرب. والملمَّع: الذى يكون في جسده بُقْعٌ تخالف سائرَ لونه. والأشجع: أصولُ الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

وترجمة لبيدٍ تقدَّمت في الشاهد الثانی والعشرين بعد المائة^(٣).

(١) ط: «يحتمل على ذلك». ش مع أثر تغيير: «يحتمل على ذلك»، صوابهما ما أثبت من أمالي المرتضى.

(٢) كذا في ط والتنبيهات ٢١٩. وفي ش: «فزاد»، بحريف.

(٣) الخزائنة ٢: ٢٤٦.

وأورد ابن الحبيب السَّعْدِي (في كتاب مساوى الخمر)^(١) حكايةً مناسبة رأينا إيرادها هنا ، قال :

ذكر بديعُ الزَّمانِ الهَمْدانيُّ أَنَّهُ لَاعِبَ أبا سَعِيدٍ ، خَلِيفَةَ أَبِي عَلِيِّ الْحَسِينِ
ابنِ أَحْمَدَ بِجَرَجَانَ ، الشُّطْرَنْجِ عَلَيَّ خَاتَمِينَ ، قَمَرَهُ الْبَدِيعُ عَلَيْهِمَا ، فَأَبَى
أَنْ يَعْطِيَهُ إِيَّاهُما ، فَذَكَرَ قِصَّةً طَوِيلَةً أَفْضَتِ الْحَالَ فِيهَا بَيْنَهُمَا بَعْدَ
مُرَاسَلَاتٍ بِهِجَاءٍ مِنَ الْبَدِيعِ وَإِغْلَاطٍ مِنَ الْآخِرِ ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ هُوَ وَالْبَدِيعُ
عَلَى مَائِدَةٍ صَاحِبِهِ أَبِي عَلِيِّ الْحَسِينِ .

قال البديع : وكان هذا الرجلُ أقرعَ ، ولم يكن أحدٌ يجسرُ أن
يذكرُ بحضرته القرعَ ولا القرعةَ ، ولا تقارعَ الأقرانِ ، ولا الأقرعَ
بنَ حابسٍ ، ولا بنى قُريعٍ ، ولا يقرأ سورة القارعة . فلما وُضعت
المائدةُ أمسكتُ عن الطعامِ ، فقال : مالكَ لا تأكلُ ؟ فقلتُ : وأشرتُ
إلى أبي سعيد :

مهلاً أبيت اللعن لا تأكلُ معه	استقنيرنهُ وتجنب قراعهُ
فإنهُ يُنجي عليها إصبغهُ	يحكُ تلك الهامة الملمعه
لا تُدنه وذلك الرأسُ معه	ومرهُ إن أدنيتهُ أن يضعهُ
إن لم يزايل عن جِماك موضغهُ	فارسُم لفرأشك ذا أن يصفغهُ

قال : فأطرقت الجماعة ، وبقى الأستاذُ داهشاً ، ثم قال : يا مولاي
إن لم يحترشني ما يحترش المائدة ؟ فقلت له : أطل الله بقائك ، ما أسرع

(١) سماه في ٥ : ٣٣٠ « مساوى الخمر » وقال : « وهو كتاب ضخم ، وهو عندي
في جلدتين . وذكر الميخى في الإقليد ١٠٢ أن مجيدراً آباد جزءاً من كتاب « الكشف عن مساوى
الخمر » مخرجه الأول .

ما أراك تتقدّر؟ وحياتِك علىّ لأنشدنك فيه ألف بيت بعضها يلعنُ بعضاً ، إلا أن يُعطيَ خاتَميه عطاءً صُغرياً^(١) . فقال الأستاذ: أمرُ الخاتمين أسهلُ ، فما السببُ ؟ فقصت القصّة عليه ، فمال إليه وقال : أشهد أنّك ساقط الهمة ، أمّا علمت أنه إن قُمِرَ أو قَمَرَ أعطى الخطرَ ! ثمّ تناول الخاتمين وناولتسيهما ، وسألني السكوتَ عنه ، وعاهدني أن لا أزيد. انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد السبعائة^(٢) :

٧٩٧ (رُبُّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرِ أَقْبَالِ)
على أن الأكثر مراعاة الأصل في وقوع صفة مجرورٍ رُبُّ جملة فعلية سواء كانت مذكورة أو مقدّرة .

وقد اجتمعا في هذا البيت . أمّا الأوّل فهو جملة « هرقته » صفة لرفد ، وهو القدح الكبير . وإراقة الرّفد كناية عن القتل والإماتة . وأمّا الثاني فإنّ أسرى مجرور بربّ المذكورة بطريق التبعيّة ، ومن معشر متعلّق بأسرى ، وصفة أسرى محذوف تقديره : حصلت لي ، ولا جواب لربّ في الموضعين ، لأنّ معنى الكلام تامّ لا يفتقر إلى شيء سوى الصّفة المقدّرة . وربّ اسمٌ محلّها الرفع على الابتداء لا خبر لها ، للاستغناء بالصّفة عن الخبر . هذا تقدير كلامه .

وأقول : يؤخذ من تقديره (حصلت لي) أنّ تاء هرقته مضمومة . وليس كذلك ، فإنّ هذا الكلام خطابٌ للأسود بن المنذر كما يأتي بيانه ، فكان ينبغي أن يقول : حصلت لك بالخطاب . وقد أصاب فيما يأتي قريباً^(٣) : « وأسرى من معشرٍ أقبال ، أي أسرتهم » .

(١) أي عن صغار وذلة . والصغر ، بالضم والتحريك : الصغار والذلة .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٢٨٠ والمنذرى ٥٨٧ والعيني ٣ : ٢٥١ والمجمع ١ : ٩ وديوان الأعشى ١٣ .

(٣) يعني ما أورده الرضى بعد الكلام السابق ، وهو « وأسرى من معشر » إلخ . وانظر

وقوله: (رَفَدَ) الرَّفْدُ : القَدْحُ الضَّخْمُ ، وهو قول الأصمعيّ فيما نقله أبو حنيفة (في كتاب النبات) عند ذكر أقسام الأواني ، وضبطه بكسر الراء ، وأنشد هذا البيت وقال : وكذلك المِرْفَدُ بكسر الميم .

وكذا نقل ابن الأنباري (في شرح المفضليات) عن أحمد بن عبيد تلميذ الأصمعي . قال : ورَوَى أحمدُ : « رَبٌّ رِفْدٌ » الرَّفْدُ بالكسر ، وقال هو القَدْحُ . والرَّفْدُ بالفتح : العَمَلُ .

قال ابن الأنباري : وقال أبو عبيدة : الرَّفْدُ بفتح الراء : القَدْحُ الضَّخْمُ بما فيه من القِرَى . والرَّفْدُ بالكسر : المَعُونَةُ . يقال رَفَدْتُهُ عند الأمير ، أى أعنته . (هَرَقتَه) أصله أرقته ، فالهاء بدلٌ من الهمزة .

وقوله « هريق رَفْدُهُ كنايةٌ عن الموت ^(١) » ، هو أحدُ قولين . قال الزَّمخشرى (في أساس البلاغة) : هريق رَفْدِ فلانٍ ، إذا قُتِلَ ، كما يقال : صَفِرَتْ وطابُه ، وكُفِيتْ جَفْنَتُهُ .

وقال ابن الأنباري عند قول سلمة بن الخُرشب الأُمَاريّ :

هَرَقْنَ بِسَاحِقٍ جِفَانًا كَثِيرَةً وَغَادَرْنَ أُخْرَى مِنْ حَقِينٍ وَحَازِرٍ

قوله : هَرَقْنَ ، يعنى الخيل . وسَاحِقٌ : موضع . أى قتلت أصحابَ الجفان ومن كان يَقْرَى فيها ويحتلب ، فكأنها لما قتلت أصحابها هراقتها ، كما قال الأعشى : رَبٌّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، إلخ . ومثله قولُ امرئ القيس :

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِيرَ الْوِطَابِ

(١) نص الرضى في ٢ : ٣٠٨ : « يقال هريق رَفْدُهُ ، إذا مات ، وهو كناية كقولهم :

صَفِرَتْ وطابُه . »

وعِلباءُ : رجل . والجريض : الذى قارب الموتَ ، فهو يجرض
بيريقة ، أى يَغصّ . والوطاب : جمع وَطَب . وهو سِقَاءُ اللَّبَنِ .

١٧٧

وقوله « وغادرَنَ أُخرى » أى تركَنَ جِفَاناً لم يُرِقَنَّها . وروى : « وأدَّين
أُخرى » أى جئنَ بأَسْرَى وغيرِ ذلك . فاللفظ على اللَّبَنِ والمعنى على
القَوْمِ . وقوله : « من حَقَمِينِ وحازر » أى من سيِّدٍ شريفٍ ودونَ ذلك .
ومثله قولُ أبي زبيد :

يا جَفَنَةً كَنضِيحِ الحَوْضِ قد كُفِثَتْ

بِثَنِي صِفِينِ يعلو فوقها القترُ^(٢)

أى قَتِلَ صاحبُها فذهبتْ وبطلت . ومثله قولُ الآخر :

وماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ من الشَّيزَى تُكَلِّلُ بالسَّنامِ^(٣) . انتهى

وكذا (فى شرح الفصيحِ للمرزوقى) قال فيه : الصَّفَرُ بالكسر :
الخالى ، يقال صَفِرَتِ الآبِيَةُ تَصْفَرُ صَفْراً ، فهى صَفِرَةٌ . وقيل اشتقاق
الصَّفَرِ فى الشهورِ منه ، لأنَّ وطابهم كانت حينئذٍ تخلو من الألبان .
ويقال فى الكناية عن الهلاك : صَفِرَتْ وطابهم . وهذا كما يقال :
أريقَ جفانهم . انتهى .

وكذا نقل ابن المستوفى عن الأصمعى ، قال : يريد قتلت صاحب
ذلك الرَّفْدِ فبطل رِفْدُهُ . والرَّفْدُ : اللَّبَنُ والعطيَّةُ والمعونة . والرَّفْدُ المصدر .

(١) ط : « يفتص » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ديوان أبي زبيد ٦٩ ، وفى جمهرة ابن دريد ٢ : ١٢ : « قد تركت بثنى صفين يجرى

فوقها » . والقتر والقتر بالتحريك فيما : الغبرة

(٣) لأبي بكر شداد بن الأسود بن شعوب الليثي ، فى السيرة ٥٣٠ . واللسان (شيز) ،

والشيزى : شجر تتخذ منه الجفان ، وبه سميت الجفان شيزى .

ويقال للقَدَح الذي يُقَرى فيه رِفْد . والرَّفْد : المِحْلَب الذي يُحْلَب فيه . وأما القولُ الآخر فهو نهبُ الماشية وأخذُها .

قال شارح ديوان الأعشى : معناه رُبَّ رجلٍ كانت له إبِلٌ يحلبُها فاستَقَّتْها فذهب ما كان يحلبُه في الرَّفْد وهو القَدَح . وقوله : (وأسرى) : هو جمع أسير كجرْحَى جمع جريح . و(المعشر) : الجماعة من الناس . و(أقيال) روى بالثناة التحتيّة والفوقيّة . أما الأوّل فهو جمع قَيْل بفتح القاف مخفف قَيْل كسيّد ، وهو الملك مُطلقاً ، وقيل الملك من مُلوك حمير ، وقيل هو دون الملك الأعلى ، سمّي به لأنّه يقول ما يشاء فينفذ . والمرأة قَيْلَة ، ويجمع على أقوالٍ أيضاً ، حكاه ابنُ السكيت . فالأوّل على اللفظ والثاني بالنظر إلى الاشتقاق من القول ، كما قالوا في جمع ربح أرباح وأرواح .

وقال الدماميني (في الحاشية الهندية) : وقال جماعة : لهذه الكلمة اشتقاقان : فمن قال أقوال فهو من القول ، ومن جمعه على أقيال فهو من قولهم : تقيّل أباه ، أى اتبعه في النسب ، كما تسمى تبعاً من تبع الذي قبله في المُلْك . قال هؤلاء : ولو كان من القول لم يجرّ في جمعه إلا أقوال ، كما لا يقال في الميت المخفف إلا أموات ولا يقال أميات على اللفظ . قال ابن السجري : ولا يلزم ذلك ، لأنهم قالوا من جفوت ومن الشوب : مجفوّ ومشوب على الأصل ، ومجفوّ ومشيّب على لفظ جفويّ وشيّب . ولم يطرّدوا ذلك في نحو مغزو ومدعو ، فلم يقولوا مغزى ومدعى وإن قالوا غزى ودعى . فكذلك قالوا أقيال على لفظ قَيْل وإن لم يقولوا أميات . قلت : يردّ هذا بأنّه لا يصر إلى خلاف الأصل ما وجد عنه

مندوحة . ولا شكَّ أنَّ جمع قَيْلِ المَشْتَقِّ من القول على أقبال رعاية^(١) للفظ الياء خارج عن الأصل ، فإذا وُجِدَ^(٢) مشتقاً عند جمعه كذلك من التقييل لم يخرج عن الأصل ، لكان قول أولئك الجماعة بالاشتقاقين هو الراجح لا محالة . انتهى كلامه .

وأما الرواية بالثناة الفوقية فهو « جمع » قتل بكسر القاف وسكون المثناة ، وله معنيان : أحدهما العدوُّ المقاتل . والثاني الشبه والنظير ، أى العِدْلُ في المقاتلة ، كما يقال سبُّ للعديل في المُسَابَةِ . يقال هما قَتْلان أى مثلان . وكلُّ منهما قَيْلٌ به هنا .

١٧٨

قال ابن الأنباري : وقول الأعشى : « من معشر أقتال » يعنى الأعداء والقَتلة الذين قتلوا أصحابك . وأما أبو عبيدة فإنه قال : هم الأشباه . وأنشد في أنهم الأعداء لابن قيس الرقيات :

واغترابي عن عامر بن لؤي^(٣) في بلادٍ كثيرةٍ الأقتالِ

وأنشد أحمد في القتل المثل والشبه ، في وصف بعيرين :

من كلِّ قَتْلينِ إذا ما ازدحمَا أدرك هذا غَرَبَ هذا بعدما

أغربَ ذاكَ ذرعه فانصرما

وقولُ الشارحِ المحقق : إنَّ صفةَ أسرى محذوفةٍ تقديرها ما ذكره ، هذا مستغنى عنه بجعل من معشر متعلقاً بفعل صفة لأسرى ، والتقدير

(١) ش : « مراعاة » .

(٢) ط : « جعل » .

(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ١١٣ واللذان (قتل ٦٨) .

وَأَسْرَى حَصَلَتْ مِنْ مَعْشَرِ أَقْبَالٍ ، كَمَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (فِي الْمَقْصَلِ) :
هَرْقَتَهُ وَمِنْ مَعْشَرٍ : صِفَتَانِ لِرِفْدٍ وَأَسْرَى .

وَكَأَنَّ الشَّارِحَ عَلَّقَ مِنْ مَعْشَرٍ بِأَسْرَى ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى رَبٍّ مَاخُوذِينَ مِنْ
مَعْشَرٍ . وَلَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا اخْتَارَهُ الشَّارِحُ مِنْ جَعْلِ رَبٍّ مُبْتَدَأً لَا خَيْرَ لَهُ مُخَالَفٌ
لِلْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ .

أَمَّا الْبَصْرِيُّونَ فَقَدْ قَالُوا : إِنَّهَا حَرْفٌ لِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ شَيْئًا مِنْ خَوَاصِّ
الاسْمِ ، مِنْ الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَالْإِضَافَةِ ، وَعَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ ، وَدُخُولِ أَلٍ
وَالْتَنوينِ . وَلِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ اسْمًا لَجَازَ أَنْ يَتَعَدَّى إِلَيْهَا الْفِعْلُ بِنَفْسِهِ
إِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًّا وَبِحَرْفِ الْجَرِّ إِنْ كَانَ لَازِمًا ، فَيَقَالُ : رَبٌّ رَجُلٍ أَكْرَمْتُ
وَبِرَبِّ رَجُلٍ مَرَرْتُ ، كَمَا يَقَالُ : كَمِ رَجُلٍ أَكْرَمْتُ وَبِكَمِ رَجُلٍ مَرَرْتُ ،
إِذْ لَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ اسْمٌ يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ بِنَفْسِهِ ^(١) إِلَّا وَيَجُوزُ أَنْ
يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ اللَّازِمُ ^(٢) بِوَسْطَةِ حَرْفِ الْجَرِّ . وَالشَّارِحُ مُعْتَرِفٌ بِجَمِيعِ هَذَا .

وَأَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَقَدْ قَالُوا : إِنَّهَا اسْمٌ مِثْلُ كَمٍ ، وَقَالُوا : مُحَلُّهَا رَفْعٌ
بِالْإِبْتِدَاءِ فِي قَوْلِنَا : رَبٌّ رَجُلٍ كَرِيمٍ لَقِيْتُهُ ، وَفِي نَحْوِ : وَرَبٌّ قَتَلَ عَارِ .
وَمُحَلُّهَا نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ فِي نَحْوِ : رَبٌّ ضَرَبَ ضَرْبِي ، مِثْلُ كَمِ ضَرْبِي
ضَرْبِي . وَعَلَى الظَّرْفِ فِي نَحْوِ : رَبٌّ يَوْمٍ سَرْتُ ، مِثْلُ كَمِ يَوْمٍ سَرْتُ .
وَعَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ فِي نَحْوِ : رَبٌّ رَجُلٍ ضَرْبِي ، نَحْوِ : كَمِ رَجُلٍ ضَرْبِي .

وَالشَّارِحُ تَبَعَ الْكُوفِيِّينَ فِي اسْمِيَّتِهَا ، وَخَالَفَهُمْ فِي جَعْلِهَا مُبْتَدَأً لَا خَيْرَ
لَهُ أَبَدًا . وَهَذَا لَا يَتِمُّشِي لَهُ فِي نَحْوِ : رَبٌّ ضَرْبِي ضَرْبِي ، وَلَا يَطَّرِدُ لَهُ

(١) ط : « يتعدى إلى الفعل بنفسه » ، صوابه في ش

(٢) ط : « بالفعل اللازم » ، صوابه في ش

في المكفوفة بما كتموله تعالى : ﴿ رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(١) كما اعترف به ، وجعلها في هذا حرفاً . وجعلها نوعين بحسب الاستعمالين مع اتِّحاد المعنى ، تعسُّفٌ لا ضرورةً تدعو إليه .

وما أورده من الإشكالين على حرفيّتها يضححلان بجعلها حرفاً زائداً لا يتعلّق بشيء ، وهو مذهب جماعة من النحويين ، كالباء ومن الزائدين في نحو : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾^(٢) ، و﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ ﴾^(٣) ، ولعلّ الجارّة في لغة عُقَيْلٍ ، ولولا الجارّة الضمير نحو : لولاي ولولاك ولولاه ، وكاف التشبيه ، وحرف الاستثناء وهو خلا وعدا وحاشا إذا خفّضن . فهذه الحروف كلّها لا تتعلّق بشيء . ذكرها ابن هشام (في الباب الثالث من المعنى) . فيكون محلّ مجرور ربّ في نحو : ربّ رجل كريم عندي ، رفعاً على الابتداء ، ومنه :

* وربّ قتلٍ عار^(٤) *

وفي نحو : ربّ رجل كريمٍ لقيتُ ، نصباً على المفعولية ، ولا يجوز أن يكون مبتدأً والجملة بعده خبر والرابط محذوف ، أي لقيته ، لأنّ ١٧٩ في ذلك تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه . ومثله : « ربّ رُفد هرقته » . البيت . وكذلك : « أسرى من معشر » فإنّه بتقدير : أسرتهم . وفي نحو : ربّ رجلٍ كريمٍ لقيته ، رفعاً أو نصباً ، وفي نحو : ربّ ضربٍ ضربتُ ، نصباً على المفعول المطلق ، وفي نحو : ربّ يومٍ سرت ، نصباً أيضاً على الظرف .

(١) الآية الثانية من سورة الحجر .

(٢) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء وآيات أخرى .

(٣) الآية ٣ من سورة فاطر .

(٤) قطعة من الشاهد ٧٩٨ فيما سياتى .

والدليل على ما ذكرنا أنه يجوز مراعاة محلّ مجرورها كثيراً نحو :
 ربّ امرأةٍ سالحةٍ لقيتُ ورجلاً سالحاً ، وإن لم يجز نحو : مررت بزيد
 وعمراً إلا قليلاً ، كما يأتى نقله من المغنى .

لكنه قال فى الكلام على أقسام العطف على المحلّ : إن له ثلاثة
 شروط : أحدها إمكان ظهور ذلك المحلّ فى الفصيح . وهذا الشرط مفقود
 هنا ، ولعله مستثنى منه .

وقد ذهب ابن هشام (فى الباب الثالث من المغنى) إلى أنها لا تتعلق
 بشئ ، فقال : الرابع أى مما استثنى من قولهم : لا بدّ لحرف الجرّ من
 متعلّق : ربّ فى نحو : ربّ رجلٍ سالحٍ لقيته أو لقيت ، لأنّ مجرورها
 مفعولٌ فى الثانى ومبتدأ فى الأوّل ، أو مفعولٌ على حدّ : زيدا ضربته ، ويقدر
 الناصب بعد المجرور به ، لا قبل الجارّ ، لأنّ ربّ لها الصّدر من بين
 حروف الجرّ ، وإنّما دخلت فى المثاليين لإفادة التّكثير أو التّقليل ،
 لا لتعدية عامل . هذا قول الرّمّانى وابن طاهر . وقال الجمهور : هى
 فىهما حرفُ جرٍّ معدّ . فإن قالوا : إنّها عدّت العامل المذكور فخطأ ، لأنّه
 يتعدّى بنفسه ، ولاستيفائه معموله فى المثال الأوّل . وإن قالوا : عدّت
 محذوفاً تقديره حصّل أو نحوه كما صرح به جماعة ، ففيه تقديرٌ
 لما معنى الكلام مستغن عنه ^(١) ولم يُلفظ به فى وقت . انتهى .

وقال أيضاً (فى بحث ربّ من الباب الأوّل) : وتنفرد ربّ بوجوب
 تصديرها ، ووجوب تنكير مجرورها ، ونعته إن كان ظاهراً ، وإفراجه
 وتذكيره وتمييزه بما يطابق المعنى إن كان ضميراً ، وغلبة حذف معدّها

(١) ط : « مستغنى عنه » ، صوابه فى ش .

ومضيه ، وإعمالها محذوفة بعد الفاء كثيراً ، وبعد الواو أكثر ، وبعد بَلْ قليلاً ، وبدونهنَّ أَقَلَّ . وبأَنَّها زائدة في الإعراب دون المعنى ، فمحلُّ مجرورها في نحو : رَبِّ رجل صالح عندي رفعٌ على الابتداء . وفي نحو : رَبِّ رجل صالح لقيته نصبٌ على المفعولية . وفي نحو : رَبِّ رجل صالح لقيته ، رفعٌ أو نصب . كما في زيداً لقيته . ويجوز مراعاة محله كثيراً وإن لم يجز نحو : مررت بزيد وعمراً ، إلا قليلاً . قال :

وسينٌ كَسْنَيْتِ سَنَاءً وَسُنْمًا ذَعَرْتُ بِمِدْلَاجِ الْمَجِيرِ نَهْوِضٍ (١)

فَعَطْفُ سُنْمًا عَلَى مَحَلِّ سَيْنَ . والمعنى : ذعرت بهذا الفرس ثوراً وبقرة عظيمة . وسُنَيْتِ : جبل بعينه . وسَنَاءً : ارتفاعاً . وزعم الزجاج وموافقوه أَنَّ مجرورها لا يكون إلا في محل نصب . والصواب ما قدَّمناه . انتهى .

وقوله : «بوجوب تصدُّرها» ، أى في جملتها ، وإن كانت مبنية على ما قبلها . ألا ترى أَنَّ ما حرفُ نبي له صدر الكلام ، وأنه يصحُّ : إنَّ زيداً ما قام . وكذلك رَبِّ تقع جملتها خيراً لِإِنَّ ، نحو :

أَمَاوِيَّ إِنِّي رَبِّ وَاحِدِ أُمِّهِ أَخَذْتُ فَلَا قَتْلُ لَدَيَّ وَلَا أَسْرٌ (٢)

وخبراً لِأَنَّ المَخْفَفَةَ ، كقوله :

تَيَقَّنْتُ أَنَّ رَبِّ أَمْرِي خَيْلَ خَائِنًا أَمِينٍ وَخَوَانَ يَخَالُ أَمِينًا (٣)

وجواباً للواو . وهو غريبٌ كقوله :

وَلَوْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ كَيْفَ خَلَفْتُهُمْ لَرُبُّ مُقَدِّ فِي الْقَبُورِ وَحَامِدٍ

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٧٦ واللسان (سثق) . وفي ط : «ذعرت» في البيت وتفسيره ، صوابه في ش والديوان واللسان .

(٢) لحاتم الطائي ، وهو الشاهد ٢٨٦ في الخزانة ٤ : ٢١٠ .

(٣) مع المومع ١ : ١٤٣ / ٢ : ٢٦ .

ومنع أبو حيان وجوبَ تصدُّرها ، هذه الأبيات ، وغلَّط فيه .
 وقوله : « وغلبة حَذَف مُعَدَّاهَا » أى متعلِّقها . وكان ينبغي أن لا يذكر
 هذا ، فإنَّه لا يناسب ما اختاره من عدم التعلُّق بشئ .
 وأجاب عنه الشُّمْنِيُّ بأنَّ مراده به الفعل الذى مجرورها مفعوله .
 وقوله « وبأَنَّها زائدة فى الإعراب » ، أوردِ عَلَيْهِ بأنَّ هذا لا يختصُّ
 بربِّ ، بل لعلَّ ولولا وأخواتهما كذلك . وهو حقُّ . ويمكن أن يجاب
 بأنَّ ربَّ تنفرد بجميع ما ذُكِر لا بكلِّ واحد .

وقوله : « لَأَنَّ مجرورها مفعول فى الثانى » قيل فيه أمران : الأوَّل
 أنَّ كونه مفعولاً لا ينافى التعلُّق . والثانى أنَّ التعلُّق معناه أنَّ المتعلِّق
 معمولٌ بحسب المحلِّ ، إلَّا أن يراد أنَّه مفعولٌ لفعل يتعدَّى بنفسه
 فلا حاجة لتعلُّق الحرف ، بمعنى تعدُّيته للفعل ، بدليل مقابله هذا
 الكلام بقوله : « وقال الجمهور هى فىهما حرف جر مُعَدٌّ » . ثمَّ إنَّه يمكن
 الجواب عن اعتراضه على الجمهور^(١) باختيار الشَّقِّ الأوَّل ، وتعدُّى
 الفعلِ بنفسه لا يمنع تعدُّيه بالحرف إذا قُصِدَ معنى لا يحصل بدون
 تعدُّيه بذلك الحرف ، فإنَّه لو عدَّى هنا بنفسه فات معنى التقليل
 أو التكثير . ونظيره صحَّة قولك : أخذت من الدراهم ، فعديت الفعل بمن
 لإفادة معنى التبويض وإن كان يتعدَّى بنفسه . وأخذُ مفعوله فى المثال
 الثانى لا يمنع جعله معمولاً لمثله ، كما فى : زيداً ضربته .

واعترض الدمامينى على الجمهور بأنه لو كان كما يقولون لم يُعطف
 على محلِّ مجرورها رفعاً ونصباً فى الفصيح ، وقد جاز كما تقول : ربِّ
 رجلٍ وأخاه أكرمتُ ، فيجعلون لها حكم الزائد فى الإعراب وإن لم تكن
 زائدة فى المعنى . ولا يجوز فى الفصيح : بزيدٍ وأخاه مررت .

(١) ط : « عن الجمهور » ، صوابه فى ش :

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدة للأعشى ميمون ، أولها :

(ما بكاء الكبير بالأطلالِ وسؤالى ومايردُ سؤالى)

وتقدّم شرحه مع أبيات منها قريباً .

ومدح هذه القصيدة الأسود بن المنذر ، أخا النعمان بن المنذر اللخمي ، وكان قد أغار على الحليّفين أسدٍ وذبيان ، ثم أغار على الطّف ، فأصابَ نَعْمًا وأسرى ، وسبى من بنى سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة رهطِ الأعشى ، والأعشى غائبٌ ، فلَمَّا جاء إليه وأنشده هذه القصيدة سأله أن يهبَ له الأسرى ففعل . وهذه أبياتٌ منها يخاطب ناقته :

أبيات الشاهد

ع ولا من حَسَى ولا من كلالِ	(لا تَشْكِيْ إِلَى من أَلَمِ النَّسْدِ)
وَدَ أَهْلِ النَّدى وَأَهْلَ الفَعَالِ	لا تَشْكِيْ إِلَى وانْتَجِيْ الأَسْدِ
بِ غَزِيرِ النَّدى شَدِيدِ المِحَالِ	فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ المَجْدِ
قٌ وَحَمَلٌ لِّلْمُعْضِلَاتِ الثُّقَالِ	عِنْدَهُ البُرِّ والتقى وَأَسَا الشُّ
سُ وَفَكَ الأَسْرَى من الأَغْلَالِ	وَصِلَاتِ الأَرْحَامِ قد عِلِمِ النَّا
رِ إِذَا ما التَقَّتْ صُدُورُ العِوَالِ	وَهُوَ أَنِ النَّفْسِ الكَرِيْمَةِ لِلذِّكْرِ
تِ جِبَالٌ وَصَلَتْهَا بِجِبَالِ ^(٢)	ووفاء إِذَا أَجْرَتْ فَمَا عَزَّ
رَةٌ كانت عَطِيَّةَ البُخَالِ	وعطاءً إِذَا سَأَلَتْ إِذَا العِذِّ
مُ رَكُودًا قِيَامَهُمُ لِلهلالِ	أَرِيحِيْ صَلَّتْ تَظَلُّ لَه القَوِّ
طِ جَزِيلاً فَإِنَّه لا يُبَالِ	إِنْ يعاقِبُ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعِ
تَانِ تَحْنُو لِلدردقِ أَطْفَالِ	يَهَبُ الجِلَّةَ الجَراجِرِ كالبُسِّ
سَرِيحِ والشَّرْعِيَّ ذَا الأَذْيَالِ	والبغايا يَرَكُضْنَ أَكْسِيَةَ الإِضِّ

١٨١

(١) مع الهوامع ٢ : ٢٦ .

(٢) في ديوان الأعشى ١٠ : « فاغرت » .

والمكاكيك والصّحاف من الفِ
وجيادًا كأنّها قُضِبُ الشُّو
ودُروعاً من نسجِ داودَ في الحر
لم يُنْشَرَنَّ لِلصَّديقِ ولكنْ
ربّاً رِفْدِ هرقته ذلك اليو
وشيوخِ حَرْبِي بِشَطِّ أريكِ
وشريكين في كثيرٍ من الما
قسماً الطَّارِفَ التَّليدَ من الغنْدِ
لن يزالوا كذلكم ثمَّ لا زِلَا
ضَّةً والصَّامراتِ تحتَ الرِّحالِ
حَطِ يَحْمِلِنَ شِكَّةَ الأبطالِ
بِ وُسُوقاً يُحْمَلْنَ فوقَ الجمالِ
لقتالِ العدوِّ يومَ القِتالِ (١)
مَ وأسرى مِنْ معشرٍ أقيالِ
ونساءِ كأنَّهُنَّ السَّعاليِ (٢)
ل وکانا مُحالِفي إقلالِ
م فأبا كلاهما ذُو مالِ
تَ لَمْ خالداً خلودَ الجبالِ

قوله : « لا تَشْكُنِي إِلَى مِنْ أَلَمِ النَّسْعِ » إلخ هو بكسر النون وسكون
المهمله ، واحده نِسْعَةٌ ، وهى التى تُنْسَجُ عريضاً للتصدير . والحَفَى
بفتح المهمله والقصر : رِقَّةُ الخُفِّ والحافر والقدم ، من كثرة المشى .
والكَلال : مصدر كلِّ البعيرِ وغيره من المشى ، إذا أَعْيَا . والنَّدَى :
الجُود . والفَعَالُ بالفتح : الكرم والجميل . وغزير : كثير . والمحال ،
بالكسر : القُوَّة ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾ (٣) . كذا فى العباب .

وقوله : « وَأَسَا الشَّقِّ » قال شارح ديوانه : أى التثام الشَّقِّ ، ومن ذلك
سَمَى الآسَى الذى يَأْسُو الجُرْحُ . والمعْضَلَةُ : المشكِلَةُ ، أى وعنده حملٌ
للأُمور المعضلات ، وعنده فَكُّ الأَسْرَى . والأَعْلال : جمع غُلِّ بالضم ،
وهو ما يوضع فى عُنُقِ الأَسِيرِ ونحوه من سلسلة حديدٍ أو قَدِيدٍ .

(١) فى الديوان : « لم يبسرَنَّ للصديق » .

(٢) فى الديوان : « بشطى أريك » ، بالثنية .

(٣) الآية ١٣ من سورة الرعد .

وقوله : « وهَوَانٌ » أى وعنده هوانٌ أى إهانةُ النَّفْسِ فى الحرب .
والعوالى : جمع عالية ، وهى من مدخل السنان فى الرَّمح إلى ثلثه .
وصدورها : أوساطها .

وقوله : « ووفاءٌ » أى وعنده وفاءٌ ، إذا أجرت أحداً من أن يظلمه ظالم
فبنى بإجارة من أجارَ من أصدقائه ، فكيف لا يبنى هو بإجارة من يُجيره .
وهذا خطابٌ لكل من يصلح معه الخطاب . وكذا قوله : « وعطاءٌ إذا سألتَ »
أى وعنده عطاءٌ إذا سألتَه . والعذرة بالكسر : العذر ، أى هو يُعطى
ولا يَعتذر ، كما أن البخلاء يعتذرون ولا يُعطون . و« عَزَّ » من العِزَّة وهى
القلة . والحبال مستعارةٌ لليهود .

والأريحيّ : الذى يرتاح للعطاء . والصَّلَت بالفتح ، قال شارحه :
هو القاطع . والراكد : القائم ، فىكون قيامهم مصدراً تشبيهاً .

والغرام ، بالفتح ، قال شارحه : هو الموضع .

وقوله : « يَهَبُ الجِلَّةُ » بالكسر ، جمع جليل ، وهى الإبل المسنة .
والجراجير بجيمين ، قال صاحب الصحاح : هى العظام من الإبل .
وأنشد هذا البيت . قال : وكذلك الجرجور . وقال شارحه : ويروى
الجراجير ، جمع جرجور وهى الإبل الكثيرة . وتَحَنُّو : تَعَطِف . والدَّرْدَقُ :
الصغار من أولادها ، شَبَّها بالبستان .

وقوله : « والبغايا » أى ويَهَبُ البغايا ، قال شارحه : البغايا هنا : أولاد
الإماء . والإضريح : الأخضر من الخَزِّ^(١) . وفى الصحاح : الشَّرْعِيُّ :
ضربٌ من البرود .

(١) بعده فى ش : « والشَّرْعِيُّ : ضرب من البرود » ، فقط .

وقوله: « والمكاكيك » أى ويهبُ المكاكيك ، قال شارحه : المكاكيك : آنية يُشرب فيها الخمر . والصّحاف : القِصاع . والضمّرات : النُّجُب من الإبل .

وقوله : « وجياداً » أى ويهبُ خيلاً جياداً . والقُضْب : جمع قضيب وهو فرعُ الشجر ، شَبَّهها به لضمّرها . والشُّوحط : ضرب من شجر الجبال يُتخذ منه القيسى . قال شارحه : والشُّكَّة : السِّلح الكامل .

وقوله : « ودروعاً » أى ويهبُ دروعاً . قال شارحه : الوسوق : الأحمال ، جمع وِسْق . ويُحْمَلَن بالبناء للمفعول . وكذلك قوله : « لم يُنْشَرَن » . وقوله : (رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ) إلخ ، خطابٌ مع الأسود بن المنذر يمدحه بكثرة قتله وكثرة أسره .

وقوله : « وشيوخ » بالجر عطف على مدخول رُبِّ ، وكذا قوله : « ونساء » ، يقدرُ في الثلاثة سَبَيْتَهُمْ . وخرَّبى : جمع حَرِيب ، من حَرِبَ الرَّجُلُ ماله أى سُلَيْبِهِ ، فهو محروبٌ وحَرِيب .

وقوله : « وشريكين » معطوف أيضاً على مجرور ربِّ ، وهو فى محل رفع على الابتداء . و« فى كثير » متعلِّق به ، وجملة « قَسَمَا » من الفعل والفاعل خبره . وصرَّعى : جمع صريع ، أى مقتول . والمخالفة : المصاحبة . والإقلال : الفقر والحاجة . والطارف : المال المستحدث . والتليد : المال القديم ، وحرف العطف منه محذوف . والغنم بالضم : الغنيمه . وآبا : رجعا . يقول : كانا فقيرين فلما غزوا معك استغنيا ، فقسما بينهما مال الغنيمه الذى كان عند صاحبه طارفاً وتليداً .

قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : أريك ، بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة وآخره كاف : موضعٌ فى ديار غنى بن يعصر . وقال

أبو عبيدة: أريك في بلاد ذبيان ، قال : وهما أريكان: أريك الأسود وأريك الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . قال : وبشطّ أريك قتل الأسود بنى ذبيان وبني دودان ، وسبى نساءهم . قال الأعشى في مدحه الأسود :

وشيوخ صرعى بشطّ أريك البيت
ويدلّك على أنّ أريكاً جبلٌ مشرفٌ قولُ جابر بنِ حنّية^(١) يصف ناقه :
تصدّد في بطحاء عرقٍ كأنما ترقى إلى أعلى أريكٍ بسلم^(٢)
وقال الأخفش : إنّما سمى أريكاً لأنّه جبلٌ كثير الأراك . انتهى .
وقال أيضاً (في شرح أمالي القالي) : هذا اليوم الذي ذكره في قوله :
« رب رفيد هرقته ذلك اليوم » هو اليوم الذي أغار فيه الأسود بن المنذر على الطّف فأصاب نعمةً وأسرى من بني سعد بن ضبيعة رهط الأعشى ، وذلك منصرفه من غزو الحليفين أسدٍ وذبيان . وكان الأعشى غائباً ، فلما قدّم وجد الحيّ مبأحا : فأنشده هذه القصيدة وسأله أن يهب له الأسرى ، ففعل . انتهى .

والطّف : موضعٌ بناحية العراق من أرض الكوفة^(٣) ، وهناك الموضع المعروف بكرّبلاء ، الذي قُتل فيه الحسين بن علي [رضى الله عنهما]^(٤) .
وقول البكري (في معجمه) : والصحيح أنّ الطّف على فرسخين من البصرة غلطٌ وخطأ .

وسبب غزو الحليفين هو ما ذكره الأصبهاني (في الأغاني) : أنّ الحارث

(١) ط : « حى » ، صوابه في ش ومعجم البكري ١ : ١٤٤ والمفضليات .

(٢) البيت ١٠ من المفضلية ٤٢ ص ٢١٠ ، وفي النسختين : « تصمدن » ، تحريف ، صوابه في المفضليات ومعجم ما استعجم ، لأنه في صفة ناقه واحدة .

(٣) ش : « بناحية الكوفة » ، وما أثبت من ط يوافق ما في معجم ما استعجم .

(٤) التكلة من ش .

ابن ظالم المرّي لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو نازل عند النعمان بن المنذر ، سأل الأسود بن المنذر عن أمر يبلغ من الحارث ، فقال عروة بن عتبة : إن له جارات ، ولا أراك تنال منه شيئاً هو أغلظ عليه من أخذهن وأخذ أموالهن . ففعل فبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فخرج من الحيين فدخل في غمار الناس حتى عرف موضع جاراته ومرعى إبلهن ، فجمعهن مع أموالهن ، وسار معهن حتى استنقذهن^(١) .

قال أبو عبيدة : ولحق ببلاد قومهم مستخفياً ، وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان بن أبي حارثة المري ، وكان الأسود بن المنذر دفع إليها ابنه شرحبيل تكفله ، وكانت بنت كثير^(٢) بن ربيعة من بني غنم بن دودان ، امرأة سنان ترضعه ، وهي أم هرم ، فجاء الحارث بن ظالم وكان قد اندس في بلاد غطفان ، فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان ، وهم نزول بالشربة ، فأتى أخته سلمى فقال : يقول لك بعلك : ابغثي بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له منه^(٣) ، وهذا سرجه آية إليك . فزينته ثم دفعته إلى الحارث ، فأتى بالغلام ناحية من الشربة فقتله وهرب ، فغزا الأسود بن زيبان وبني أسد إذ نقضوا العهد ، بشط أريك . قال أبو عبيدة : هما أريكان : الأسود والأبيض ، ولا أدري بأيهما كانت الواقعة .

قال أبو عبيدة : إن سلمى امرأة سنان التي أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بني أسد ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى ، لدفع الأسدية ابنه إلى الحارث . وفي ذلك يقول الأعشى يمدح الأسود :

(١) انظر الخبر بتفصيل في الأغاني ١٠ : ٢٢ .

(٢) في الأغاني : « وكانت سلمى بنت كثير » .

(٣) في الأغاني : « حتى أستأمن له ويتخفر به » .

وشيوخِ صَرَعى بِشَطِّ أَرِيكِ ونساءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي
 مِنْ نِوَاصِي دُودَانَ إِذْ نَقَضُوا الْعَهْدَ لَدَى وَذِيانَ وَالْمُحْجَانِ الْغَوَالِي
 رَبِّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرِ أَقْتَالِ
 هَوْلًا ثُمَّ هَوْلًا كَلًّا أَحْذِيكَ سَتَ نِعَالًا مَحْدُوءَةً بِمِثَالِ
 وَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْدُو لًا وَكَعْبُ الَّذِي يُطِيْعُكَ عَالِي

قال : ووُجِدَتْ نَعْلُ شُرْحَبِيلَ عِنْدَ أَضَاخَ . بضم الألف وبالمعجمتين ،
 وهى من الشَّرْبَةِ من ديار بنى مُحَارِبِ بنِ خَصْفَةَ بنِ قَيْسِ عَيْلَانَ .

قال : فَأَحْمَى لَهُمُ الْأَسُودَ الصَّفَا بِصَحْرَاءِ أَضَاخَ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي
 أَحْذِيكُمْ نِعَالًا . فَأَمَّا هُمْ عَلَى ذَلِكَ الصَّفَا فَتَسَاقَطَ لَحْمُ أَقْدَامِهِمْ . فَلَمَّا كَانَ
 الْإِسْلَامَ هَجَا جَوْشَنُ الْكِنْدِيُّ بَنِي مُحَارِبِ ، فَعَبَّرَهُمْ بِتَحْرِيقِ الْأَسُودِ
 أَقْدَامَهُمْ ، فَقَالَ :

عَلَى عَهْدِ كِسْرَى نَعَلْتَكُمْ مَلُوكُنَا صَفَاً مِنْ أَضَاخَ حَامِيًا يَتَلَهَّبُ
 وَصَارَ ذَلِكَ مَثَلًا يَتَوَعَّدُ بِهِ الشُّعْرَاءُ .

ومثل ذلك أَنَّ ابْنَ عَبَادِ الْكِلَابِيِّ ، وَرَدَّ عَلَى بَنِي الْبُوسِ ^(١) مِنْ
 جَدِيلَةَ طَيْبٍ ، فَسَرَقُوا سِهَامًا لَهُ فَقَالَ يَحْذَرُهُمْ :
 بَنِي الْبُوسِ رُدُّوا أَسْهُمِي إِنْ أَسْهُمِي كَنَعْلِ شُرْحَبِيلَ الَّتِي فِي مُحَارِبِ
 وَإِنَّمَا فَعَلَ الْأَسُودُ ذَلِكَ بِبَنِي مُحَارِبِ مِنْ أَجْلِ نَعْلِ شُرْحَبِيلَ الَّتِي
 وَجِدَتْ عِنْدَهُمْ . انْتَهَى .

وقوله : « لن يزالوا » بالياء التحتية بضمير الغيبة الراجع لمجموع مَنْ
 ذَكَرَ مَنْ قُتِلُوا وَأَسْرُوا وَنُهَبُوا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَمِنْ غَزَا مَعَهُ وَقَتَلَ وَغَنِمَ
 مِنَ الْأَوْلِيَاءِ . وقوله : « لا زلت » بالخطاب ، و« لهم » بضمير الغيبة . فظهر
 من هذا أَنَّ رِوَايَتَهُ فِي كِتَابِ النُّحُو « لَنْ تَزَالُوا » بِالْخَطَابِ « وَلَا زَلْتُ

(٤) فِي الْأَغَانِي : « النَّوَسُ : بِالنُّونِ هُنَا وَفِي الْبَيْتِ التَّالِي ، وَلَمْ أَجِدْ لِأَحَدِهِمَا مَرَجًا .

لكم « بالتكلم والخطاب ، على خلاف الرواية الصحيحة .
وترجمة الأعشى تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل
الكتاب^(١) . وهو شاعر جاهليّ .

وقد اشتبهه على العيني فقال : قائلُ :

ربّ رفدٍ هرقته ذلك اليو م البيت .

أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن .

ولا يخفى أنّ هذا الشاعر إسلاميٌّ في الدولة مروانية زمن الحجاج ،

ولم يكن في زمن الأسود بن المنذر .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد السبعمئة^(٢) :

٧٩٨ (إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن عاراً عليك وربّ قتلٍ عارُ)

على أنّ الأخفش استدللّ به على اسمية (ربّ) ، فهي مبتدأ وعارٌ خبرها .

قال الشارح المحقق : والأولى^(٣) أنّ يكون عار خبر مبتدأ محذوف ،

والجملة صفة مجرورها .

وأقول : مفهومه أنّه يجوز على خلاف الأولى ما ذكره الأخفش ،

وهو خلاف ما اختار فيها من أنّها مبتدأ لا خبر له ، فكان الظاهر على

مذهبه أن لا يذكر الأولى .

ومن جعل ربّ حرف جرّ زائد^(٤) لا يتعلّق بشيء قال : قتلٍ المجرور

في محلّ مبتدأ مرفوع وعار خبره ، وما في ربّ من معنى التكثير هو

المخصّص لابتدائية قتل .

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) المقتضب ٣ : ٦٦ والبيان ١ : ٢٩٣ والأغانى ١٣ : ٥٣ والأزهية ٢٦٩ وابن

الشجرى ٢ : ٣٠١ وحماسة ابن الشجرى ٩٠ والمقرب ١ : ٢٢٠ والضرائر ١٧٣ والمغنى

٢٧ ، ١٣٤ ، ٥٠٣ والتصريح ٢ : ١١٢ والمعجم ١ : ٩٧ .

(٣) ط : « الأولى » ، وأثبت ما في ش وشرح الرضى ٢ : ٣٠٨ بإثبات الواو .

(٤) في النسختين : « زائد » صوابه بالنصب كما أثبت .

واقترع ابن عصفور (في كتاب الضرائر) على أن الضمير الواقع مبتدأ محذوف ، والجملة صفة لقتل ، لكن جعل حذفه ضرورة .

وكذا خرج ابن هشام (في الأشياء التي تحتاج إلى الربط من الباب الرابع من المغني) ، إلا أنه لم يقيده بضرورة . وقيل فيه غير ذلك . وروى أيضاً : « وبعض قتل عار » ، فلا شاهد فيه .

قال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : قال أبو العباس المبرد : هكذا أنشده النحويون ورب قتل عار على إضمار هو عار . وأنشدنيه المازني : « وبعض قتل عار » ، وهو الوجه .

والبيت من قصيدة لثابت قُطْنَةَ ، رثي بها يزيد بن المهلب بن أبي صاحب الشاهد
صُفْرَةَ ، أورد منها أربعة أبيات الشَّريفِ الحُسَيْنِي (في حماسته) وبعده :
شَهِدْتُكَ مِنْ يَمِينِ عَصَائِبُ ضَيَّعَتْ ونَأَى الَّذِينَ بِهِمْ يُصَابُ الثَّارُ
ولقد بسطت لهم يمينك بالندى مثل الفرات تمده الأنهار
حتى إذا شَرِقَ القَنَا ، وجعلتهم تحت الأسننة ، أسلموك وطاروا
واقترع الجاحظ (في البيان والتبيين) منها على الثلاثة أبيات (١) ،
وكذلك صاحب الأغاني ، وهي :

كُلُّ القَبَائِلِ بَايَعُوكَ عَلَى الَّذِي تدعو إليه طائعين وساروا
حَتَّى إِذَا حَمَى الوَغَى وجعلتهم نُضِبَ الأَسْنَنَةَ أسلموك وطاروا
إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ البيت (٢)

والعصائب : جمع عصابة ، وهي الجماعة . وشرق القنا ، أي احمرت

(١) كذا في النسختين ، وهو وجه جائز في العربية على قبحه ، حكاه ابن عصفور كما في شرح درة الفواص ١٣٥ . قال الخفاجي : « ووقع في صحيح البخاري : « وأق بالالف دينار » .
(٢) عجزه في البيان ١ : ٢٩٣ والشعراء ٦٣١ والأغاني ١٣ : ٥٢ :

• عاراً عليك وبعض قتل عار •

وبهذه الصورة لا شاهد فيه .

الرَّماح بالدم . وأسلموك : خذلوك ولم يُعينوك . والأسنة : جمع سنان ، وهي حديدة الرمح التي يُطعن بها . ونُضِبَ الأسنة : قُبالَتها وجِهَتها . والوغي : الحرب . وحَمِيها عبارة عن اشتدادها .

وقوله : (إنَّ يَقتُلوكَ فإنَّ قَتَلَك) أراد : إنَّ يفتخروا بسبب قَتَلِكَ أو إنَّ يتبيِّن أنَّهم قتلوك .

١٨٥

وقوله : « كلُّ القبائل بايعوك » إلخ يريد أنه خلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه في البصرة ، فجهز يزيد بن عبد الملك لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وخرج يزيد بن المهلب واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد ، وسار حتى نزل العفر ، وهي عفر بابل عند الكوفة بالقرب من كربلاء ، ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب ، فاصطفوا ، فشدَّ أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم . ثم إنَّ أهل الشام كثروا عليهم فكشفوهم ، وما زال الحربُ بينهم ثمانية أيام حتى كان يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة مضت من صفر^(١) سنة اثنتين ومائة ، وشرع أصحاب ابن المهلب يتسللون من حوله ، وبقيت معه جماعة ، فقاتل حتى قُتل هو وأخوه محمد بن المهلب ، وجماعة من أهله .

ثابت قطنه

وثابت قطنه هو (كما في الأغاني) ثابت بن كعب ، وقيل : ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا العلاء ، أخو بني أسد بن الحارث ابن العتيك . وقيل بل هو مولى لهم . ولقب قطنه لأنَّ سهماً أصاب إحدى عينيه فذهبَ بها في بعض حروب التُّرك ، فكان يحشوها قطنه . وهو شاعرٌ فارسٌ شجاع ، من شعراء الدولة الأموية . وكان من أصحاب

(١) يقول النحاة إن رجب وصفر يمتدان من الصرف إن أريد بهما معين . انظر يس عل

يزيد بن المهلب ، وكان يولِّيه أعمالاً من أعمال الثغور ، فَيُحَمَّدُ فيها مكانه ، لكفايته ^(١) وشجاعته . وكان وليّ عملاً من أعمال خراسان ، فأمّا صعيد المنبر يوم الجمعة رامّ الكلام فتعدّر عليه وحصر ، فقال : « سيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا ، وبعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فعّالٍ ، أحوجُّ منكم إلى أميرٍ قوّالٍ .

ولأَنَّ أَكْنَ فيكم خطيباً فإنني بسبقٍ إذا جدّ الوغى لخطيب ^(٢) »

فبلغت كلماته خالد بن صفوان ، وقيل الأحنف بن قيس ، فقال : والله ما علا المنبر أخطبُ منه في كلماته هذه ، ولو أنّ كلاماً استخفني فأخرجني من بلادي إلى قائله ، استحساناً له ، لأخرجتني هذه الكلمات ^(٣) .

وروى عن دِجبل بن علي قال : كان يزيد بن المهلب تقدّم إلى ثابت قطنة أن يصلّي بالناس يوم الجمعة ، فلما صعد المنبر ولم يُطِق الكلام قال حاجبُ الملقّب بالفيل ، ابن ذبيان المازني ^(٤) :

(١) في الأغاني ١٣ : ٤٧ : « لكتابته » ، وما هنا صوابه .

(٢) في الشعراء ٦٣٠ أن يزيد بن المهلب استعمله على بعض كورخراسان ، فلما علا المنبر حصر فلم ينطق حتى نزل ، فلما دخل عليه الناس قال :

فإلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسبقٍ إذا جدّ الوغى لخطيب

فقالوا : لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت أخطب الناس . ونحو هذه الرواية في العقد ٤ : ١٤٧ - ١٤٨ . لكن ذكر أن الخطبة كانت بسجستان ، وانظر أمالي المرتضى ٢ : ١٠٥ . والذي في الطبري ٧ : ٣٨ أنه خطب أهل خراسان فحصر فقال : « من يطع الله ورسوله فقد ضل ! » وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إن لم أكن فيكم خطيباً فإنني بسبقٍ إذا جدّ الوغى لخطيب

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيباً .

هذا إلى أن الخطبة التي رواها البغدادي عن أبي الفرج ، منسوبة إلى يزيد بن أبي سفيان في الكامل ٥٧ والعقد ٤ : ١٤٧ قالها حين ولاه أبو بكر الصديق ربماً من أرباع الشام . وهي أيضاً منسوبة إلى عثمان بن عفان في أمالي المرتضى ٢ : ١٠٣ والبيان ١ : ٣٤٤ .

(٣) في العقد : « فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه » ، يعنى كلام يزيد بن أبي سفيان : وكذلك أيضاً في الكامل : « فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : هن مخرجاتي من الشام ، استحساناً لكلامه » .

(٤) وكذا في الأغاني ، وصوابه « بن دينار » ، كما في الحيوان ١ : ١٩١ والبيان ٢ : ١٨٣ .

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان، بعد عزّل عبد الرحمن بن نعيم ،
جلس يعرض الناس : وعنده حميد الرؤاسي ، وعبادة المحاربي ، فلما
دعا بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامّ السلاح جواد الفرس ، فارساً من
الفرسان ، فسأل عنه فقيل : هذا ثابت قطنة ، وهو أحد فرسان الثغور .
فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال له حميد، وعبادة : هذا أصلحك
الله الذي يقول :

إِنَّا لَضَرَّابُونَ فِي حَمَسِ الْوَعَى رَأْسَ الْخَلِيفَةِ إِنْ أَرَادَ صَلُودَا
فقال سعيد : علىّ به . فردّوه وهو يريد قتله ، فقال له : أنت القائل :
« إِنَّا لَضَرَّابُونَ » البيت ؟ فقال : نعم أنا القائل :

إِنَّا لَضَرَّابُونَ فِي حَمَسِ الْوَعَى رَأْسَ الْمَتَوَجِّحِ إِنْ أَرَادَ صَلُودَا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفساداً وكرّ عنودا
فقال سعيد : أوّل لك ، لولا أنّك خرجت منها لضربت عنقك .

وروى الأصبهاني بسنده إلى أبي عبدة قال : كان ثابت قطنة قد
جالس قوماً من الشراة وقوماً من المرجثة ، كانوا يجتمعون فيتجادلون
بخراسان ، فمال إلى قول المرجثة وأحبّه ، فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم
قصيدة قالها في الإرجاء :

يَا هِنْدُ إِنِّي أَظُنُّ الْعَيْشَ قَدْ نَفِذًا وَلَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا مُدْبِرًا نَكِدًا
إِنِّي رَهِينَةٌ يَوْمٍ لَسْتُ سَابِقَهُ إِلَّا يَكُنْ يَوْمَنَا هَذَا فَقَدْ أَفِئِدَا
بَايَعْتَ رَبِّيَ بَيْعًا إِنْ وَفَيْتُ بِهِ جَاوَزْتُ قَبْلِي كِرَامًا جَاوَرُوا أَحَدًا^(١)
يَا هِنْدُ فَاسْتَمْعِي لِي إِنْ سِيرْتَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نُشِرْكَ بِهِ أَحَدًا
نُرْجِي الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مَشْبَهَةً وَنَصْدُقُ الْقَوْلَ فِيمَنْ جَارَ أَوْ عَنَدَا
المسلمون على الإسلام كلهم^(٢) والمشركون استووا في دينهم قدداً^(٣)

(١) في الأغاني : « قتل كراما » يشير إلى قتل أحد وشهدائها .

(٢) ط : « أشتروا دينهم » ش : « أشتروا دينهم » ، صوابها من الأغاني ١٣ : ٥٠ .

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً
 لا نسفكُ الدم إلا أن يُراد بنا
 من يتق الله في الدنيا فإن له
 وما قضى الله من أمرٍ فليس له
 كل الخوارج مُحطٍ في مقاتله
 أمّا عليٌّ وعثمانُ فإنَّهما
 وكان بينهما شغبٌ وقد شهدا
 يُجزى عليٌّ وعثمانُ بسعيهما
 الله يعلم ماذا يحضران به
 وأطال الأصبهاني ترجمته ، وفيما أوردنا كفاية .

١٨٧

* * *

وأنشده بعده :

(يارب هيجاً هي خير من دعه)

وتقدم شرحه قبل بيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد السبعمائة (٢) :

٧٩٩ (ربِّما ضربةٌ بسيفٍ صَقيلٍ بين بصرى وطعنةٍ نجلاء)

على أن ما المتصلة بربِّ فيه زائدة لا كافة ، ولذا عملت رُبَّ الجرِّ

في ضربةٍ .

(١) الجدد ، بفتحين : الأرض الصلبة ، وقيل المستوية . وفي المثل : « من سلك الجدد آمن العثار » .

(٢) معجم المرزبانى ٢٥٢ ، والأزهية ٨٠ ، ٩٤ ، وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ ، وحجاسة ابن الشجرى ٥١ ، والمنغى ١٣٧ ، ٣١٢ ، والعيى ٣ : ٣٤٢ ، والممع ٢ : ٣٨ ، والتصريح ٢ : ٢١ ، والأشمونى ٢ : ٢٣١ ، والأصعبيات ١٥٢ .

ومن العجائب قولُ العيني : كلمة ربَّ دخلت عليها ما الكافّة ، ولكنّ ما كَفَّتْها عن العمل ههنا ، ولهذا جرّت ضربة . انتهى .

وقوله : (بسيفٍ) متعلّق بضربة . (صَقِيل) بمعنى مصقول ، أى مجلّو ، صفة لسيف . و (طعنةٍ) بالجر معطوف على ضربة . و (نجلاء) بالنون والجميم . والنجلاء : الواسعة البيّنة الاتّساع ، من قولهم : عينٌ نَجْلَاءُ ، أى واسعة . وهى صفة طعنة ، وجرّها بالكسرة للضّرورة . وقوله : (بين بُصْرَى) ظرف متعلّق بضربة ، ويقدر مثله لطفة . و (بُصْرَى) بضم الموحّدة وسكون الصاد المهملة والقصر : بلدٌ قربَ الشّام هى كرسى حوران ، كان يقوم فيها سوقٌ للجاهليّة . وقد قدّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرّتين : مرّةً مع عمّه أبى طالب ، وأخرى فى تجارة لسيدتنا خديجة أمّ المؤمنين رضى الله عنها . وإنّما صحّ إضافة بينَ إلى بُصْرَى لاشتمالها على متعدّدٍ من الأمكنة ، أى بين أماكن بُصْرَى ونواحيها .

وروى الشريف الحُسَيْنى (فى حماسته) : « دُونَ بُصْرَى » . ودون هنا بمعنى قَبْلَ ، أو بمعنى خَلْفَ . وقال العيني : بمعنى عند .

والبيت أوّل أبياتِ سِتِّ لعدىّ بن الرّعلاء الغَسّانى ، أوردها الأعلام صاحب الشاهد والشريف الحسينى (فى حماستهما) . وبعده :

(وغموسٍ تَضَلُّ فيها يدُ الآسى وَيَعْيَا طيبُها بالدّواءِ أبيات الشاهد
 رَفَعُوا رايةَ الضُّرابِ وأعلّوا لا يندودون سامرَ المَلْحاءِ
 فَصَبَرْنَا النُّفوسَ لِلطَّعْنِ حَتَّى جَرَّت الخيلُ بيننا فى الدِّماءِ
 ليس مَنْ مات فاستراح بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الميْتُ مَيِّتُ الأحياءِ
 إِنَّمَا الميْتُ من يعيشُ كَثيباً كاسفاً بأله قليلَ الرِّخاءِ^(٢)

(١) فى حماسة ابن الشجرى والأصمعيات : « وآلوا لينودن سائر البطحاء . »

(٢) كذا فى نص البيت وشرحه وهو يطابق ما فى معجم المرزبانى ٢٥٢ . والمعروف : « قليل

وقوله: « وَغَمُوسٌ » بالجرِّ عطف على نجلاء ، يقال طعنة غموسٌ : نافذة . وقوله: « تَضَلُّ فِيهَا » إلخ صفةٌ كاشفةٌ لغموس ، أشار به إلى سعة الطعنة وبُعْدِ غَوْرها . والآسى : المُعالج الجِراح . وَيَعِي ، من عَيَّى بالأمر ، من باب تَعِب : عَجَزَ عنه ولم يَهْتدِ لوجهه . وفيه إشارةٌ إلى إصابة الطعنة المقتلَ واليأس من علاجها .

وقوله: « رَفَعُوا رَايَةَ الضَّرَابِ » إلخ الِراية : علمَ الجيش ، قيل أصلُها الهمز ، لكنَّ العرب آثرت تركه تخفيفاً . وقد أنكَرَ هذا القولُ بأنَّه لم يُسمع الهمزُ أصلاً . والضَّرَاب : مصدر ضاربه بالسيف وغيره مضاربةٌ وضِراباً . وقوله: « وَأَعْلَوَا » معطوف على رَفَعُوا ، وإِنَّمَا رَفَعُوا الرَايةَ وَأَعْلَوُهَا تأكيداً للضَّرَاب وتشديداً . وينودون : يطرُدون ويَمنعون . والسامر : اسمُ جمع بمعنى السَّمار ، وهم القوم يتحدَّثون بالليل . والمَلْحَاءُ ، بفتح الميم والحاء المهملة : موضعٌ يَدفع فيه وادى ذى الحُلَيْفة . كذا قال البكري (في المعجم ^(١)) . وهذا المصراع هو معنى قوله : « رَفَعُوا رَايةَ الضَّرَابِ » .
وقوله: « فَصَبَرْنَا النُّفُوسَ » أى حبسناها .

وقوله: « إِنَّمَا المَيْتُ » إلخ المَيْت بسكون الياء : مخفف مَيْت بتشديد يدها . وَفَرَقَ بعضهم بآنَّ الأَوَّلِ مَنْ وَقَعَ عليه الموت ، والثاني هو الحيُّ الذى سيموت . وقد ضمَّن البحترىُّ هذا البيت في أمرَدَ طلعت لحيتهُ ، فقال :
يا قتيلاً باللَّحِيَةِ السوداءِ آفةُ المُردِ في خُروجِ اللَّحَاءِ ^(٢)

(١) وفي اللسان (ملح ٤٤٥) أن الملحاء كتيبة كانت لآل المنذر . وفيه أيضا أن الملحاء والشهباء كتيبتان كانتا لأهل جفنة .

(٢) في ديوان البحترى ٨ هندية و ١ : ٤٩ صيرفي : « للحية السوداء » عن أن سواد لحيته قفى على جماله بعد أن كان أمرد بفساً . وأصل اللحاء : قشر الشجرة ، كنى بها عن الحي . وبين هذا البيت وتاليه في الديوان :

شاهدى فى ادعاء موتك بيت^(١) قاله شاعر^(٢) من الشعراء
ليس من مات فاستراح بميت^(٣) إنما الميت ميت الأحياء
والكئيب : الحزين . وكاسفاً وقليلاً^(٤) منصوبان ، من كسفت حال
الرجل ، من باب ضرب ، إذا ساءت . والبال : الحال فاعل كاسفاً .
والرخاء بالخاء المعجمة : اسم^(٥) من رخی العيش ورخو ، من بابي تعب وقرب ،
إذا اتسع ، فهو رخی على فعيل^(٦) .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى المغنى) على أن الحال قد يتوقف
معنى الكلام عليها كما هنا ، فإن كئيباً حال ولا معنى لما قبله بدونه .
وهذه الأبيات من قصيدة أوردا^(٧) منها هذا المقدار .
وبعد السادس :

(فأناسٌ يُمصَّصون عِشاراً وأناسٌ حُلوقهم فى الماء^(٨))
ومنها :

(كم تركنا منكم بعين أباغ^(٩) من ملوك وسوقة ألقاء^(١٠)
فرقت بينهم وبين نعيم^(١١) ضربة فى صفيحة نجلاء^(١٢))
والعِشار : جمع عُشراء ، وهى الناقة . وأباغ بضم الهمزة وفتحها بعدها

(١) فى الديوان : « فى بيان موتك بيت » .

(٢) ط : « وقليل » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) سبق التنبيه على أن الرواية المعروفة : « قليل الرجاء » .

(٤) يعنى كلام الأعلام الشتمى والشريف الحسينى المعروف بابن الشجرى .

(٥) فى معجم المرزبانى : « يمصصون ثمادا » . والتماد كالمثد بالفتح ، والمثد بالتحريك :

الماء القليل . صور بذلك تباين الحظوظ وتحالف الجدود . فهى الرواية الجيدة .

(٦) ط : « كم تركناكم » ، صوابه فى ش . والألقاء : جمع لقى كفى ، وهو الشيء الملقى .

وفى معجم المرزبانى : « ألقاء » بالفاء : جمع لقى بوزن لقى أيضاً ، وهو الشيء المطروح .

(٧) فى معجم المرزبانى : « ضربة من صفيحة » ، والصفيحة : إحدى صفائح الرأس ،

وهى قبائله ، وهذا المعنى يتجه مع رواية الخزانة . كما تتجه الرواية الأخرى بتفسير الصفيحة

بأنها السيف المر يرض .

موحّدة ثم غين : موضع بطرف الشام . وهناك أوقع الحارثُ الغسّاني
الحرّاب ، وهو يديّن لقيصر ، بالمنذر بن المنذر وعرب العراق ، وهم يدينون
لكسرى ، وقُتِل المنذرُ يومئذٍ ، قتله شمر بن عمرو من بني حنيفة . كذا
في المعجم للبكري .

عدى بن الرعلاء وهو يديّن لقيصر ، بالمنذر بن المنذر وعرب العراق ، وهم يدينون
لكسرى ، وقُتِل المنذرُ يومئذٍ ، قتله شمر بن عمرو من بني حنيفة . كذا
بفتح الراء وسكون العين المهملتين بعدها لامٌ فألف ممدودة . كذا ضبطه
العسكري (في كتاب التصحيف ^(١)) .

* * *

وأنشد بعده :

(ماوىّ يا ربّتما غارّة)

وتقدّم شرحه قريباً ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للثمانمائة ^(٣) :

٨٠٠ (ربّما الجاملُ المؤبّلُ فيهمُ وعَنَاجِيحُ بينهنَّ المِهَارُ)

على أَنَّ رَبَّ المكفوفة بما لا تدخل على الفعل عند سيويه . وهذا
البيت شاذٌّ عنده لدخول ربّ المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإنَّ
الجميل مبتدأ ، والمؤبّل صفة ، وفيهم هو الخبر ، وتكون ربّ كما قال
أبو حيان من حروف الابتداء تدخل على الجمل فعلية كانت أو اسمية
للقصد إلى تقليل النسبة المفهومة من الجملة . فإذا قلت : ربّما قام زيد ،
كأنّك قلّلت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قلت : ربّما زيد

١٨٩

(١) كتاب التصحيف ١٠ والنص فيه محرف فليصح .

(٢) هو الشاهد ٧٦٠ في هذا الجزء . وقد أعاده قبل الشاهد ٧٦٠ . وتماه :

* شعواء كاللذعة بالميسم *

(٣) الأزهية ٩٣ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ ورفص المبانى ١٩٣ ، ٣١٨ والمغنى ١٣٧ ،

٣١٠ والمغنى ٣ : ٣٢٨ والتصريح ٢ : ٢٢ والممع ٢ : ٢٦ ، ٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٣٠ ،

٢٣٢ وديوان أبي دواد ٣١٦ ،

شاعر، قلّلت نسبة شعر زيد. ونقل التبريزى عن المصنف (فى شرح هذه المقدمة) أنّ ربّ المكفوفة نُقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نُقلت قد الداخلة على المضارع فى نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾^(١) من معنى التقليل إلى معنى التحقيق. ودخولها على الجملة الاسميّة مذهبُ المبرّد والزمخشريّ ، وابن مالك . قال (فى التسهيل) : وإنّ ولى ربّما اسمٌ مرفوعٌ فهو مبتدأٌ بعده خبرٌ ، لا خبر مبتدأٍ محذوف . وما نكرةٌ موصوفة ، خلافاً لأبى على . انتهى .

فما عند أبى علىّ بمعنى شيء ، والجمال خبر مبتدأٍ محذوف ، أى هو الجامل ، والجملة الاسميّة صفة له ، فيكون كقوله :

يا ربّ هَيْجَا هى خَيْرٌ من دَعَا^(٢)

وقد تُطلق على ذوى العلم . حكى أبو زيد : « سبحان ما سخّرُكنّ لنا » وقال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ وما بَنَاهَا ﴾^(٣) . وقال الشاعر^(٤) :

* ربّما ظاعنٌ بها ومُقيّمٌ^(٥) *

أى ربّ إنسانٍ هو ظاعنٌ بقلبه مع أحبّته الذين ظعنوا عن بلدته . قال المرادى (فى شرح التسهيل) : وخرّجه ابن عصفورٍ على تخريج أبى علىّ . ونسبه بعضهم إلى الجمهور ، قال : وهو الصحيح ، إذ لو كان ما اختاره المصنّف [لَسُمِعَ^(٦)] من كلامهم : ربّما زيدٌ قائمٌ ، بتصريح المبتدأ والخبر . ولم يُسمَع ذلك فيما أعلم . انتهى .

(١) الآية ٦٤ من سورة النور .

(٢) للبيد . وهو الشاهد ٧٩٦ .

(٣) الآية ٥ من سورة الشمس .

(٤) هو أبو دواد . ديوانه ٣٤٢ ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٠ .

(٥) صدره : * سالكات سبيل قفيرة بدى *

وبدى على وزن فعل : موضع بالبادية كما فى معجم البكرى عند إنشاد البيت .

(٦) التكلّة من ش .

أقول : قائل هذا أبو حيان .

فإن قلت : أليس الخبر وهو فيهم مصرحاً في البيت فكيف يدعى عدم السماع . قلت : له أن يمنعه بجعله ظرفاً مستقراً على أنه حال من الضمير في المؤنل . لكن ما ذهب إليه فاسد ، لأنه صحح مذهب الفارسي بما أبطله ، لأنه هو القائل بأن المرفوع بعد ربّما خبر مبتدأ ، أي ربّما هو الجامل . فذهب إلى أنه لو كان هذا التقدير صحيحاً لسمع من كلامهم : ربّما زيد قائم ، لكن لم يسمع . فيلزم من هذا أن ما ذهب إليه الفارسي باطل من إضمار المبتدأ وإظهار الخبر ، إذ لو جاز لسمع إظهار المبتدأ والخبر في كلامهم . على أننا نقول : قد يمكن أن يكون في البيت ما يوجب تصحيح ما يريد إبطاله ، بجعل الجامل مبتدأ وفيهم الخبر ، والجملة صفة لما ، وهي بمعنى ناس ، ولا حذف ، لصحة المعنى عليه ، فيكون الجزءان قد سمعا بعد ربّما . وهو عين ما ادعى عدم سماعه . والله أعلم .

والبيت من قصيدة طويلة عدتها ثمانية وسبعون لأبي ذؤاد الإيادي .

حب الشاهد

وهذه أبيات من أولها :

(أوحشت من سُروبِ قومي تعارُ
بعد ما كان سربُ قومي حيناً
فإلى الدور فالمروراة منهم
فقد آمنت ديارهم بطن فلج
ربّما الجامل المؤنل فيهم
ورجال من الأقارب بانوا
وجواد جم الندى ، وضروب
ذاك دهر مضى فهل لدهور

فأروم فشابة فالستار
لم الخيل كلها والبحار^(١)
فجفير فناعم فالديار^(٢)
ومصير لصيفهم تعشار
وعناجيج بينهن المهار
من حذاق هم الرؤوس الخيار
برقاق الطبات ، فيه صغار
كن في سالف الزمان انكرار)

ت الشاهد

١٩٠

(١) في الديوان ٣١٦ : « لم النخل » .

(٢) في الديوان : « فحفير » بالحاء المهملة .

قال شارحُ ديوانه يعقوبُ بن السكيت : أوحشت : أقفرت . وسُرُوبُ : جمع سَرَبٍ بفتح فسكون : المال السَّارِحُ من إِبِلٍ وخيل . وتِعَارٌ ، وأروم ، وشابة ، والسُّتَار : مواضع ، والأوَّلُ بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة . والثاني بفتح الهمزة وضم الراء المهملة ، والثالث بالشين المعجمة والباء الموحدة ، والرابع بكسر السين المهملة بعدها مثناة فوقية . والبحار : الرِّيف . قال الأصمعي : وكذلك البُحور : الريف .

وقوله « فإلى الدور » إلخ قال شارحه : الدُّور : جُوبٌ تنجاب في الرَّمَل . وما بعد الدُّورِ فأسماءُ مواضع ، والأوَّلُ بفتح الميم والراء ، والثاني بفتح الجيم وكسر الفاء ، والثالث بالنون وكسر العين المهملة . وفَلَجٌ بفتح الفاء وسكون اللام بعدها جيم . وكذلك تِعْشَارٌ بكسر المثناة الفوقية وسكون العين المهملة بعدها شين معجمة . قال شارحه : أى يحضرون في الصيف تِعْشَاراً^(١) .

وقوله : (رَبِّمَا الجامل) إلخ . قال شارحه : الجامل : الجماعة من الإِبِل ، لا واحد لها من لفظها . ويقال إِبِلٌ مؤبلةٌ إذا كانت للقنية . والعناجيج : الخيل الطَّوال الأعناق ، واحداها عُنجوجٌ . انتهى . فالجامل : اسمُ جمعِ الجَمَل ، كالباقر اسم جمعِ البقر . وقال الجوهري : الجامل : القطيع من الإِبِل مع رُعاته وأربابه . و (المؤبِّل) : اسم مفعول من أَبَّلَ الرَّجُلُ تَأْبِيلاً ، أى اتَّخَذَ الإِبِلَ واقتناها . وضمير (فيهم) راجعٌ لقومه إن كانت ما بمعنى شيءٍ أو كَافَّةً ، ولِمَا^(٢) ، إن كانت بمعنى ناس . و(عناجيجُ) بالرفع معطوف على الجامل . وجملة (بينهنَّ المِهَار) صفة لعناجيج ،

(١) ش : « تمشار » .

(٢) أى ولكلمة « ما » . وفى ط : « وأما » ، صوابه فى ش .

فالرابط محذوف أى فيهم . واليهار : جمع مُهَر ، بكسر الميم فى الجمع وضمها فى المفرد ، وهو ولد الفرس ، والأنثى مُهْرَة .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : ورواه بعضهم : « ربّما الجمالِ »
بجر الجمال على أنه مجرورُ برُبّ وما زائدة .

وقوله : « ورجالٌ من الأقارب » إلخ بانوا : بَعُدوا . وحُذاق : مرخّم حُذاقَة فى غير النداء ، وهو بضم المهملة بعدها ذالٌ معجمة وقاف . قال شارحه : حُذاقَة : بطنٌ من إِياد . ورجالٌ بالرفع معطوف على الجمال ، ومن الأقارب فى موضع الصفة لرجال ، وبانوا خبر رجال . ومن حُذاق متعلّق ببانوا .

وقوله : « وجواد » إلخ الجواد : الكريم . وجمٌ الندى : كثير المعروف . والندى : السخاء ، يقال فلانٌ أندى من فلان كفاً . والطّباتُ : جمع طَبَة ، وهى طرف السيف . والصّعار ، بفتح المهملتين : العظمة والخيلاء . كذا فى فى شرحه . وجوادٌ معطوف على الجمال ، وجمٌ نعته ، وضروبٌ معطوف على جمّ ، وجملة « فيه صَعَار » خبر جواد .

وقوله « انكرار » قال شارحه : هو انفعال من كرّ يكرّ .

وأبو دُواد بدلان مهملتين أولاهما مضمومة ، بعدها واو : شاعر جاهلى . وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) قال بعضهم : اسمه جارية ابن الحجاج . وقال الأصمعى : هو حنظلة بن الشرفى . وكان فى عَصْر^(١) كعب بن مامة الإيادى ، الذى آثرَ بنصيبه من الماء رفيقه النمرى ، فمات عطشاً ، فضُرب به المثل فى الجود . ورثاه أبو دُوادٍ بقصيدة منها :

لا أَعُدُّ الإِقْتارَ عُدْماً ولكنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رَزَتْهُ الإِعْدَامُ

أبو دواد
الإيادى

(١) ط : « مصر » ، صوابه فى ش .

مِنْ رِجَالٍ مِنَ الْأَقْرَبِ بَادُوا مِنْ حُذَاقٍ هُمُ الرَّعْوُسُ الْعِظَامُ^(١)
 فِيهِمُ لِلْمَلَانِينِ أَنَاةٌ وَعُورَامٌ إِذَا يُرَادُ عُرَامُ^(٢)
 فَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ ، وَذَكَرَهُمْ لِي سَقَامٌ

وكان أجاره بعضُ الملوك فأحسن إليه^(٤) . فَضُرِبَ الْمَثَلُ بِجَارِ
 أَبِي دُوَادٍ . قَالَ طَرْفَةُ :

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَمْتُ بِهِ جَارٌ كَجَارِ الْحُذَاقِ الَّذِي انْتَصَفَا^(٤)
 وَهُوَ أَحَدُ نَعَاتِ الْخَيْلِ الْمَجِيدِينَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُمُ ثَلَاثَةٌ : أَبُو دُوَادٍ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَطُقَيْلٌ ، وَالْجَعْدِيُّ . قَالَ : وَالْعَرَبُ لَا تَرَوِي شِعْرَ
 أَبِي دُوَادٍ وَعَدِيٍّ ، لِأَنَّ الْفَظَاهِمَا لَيْسَتْ بِنَجْدِيَّةٍ .

وَيُقَالُ : إِنَّمَا أَجَارَهُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ بِنِ مَرَّةَ بْنِ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ .
 وَذَلِكَ أَنَّ قُبَادَ سَرَّحَ جَيْشًا إِلَى إِيَادٍ ، فِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ ، فَاسْتَجَارَ
 بِهِ قَوْمٌ مِنْ إِيَادٍ فِيهِمُ أَبُو دُوَادٍ ، فَأَجَارَهُمْ . قَالَ قَيْسُ بْنُ زَهَيْرٍ
 ابْنِ جَذِيمَةَ :

أَطُوفُ مَا أُطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ

(١) في الديوان ٣٣٨ والأصمعيات ١٨٧ : « فادوا » بالفاء ، بمعنى هلكوا أيضا .

(٢) في الديوان والأصمعيات : « فهم للملأنين أناة » و « يراد العرام » .

(٣) الجار يطلق على من يجير المستجير ، كما يطلق على الخليف والناصر أيضا ، وفي اللسان (جور ٢٢٦) : « ويقال للذي يستجير بك جار ، وللذي يجير جار » ، وفي الشعر والشعراء ٢٢٧ : « وكان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه » .

(٤) البيت لم يرد في ديوان طرفة ، وأنشده في اللسان (وصف) وفي ش : « من هم همت به » ، وما أثبت من ط يوافق ما في أمثال الميداني (جار كجار أبي دواد) ، والحذاق هو أبو دواد . ورواية اللسان والميداني : « الذي انتصفا » وفسره ابن منظور بقوله : « أي صار موصوفاً بحسن الجوار » ، والميداني بقوله : « أي صار الجواد ، يعني كعباً » . وما عند الميداني مبنى على رواية أن كعب بن مامة هو الذي أحرأبأ دواد .

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :
 لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْمًا ولكن فَقَدُ مَنْ قَدْرُزْتُهُ الإِعْدَامُ
 الأبيات .

وَيُتَمَثَّلُ ^(١) مِنْ شِعْرِهِ :

أَكَلٌ أَمْرِي تَحْسَبِينَ أَمْرًا وَنَارٍ تَحْرَقُ بِاللَّيْلِ نَارًا ^(٢)
 وَمَا سَبَقَ إِلَيْهِ فَأُخَذَ عَنْهُ قَوْلُهُ :

نَرَى جَارِنَا آمِنًا وَسَطْنَا يَرُوحُ بِعَقْدٍ وَثِيقِ السَّبَبِ ^(٣)
 إِذَا مَا عَقَدْنَا لَهُ ذِمَّةً شَدَدْنَا الْعِنَاجَ وَعَقَدَ الْكَرْبُ
 أَخَذَهُ الْحَطِيئَةُ فَقَالَ :

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِحَارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا ^(٤)
 هَذَا مَا أوردَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ ^(٥) .

تم الجزء التاسع من خزانة الأدب
 بتقسيم محققها

(١) ش : « وتمثل » ، بتشديد الشاء المكسورة .

(٢) ديوان أنى دواد ٣٥٣ ومعجم الشواهد .

(٣) ديوان أنى دواد ٢٩٢ .

(٤) ديوان الحطيئة ٧ . والعنّاج ، ككتاب : خيط أو سير يشد فى أسفل الدلو حتى تتصل

إلى أعلى الكرب . والكرب : الحبل الذى يشد على الدلو ، والمراد توثيقهم للمهد وإيقاظهم به .

(٥) الشراء ٢٣٧ - ٢٤٠ .

الفهارس

١ - فهرس التراجم

٤١٨	كثير بن عبد الله ، ابن الغريرة	٢٥	عمرو بن ملقط
٤٣٥	سهم بن حنظلة الغنوي	٣٥	عبد الله بن همام السلولي
٤٤٦	حماد الراوية	٤٦	طفيل الغنوي
٥٠٨	سبرة الفقعسي	٥١	عبد الرحمن بن حسان
٥٢٦	تملك والدة امرئ القيس	٨٣	قتيبة بن مسلم
٥٣٢	سابق البربري	٨٥	عبد الله بن خازم الباهلي
٥٣٣	نهيكة بن الحارث	١١٢	القتال الكلابي
٥٣٣	شتيم بن خويلد	١٥٣	كعب بن زهير
٥٣٨	أبو كبير الهذلي	٢١٦	محمد بن بشير الخارجي
٥٤٠	يزيد بن هبيرة	٢٤٥	خليفة بن براز
٥٤٤	ملاعب الأسته	٢٤٧	سالم بن قحفان
٥٤٤	أم البنين	٣٢٤	ضابئ بن الحارث البرجمي
٥٤٥	أبو عطاء السندي	٣٣٤	هدبة بن خشرم
٥٧٦	أعشى همدان	٣٤٤	قسام بن رواحة العنبيسي
٥٧٨	ثابت قطنة	٣٦٨	عصام الخارجي
٥٩٠	أبو دواد الإيادي	٤١٥	بشر بن مروان بن الحكم

٢ - فهرس الشواهد

(الجوازم)

- ٦٧٦ لولا فوارس من ذهلٍ وأسرتهم
٦٧٧ فأضحت مغانها قفاراً رسومها
٦٧٨ احفظ وديعتك التي استودعتها
٦٧٩ إليكم يابني بكرٍ إليكم
٦٨٠ محمدٌ تفدٍ نفسك كلُّ نفسٍ
٦٨١ لتقمُ أنت يا ابنَ خيرِ قريشٍ
٦٨٢ قالت بناتُ العمِّ يا سلمى وإن
٦٨٣ أماويٌّ مهمنٌ يسمعنُ في صديقه
٦٨٤ مهما لى الليلةَ مهما لينة
٦٨٥ ومهما وكلت إليه كفاه
٦٨٦ إذ ما دخلت على الرسول فقل له
٦٨٧ إماماً ترينى اليومَ أزجى ظعيني
٦٨٨ ومن نحنُ نؤمنه بيت وهو آمنُ
٦٨٩ يُبني عليكِ وأنتَ أهلُ ثنائه
٦٩٠ وللخيلِ أيامٌ فمن يصطبر لها
٦٩١ من يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرها
٦٩٢ وأنى متى أشرف على الجانب الذى
٦٩٣ يرى كلُّ من فيها وحاشاك فانيا
٦٩٤ فقلتُ تحمّلُ فوقَ طوقك إنَّها
٦٩٥ على حينٍ من تلبثُ عليه ذنوبه
٣ يومَ الصلفاء لم يوفون بالجار ٣
٥ كأن لم سيوى أهلٍ من الوحش توهل ٥
٨ يومَ الأعراب إن وصلت وإن لم ٨
١٠ ألمّا تعرفوا منّا اليقينا ١٠
١١ إذا ما خفت من أمرٍ تبالا ١١
١٤ فلتقضى حوائجَ المسلمينا ١٤
١٤ كان فقيراً معدماً قالت وإن ١٤
١٦ أفاويلَ هذا الناس ماوىً يندم ١٦
١٨ أودى بنعلّى وسيربالينه ١٨
٢٦
٢٩ حقاً عليك إذا اطمأن المجلسُ ٢٩
٣٣ أصددُ سيراً فى البلاد وأفرعُ ٣٣
٣٨
٤١ ولديك إن هو يستزِدك مزيدُ ٤١
٤٤ ويعرف لها أيامها الخيرَ تعقب ٤٤
٤٩
٥١ به أنت من بين الجوانب ناظرُ ٥١
٥٥
٥٧ مطبعةٌ من يأتها لا يضيرها ٥٧
٦١ يجدُ فقدما إذ فى المقام تدابرُ ٦١

- ٦٩٦ ولستُ بحلالِ التلاعِ مخافةً ولكن متى يسترفدِ القومُ أرْفِدِ ٦٦
 ٦٩٧ وما ذاكُ أن كان ابن عمي ولا أخى ولكن متى ما أملك الضرَّ أنفعُ ٧٠
 ٦٩٨ من يكذني بسبيِّ كنتُ منه كالشَّجَا بين حلقهِ والوريدِ ٧٦
 ٦٩٩ أَتَغْضَبُ إن أذنا قُتِيبةَ حُرنا ٧٨
 ٧٠٠ وقال رائدُهم أرسوا نزاولها فكلُّ حَتَفِ امرئٍ يَجْرِي بمقدارِ ٨٧
 ٧٠١ متى تَأْتِيه تَعَشُو إلى ضوءِ نارِهِ تجدُ حَطْباً جزلاً وناراً تَأَجَّجا ٩٠
 ٧٠٢ متى تَأْتِنَا تُلِمُّ بنا في ديارنا تجدُ حَطْباً جزلاً وناراً تَأَجَّجا ٩٦
 ٧٠٣ دَعْنِي فآذِهبِ جانِباً يوماً وأكفِكَ جانِباً ١٠٠
 ٧٠٤ بدا لي أني لستُ مدركُ ما مضى ولا سابقِ شيئاً إذا كان جائياً ١٠٢

(المتعدى وغير المتعدى)

- ٧٠٥ تلك الحرائرُ لا ربَّاتِ أحمرِةِ سودِ المحاجرِ لا يقرآنُ بالسورِ ١٠٧
 ٧٠٦ أشارت كليبٍ بالأكفِ الأصابعُ ١١٣
 ٧٠٧ تمرُّون الدِّيارَ ولم تَعوجُوا ١١٨
 ٧٠٨ ومنا الذي اختيرَ الرِّجالَ سِماحةً ١٢٣
 ٧٠٩ خرجتُ إلى أقطاعِهِ في ثيابه على طِرْفِهِ من دارِهِ بحسامِهِ ١٢٥

(أفعال القلوب)

- ٧١٠ تعلَّمُ أن بَعَدَ الغيِّ رِشداً وأنَّ لهذِهِ العُبرِ انقِشاعاً ١٢٩
 ٧١١ اللهُ موفٍ للعبيدِ ما زعمَا ١٣١
 ٧١٢ بَأَى كِتابِ أم. بَأَيَّةَ سَنَةٍ تَرى جِهمُ عاراً على وتَحسِبُ ١٣٧
 ٧١٣ كذاكَ أدبْتُ حتَّى صار من خُلُقِي إنِّي وجدتُ ملاكَ الشِّمَةِ الأدبُ ١٣٩
 ٧١٤ أرجو وأملُ أن تَدنو مودَّتُها وما إخالُ لدينا منكِ تنويلُ ١٤٣
 ٧١٥ واستم فاعلينَ إخالُ حتَّى ينالَ أقاصيَ الحطبِ الوقودُ ١٥٦

- ٧١٦ ولقد عَلِمْتُ لَتَاتَيْنِ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيْشُ سَهَامَهَا ١٥٩
 ٧١٧ لَقَدْ عَلِمْتُ أَيَّ يَوْمٍ عَقِبْتِي ١٦٢
 ٧١٨ غَادَرْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ ١٦٥
 ٧١٩ سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لَصَيْدِحَ انْتَجِعِي بِلَالَا ١٦٧
 ٧٢٠ إِذَا أَقْبَلْتُ قَلْتُ دُبَاءَةً ١٧٥
 ٧٢١ تَنَادَوْا بِالرَّحِيلِ غَدَاً وَفِي تَرْحَالِهِمْ نَفْسِي ١٨٢
 ٧٢٢ أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لَوْيَ لَعَمْرُ أَبِيكَ أُمَّ مُتْجَاهِلِينَا ١٨٣

(الأفعال الناقصة)

- ٧٢٣ فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيَّ إِذْذَالٍ ١٨٧
 ٧٢٤ أَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا ١٨٨
 ٧٢٥ غَدَاً طَاوِيًا يِعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيَا ١٩٠
 ٧٢٦ يَرَوْحُ وَيَغْلُو دَاهِنَا يَتَكَحَّلُ ١٩٧
 ٧٢٧ بَتِيهَاءَ قَفْرِ وَالْمَطَى كَأَنَّهَا قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فِرَاحًا يَبُوضُهَا ٢٠١
 ٧٢٨ سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامِي عَلَى كَانَ الْمَسُّومَةَ الْعِرَابِ ٢٠٧
 ٧٢٩ فِي لُجَّةٍ غَمَرَتْ أَبَاكَ بِحُورُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ وَالْإِسْلَامِ ٢١١
 ٧٣٠ بَدَا لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوبِ بَدَاءُ ٢١٣
 ٧٣١ فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بِدَارِ قَوْمٍ وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ ٢١٧
 ٧٣٢ كَانَ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ ٢٢٤
 ٧٣٣ فَلَا وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةٌ ٢٣٧
 ٧٣٤ تَنْفَكُ تَسْمَعُ مَا حَبِيْبَتُ بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُوْنَهُ ٢٤٢
 ٧٣٥ تَزَالُ حِبَالُ مُبْرَمَاتٍ أُعِدُّهَا لَهَا مَا مَشَى يَوْمًا عَلَى خُفِّهِ جَمَلٌ ٢٤٥
 ٧٣٦ حَرَّاجِيْعُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةٌ عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بِلْدًا قَفْرًا ٢٤٧

- ٧٣٧ تحيةً بينهم ضربٌ وجيعُ
٢٥٧
٧٣٨ وكوني باللكارم ذكُوريني
٢٦٦
٧٣٩ فناقذُ هذاجونَ حَوْلَ بيوتهم بما كان إياهم عَطِيَّةً عَوْدًا
٢٦٨
٧٤٠ ما دامَ فيهنَّ فَصِيلٌ حَيًّا
٢٧٢
٧٤١ وَإِنَّ شَفَاءَ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٌ
٢٧٧
٧٤٢ أسكران كان ابن المرأعة إِذْ هَجَا تيمأً بجوف الشام أم مُتساكرُ
٢٨٨
٧٤٣ أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ حَسَانَ عَنِّي أَطْبُبُ كان سِحْرَكَ أم جنونُ
٢٩٥
٧٤٤ إِنَّمَا يَجْزَى الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ
٢٩٦
٧٤٥ لم يكُ الحقُّ على أَن هاجه رسمُ دارٍ قد تعفَى بالسَّرَزِ
٣٠٤

(أفعال المقاربة)

- ٧٤٦ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لم يكْدُ رسيُسُ الهوى من حبِّ مَيَّةَ يبرحُ
٣٠٩
٧٤٧ ظنني بهم كعسى وهمُ بتنوفةٍ يتنازعون. جوائزُ الأمثال
٣١٣
٧٤٨ لا تَلْحَظِي إِنِّي عَسَيْتُ صائِمًا
٣١٦
٧٤٩ هممتُ ولم أفعلُ وكِدْتُ وليتني تركتُ على عُمان تبكى حلالته
٣٢٣
٧٥٠ عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه يكونُ وراءه فرجٌ قريبُ
٣٢٨
٧٥١ عسى طيبيُّ من طيبيُّ بعد هذه ستطفيءُ غُلَّتِ الكَلَى والجوانحُ
٣٤١
٧٥٢ فعادى بين هاديتين منها وأولى أن يزيدَ على الثلاثِ
٣٤٥
٧٥٣ قد كاد من طولِ البلى أن يمصحا
٣٤٥
٧٥٤ وقد جعلتُ قلوُسُ بنى زيادٍ من الأكوار مرتعها قريبُ
٣٥٢
٧٥٥ وقد جعلتُ إِذَا ما قمتُ يُثْقِلُنِي ثوبِي فَانْهَضُ نَهَضَ الشاربِ الثملِ
٣٥٥
٧٥٦ وناخذُ بَعْدَهُ بِذِنابِ عيشٍ أَجِبَ الظهرِ ليس له سَنامُ
٣٦٣

- ٧٧٨ فلا تتركني بالوعيد كئني
 إلى الناس مطلي به القار أجرب ٤٦٥
- ٧٧٩ وإن يلتقي الحي الجميع تلاقيني
 إلى ذروة البيت الكريم المصمدي ٤٦٩
- ٧٨٠ وأكفيه ما يخشى وأعطيه سؤله
 وألحقه بالقوم حثاه لاحق ٤٧٢
- ٧٨١ فلا والله لا يلقاه ناس
 فتى حثاك يا ابن أبي يزيد ٤٧٤
- ٧٨٢ فواعجباً حتى كليب تسبني
 كأن أباه نهل أو مجاشع ٤٧٥
- ٧٨٣ فما زالت القتلى تمج دماءها
 بدجلة حتى ماء دجلة أشكل ٤٧٩
- ٧٨٤ بطل كأن ثيابه في سرحة
 ٤٨٥
- ٧٨٥ وتركب يوم الروع فيها فوارس
 بصيرون في طعن الأباهر والكلى ٤٩٣
- ٧٨٦ نحابي بها أكفأنا ونهينها
 ونشرب في أثمانها ونقاير ٥٠٣
- ٧٨٧ ما بكاء الكبير بالأطلال
 ٥١١
- ٧٨٨ غلب تشدر بالذحول
 ٥١٥
- ٧٨٩ نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
 ٥٢٠
- ٧٩٠ ولكن أجراً لو فعلت بهين
 وهل ينكر المعروف في الناس والأجر ٥٢٣
- ٧٩١ ألا هل أتانا والحوادث جممة
 بأن أمراً القيس بن تملك بيقرأ ٥٢٤
- ٧٩٢ فأصبحن لا يسألنه عن بما به
 أصعد في علو الهوى أم تصوباً ٥٢٧
- ٧٩٣ لئوا للموت وابنوا للخراب
 ٥٢٩
- ٧٩٤ رب هيضل لجب لفتت بهيضل
 ٥٣٥
- ٧٩٥ فإن تمس مهجور الفناء فربما
 أقام به بعد الوفود وفود ٥٣٩
- ٧٩٦ يارب هيجا هي خسر من دعه
 ٥٤٧
- ٧٩٧ رب رفد هرقته ذلك اليو
 م وأسرى من معشر أقيال ٥٥٩
- ٧٩٨ إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن
 عاراً عليك ورب قتل عار ٥٧٦
- ٧٩٩ ربما ضربة بسيف صقيل
 بين بصرى وطعنة نجلاء ٥٨٢
- ٨٠٠ ربما الجمال المؤبل فيهم
 وغناجيج بينهن المهار ٥٨٦

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣٠٩